﴿ التقاريظ ﴾

لما كان هذا التفسير قد قرظه كثير من علماء الشرق والغرب وأطنبوا فى مدحه وقد طلب منا الكثير من قرائه درجها فى الكتاب رأينا أن نضع فى كل مجلد قسما منها بحسب مايقتضيه المقام ، ونبدأ الآن بما جاء فى « المجلة الاسيوية الفرنسية » المطبوعة سنة ١٩٠٨ لنبين بذلك منزلة المؤلف عند علماء أوروبا من حيث العلم والدين . وكذلك ما كتبه الاستاذ مصطفى السقا مدرس اللغة العربية وآدابها بالمدارس الثانوية الأميرية فى جريدة المقطم يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٣ تقريظا لهذا الكتاب . ثم نتبعه بما نشر فى جريدة الاهرام يوم ٩ نوفبر سنة ١٩٢٦ ترجمة لما دبجه البارون (كرّاديفو) بالفرنسية فى كتابه المسمى «مفكرو الاسلام» وهاك بيانها بالترتيب مبدوأة بكلمة وجيزة للمصحح :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدا لمن أنزل الذكر الحكيم . واصطفى لفهم أسراره كل حبر عليم . فأخرج من مكنون معارفه ثمين جواهر لآليه . وأظهر من الأصداف دررا غالية بعد أن خفى على تاليه . – وكأين من آية فى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون –

وصلاة وسلاما على ينبوع المعارف ، تليدها والطارف ، سيدنا محمد المحمود وآله معدن الأسرار ، وصحابته العلماء الكملة الأخيار ، و بعد فلما كان تنزيل ربنا لايدرك كنهه من بنى الانسان إلا الملهمون ، قيض الله جلت قدرته فيلسوف العصر ووحيد الدهر العلامة الحكيم (الشيخ طنطاوى جوهرى) لنشر معارفه الحكمية مصداق – مافرّطنا فى الكتاب من شئ – جدير بأن يتسابق الى الوقوف على بديع ما أبداه من العلوم الكونية والعمرانية كل مسلم محب الاطلاع على سر الكتاب العزيز ، و بذلك فليتنافس المتنافسون ، ونرجوا الله أن يطيل فى عمر المؤلف حتى يكمل طبع هذا الكنز الثمين وان يمتع الامة الاسلامية بمؤلفاته آمين

ابراهيم حسن الانبابى

خادم العلم ورئيس لجنة التصحيح

بمطبعة الشيخ مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

﴿ تقريظ مجلة علمية ﴾

جاء فى المجلة الاسيوية الفرنسية مانصه : « الشيخ طنطاوى جوهرى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ماهو عالم بالدين ، وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجمدوا على الألفاظ جمودا معيبا أدّى الى انحطاط المدارك الاسلامية فى الأعصر المتأخرة فانحطت بذلك الأمم الاسلامية ، فبهذه المباحث يخاطب المؤلف الأمم الاسلامية عموما وعشاق البحث من كل أمة ، ويحاول إزالة الغشاوة عن أعين الأمم الاسلامية وتحرير عقولهم من الجمود المخيم عليها فى جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى انه لايخص مذهبا دون مذهب ولامملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نحلة ببلاد الشرق لأن بحثه عام فى الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية فى المعارف والعلوم والمدنية والحضارة » اهـ

﴿ تفسير الجواهر ﴾

اليوم فرغت من قراءة قسم كبير من ذلك التفسير الجليل للأستاذ الفاضل «الشيخ طنطاوى جوهرى» وفى نيتى أن أعود إليه مرة أخرى وربما عدت إليه أكثر من مرة لأن الأثر الذى تركه فى نفسى حبب إلىّ أن لا أفرغ منه ، أحب أن أقرأه مرات كثيرة لأنه يعيد على الذاكرة ذلك الدرس النافع الذى كنا نتلقاه فى دار العلوم عن ذلك الشيخ الجليل ، بل الفيلسوف الكبير

كان الاستاذ يلقى علينا درسا فى تفسير القرآن الكريم ، ولم يكن تفسيرا بالمعنى الذى اصطلح الناس عليه فلم يكن الشيخ ممن يذهبون بعيدا فى تأويل الألفاظ وتحميلها مالا تحمل من المعانى التى سماها غلاة الصوفية بالمعانى الباطنية والاشارات الرمزية ، ولم يكن ممن يعبؤن بسرد مذاهب أهل النظر والعقائد من سنية ومعتزلة وخوارج وشيعة وجبرية وقدرية وغير أولئك من الفرق والشيع ، ولم يعن بالمباحث اللفظية التى امتلأت بها كتب كثير من قدامى المفسرين حتى أصبحت عائقا عن فهم معانى القرآن الذى أنزل بلسان عربىّ مبين

لقد كان الاستاذ يسلك فى تفسيره غير تلك الطريق التى سلكها المفسرون من قبل ، فكان يفسر القرآن كما كان يفهمه الصدور من علماء المسلمين فى العصور الزاهية . وكان يفسر القرآن مبينا ما اشتمل عليه من الاصول لنهضة الأمم وحياتها ، وكان يفسر القرآن بذلك الروح الذى سرى فى علماء المسلمين يوم كان الاسلام قويا وكان علماؤه مسموعى الكلمة فنهضوا بأمتهم نهضة مباركة

عرفنا مما ألقى علينا الاستاذ خلاصة فكرته فى تفسير القرآن وهى أن الدين الاسلامى منبع لسعادتى الدنيا والآخرة ، وأن المسلم يجب عليه أن يصلح حال دنياه مع سعيه لاصلاح آخرته وأن كل تقصير فى الوسائل التى ترقى الناس فى دنياهم يكون سببا فى انحطاطهم وتسجيل الشقاء عليهم ، فكان كل ما يلقيه تطبيقا على هذه الفكرة التى امتلأت بها نفسه . فكنا نسمعه يشرح لنا العلوم الاسلامية والكونية والسياسية والاجتماعية التى بها تنهض الأمم وترقى . ويبين سنة الله فى الأمم التى بادت بما ظلمت وهلكت بما أسرفت . ويحذر الأمم الحاضرة أن تسلك مسالكهم أو تأخذ أخذهم فتصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريبا من دارهم

وكنا نراه يعنى بالرقى الحسى والمعنوىّ الذى نالته أمم الحضارة . ويبين انه قائم على أسس من العلوم والفنون التى أهملها الشرقيون . وينبه الغافلين الى وجوه المدنية الصحيحة ويحثهم على التعلق بأهدابها . تلك كانت طريقة الاستاذ فى تفسيره الشفهى الذى كان يلقيه على طلاب دار العلوم . وما كان أسعد دار العلوم بما غرس الاستاذ فيها من مبادئ الحكمة الرشيدة . وما كان أشدّ غبطة طلاب دار العلوم بذلك الدرس الحى الذى ملأت قلوبهم روعته ونفذت الى أفئدتهم حكمته

ولقد رأى الاستاذ أن ما كان ينتفع به الطلاب فى دار العلوم جدير أن ينتفع به كل مصرى بل كل شرقى فشرع يحرر تلك الحكم الغالية ثم طبعها وأهداها الى أمته التى يتفانى فى حبها والعمل لانقاذها ، ولقد مضى على الكتاب العزيز نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن وضع العلماء فى خلالها مئات من كتب التفسير ولكن ليس بينها (فيما أعلم) مثل هذا التفسير الجديد . ولم أعلم أن أحدا من المفسرين حاول وضع مثله أو حدّث نفسه به

أقول ذلك وقد قرأت فى كثير من كتب الغابرين فلم أر بينهم مفسرا كان همه أن يطبق ما فى الكتاب العزيز على الحياة العامة للأفراد والجماعات وسنن الله فى الكائنات والتدبر فى نظام الأرض والسموات وما فيهما من آيات بينات كما فعل أستاذنا الشيخ طنطاوى فى تفسيره الجديد

لست مبالغا أيها القارئ فيما أقول . وها هو الكتاب على كثب منك . خذه وتدبر ما قال مؤلفه تر أن

الكتاب

الكتاب فوق ما أصف لك وأن مؤلفه قد رزق من التوفيق حظا كبيرا — ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم —

ستری (اذا قرأته) انك تقلب النظر فى روضة علوم أحكم غرسها وتنسيقها الفحول من علماء الشرق والنابغون من فلاسفة الغرب

ترى فيه جمال الاسلام ونصاعته وانه دين الفطرة الذى يلائم روحه كل زمان وانه الدين الذى رفع أمة الاسلام لما أخلصت الى حيث غاية الهمم ومنتهى الآمال وانه الدين الذى بقبس من نوره اهتدى ناس من أهل الغرب فنالت أممهم من سعادة الدنيا حظا موفورا وقسطا كبيرا

ترى فيه المذاهب الجديدة والأفكار الحديثة فى تطبيق العلم على الدين . وترى صاحبه تارة معلما للنبات يشرح خصائصه . ودارسا للحيوان يعدد أنواعه وفصائله . وتراه تارة فيلسوفا دينيا . وطورا زعيما سياسيا . وآونة شاعرا يحلق بك فى سماء الخيال ، وأخرى كاتبا بألفاظ من السحر الحلال

وعلى الجملة ترى نظام العالم مشروحا وأسرار الأرواح محققة وعجائب الكون مفصلة وسنن الوجود مبينة وآيات الله فى الخليقة واضحة

وخلاصة القول أن تفسير الاستاذ الشيخ طنطاوى هو ظرف لتجربة دامت نصف قرن قضاها مؤلفه بين طلب العلم فى الأزهر الشريف ثم فى مدرسة دار العلوم وتدريس فى المدارس المصرية على اختلاف درجاتها واطلاع واسع على الأفكار الذائعة بين فلاسفة الشرق والغرب ومعرفة بأمراض الأمم الاسلامية والشرقية عامة وخبرة بما تتطلبه حاجتها إبان نهضتها . فلئن كان الاستاذ قد وفق الى وصف العلاج الناجع لما نحس من الآلام لقد كان نتيجة تلك التجربة الطويلة والغيرة الشديدة على الشرق وعلومه التى نسيت ومدنيته التى محيت ، ورجاؤنا الى الله أن يمد فى عمر الاستاذ و يبارك فيه ليطول به الامتاع و يعم الانتفاع ان شاء الله تعالى

مصطفى السقا

مدرس اللغة العربية بالمدارس الثانوية الأميرية

﴿ المفكرون فى الاسلام[1] ﴾

أبرزلنا الشيخ طنطاوى جوهرى المصرى الجنس كتبا كثيرة فلسفية دينية وهو روح قوية مفيدة ملك الذوق العلمى و يشعر بنشاط قوى وحماسة بما فى الأمم الاسلامية من النقص الشائن الذى حط من كرامتها فى عيون أمم الغرب ، و يجد فى بث فكرته ونشاطه وحماسته بين معاصريه فى أقطار الاسلام ليبرهن لهم أن اكتساب العلوم ليس مما لايضاد الاسلام فحسب ، بل ان العلوم مجددة لشباب الاسلام معطية له قوى جديدة . و يتبين من كلامه انه رجل السلم والانسانية الراغب فى أن يرى المودة مشيدة الصروح بين الأمم معتقدا أن الديانات تسعى لنشر هذه المودة العامة كما يظهر من ناحية أخرى انه مخلص صادق أمين . وهذا الحكم استنتجناه من أسلوبه السهل المنتعش الحياة العالى النادر الوجود . و بالجملة فالاستاذ يتجلى فى نفسى من كلامه بهيئة محبوبة ذات روح لطيفة وشخصية بارزة

فسر القرآن بطريقة فريدة تستحق الاحترام والاجلال شائقة جديدة ومع ذلك لم يشذ فيها عن آراء المتقدمين . وابتدأ بهذا التفسير وهو مدرس بدار العلوم . وكان يلقى على تلاميذه تفسير بعض الآيات وتلقفته جميع الأقطار الاسلامية وانتشر فيها أى انتشار . والصفحات الأولى منه تريك حجة واضحة وآية ظاهرة وقوة

---

(١) فصول مستخرجة من كتاب « مفكرى الاسلام » للعلامة البارون (كارادى فو) وهى تعريب النص الفرنسى بالحرف من صفحة ٢٧٥ الى صفحة ٢٨٤ بعنوان المفكرين فى الاسلام وذكر منهم فيه بمصر ثلاثة : رفاعه بك والامام الشيخ محمد عبده والاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى

قاهرة تحث على مطالعة العلوم الطبيعية . وقد وضع المؤلف موازنة بين العلوم الطبيعية التى شغلت أذهان مفكرى الاسلام والعلوم الفقهية . ويقول « إن القرآن لم ينصح بمطالعة العلوم الطبيعية فقط بل جعلها فى المكان الأعلى فوق العلوم الأخرى » وفى القرآن كما يقول الاستاذ (١٥٠) آية تدل على العلوم الفقهية مع أن فيه (٧٥٠) آية تدل على العلوم الطبيعية وهذا حساب غريب جدا ، ولكن هذا الحساب مزين بالجمال وهو خير مشجع لقرائه ، وهو يقسم العلوم الى قسمين : العلم الأول وهو كل العلوم الطبيعية علم الآفاق والأنفس بحسب هذه الآية ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ـ . والعلم الثانى هو علم الفقه ، وجاء فى القرآن ـ الحمد لله رب العالمين ـ وأيضا ـ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ـ

قال : فنحن معاشر المسلمين يجب علينا أن نقرأ عجائب المخلوقات كما نقرأ الفقه ، وبهذه العلوم الكونية نعرف جلال الله تعالى وجماله فنرتقى فى الفنون والصناعة والزراعة والتجارة ، بهذا أدعو جميع الأمم الاسلامية الشرقية منها والغربية والا فلماذا يقول الله تعالى ـ ليظهره على الدين كله ـ ! وكيف لا يكون الاسلام فوق الأديان وهو الذى أوجب مطالعة العلوم الكونية مع ان الديانات الأخرى قصارى أمرها ألا تتعرض لنبذها ، والعجب كل العجب أن الاستاذ لم يقتصر بمهارته الفائقة على الحث على مطالعة العلوم الطبيعية بل أيدها بالآيات القرآنية المقدسة وهو دائم الوثوب قوى الهجوم بديع الاسلوب

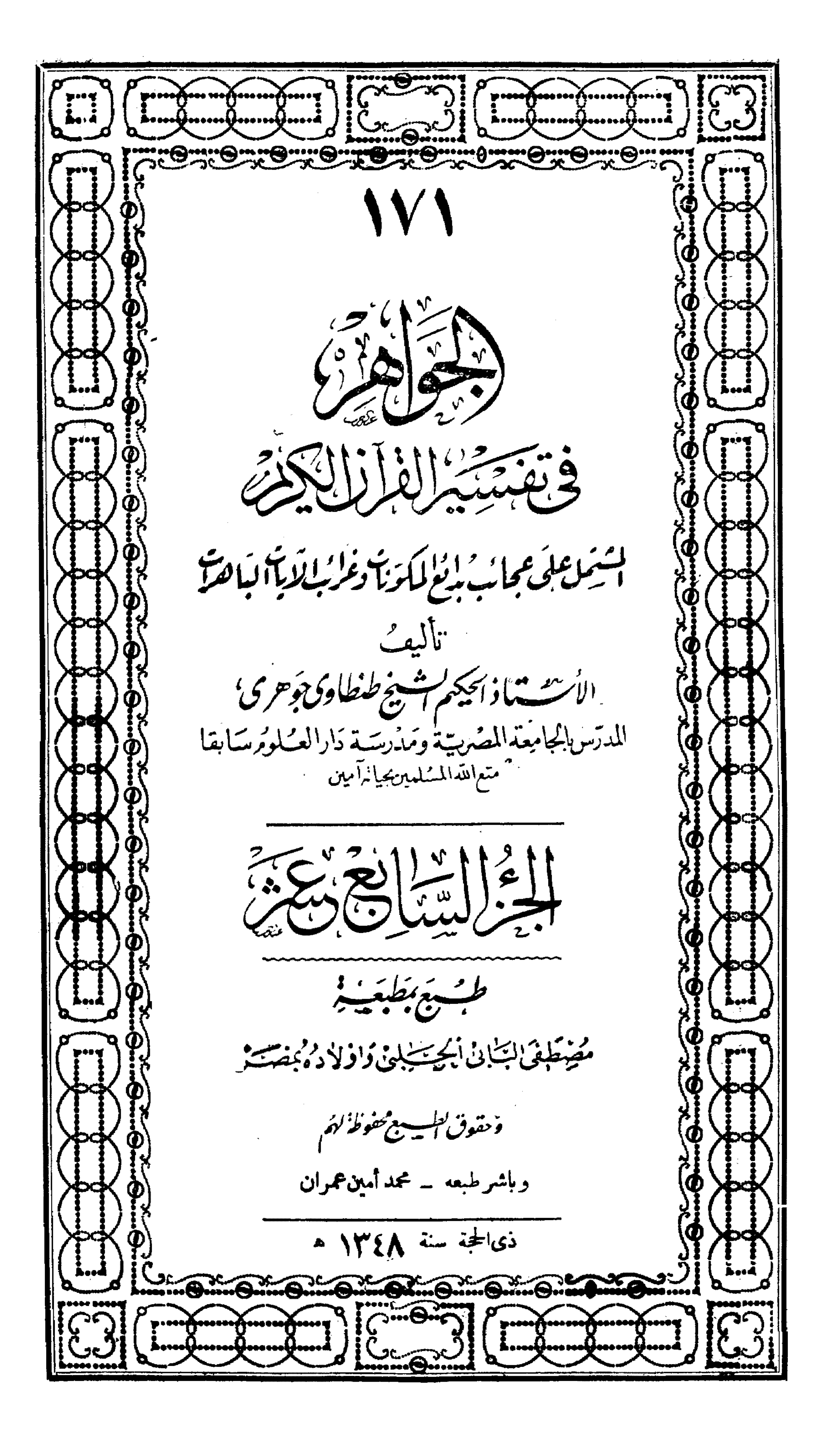
يقول : أنذر المسلمين اذا لم يعملوا أن تغشاهم غاشية من عذاب الله كما غشيت عادا وثمود ، وقد ابتدأت تظهر الدلائل وأدركها المسلمون وهى تلك الطيارات القاذفات القنابل على القرى والشيوخ والأطفال ، إن علوم الطبيعة محققة مكشوفة واضحة لا يعتورها اختلاف

ليفسر علماء الاسلام للمسلمين عجائب الشمس والقمر والزهر والثمر وعجائب المعادن والنبات وحينئذ تكون المذاهب الاسلامية كلها تدرس علوما متحدة فيرى السنى والشيعى والزيدى أنهم جميعا متفقون فى جميع علوم الكائنات التى هى الغذاء لنوع الانسان ولا يكون اختلافهم إلا فى علوم الشريعة التى هى كالدواء وما أقل الدواء بالنسبة للغذاء ، الانسان لا يعيش إلا بالغذاء ولا يستغنى عنه أما الدواء فانما يكون وقتا دون وقت

أيها المسلمون : اطلبوا علوم الغذاء وعلوم الدواء أى العلوم الكونية والعلوم الشرعية وجميعها يطلبها القرآن وقد اعتنى بعلوم الغذاء أشد من عنايته بعلوم الدواء ، فمالى أراكم عما قدمه الله معرضين وعلى ما أخره الله عاكفين ؟ قدم تربيته للعالمين ورحمته للمخلوقين على العبادة وهدايته للصراط المستقيم ، لقد ساءنى والله ما أرى من أعراض بعض علماء الدين عن عجائب الخلق ، كنت أود أن أرى أولئك الذين نزحوا الى أوروبا بعلم الطبيعة مغرمين ولعجائب الخليقة مسارعين ولكنى رأيتهم منصرفين الى الوظائف الوقتية والأعمال الادارية وما رأيت واحدا منهم بالعلوم الكونية مغرما فتشابه فى بلادنا العلماء الدينيون والشبان الذين هم للكون دارسون فالأولون على أحكام الفقه مقتصرون وهؤلاء بالوظائف قانعون وكل حزب بما لديهم فرحون إلا قليلا من الفريقين نالوا حظا عظيما ، قال الله تعالى ـ وقليل ماهم ـ وقال ـ وقليل من عبادى الشكور ـ

ولا يقتصر الشيخ طنطاوى على الحث والتحريض بلا برهان بل يؤيد الوعظ بالبراهين ويضرب الأمثال إنه فى السطور الأولى من الفاتحة وهى السورة الأولى من القرآن هجم هجوما شديدا وأظهر مقصوده من تفسير القرآن بوضوح تام وقام فى ذلك مقام العلامة القزوينى مؤلف ﴿ عجائب المخلوقات ﴾ ولكن الشيخ طنطاوى قزوينى العصر الحاضر منه استمد علمه لا من القديم

فمثل هذا الكتاب المملوء حكمة وعلما الغزير المادة السامى الفكرة الناتج من تفكير عميق وبحث يقل نظيره يدعو دعوة حارة الى سعادة الأمم أجمعين . ويدعو أيضا بالحماسة الشديدة الى التجديد العام وهو مفخرة لمصر والاسلام وجدير بالاحترام ؟



١٧١

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا

متع الله المسلمين بحياته آمين

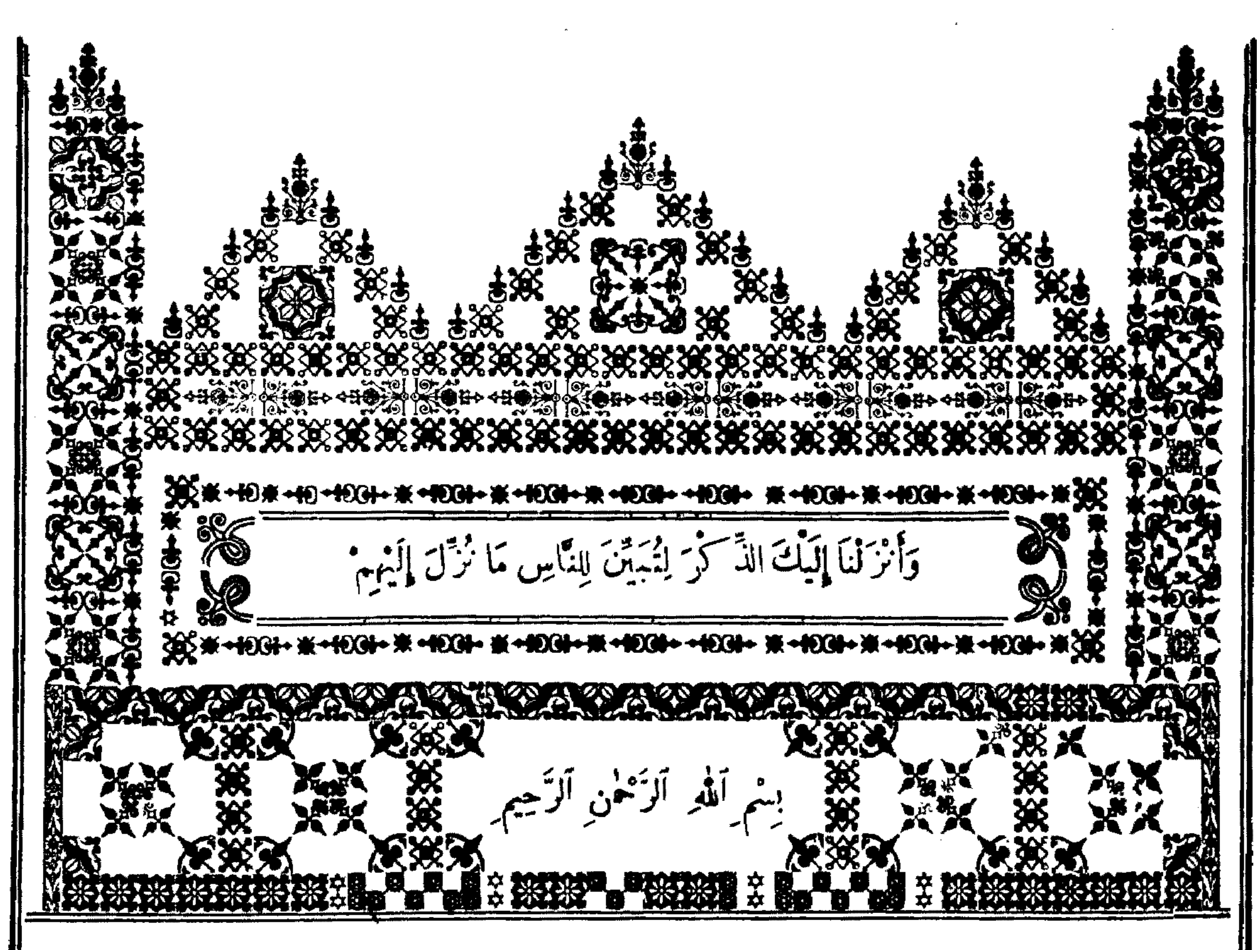
الجزء السابع عشر

طبع بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

وباشر طبعه ـ محمد أمين عمران

ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ



تفسير سورة فاطر

(هى مكية)

(آياتها ٤٥ — نزلت بعد الفرقان)

(مقدمة فى مبادئ السور)

لقد اتصلت هذه السورة بالسورة التى قبلها فانه جاء فى آخرها ـ وحيل بينهم و بين مايشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب ـ فهؤلاء شاكون فى أمر البعث وقلوبهم محجوبة ونفوسهم محبوسة ، وذلك لأن النفوس الضعيفة التى تنزل الى هذا العالم ولم تستعد بعد الى فهم العالم اللطيف والملائكة والأرواح والبعث والحشر ، تكون كل آمالها موجهة الى عالم المادّة فلاتبغى به بديلا

فجاء ابتداء هذه السورة مبشرا المطيعين بالملائكة الذين هم يبشرونهم عند الموت و يوم القيامة ويحبونهم و يلهمونهم مدة الحياة بالخيرات لأجل استعدادهم

ابتدأ الله سورة الفاتحة بأن الحمد لله لتربيته لجميع العوالم وفى الأنعام بتفصيل العالم المادّى الى ظلام وضياء ولطيف وكثيف وفى الكهف بالتصرّف فى العالم العقلى بالديانات وانزال القرآن لتجعل للقلوب وجهة شريفة كما ازدانت المادّة بالأنوار فى سورة الأنعام وفى سورة سبأ بأن العالم المادّى يتصرّف فيه من حيث النتائج الحاصلة فيه إدخالا واخراجا فى الأرض وتبيانا للتنوّع والتفنن فى المادّة بالأثمار والأزهار والنعم التى لانهاية لمداها ولاحدّ لأقصاها وتسخير الأوّلين لنفع الآخرين كنزا فى الأرض ودفنا فى الثرى و بنيانا فى العصور القديمة ثم ظهورا فى الأجيال المتأخرة . وهكذا عالم السماء فيه التصرّف المناسب له . ثم أبانه أيما تبيان فى هذه السورة . فكما كان الادخال فى الأرض والاخراج منها بعضه من فعل الانسان الأوّل للانسان الآخر فى سبأ

هكذا فى سورة فاطر يكون صعود الملائكة الى عالم السماء ونزولهم الى عالم الأرض نفعا للعباد وتسخيرا لمنفعتهم بالتدبير فى النظام وتبليغ الوحى والالهام . وكما يختلف الكائزون من نوع الانسان والمؤلفون والمعلمون الاول فى آرائهم وعقولهم وآثارهم يختلف الملائكة فى درجاتهم ومقدار قوّاتهم . ولا يعرف الناس ذلك إلا بمقياس وهو الطائر ذو الجناحين وذو الأربعة وفوق ذلك

فتبين من ذلك أن الحمد فى الفاتحة على مجمل وفى الأنعام لتفصيل الكثيف واللطيف وفى الكهف لتزيين العقول بالعلوم كما زينت المادّة بالعجائب البهجة وفى سبأ بأنواع الجمال الأرضى من نبات وثمر وبما خزن الأوّلون للآخرين من مال وكمال وفى سورة الملائكة بنهاية النهايات وزينة الأرض والسموات وهو عالم الملائكة الذى اليه تتجه الأنظار بل هو مرمى أهل الجنة ليتخلصوا من المادّة ويصلوا الى مقام الكمال فكأن العالم المجمل فى الفاتحة فصل بعدها فى الامور المادية وفى العقلية وانتهى بأرقى العقلاء وهم الملائكة وليس بعد ذلك من نهاية لنوع الانسان . ولذلك يقول تعالى فى سورة سبأ ــ وله الحمد فى الآخرة ــ ومعلوم أن الحمد لا يكون إلا على النعم ولا تعرف النعم إلا بالعلم وقد ذكر العالم المادّى والمعنوى فى المحامد المختلفة كأن الانسان لا يصل الى العالم الأعلى عند سدرة المنتهى ويشاهد عالم الملائكة إلا بعد المرور على درجات هذه العوالم دراسة وتفكيرا ثم ينتهى الى عالم الجمال . انظر هذا الترتيب . انظر كيف أخر هذا المعنى الى سورة الملائكة . انظر كيف لم يذكره فى سورة الفاتحة ولا فى سورة الأنعام ولا فى الكهف ولا فى سبأ بل ألمع فى سبأ الى أن الحمد لله فى الآخرة وحده وأظهر المقصود فى سورة فاطر . واذا شئت منهجا آخر فى هذا أختصر أقول لك : الحمد فى فواتح السور جاء لمقدّمتين وخاتمة المقدمة الأولى : حمد على نعم ظاهرية فى العالم المشاهد فى الفاتحة والأنعام . المقدّمة الثانية حمد على نعمة العلم والحكمة فى الكهف وعلى حسن الترتيب فى انتقاله من الأوّلين الى الآخرين ومن العلماء للجهلاء فان بعض ما يلج فى هذه الأرض الإلهامات للعقلاء والوحى للأنبياء وبهما يخرج أنواع الأعمال الصالحات والمنافع العامّة التى بها زينة الدنيا . فأما النتيجة فهى العوالم المفطورون على الحكمة والعلم إذ هم الذين بهم ينزل العلم والوحى فى الأرض ويخرج للفوائد العامّة وهم ينزلون من السماء بالعلوم فيلهمونها للناس ويعرجون بأعمال الناس . فالولوج فى الأرض والخروج منها نتائج النزول من السماء والصعود فيها من حيث التأثير ومقدّمات من حيث الدرس والتفكير . فالعوالم السفلية نتائج العوالم العلوية من حيث النظام ولكنها لا يتوصل اليها إلا بعد المرور على العوالم السفلية طبقة طبقة فندرس العالم المشاهد كما فى الفاتحة والأنعام ثم العالم المعقول بالتفكير ونترك آثارا لمن بعدنا وحينئذ نستحق الرقىّ الى عالم السموات مع الملائكة

هذا ما حضرلى فى نظام هذه الآيات بالنسبة لما قبلها من المحامد فى أوائل السور . فانظر مناسبتها لما بعدها فى هذه السورة . فانظر كيف يقول سبحانه ــ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ــ ثم انظر كيف خصّ خشية الله بالعلماء الناظرين فى السموات والأرض والألوان والجبال . ثم أوضح درجات العاملين فهم المقتصد والمتوسط والسابق . ولا ريب أن السابقين هم المقرّبون فى جنات النعيم والقرب انما يكون بالعلم والعمل

جعل الله الذين ورثوا الكتاب ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ وجعل الملائكة ذى أجنحة مثنى وثلاث ورباع . فذكر ثلاث درجات أيضا وأعقب ذلك بأنه يزيد فى الخلق ما يشاء وانه اذا فتح للناس رحمة فليس يمسكها أحد . فللملائكة درجات وللذين ورثوا الكتاب درجات والدرجات ليست واقفة عند حد فان باب الزيادة مفتوح لمن هو أهل من نوع الانسان . إن ذكر الملائكة فى أوّل السورة مقدمة لصعود الكلم الطيب ورفع العمل وارتقاء درجات المؤمنين كما تتابعت درجات الملائكة . إن عالمنا الذى نعيش فيه عالم دراسة فليدرس الناس فى الدنيا وعلى قدر دراستهم يكون مقامهم بعد الموت . أفلم ينظر الناس كيف كانت الأمم تعلم التلاميذ فى المدارس واذا أتموا دروسهم وضعوهم فى أعمال تناسب ما كانوا يدرسونه . وما مثل الناظرين فى العوالم المادية والمعنوية المذكورة فى أوائل

السور المبدوءة بالحمد وفى الآيات الآتية فى هـذه السورة المحببة للنظر فى اختلاف الألوان فى الجبال والحيوان والانسان إلا كمثل التلاميذ الذين يدرسون فى المدارس السياسية ليعرفوا نظام الممالك وسياستها ثم يكونون من رجال السياسة ، هكذا هؤلاء الحكماء والمفكرون اذا ماتوا كانت نفوسهم عاكفة على ذلك الجمال وعجائب العالم كأنهم ملحقون بالملائكة ينظرون فى التـدبير العام الإلهى مفكرين فى جمال فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا الخ . انتهت المقدمة

﴿ تقسيم السورة ﴾

فلأجعل الكلام على هذه السورة فى ﴿ ثلاث مقامات ☼ المقام الأوّل فى تفسير البسملة ﴿ المقام الثانى ﴾ فى تفسير الألفاظ ﴿ المقام الثالث ﴾ فى تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها

﴿ المقام الأول ﴾

(فى تفسير البسملة وقوله تعالى ـ إن ربنا لغفور شكور ـ وقوله ـ والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير ـ)

لقد يبدو للناظر أوّل وهلة أن هنا تباعدا فيما بين هذه الثلاثة وهى البسملة والآيتان بعـدها وانها ليست فى مقام واحد وأنا أشرح المقام شرحا تاما فأبين أوّلا كيف يكون الله رحيما وغفورا وشكورا وخبيرا و بصيرا مع ان العبـد يكون كذلك فهو رحيم رحمن وخبير و بصير وغفور وشكور ، ثم كيف كان اشتراك الخالق والمخلوق فى الاسم اشتراكا لفظيا اشتبه على الجهال من المبتدعة فى الأمم الاسلامية فضلوا باعتقادهم الالوهية فى بعض أناس من الأئمة كما تقدم فى هذا التفسير ثم كيف كان الاسلام هو الممحص للحقيقة وحده ومظهرا وحدانية الإله موافقا فى ذلك حقائق الديانات القديمة مخالفا لظواهرها ، وكيف كان هذا الموضوع مما يجب ايضاحه لأنه ألبس على كثير من جهلاء المسلمين و بعض خاصتهم

لقد تقدم فى أوائل سورة الروم ولقمان والسجدة عند تفسير البسملة تفسير موجز لبعض أسماء الله الحسنى وأن اشتراك الأسماء بين الخالق والمخلوق لم يكن إلا بالاسم فان صفات العبد لامناسبة بينها و بين صـفات الله والأسماء دالات على صفات فالاشتراك لفظى لاغير وهذا واضح هناك وضوحا تاما ، ولكنى أريد أن أبين هنا أمرا لامناص لى من تبيانه لأن الأمم الاسلامية اليوم يتناقل فيها الناس أقاويل عن الصوفية ملتبسات مهوّشات على العقول مثيرات للشكوك وكثير من الصالحين الجهلاء يوجهون وجوههم تلقاء أناس مشهورين فيعتقد فيهم كأنهم غياث لهم وملجأ وكأن الربوبية حلت فيهم وانتهت اليهم كما هو مشهور ومذكور فأقول :

يروى فى الآثار المنقولة « تخلقوا بأخلاق الله . إن لله كذا وكذا خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة » ويقول الشيخ أبو على الفارمدى ان شيخه أبا القاسم الكركانى قال : « إن الأسماء التسعة والتسعين اسما تصير أوصافا للعبد وهو بعد فى السلوك غير واصل » وقال بعضهم « أنا الحق » وقال أبو يزيد البسطامى (إن صح ماروى عنه) « سبحانى ما أعظم شأنى » . و يشاع على ألسنة الناس أن الاستاذ الأكبر (محيى الدين) يقول :

الرّب عبد والعبـد رب ☼ فليت شعرى من المكلّف

وأمثال هـذا كثير ينقل عنـه . ولقد اعتقد كثير من الفرق الاسلامية فى بعض الأئمة من آل البيت الالوهية وتقدّم فى هذا التفسير أن الصوفية فى آخر أمرهم مالوا الى التشيع وتدخلوا مع الامامية وهناك اعتقدوا اعتقادهم كما قدّمته فى هذا التفسير . فهذه مجامع المصائب التى حلت بهذه الأمم الاسلامية وهى التى أضاعت العقائد وأوجبت التفريق . فأنا الآن أبين الحقائق تبيانا واضحا وأشرحها شرحا وافيا بمعونة الله عزّ وجـل فهو الذى وفقنى وهو الذى شرح صدرى وهو الذى هدانى لهذا وما كنت لأهتدى لولا أن هدانى الله فأقول :

ان

إن كل علم لايبحث عن تاريخه فهوقليل الفائدة يحفظه الناس ولايدركون سرّه ولايسبرون غوره . ومسألة الله وخلقه والرّب والعبد قديمة العهد منذ الخليقة . فهل لك أيها الذكىّ أن أحدّثك عنها حديثا جيلا يشرح صدرك لتعلم أن مادخل على عقول المسلمين حديثا لم يكن رمية من غير رام ، بل إن المسلمين لما خالطوا الأمم قرؤا علومهم فنقلوا فلسفتهم وعقائدهم وهناك تدخلت بينهم وهم لايشعرون ، ألم أقدّم لك فى هذا التفسير أن علوم الصابئين دخلت فى أمم الاسلام حتى ان البونى أدخل دعوات الكواكب السبعة فى دين الاسلام ووزع آيات القرآن على تلك الكواكب ، ألم أبين لك سابقا أن بعض فرق الشيعة مثل ابن الصباح القائم فى أواخر القرن الخامس عكفوا على حساب الجمل وحسبوا آيات القرآن به وأدخلوا حساب الأسماء فى التعاليم والدعوات ولكن ابن الصباح اتخذ له سبيلا آخر تقدّم ايضاحه ومنع الناس من قراءة العلوم وشوّقهم الى الأخذ عن الامام من آل البيت الى آخر ماتقدّم ، ألم أذكر لك أن الأوفاق من مثلث ومربع ومخمس الى المتسع كانت تكتب عند قدماء المصريين وبقية الصابئين للتقرّب بها للكواكب فنقلها المسلمون الى دين الاسلام وطبقوها على الآيات ، وهاهى ذه الكتب تباع وتقرأ فى أقطار الاسلام وثلاثة أرباع المتعلمين فى ديار الاسلام عاكفون عليها مغرورون بها وهم لايعلمون أن هذه أديان منسوخة جاهلة ودين الاسلام هوالذى نزل لابطالها

اذا عرفت هذا سهل عليك أن تفهم ماسأورده لك من علوم قديمة تناقلتها الأمم جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن والأمم الاسلامية أدخلتها فى الدين وأكثرالناس لايعلمون ، فهذا كان هوالسبب فى الانتكاس على الرأس وسقوط كثيرمن الأمم الاسلامية فى هذه الجهالة العمياء . ومتى عرفت الحقائق فى أمثال هذا التفسير فهناك يكون الارتقاء والسعادة العظمى لأمم الاسلام

اعلم انه لم يبق مجال للريب أن لكل دين قديم ﴿ وجهين * أحدهما ﴾ سرّى والآخرظاهرى كدين البرهمية فى الهند والهرمسية فى مصر والوثنية فى اليونان ، فظواهركل هذه الديانات اشراك وتثليث وطقوس ورموزصعبة الحل وأصنام وهياكل فهذه الظواهركلها قدجعلوها للعامّة معتقدين أنهم لن يعقلوا إلا المحسوسات فأما الرؤساء فانهم جميعا كما دل عليه الكشف الحديث الذى كشفه علماء الفرنسيس والانكليز مجمعون فى جميع هذه الديانات على أن الله واحد سرمدى ، يقول (مانو) الفيلسوف الهندى : « الله هوالكائن بنفسه الذى لايمكن أن تصيبه الحواس المادّية بل الروح فقط ، وهوالمنزّه عن أجزاء منظورة ، أوّلى سرمدى روح الكائنات الذى لايمكن العقل أن يدركه على ماهوعليه »

وقال (كولوكا) الهندى وهومن أشهر مفسرى أسفار (الفيدا) والأكثر اعتبارا عند الشعب الهندى « إن الأقدمين مع تأليههم لقوى الطبيعة المتعدّدة لم يكونوا يعتقدون إلا إلها واحدا فقط هو مبدع وعلة الكائنات وهوأزلى غيرهيولى حاضر فى كل مكان سعيد (هذه الكلمة لاتجوز فى ديننا) منزّه عن كل كدر وهمّ وهوالحق بالذات ومنبع كل عدل وحكمة المدبر الكل والمرتب نظام العالم . لاشكل له ولاصورة ولا حدّ ولانسبة »

وكان من عادة (البراهماتما) عند قبوله التلميذ فى الدرجة الثانية أن يقول له هكذا : « تذكر يابنى أنه لايوجد إلا إله واحد فقط رب الكون وعلة الكائنات والواجب على كل برهمى أن يعبده فى الباطن . واعلم أن هذا السرّ يجب كتمه عن العامّة والجهلاء وان كاشفت به أحدا يحلّ بك البلاء »

ويقولون : « إن الله وحده هوالموجود الحقيقى الثابت الحياة وهوالذى خلق المادّة وبثّ فيها الحياة » ويسمون هذه الثلاثة : الجوهر (الله) والمادّة والحياة ومن هذا نشأ التثليث . فليس التثليث عند تلك الأمم أن الله ثلاثة بل معناه أن الموجودات كلها ثلاثة : واحد هو الله واثنان هما المادة وحياتها . فالمادّة

ظاهرة وحياتها لاتكون إلا بنفوس وعقول وهى التى تعبر عنها الشرائع بالملائكة

هذه هى علوم الأمم السابقة ، لجهالهم كانوا يعتقدون التثليث وقد جاء علم الأرواح الحديث الذى امتلأت به أوروبا فأفاد أن توهم الجهلاء التثليث هو رأى مادّى بشرى لا إلهى ، فالعلوم الروحانية اليوم منطبقة على التعاليم السرية عند الأمم القديمة ومنطبقة تمام الانطباق على دين الاسلام

وبالجملة فالأمم الهندية والأمم المصرية كان جهالهم يكتفون بقشور الألفاظ والأصنام والهيا كل وحكماؤهم يعتقدون أن الله واحد ويحبونه حبا جما ويبحثون فى أسرار الطبيعة ونظامها العجيب غراما بربهم الواحد الأحد ومنفعة لعباده باستخراج كنوز الطبيعة التى يعرف بعضها اليوم نساك الهند فى الغابات

هذا ملخص ماعرف فى الكشف عن هاتين الأمّتين ، فاذا سمعت أن الديانة البرهمية عندهم مؤسسة على التثليث وأن (برهم) عندهم هو الأزلى الواحد الأحد المنزّه عن المادّة وأن (براهما) و (فيشنو) و (سيفا) صفاته فهو الخالق الحافظ لخلقه المقلب لهم من حال الى حال وأن هذه الثلاثة إله واحد ، فاعلم أن الكشف الحديث أظهر أن هذا التثليث وان رجع الى الصفات فليس له وجود ألبتة فى ﴿ سفر الريجفيد ﴾ القديم ، فهو اختراع اخترعه البراهمة ثم جعلوا لكل واحد من هؤلاء الثلاثة هيكلا خاصا وعبدوها ثم أكثروا من الأصنام فى بلاد الهند وما جاورها من الصين واليابان لأن عقول الناس اذا أدركت الحقائق لاتنقاد الى الرؤساء كما ان البهيمة ان لم نضع الغطاء على عينيها لانتفع بها فى ادارة الطاحون ولا الساقية

واذا سمعت فى كلام طيماوس الحكيم اليونانى كما تقدّم فى ﴿ سورة الشعراء ﴾ تحت عنوان « بهجة العلم والطب » انه يقول ما نصه : ﴿ إن هذا العالم هو إله محسوس على مثال الاله المعقول ﴾ وقد قلنا هناك إن هذه العبارة فى ديننا كفر وهو قصد بها أن العالم آثاره وهو يدل على حكمته وقدرته . انتهى بالمعنى

فاعلم أن ذلك القول يقرب من أقوال البراهمة ، وقد قلت لك هنا ان الأمم الاسلامية سرت لهم ظواهر العلوم والاعتقادات فنطقوا بها تارة واعتقدها الجهلاء تارة أخرى . فمن قال منهم « أنا الحق » ومن قال « سبحانى الخ » فليس معناه أن الله هو نفسه عين عبده فان هذه غير معقولة وليس عند أولياء المسلمين من الأسرار ماينافى العقل فليس من أسرار الولاية أن يقال باجتماع النقيضين ولابالمحالات العقلية . فهل يقول الولىّ إن النفى والاثبات يجتمعان . أو يقول : العدم والوجود يكونان معا . كلا . ثم كلا . واذا قال أبو يزيد البسطامى « انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فاذا أنا هو » فليس معناه انه هو نفس الله بل معناه انه انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلم يبق فيه متسع لغير الله ولم يكن له همّ سوى معرفة الله تعالى . قال : « فاذا لم يحلّ فى القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لا انه هو تحقيقا »

* قال الامام الغزالى فى كتاب « المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » مانصه :

﴿ وفرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو . لكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو كما ان الشاعر تارة يقول كأنى من أهوى وتارة يقول أنا من أهوى وهذه مزلة قدم فان من ليس له قدم راسخة فى المعقولات ربما لم يتميز أحدهما عن الآخر فينظر الى كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق فيظنّ انه هو فيقول أنا الحق وهو غالط غلط النصارى حيث رأوا ذلك فى ذات عيسى فقالوا هو الإله بل غلط من ينظر الى مرآة قد انطبع صورة ملوّنة فيها فيظنّ أن تلك الصورة هى صورة المرآة وأن ذلك اللون لون المرآة وهيهات بل المرآة فى نفسها لا لون لها وشأنها قبول صور الألوان على وجه يتخايل الى الناظرين الى ظاهر الامور أن ذلك هى صورة المرآة حتى ان الصبى اذا رأى انسانا فى المرآة ظنّ أن الانسان فى المرآة ، فكذلك القلب خال عن الصور فى نفسه وعن الهيئات وانما هيئته قبول معانى الهيئات والصور والحقائق فما يحله يكون كالمتحد به لا انه متحد به تحقيقا . ومن لايعرف الزجاج والخمر اذا رأى زجاجة فيها خمر لم يدرك تباينهما فتارة

يقول

يقول لاخمر وتارة يقول لازجاجة كما عبر عنه الشاعر حيث قال

رقّ الزجاج ورافت الخمر ✡ فتشابها فتشا كل الأمر
فكأنما خمر ولاقدح ✡ وكأنما قدح ولاخمر

وقال ماملخصه فى خاتمة ذلك الكتاب : ﴿ وتحقيق الأمر فى قول القائل ان معانى أسماء الله تعالى صارت أوصافا للمخلوق لايخلو من أحد أمرين إما أن تكون نفس أوصاف الله من العلم والقدرة والرحمة والشكر صارت أوصافا للعبد ، واما أن تكون أمثالها هى التى صارت أوصافا للعبد لا أعينها ، فاذا قلنا بالأوّل أى ان صفات الله نفسها صارت للعبد ، فهذا لا يكون إلا بالانتقال أى انتقال نفس صفات الله من الله للعبد فيكون هذا العبد خالقا للسموات والأرضين وهو أزلى أبدىّ عليم بكل شئ مرسل الأنبياء الخ واما أن يكون بغير الانتقال وهذا يكون بأحد أمرين : إما بالاتحاد أى اتحاد ذات الله بالعبد حتى يكون هو هو فتكون صفاته صفاته ، واما بطريق الحلول . فهذه الأقسام الثلاثة تفصيل للقسم الأوّل وهو أن تكون نفس أوصاف الله هى نفس أوصاف العبد . فأما القسم الثانى وهى أن تكون أوصاف العبد مماثلة لأوصاف الرب ، فتلك المماثلة إما مماثلة مطلقة من كل وجه بحيث يكون هذا العبد قادرا على كل شئ مثل الله تعالى ، واما أن تكون المماثلة عبارة عن الاشتراك من حيث الاسم فى عموم الصفات دون خواصّ المعانى ، فهذان قسمان آخران فتكون الوجوه خمسة والصحيح منها واحد فقط والبقية باطلة وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجلة وتشاركها فى الاسم ولكن لاتماثلها مماثلة تامة فبقيت الأربعة الباطلة

(١) فاذا قلنا إن صفة العبد تماثل صفة الرب مماثلة تامّة بأن يكون محيطا بجميع المعلومات خالقا لجميع المخلوقات لايعزب عنه مثقال ذرّة فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم كما أن الله عزيز حكيم فاذن يكون العبد خالق نفسه لأنه من جلة مافى السموات والأرض ، ثم اذا ثبتت هذه الصفات لعبدين فان كلا منهما يكون قد خلق صاحبه فكل منهما خالق من خلقه وكل ذلك خرافات وجهالات وترهات

(٢) واذا قلنا إن الصفات العالية انتقلت من الله للعبد فذلك محال عقلا لأن انتقال الصفات على وجه العموم مستحيل وهل تفارق الصفة موصوفها كأن ينتقل بياض زيد الى عمرو وعلم خالد الى ابراهيم ؟ وهل تقوم الصفة إلا بموصوفها ولو أن صفات الربوبية انتقلت من الرب الى العبد لصار الرب إذ ذاك ليس ربا لأن صفات الربوبية قد فارقته ، فاذن هو ربّ وليس بربّ فى آن واحد وهو محال

(٣) واذا قلنا ان العبد اتحد مع الرب فمعناه أن العبد هو نفس الرب بل ان قولك ان زيدا صار هو نفس عمرو محال واتحاد شئ بشئ محال لأنهما إما موجودان أومعدومان أوأحدهما موجود والآخر معدوم أو بالعكس ولاخامس لهذه الأقسام . فاذا كانا موجودين فمستحيل أن يكون أحدهما عين الآخر بل كل منهما موجود وقد يتحد مكان الموجودين وهل اتحاد مكان اثنين يوجب اتحاد الذاتين . كلا . بل كل منهما موجود فان العلم والارادة والقدرة قد تجتمع فى ذات واحدة ولايتباين محالها ولاتكون القدرة هى العلم ولاالارادة ولا يكون قد اتحد أحدهما بالآخر وتكون التفاحة ناعمة ذات رائحة جيلة وهى حمراء

فههنا صفات ثلاث اختلفت وان اتحد محلها ، فاتحاد المحل لايوجب اتحاد مايحل فيه ، فاذن الامور الموجودة يستحيل أن يكون أحد هو هو عين الآخر وان كان أحدهما موجودا والآخر معدوما ، فلا اتحاد لموجود بمعدوم والاتحاد بين شيئين مطلقا محال فهل يصير هذا البياض أوالسواد ذلك البياض أوالسواد مثلا كما يستحيل أن يقال ذلك السواد هو ذلك البياض فالشيآن من نوع واحد لايتحدان كالايتحد الشيآن من نوعين مختلفين

(٤) وأما الحلول وهو الرابع من الأقسام الأربعة الباطلة فهو أن يقال الرب حلّ فى العبد أوالعبد حلّ فى الرب ، تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا ، ولو صح هذا لم يوجب الاتحاد ولا أن يتصف العبد بصفات

الرب فان صفات الحال لا تصير صفات المحل بل تبقى صفة الحال كما كان

واعلم انه لامعنى للحلول إلا بأحد أمرين : إما النسبة بين الأجسام وأمكنتها كالنسبة بين زيد ومكانه الجالس هو فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمي ومن لاجسم له لا يكون له حلول بهذا المعنى ، واما بالنسبة بين العرض والجوهر فالعرض لا قوام له إلا بالجوهر كالبياض والسواد بالنسبة للموصوف فيعبر عنه بأنه حال فيه ، ولاجرم أن الله لا قوام له إلا بنفسه ، ولاجرم أن كل ماقوامه بنفسه لايمكن أن يحل فيما قوامه بنفسه حلول العرض فى الجوهر ، فاذا كان العبدان لايحل أحدهما فى الآخر فكيف يعقل الحلول بين العبد والرب تعالى ، إذن بطل الحلول وانتقال الصفات والاتحاد والاتصاف بأمثال صفات الله على التحقيق ولم يبق إلا المشاركة فى الاسم فقط، فالله رحيم وشكور الخ على الحقيقة والعبد كذلك ولكن على معنى الاشتراك فى الاسم ثم ان معنى قولهم : ﴿ إن العبد مع الاتصاف بجميع ذلك سالك لاواصل ﴾ فبيانه أن السلوك تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف والوصول وهو أن ينكشف له جلية الحق ويكون مستغرقا به و ينسلخ من نفسه بالكلية و يتجرد له فيكون كأنه هو ، والولاية يستحيل أن تخالف طور العقل . واذا كوشف الولى بأن فلانا يموت غدا فهذا من الممكنات . ولكن اذا كوشف بأن الله يخلق المستحيل فذلك غير ممكن . ومن المستحيل أن يكاشف بأنه هو صار نفس الله وصفاته كصفاته من كل وجه ﴾ انتهى ما أردته من الكتاب المذكور للامام الغزالى رحمه الله تعالى مع حذف وايضاح تارة واختصار أخرى

واعلم أيدك الله انى أطلت الكلام فى هذا المقام لأنى أعلم أن الأمة الاسلامية قد دخلت فيها آراء غريبة فلكم سمعت من أناس يقولون إن شيوخنا هم نفس الإله وأذكر منهم رجلا كان معى ببلدة الجيزة يسمى عبد الشافى وله أستاذ كان موظفا بمحافظة مصر . فهذا كان يقول إن الله هو نفس أستاذى فأما نفس الله فلايعقل أن يكون موجودا إلا على هذه الشريطة . وهكذا نسمع من وقت لآخر أن صوفيا يقول : ﴿ ان شيخى يتصرف فى أحوال الناس بل هو الله ﴾ ونسمع أمم النصارى يقولون : ﴿ ان عيسى هو الله أو ابن الله ﴾ والأمم المصريون والبوذيون الذين ذكرتهم آنفا كانوا هم أول ناشرين لهذه الآراء عند عامتهم وهى مضطربة فانحطت مداركهم ثم تحولت محورة الى بلاد الاسلام فاستبدل الجهال من المسلمين جهلاء الشيوخ بالأصنام واستغنوا بالصالحين من بنى آدم عن الكواكب وأصنامها وعن الملائكة . وكل هذه لاتنزع من الصدور إلا بالعلم والحكمة وأمثال ماسطرناه فى هذا المقام

هذا واعلم أيها الذكى أيدك الله أن الله عز وجل رتب العالم العقلى كما رتب العالم الحسى وجعل الحسى كأنه نموذج للعقلى (ياسبحان الله وياسعدانه . اللهم إنى أحمدك على العلم وعلى الحكمة وعلى التوفيق وأعلن للملأ موقنا أن من اتجه اليك وهو مخلص فانك تعلمه والعلم هو غاية السعادة فى الدارين) هانحن أولاء نرى الانسان وأنواع الحيوان درجات بعضها فوق بعض . أفليس الطير والذين يركبون الطيارات قد تمتعوا بالهواء الجميل عند طيرانهم . أفليس فى الأرض حشرات دنيئات لاتعيش إلا فى التراب وهكذا أمثال الحيات والعقارب والفيران . فهذه مسجونات حقيرات ولكنها من صنعك . كل هؤلاء وهؤلاء يمدهم الله بالعطاء والنعمة ولكن فرق مابين درجة الانسان والطير فى الجو و بين درجة الفيران والصراصير فى خفيات الأرض . هذا من جهة الأحوال الجسمية . أما من جهة الأحوال العقلية فاننا اذا وازنا مابين الانسان والبهائم نجد فرقا شاسعا فله عقل ولها شئ سموه غريزة . فكما رأينا البون شاسعا بين مراتب الحيوان فهكذا كان البون شاسعا بين معتقدات طوائف الناس . فنهم من يرى إلهه حجرا ومدرا . ومنهم من يرتقى فيراه شمسا وكوكبا . ومنهم من يراه فوق المادة . ومنهم من لايرى إلها وانما يرى نفسه فقط وهو الملحد (والعياذ بالله) فكما تباين الحيوان فى أحواله الجسمية والفكرية اختلف الانسان وتباين فى معتقداته . والبون هناك كالبون هنا شاسع فى الحالين

نوع الله الحيوان ونوع المعتقدات وهكذا نراه نوع أنواع النبات ولكل فائدة كالدواء وكالغذاء وكالفاكهة وكالسم . إن أرضنا والله معرض للصور أوهى صور متحركة (السينماتوغرافيا) عالم يشرح صدر الحكيم إذ يراه أمامه صورا متحركة والجاهل جامد القريحة ، و بينما الحكيم المفكر يفرح بسعة الحكمة فى نظام المادة إذ يرى من جهة أخرى انه عالم متأخر فكأن أرضنا جعلت محل تربية لأرواح ضعيفة تباينت أقدارها الناقصة وأحوالها الطبيعية واستعداداتها فحشرت فى هذه الأرض وربيت على مقتضى درجاتها وستبعث على هذه الدرجات وأمرهم والله عجب ، قوم نراهم يسجدون للصنم فعقولهم لم تعرف صفات الله ولكنهم فى الوقت نفسه عرفوا نظام الدنيا وآخرون أتيح لهم تنزيه الاله ولكنهم لايزالون ضعيفى الادراك فى صنعه وابداعه . فهذه الأمم جعاء أبناء التقاليد صرعى الأوهام والأوهام التى هى سبب ضعفهم قد جاء أوان خذلانها بنشر العلوم العقلية فى الأمم كلها فى العالم العقلى . فكما أتيح للأطباء فى العالم كله اليوم أن يقتلوا المخلوقات الذرية القاتلات للانسان والحيوان والأرض قد كثر فيها التطهير بالموادّ لقتل المكروبات فعاش وتكاثر الحيوان والانسان فهكذا نرى الآراء العقلية تنتشر والخرافات تضمحل بنسب مطردات فى عوالمنا الأرضية . وكما أن الحشرات والمكروبات لم يبدها نوع الانسان وان سطا عليها بالعقاقير وقللها هكذا أضاليل الانسان وان سطا عليها العلم فقللها لاتزال باقية فى الأرض ، فاذا رأينا بعض علماء الأمريكان والانجليز وغيرهم يرون الاسلام دينا صحيحا وأكثر المستشرقين كذلك ويدخلون فيه ويعلنون وينشرون مبادئهم وأكثر أبناء الانجليز يودّون لو يسلمون ولكن يخافون من ذويهم كما أخبرنا بذلك (اللورد هيدلى) فان أكثر القوم عاقلون ، وهكذا اذا رأينا أمم الاسلام أولئك الذين صفت عقائدهم ونسوا الأصنام والمعبودات الباطلة فانه لايزال كثير منهم لايعلم أن النظر فى مصنوعات الله من الفلك والطبيعة والحيوان والنبات مقربات لله موجبة لحبه والغرام بجماله والهيام بلقائه وان عرف كثير منهم ذلك . فهذا النوع الانسانى هذه شنشنته ، ملكه التقليد ولكنه كالدنيا التى عاش فيها فهم كالثوب الخلق كلما رقع يوما فانخرق . حظ الحكيم من هذه المناظر أن يفرح بجمال الحكمة ونظام الدنيا ويرى أن الله حكيم فى صنعه إذ جمع فى أرضنا بين أرقى عالم وهى النفوس المشرقات الفرحات بنظام ربها المتعطشة للقائه الباحثات عن رحماته و بين النفوس النائمة اللاتى كأنها حجرية لاتعى مايراد بها . فالحكيم فى الأرض فى جنة وهو الشاهد وأهل الأرض مشهودون وهو السعيد بما يشاهد وهو من أصحاب الأعراف الذين يعرفون كلا بسيماهم . فاذا رأى عقلا قاصرا ألحقه بحيوان دنىء . واذا وجد عقلا كبيرا ألحقه بالملك . وهناك يدرك أن هذه الدنيا هى جنته وانها ماهى إلا معرض ومجتلى أوسوق الصور العقلية والحسية يلبس كل مخلوق صورته التى عشقها أوهى معمل تصنع فيه أدوات مختلفات تقوّم بالطرق تارة والصقل أخرى وهذا يرمز له سورة الضحى فاليتم والضلال والفقر رمز للرزايا والنكبات فى هذا العالم الأرضى . وهذه الرزايا جعلت مقوّمات لا معذبات لأن الرحيم الحكيم يضع الامور مواضعها فيجعل المصائب مقوّمات كما تقوّم الآلات بطرقها فاذا قوّمت فقد حان صقلها وهذا هو المرموز له بالايواء والهداية والغنى وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر فالمصائب ثلاثة والنعم ضعفها وهذه النعم للانسان العام مقابلات للصقل فى الآلات

إن الدنيا دار كبيرة فيها وليمة عظيمة قد أعدّها ملك لرعيته ورتبهم درجات فى اعداد الطعام ورتبهم ونظمهم فهم يأكلون وكل بأصحابه مقرون وكل حزب بما لديهم فرحون و بعد انقضاء هذه الوليمة يرجع كل منهم الى داره التى خرج منها . وهذا هو تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » فرحمته شاملة تعطى كلا ما يليق له . انتهى الكلام على ﴿ المقام الأوّل ﴾ فى تفسير البسملة والحمد لله ربّ العالمين . كتب صباح يوم الأحد (١٦) فبراير سنة ١٩٣٠ م

المقام الثانى

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ
يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحِ ٱللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللهِ
عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * وَإِنْ
يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ
فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللهِ ٱلْغَرُورُ * إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا
إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ * ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللهَ يُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَٱللهُ ٱلَّذِي
أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ *
مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلّٰهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ * وَٱللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ
نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ
عُمُرِهِ إِلَّا فِى كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيرٌ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ
وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ
مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱللَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ * يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللهِ وَٱللهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ
ٱلْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللهِ بِعَزِيزٍ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * وَمَا
يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي
الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا * وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا
وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ
كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ * وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ *
جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ
لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا
وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا
نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا
فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ * إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * هُوَ الَّذِي
جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا
مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا * قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ
إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا
إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ
لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ

وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللهِ تَحْوِيلاً * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَلاَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً * وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً

﴿ التفسير اللفظى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) الى الأنبياء (أولى أجنحة) ذوى أجنحة . وليس معنى الأجنحة فى العالم المادّى إلا مايقدر به على الطيران . فأما فى عالم الأرواح فهو ماتمتاز به الملائكة من القوى والقدر الروحانية التى لانسبة بينها و بين القوى المادّية (مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء) يزيد فى خلق الأجنحة مايشاء كما يزيد فى أرجل الحيوان مايشاء حتى بلغت فوق العشرين . هكذا فى عقول الآدميين ورقيهم النفسى * ويروى أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح (إن الله على كل شئ قدير) فيزيد كل ماهو أهل للزيادة مادّية أومعنوية كعقول الآدميين (مايفتح الله للناس) مايطلق لهم (من رحمة) مطر ورزق وعافية (فلا ممسك لها ومايمسك) ومايمنع (فلا مرسل له من بعده) من بعد امساكه (وهو العزيز الحكيم) فيما أرسل (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) احفظوها واعرفوا حقها (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذّبوك) فتأس واصبر (فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور) فيجازيك واياهم (يا أيها الناس إن وعد الله) بالحشر والجزاء (حقّ) لا خلف فيه (فلا تغرّنكم الحياة الدنيا) فيذهلكم نعيمها (ولا يغرّنكم بالله الغرور) الشيطان (إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا) فى عقائدكم وأفعالكم وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) أى أفمن زين له سوء عمله بأن غلب هواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحقائق فاستحسانه واستقباحه على مقتضى الحق وذلك قدر مقدور (فان الله يضلّ من يشاء ويهدى من يشاء) على مقتضى الاستعداد (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أى فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم . وقوله (فتثير سحابا) على حكاية استحضار لتلك الصورة العجيبة الدالة على كمال الحكمة (فسقناه الى بلد ميت) أى نسوقه (كذلك النشور) أى مثل إحياء الموات نشور الأموات (من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعا) أى من كان يريد العزّة فليتعزز بطاعته بخلاف الكفار عباد الأصنام (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) أى ان الله يقبل الكلم الطيب وهو التوحيد والذكر والدعاء وقراءة القرآن . ومن الذكر « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وكذلك يرفع الله العمل الصالح فاذا صعد الكلم الطيب بنفسه الى الله فالعمل الصالح يرفعه الله والمراد بصلاحه الاخلاص فيه فما لا اخلاص فيه لايقبل وذلك كأداء الفرائض . واعلم أن هذا المعنى به يعرف المسلمون أن العلوم

والمعارف

والمعارف والتحقق من نظام هذه العوالم لايخرج عن كونها من الكلم الطيب . إن هذه المعارف من حيث نظمها وترقيتها للفكر الانسانى من جملة الكلم الطيب بل قولنا « لاإله إلا الله » وما عطف عليه لاسبيل الى صعودها الى الله إلا اذا صعدت النفس فى المعارف . فالتسبيح والتحميد والتوحيد درجات للسالكين فى العلم فالتسبيح درجة والتوحيد والتحميد أعلى وذلك العلو ليس يكون إلا بالعلوم . فاذا رأيت فى بعض الأحاديث أن سبحان الله ثوابها عشردرجات ولا إله إلا الله عشرون درجة والحمد لله ثلاثون درجة فليس ذلك لمجرّد نطق اللسان بل العلم والمعرفة فاذا أيقن بذات مبرأة من المادّة فهوأوّل الايمان . ثم اذا عرف أن العالم كجسم واحد يديره مدبر واحد كان ذلك أرقى . ثم اذا عرف أن جميع من فى هـذا الوجود منه واليه وأصبح ذلك ملكة راسخة فى النفس بتكرور البرهان والنظر . فهنالك تكون الدنيا والآخرة عند الانسان نظاما جيلا و يعرف مالايعرفه كثير من العلماء والعامة واذ ذاك يتمتع بالسعادة العلمية . ومتى خلص من الدنيا كان ذلك أوفر سعادة له . هذا هو المقصود من التسبيح والذكر . وهذا معنى صعود الكلم الطيب لله فالصعود هنا لن يكون إلا بصعود النفوس من الجهالة الى العلم ومن العمى الى الهدى

بهذا فلنفهم كلام الله سبحانه وتعالى ، فأما الذكر المجرّد من العلم فذلك درجة العباد والصالحين وهؤلاء أواخر المراتب فى دين الاسلام . ألم تر الى قوله تعالى ـ أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ـ فهؤلاء الذين ذكرتهم لك الآن هم الصدّيقون ، فأما الصالحون فهؤلاء يكون كل مقصودهم وهمهم العمل . بهذا نفهم السرّ فى قوله تعالى أن الكلم الطيب يصعد بنفسه والعمل يرفعه الله اشارة الى أن الكلم الطيب أفضل من العمل الصالح ﴿و بعبارة أخرى﴾ العلم والحكمة أفضل من الأعمال والحمد لله على التوفيق

ثم قال تعالى (والذين يمكرون السيآت) أى المكرات السيآت كقريش فى دار الندوة إذ تشاوروا فى أمر النبيّ ﷺ من حيث الحبس والقتل والاجلاء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) يفسد ولا ينفد لأن الله مقدّر الامور والله سبحانه يحفظ المصلحين من الأنبياء وتابعيهم (والله خلقكم من تراب) إذ خلق آدم منه ، وأيضا الأغذية التى تتحوّل الى الأجسام كلها من التراب والأغذية تصيردما ومن الدم النطفة ولذلك قال (ثم من نطفة) نطفة الآباء (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا واناثا بقدر معلوم بحيث يكاد الفريقان يستويان عددا فلولم يكن كذلك لفنى نوع الانسان وهكذا كل حيوان ، فحفظ النوع لايتم إلا بتلك المساواة ولاتكون المساواة إلا بتدبير وعلم وهذا معنى قوله (وما تحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه) أى إلامعلومة له ولولم يكن كذلك وكانت المصادفة العمياء هى القائمة فى هـذه العوالم لم يتزن العدد فى الزوجين ولم يحفظ التوازن فى الانسان والحيوان وهؤلاء الذكور والاناث يعيشون على الأرض أياما محدودة ، ولو أن الأعمار طالت مئات السنين وتناسلت الذرّية وكثرت لكان على القدم ألف قدم ولكانت الحياة الدنيا نارا وجحيما إذ يكثر الناس وتقلّ الخيرات فلذلك تفاوتت الأعمار فى جميع الأعصار وكانت بمقدار بحيث لاتطول فوق مائة ضبه الحكمة ، فاعتدل النظام بالمرض والموت والوباء والحرب . هذا هو نظام الأرض العجيب وهو قوله تعالى (ومايعمر من معمر) أى ولايمد فى عمر من مصيره الى الكبر (ولاينقص من عمره) من عمر المعمر أى لايجعل ناقصا (إلا فى كتاب) وهو اللوح المحفوظ . ذلك لحفظ الموازين فى الأرض حتى ينتظم العمران فلولم يكن ذلك بمقادير لاختلط الحابل بالنابل وساء مصير العمران إذ يكثر الناس وتزدحم الأرض و يشتدّ الكرب ، وليس ذلك عسيرا على الله (إن ذلك على الله يسير) هين بغير كتابة (ومايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) الفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والأجاج الذى يحرق بملوحته ، وفى قراءة ـ سيغ ـ بالتشديد والتخفيف ، ذلك ضرب مثل للؤمن والكافر (ومن

كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) هذا استطراد لصفة البحرين ، يقول الله تعالى هما وان خرج من كل منهما السمك واستخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح فليسا متساويين فيما هو المقصود الأصلى فأحدهما قد دخل فيه ما أفسده وهو الملح فغيره عن المقصود منه وهو سقى الأنعام والنبات ، فاذن الكافر كالملح والمؤمن كالعذب بل البحر الملح أفضل من الكافر إذ يستخرج منه الدرّ والمرجان والكافر لافضل له

واعلم أن هذا القول منطبق على مانشاهد فى الناس ، فهم شركاء فى المعروف الظاهر ولكن العقول متفاوتة تفاوتا كثيرا حتى ان التلميذين من مدرسة واحدة وأب وأم يختلفان أخلاقا اختلافا كثيرا وقد يكون أحدهما أغزر علما والآخر بليد الطبع وهذا مؤمن وهذا كافر (وترى الفلك فيه مواخر) أى تشق الماء بجريها (لتبتغوا من فضله) أى من فضل الله بالنقلة فيها والتجارة والجرور متعلق بمواخر (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله . ولما كان بين الفلك فى البحر والشمس والقمر فى مدارهما مناسبة باعتبار أن كلا منهما ومن جميع الكواكب سابحات فى تلك المدارات ، سابحات فى تلك العوالم الشاسعات ، أردفه بذكر الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر إذ قال (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى يدخل الليل فى النهار فيكون النهار أطول من الليل ساعة فأكثر الى عشر الى غير ذلك ، ويدخل النهار فى الليل فيكون الليل أطول من النهار كما تقدم انظرهما فى ﴿سورة البقرة﴾ (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) لمنتهى دوره أومنتهاه أويوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك) أى الفاعل لذلك الله الخ (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير) وهى لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة (إن تدعوهم) أى الأصنام (لايسمعوا دعاءكم) لأنهم جماد (ولوسمعوا) فرضا (ما استجابوا لكم) أى ما أجابوكم أومانفعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) باشراككم (ولاينبئك مثل خبير) ولايخبرك بالأمر مخبر مثل خبير به أخبرك وهو الله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) وانما عبر بالفقراء ليبين كثرة حاجات الناس فانه كلما كان المخلوق أعلى مرتبة وأدقّ تركيبا وأحسن صنعا كان أكثر حاجة ، فالحاجة على مقدار الرفعة فى هذا العالم ، ولذلك ترى الحيوان أقلّ حاجة من الانسان والنبات أقلّ منهما ، فالفقر فى الانسان أبين لأن الانسان مدنىّ بالطبع ، واذا كان الانسان أكثر المخلوقات حاجة فهو فى أشقّ حياة ويقابله الله عزّ وجل الذى هو الغنى على الاطلاق (وهو الغنىّ الحميد) فهو المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات فله عليهم استحقاق الحمد (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) بقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم آخر غير ماتعرفونه ، ذلك ان الله حميد والحمد على النعم ولامعنى للحمد إلا على معرفتها وعلمها والأمم التى لاعلم عندها لاتعرف نعم الله فلاحمد لها والناس خلقوا ليتلقوا النعمة من مبدعها فاذا جهلوا النعمة أذهبهم وأتى بخلق جديد إما لاحتلال البلاد واستعمارها كما تراه فى أمريكا واستراليا إذ استؤصل السكان الذين هم أهل البلاد إلا قليلا حتى ان رجال الحكومة الانجليزية فى الحرب العامّة أرادوا أن يجندوا ممن بقى من أهل البلاد فى استراليا فقيل فى مجلس الأعيان «كلا» لاتجندوا منهم بل يجب أن يبقى هذا العنصر للأجيال المقبلة فى التاريخ هكذا لما بطر المسلمون فى القرن السادس وجهلوا نعم الله ولم يعطوا النعمة حقها أزال ملكهم وسلط عليهم التتار والمغول فقتلوهم وأزالوا ملكهم ، اقرأه فى ﴿سورة الكهف﴾ عند ذكر يأجوج ومأجوج وهكذا الدول قديما وحديثا وهكذا أرضنا هذه متى جاء أجلها مزّقت كل ممزّق وخلق غيرها فى أجيال لاندريها ، فأما سكانها فهم فى جنة أوفى نار (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر أومتعسر (ولاتزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ما لم تكن أضلتها فانها تحمل وزرها ووزرا مثل وزر من ضلوا بها ولكن هذا وزرها هى بالاضلال فأما وزر النفس الضالة فلايحمل عنها (وان تدع) نفس (مثقلة) أثقلتها الأوزار نفسا أخرى (الى حملها) ثقلها أى ذنوبها التى أثقلتها لتتحمل عنها بعض ذلك كما قد يفعل فى الدنيا (لايحمل

منه

منه شيئ) لأن كل امرئ مشغول بأمر نفسه (ولوكان) المدعو (ذا قربى) ذا قرابة قريبة كأب أو ولد أوأخ (انما تنذر) أى ينفع انذارك يامحمد (الذين يخشون ربهم بالغيب) أى حال كونهم غائبين عن عذابه أوعن الناس فى خلواتهم (وأقاموا الصلاة) لأنهم هم المنتفعون بذلك الانذار (ومن تزكى) ومن تطهر من دنس المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) إذ نفعه لها (والى الله المصير) فيجازيهم (ومايستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور * ولاالظل ولاالحرور * ومايستوى الأحياء ولا الأموات) أى ومايستوى الصنم والله ولاالباطل والحق ولاالثواب والعقاب ولاالمؤمن والكافر أوالعلماء والجهلاء وهوأعم ، والحرورالحر وقدغلب على السموم وزيادة لافى نفى الاستواء لمزيد التأكيد فى المواضع الثلاثة (إن الله يسمع من يشاء) هدايته فيوفقه للهداية (وما أنت بمسمع من فى القبور) ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات (إن أنت إلانذير) فماعليك إلا الانذار ، أما الاسماع بالهداية فلاحيلة لك فيه عند من طبع على قلوبهم (إنا أرسلناك بالحق) أى ارسالا مصحوبا بالحق (بشيرا) بالوعد الحق (ونذيرا) بالوعيد الحق (وان من أمة) أهل عصر (إلا خلا فيهانذير) من نبى أوعالم ينذرعنه أى إلا خلا فيها نذير و بشير فلكل جيل أناس يبشرون ويخوفون لتنتظم شؤن الناس (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (وبالزبر) أى الصحف كصحف ابراهيم عليه السلام (وبالكتاب المنير) كالتوراة والانجيل (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بالعقوبة أى انظر يامحمد كيف كان تغييرى عليهم بالعذاب حيث لم يؤمنوا (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أى المطر (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح وما أشبهها ، ومعلوم أن أصنافها كثيرة أوألوانها كالحمرة والصفرة والخضرة الخ (ومن الجبال جدد بيض وحمر) أى طرق مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد (مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) أى شديدة السواد كما يقال « أسود غربيب » تشبيها بلون الغراب وكأنه قيل : ومن الجبال ذوطرق مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وغرابيب تأكيد اسود ومن حقه أن يتبع المؤكد ولكن أضمرالمؤكد بالفتح قبله والذى بعده تفسير للمضمر كأنه قيل : وسود غرابيب سود وذلك لزيادة التأكيد بالاضمار تارة والاظهارأخرى (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال ، يشير ذلك الى دراسة الجبال والثمار والناس والدواب والأنعام من حيث ألوانها وهيئتها وأشكالها واختلافها صغرا وكبرا وطعوما وروائح وخواص وتراكيب وانظما ومشكلا من مدور واسطوانى وهرمى ومخروطى وطبا وغذاء ودواء وفاكهة حلوة وزيتية وعطرية ومرة ومائية وحمضية وغير ذلك مما قرأته فى هذا التفسير ومما لاحصرله فى العلوم التى دونها الأولون والآخرون ، ولوانك نظرت الى لون واحد من الألوان كالخضرة وتصفحت أنواع النبات نباتا نباتا لم تجد نباتين يتفقان فى لون الخضرة ، قف بالحقول وفتش على مافيها من زرع وشجر زرعه الانسان أوأنبته الله رغما منه وانظر هل تجد خضرة مماثلة لخضرة . كلا . واذا أحصى العلماء أنواع النبات بنحو (٣٢٠) ألفا فلست تجد اثنين اتفقا خضرة وقس على ذلك الأشكال والروائح والطعوم ، قف بالحقول واقرأ كتاب الله الذى سطره فى أرضه ، هنالك تقرأ آيات الثناء والحمد مجسمة ظاهرة لعينك وقلبك ، على ذلك يحضك القرآن ، انظركيف يقول ــ ألم تر أن الله أنزل من السماء ــ كأنه ينكرعلينا ألانرى ذلك ، انذلك يفتح باب الفكر ومتى فتح هذا الباب دخلت منه العلوم فمن هذا الباب تكون العلوم ويتفرع ﴿فرعان﴾ فرع لرقى الأمم ، وفرع لرقى العقول وهما متحاذيان ، فالعمارة يتسع نطاقها والأرواح تزيد أجنحتها الى المقام الأعلى وتلحق بعالم الملائكة ، والافلماذا خلقنا الله فى الأرض ، ولماذا نوع هذه الأنواع وشكل هذه الأشكال

ياعجبا : إنك يا ألله خلقت النبات وأرحته من العناء وأنزلت عليه الماء وفتحت له الأنابيب الشعرية

يتمتع كما يشاء من خصب الأرض وعناصرها فيصطفى مايشاء ويختار ، وخلقت الحيوان وأغدقت عليه النعم وكسوته بالريش والجلد الغليظ والوبر والشعر والصوف ومددت له موائد الرزق وبسطت له بساط الامن ورغد العيش وفيأته فى ظلال أشجارك وأسكنته فى كهوف جبالك وهيأت له فى أشجارك مساكن وعلمته بلامعلمين وربيته بلامربين . فلايحتاج لنبيّ يرسل له ولامدارس تفتح اليه ولا كليات لتخرج المعلمين ولاوزارة لسير التعليم . فهو فى رغد من العيش فى جناتك الفسيحات فى أرضك . هذا يا ألله فعلك مع هـذه المخلوقات . أما الانسان فانه حرم من تلك النعمة . نعمة الاكتفاء بما نظمت من الطبيعة . فأرسلت له المرسلين وكوّنت له المعلمين وخلقت له المدرسين وأنزلت المرض والهموم بساحاته وفتحت له باب البحث ليخرج من ظلماته ويستعد لسعاداته ونوعت له الأنواع وحسنت له الأشكال ووازنت بين حاجاته النفسية والمخلوقات الأرضية بحيث جعلت لكل داء دواء ولكل حاسة مطلوبا ولكل شهوة ماينا سبها وأنصبته وأتعبته . هل كل هذا لهوانه عليك ؟ كلا . ثم كلا . إنك يا ألله فعلت ذلك به لأنه أكرم عليك من أخويه الحيوان والنبات تريد أن يعرف نظمك الأرضية ليطير بأجنحة معارفها الى ساحاتك العلوية ويقتنص من مخابئ علومها وخزائن حكمها وجواهر بحورها ماينفعه فى سفرته المترامية الأكناف البعيدة المطاف

لهذا وحده أنزلت الديانات ، ولهذا وحـده خلق الناس ، ولهذا وحده جاء القرآن ، ولهذا كانت فلسفة الأولين وحكمة الآخرين ، ولهذا سيعلو من بعدنا من المسلمين اذا قرؤا هذا وأمثاله من تصنيف علماء المسلمين ، ذلك هو باب المحبة والعشق إذ لامحبة إلا بعلم بصفات المحبوب ، ولاعلم عند الناس إلا ماوصل اليهم من مصنفاته البهية وحكمه العلية وبدائعـه البهجة ، وكلما ازداد المرء نظرا زاد قلبه ولها وحبا ، والمحبّ يخشى المحبوب ويهابه ، والخشية على مقدار الكمال ، فالحبّ والخشية متلازمان ، وكيف يحب الانسان ماهان فى نظره ! وارتقاء المحبة يتبعها ارتقاء الخشية . ألا ترى انك كلما ازددت من علم عالم أحسست بروحانيـة تجذبك اليـه وخشية تغشاك منه ، وهذا قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ☆ قال علماؤنا رحمهم الله : « إن شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وأفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال ﷺ إنى أخشاكم لله وأتقاكم له »

أليس المسلمون بغفلتهم عن هذه العلوم أضاعوا أعظم قسط من الدين ، ألم يسلب الله منهم الملك ويعطيه لغيرهم ؟ ذلك لأنهم لم يدرسوا نظامه الموجب للخشية كما يوجب الحب ، إن الآية دالة على انه لايخشى الله إلا العلماء فهم وحدهم المختصون بالخشية . فهل لك أيها الذكىّ القارئ لهذا التفسير أن تحثّ المسلمين وتحضّ الموحدين على التفكر والنظر . قل للعلماء اقرؤا سائر علوم الطبيعة والفلك . وقل للجهلاء فكروا فى كل جبل وشجر وزرع وتأملوا واذكروا الله على مقدار طاقتكم . وقل لعلماء الدين فليغرسوا فى عقول التلاميذ فى إبان صغرهم تلك المحاسن والبدائع وليبينوا لهم بعض العجائب الغريبة التى تحدث فى نفوس الجهلة وصغار الطلبة تعجبا فان ذلك يفتح لهم باب الفكر . إن ذلك هو علم التوحيد . إن ذلك هو علم الدين . إن ذلك هو حبّ الله . إن ذلك هو الموصل لله . إن ذلك هو المرقى للأمم . فحبّ الله وخشيته وارتقاء الأمم فى الدنيا وعلوّ درجاتهم فى الجنة ووصولهم الى رؤية الله تعالى وتمتعهم بالنظر لوجه الله الكريم . كل ذلك بهذه العلوم فليقلب التعليم فى الاسلام شرقا وغربا وليغير منهج الدراسة وليعلم المسلمون أنهم لاسعادة لهم فى الدنيا ولافى الآخرة إلا بما ذكرناه فقد أنذرت وحذرت فليستمع المفكرون ولينصح الناصحون وحسبنا الله ونعم الوكيل

ولما كان فى الناس من لايأبه بهذه العوالم ولايفكر فيها فقلت خشيته لله ودام على ذلك ومنهم من تاب ورجع ففكر بعد الغفلة أعقبـه بقوله (إن الله عزيز) فى ملكه وسلطانه يقهر من لايخشى الله لغفلته عن صنعه (غفور) لمن تاب وخشى الله بعد الغفلة وذلك فتح لباب الرجاء . فنحن معاشر المسلمين اذا كنا فرطنا

فى

فى معرفة هذه العوالم فيما مضى فالله وعدنا بالغفران وهو يقبل التائبين . ولما كان المقصود من نزول القرآن واظهار هذه العجائب انما هو الأمة الاسلامية أردفه سبحانه بالكلام على درجة العاملين فيها فقال (إنّ الذين يتلون كتاب الله) يداومون على قراءته مع التفكر المقصود منه ويدرسون هذه العوالم المذكورة قبل هذه الآية دراسة تشمل العالم كله من سموات وأرضين وجبال وزروع (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا) فى المسنونة (وعلانية) فى المفروضة (يرجون تجارة) رأس مالها وأثمانها النفوس والأموال فالنفوس للعلوم والتفكر والصلاة والأموال للانفاق والثمن المبيع هو الثواب والجنة والسفر بها الى الله تعالى فهى تجارة (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران وهى تنفق وتروج عند الله (ليوفيهم أجورهم) أى أجور أعمالهم (ويزيدهم من فضله) على مايقابل أعمالهم (إنه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعاتهم أى مجازيهم عليها وللآية وجه آخر كما سيأتى وهو الأظهر . ذلك أن يكون التالون لكتاب الله المصلون المنفقون هم الصالحون ودرجتهم أقلّ من العلماء المذكورين قبلهم (والذى أوحينا اليك من الكتاب) أى القرآن (هو الحقّ مصدقا) حال مؤكدة (لما بين يديه) من الكتب السماوية (إنّ الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر فلو كانت أحوالك الروحية يامحمد لاتتفق مع هذا الكتاب لم ينزل عليك (ثم أورثنا الكتاب) يقول الله أوحينا اليك القرآن ثم أورثناه أى حكمنا بتوريثه (الذين اصطفينا من عبادنا) يعنى علماء هذه الأمّة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرها فهم خير الأمم (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به أو بالكفر ، أومن رجحت سيآته على حسناته ، أو التالى للقرآن الذى لم يعمل به ، أو أصحاب الكبائر أو الجهال (ومنهم مقتصد) يعمل فى أغلب الأوقات أو يكون مرائيا بالعمل ، أومن استوت حسناته وسيآته ، أو التالى للقرآن العالم به أو أصحاب الصغائر (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) يضم التعليم والارشاد الى العمل . أو المؤمن المخلص . أومن رجحت حسناته على سيآته . أومن باطنه خير من ظاهره . أو التالى للقرآن العالم به العامل بما فيه ، أو الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة ، أو العالم . واعلم أن هذه المعانى لاتنافى بينها . فكل خصلة من الخصال فيها سابقون ومقتصدون ومقصرون . فالسابقون يدخلون الجنة بغير حساب والمقتصدون يحاسبون حسابا يسيرا . وأما الذين ظلموا فهم يحبسون فى المحشر ثم يرحمون . ثم أشار الى إيراثهم الكتاب واصطفائهم فقال (ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن) مبتدأ (يدخلونها) خبر والضمير للذين (يحلون فيها) خبر ثان (من أساور) جمع أسورة جمع أسوار أى بعض أساور مصنوعة (من ذهب) وقوله (ولؤلؤا) عطف على محل من أساور أى يحلون أساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) من خوف العاقبة ومن أجل المعاش والآفات والوساوس الشيطانية (إن ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للطيعين (الذى أحلنا دار المقامة) دار الاقامة (من فضله) من انعامه وتفضله (لايمسنا فيها نصب ولايمسنا فيها لغوب) كلال إذ لاتكليف فيها وقدنفى مايتبع النصب من الكلال بعد نفيه للمبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم) لايحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) فيستريحوا (ولايخفف عنهم من عذابها) لأنهم كلما نضجت جلودهم بدّلوا جلودا غيرها (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزى كل كفور) مبالغ فى الكفر أو كفران النعم (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون قائلين (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) فهم متحسرون على ما أضاعوا أيام حياتهم فأجابهم الله قائلا (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) يوبخهم الله سبحانه على أعمار تنقضى بلاتفكر ولا اعتبار كأنه يقول : أأهملنا كم ولم نعمركم تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو يتناول كل عمر وان قصر إلا أن التوبيخ فى المتطاول أعظم . فاذا قيل هو ثمان عشرة سنة أو أربعون سنة أوستون سنة فذلك ليس حصرا (وجاءكم النذير) الرسول عليه الصلاة والسلام أو الشيب يقول الله عمرنا كم وجاءكم النذير (فذوقوا) العذاب (فما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (إن الله عالم غيب السموات والأرض) لايخفى عليه خافية فيهما ثم علله بقوله (إنه عليم بذات الصدور) واذا علم

دقائقها فعلمه بغيرها أولى (هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض) يلقى اليكم مقاليد التصرّف فيها (فمن كفر فعليه كفره) أى جزاء كفره (ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلامقتا ولايزيد الكافرين كفرهم إلاخسارا) المقت أشدّ البغض والخسار يكون فى الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم) أى آلهتكم التى أشركتموهم فى العبادة (الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض) أى أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة أرونى أىّ جزء من أجزاء الأرض استبدّوا بخلقه (أم لهم شرك فىالسموات) أم لهم مع الله شركة فى خلق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أى أمعهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب . ولما نفى أنواع الحجج فى ذلك أضرب عنه بذكر الأسباب الداعية الى ذلك وهو تغرير الأسلاف والرؤساء للأخلاف والتابعين فقال (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) بأن يقولوا لهم إن هؤلاء شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرّب اليه (إن الله يمسك السموات والأرض) كراهة (أن تزولا) لأن الامساك منع لهما عن الزوال من الوجود ومن مداراتهما . فجميع العوالم من الأرض ومن الشموس والأقمار والسيارات تجرى فى مدارات خاصة ولولا الميزان الذى وضعه الله فى السموات والأرض الذى يعبر عنه علماء العصر الحاضر بالجاذبية لاختلّ النظام ولتحطمت هذه الكرات المشاهدة وزالت نظمها وساءت حالها فبالميزان اتزنت وبالنظام ثبتت فى أماكنها واستقرّت فى مداراتها (ولئن زالتا) على سبيل الفرض (إن أمسكهما من أحد من بعده) أى ما أمسكهما أحد من بعد الله . أومن بعد الزوال (إنه كان حليما غفورا) لايعجل بالعقوبة حيث أبقى من يستحقون العذاب الى أجل مسمى ولم يهدّ الأرض والسموات عليهم هدّا . هذا ولقد كانت قريش قبل مبعث النبى ﷺ تقول : لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرّسل فكذبوهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى جاهدين فى أيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم) أى من واحدة من أمم اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) وهو محمد ﷺ (مازادهم) النذير (إلا نفورا) تباعدا عن الحق ، وقوله (استكبارا فى الأرض ومكر السيئ) مفعول لأجله (ولايحيق) ولايحيط (المكر السيئ إلا بأهله) وهو الماكر كما حصل لقريش فى الغزوات (فهل ينظرون) ينتظرون (إلا سنة الأوّلين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فلاتغير سنة الله فى انتقامه من المكذبين فلايجعل غير التعذيب بدله ولاينقلها من المكذبين الى غيرهم وهكذا سائر السنن (أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسيرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين (وكانوا أشدّ منهم قوّة وما كان الله ليعجزه من شئ) أى ليسبقه ويفوته (فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما) بكل شئ (قديرا) على كل ممكن (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصى (ما ترك على ظهرها) ظهر الأرض (من دابة) من نسمة تدبّ عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم . انتهى التفسير اللفظى

(لطيفة فى هذه الآية)

يقول الله : لو أنى آخذت الناس بظلمهم وكنت طالبا منهم مافوق طاقتهم بحيث يكونون أبرارا فضلاء فى جميع أعمالهم لم أخلق ماعلى الأرض من حيوان وبالتالى لم أخلق نباتا ولامعدنا لأن النبات مقدم على الحيوان والحيوان مقدّم على الانسان والمقصود الأعظم هو الانسان ولذلك كان عدده قليلا على سطح الأرض فهو كالسمع والبصر والحواس فى جسم الانسان ، فلو أنى أؤاخذه بظلمه لمنعت وجود الدواب وما تقدم عليها وهكذا الانسان ، ولكن هذا الانسان فى عالم ليس مرتقيا كثيرا فكان أهله غير كاملين ، ومتى نقلوا من الأرض نظرت فى أمرهم ووضعتهم فى أماكنهم المعينة لهم قبل صعودهم من الأرض . واذا كنتم أعددتم

للأجنة فى الأرحام قوابل ومراضع وأعددت أنا لهم اللبن فى الأمهات وحننت الأمهات عليهم فهكذا فى العالم الذى سترحلون اليه جعلت الملائكة يستقبلون الراحلين من عالمكم و يعاملونهم معاملة الآباء للأبناء أومعاملة السجانين للمسجونين على حسب المراتب والدرجات ، فهذا العالم ليس آخر مراتب الانسانية بل هناك درجات ودرجات فلذلك تركنا على الأرض دوابها وانسانها ونباتها ومعادنها لأنها مرحلة من مراحل الوجود فليس يطلب منها غاية الكمال — إن الله كان بعباده بصيرا — انتهى المقام الثانى

﴿ المقام الثالث ﴾

(فى تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها)

أذكر فى هذا المقام ما كنت كتبته منذ سنين فى تفسيرها العام إذ جعلت ملخص السورة ماثلا أمام الفطن اللبيب فأقول و بالله التوفيق :

اعلم أن هذه السورة تشتمل على ﴿ سبع مقاصد ﴾ وفيما يلى بيانها

(١) وصف قدرة الله بابداع العالم الحسى والعقلى ، و بأنه منعم متفضل وهو توطئة لما بعده

(٢) تذكير الناس بالنعم كى يشكروها وافهامهم لها عسى أن لا يكفروها

(٣) تثبيت فؤاد النبى ﷺ بقصص المكذبين الأولين للنبيين والمرسلين

(٤) نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل فلا يقربوها و يتحلوا بالفضائل فيلبسوها ، فلا يمتطون غوارب الهواجس ، ولا يتبعون آثار الشياطين ، ولينظروا فيما أبدع الله من الآيات ، وما أحكم فى الأرض والسموات

(٥) ضرب الأمثال لما سلف من القسمين وايضاح الطائفتين الكافرة والمؤمنة

(٦) تقسيم المؤمنين من حيث النظر الى ﴿قسمين﴾ علماء محققون ، وصالحون متقون . ثم تقسيمهم من حيث العمل الى ثلاثة أقسام

(٧) وصف الكأس التى يتجرعها الكافرون والتى يشربها المؤمنون والثمرة التى جنياها من جنة عالية أونار حامية

﴿ المقصد الأول ﴾

قال تعالى — الحمد لله فاطر السموات والأرض — الى قوله — وهو العزيز الحكيم — . فطر الله السموات والأرض وأبدعهما بلا مثال احتذاه ولا مرشد هداه وفصل العالم ﴿نوعين﴾ حسيا يراه المبصرون . وعقليا لايدركه إلا المستبصرون من ملائكة ذوى أجنحة تقويها على أن تصعد الى العلا وتنزل الى الثرى لتنظيم العوالم ووحى الأنبياء وإلهام العلماء وانذار الألباء وتذكير الصلحاء وتبشير الأتقياء وكم له من نعمة يزيدها ورحمة يرسلها حتى رأينا المحسوسات من الماديات يمتاز بعضها بجمال وآخر بقوة وسلطان وآخر بعبالة الجثمان كما ترى من الفرق بين الكوكب والدر والحصى والصخر والفيل والذر والبر والبحر والنخلة والقطمير والتمرة والنقير . ذلك لأنه يزيد فى الخلق مايشاء . واذا منح من لدنه رحمة جرت الى مداها وان أمسك فمن ذا ينالها أو يراها ؟

﴿ المقصد الثانى ﴾

قال تعالى — يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم — الى قوله — فأنى تؤفكون — ما أظهر مراد هذه الآية وما أسهل فهمها على المبتدئين

﴿ المقصد الثالث ﴾

قال تعالى — وان يكذبوك — الى قوله — والى الله ترجع الامور — يقول لئن كذبك الجاهلون فكم

من نبيّ كذب ورسول أوذى فصبر فرجع الأمر لله فكانت عاقبته النجاة وعاقبتهم الهلاك والعذاب

﴿ المقصد الرابع ﴾

قال تعالى — يا أيها الناس إن وعد الله حق — الى قوله — إن ذلك على الله يسير — أبان فى مبدإ القول نظام العالم اجمالا وأن منه محسوسا ومعقولا وغائبا ومشهودا . وطلب شكر النعمة والحمد على افضاله وطيب قلب الداعى عن بصيرة ليشرح فؤاده ويوضح مراده . أخذ يذكر الناس بآيات الأنفس والآفاق ويقول لايغرّنكم القريب العاجل . ولايعجبنكم بهرج زينة الحياة عما وعدناكم بعد الممات . واياكم أن تغرّكم العاجلة فتذروا الآخرة . واياكم أن تقربوا الشهوات فما أشد سعيرها وما أكثر ضرّها . وهل يستوى من استحسن قبيح الذنوب ومن أدرك مافيها من العيوب . كلا . ألا ان القدر عمّ كليهما والقضاء سجل كتابيهما فلاتهلك نفسك من الحسرة ولاتكن جزعا بالمرة . فاذاخلصت السرائر وتزكت القلوب ونارت الضمائر فما أحراها أن تنظر السحب وعجائبها وكيف تسيرها الرياح وتزجرها وتسق الأرض فتنبت أشجارها وينمو زرعها . ذلك عجب نقش على طرسه ونطق لسان حاله بوصف الله بالحكمة البالغة والقدرة الشاملة وأن لاتعجزه الرمم البالية أن يردّها حية صالحة وكيف لايقدر على إحياء الأموات من أحيا الأرض الموات . إن فى ذلك لآيات . فمن اشرأبّ الى العزّ فكيف يطلبه من سواه . أورام الشرف فمن ذا يهبه إلا الله . وهل لغيره عزّة فيعطيها أو عمالك من نفسه فيهب منها ويسديها ؟ فاطلب العزّة بالعلوم وفهمها والأعمال واتقانها . والعلم بلا أعمال أشجار بلاأثمار . الايمان صاعد لله والعمل الصالح يقوّى دعائمه ويثبت فضائله إلا ان العمل الصالح يرفع الايمان وبهما يسعد الانسان . واذاكان الطين والتراب ترقيا بالأسباب وصعدا بالاصطناع الى أن صارا ذكرانا واناثا وبنين وبنات ونساء والدات وعقولا فاضلات فهكذا ترقى النفوس الى الملك القدّوس وتصعد الأرواح الى معارج الفلاح

﴿ المقصد الخامس ﴾

قال تعالى — ومايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون — الى قوله — فكيف كان نكير — . لما أبان سبحانه المؤمن والكافر وحكم ببطلان مكر أحدهما وفساده ورفع أعمال الأوّل ورشاده أتبعه بضرب الأمثال كما هى سنة القرآن فضرب المثل تابعا لبيان الحقيقة ولا نارة الحجة فشبههما بالبحرين هذا عذب فرات يكسر العطش بعذوبته وهذا ملح أجاج يحرق بملوحته ومن كليهما نصيد السمك وفيهما تسير السفن ونغوص على الدّر وهكذا . هما يشبهان فى ذاتهما الأعمى فى الضلالة عن طريق الرشاد والبصير فى الهداية وصفاتهما أشبه شئ بالظلمات والنور وداراهما فى المآل كالظل الظليل وحر السموم . ثم ارتقى الى نهاية التمثيل وغاية التحقير والتبجيل فسماهما أحياء وأمواتا ورتب عليه أن قال — وما أنت بمسمع من فى القبور — . ومن عجب أن يتخلل هذه الأمثال أمور ذات بال كالاستطراد بذكر الحلية ولبسها ولحوم السمك وأكلها وسير السفن وحلها والتجارة وعلمها وشكر الله على نيلها ثم الانتقال من المسبب الى السبب ومن السفلى للعلوى . فكم للسفن المواخر فى البحار من علاقة بالكوكب السيار والفلك الدوّار . وهل تهبّ الرياح فى البطاح إلابارسال الحرارة الشمسية فتمدّها وهى تسوق السفائن وقد انتفخت القلوع وجرى السفين فى البحر الملح أوالنهر العذب وهما يجريان فى مطارح شعاع الشمس والنجوم ولولا الحرارة لكان النهر ثلجيا والرياح راكدات والسفن راسيات غير مسافرات

فلذلك ذكر الابداع بايلاج الليل فى النهار وايلاج النهار فى الليل باقتراب الشمس وابتعادها فلقد يكون النهار ستة أشهر والليل مثله وقد يتبادلان الزيادة والنقصان من ساعة الى يوم الى أيام الى شهور . ومن عجب

ان

أن لايزيد أحدهما إلا مانقص من الآخر ولايتساويان إلا فى يومى الاعتدال كما أنهما متساويان على مدى الزمان فى خط الاستواء ، فالليل والنهار مستويان اذا حسبناهما على مدار السنة ومختلفان فى فصول الصيف والشتاء والخريف والربيع ، وهل لأحد غير الله فيهما من قطمير؟ ما أشدّ فقر الانسان بل هو أفقر الحيوان وسائر المخلوقات . إن الفقر للانسان مقصور عليه . فهذه البحار وحليتها والأنهار وسمكها والسفن وحملها والرياح وقوّتها والعواصف وثورتها والكواكب ودورتها والشمس وحرارتها . كل ذلك يحتاجه الانسان وعلى المسلمين أن يعلموا و يعملوا مايصلحون به حياتهم و يجلبون قوتهم ويرفعون رؤسهم بين العالمين وهل بعد قول الله تعالى — وتستخرجون حلية تلبسونها — بتاء الخطاب بيان ؟ لقد جهل المسلمون فى هذه الأيام معادن الشرف وأماكن الغنى والنعمة فناموا على وساد الراحة ولم يفكروا فى المرجان النابت فى قيعان البحار وغفلوا عن الدّر المخزون فى أصدافه . وقليل من المسلمين اليوم من استيقظ لهذه الأفعال . فهذه المعانى هى التى تخللت خمسة الأمثال للفريقين المؤمنين والكافرين وهذه من أعاجيب القرآن ومن هنا فلتفهموا عجائبه ولتدركوا غرائبه فلم يبق إلا تصوير حال المؤمنين لشدّة العناية بهم

﴿ المقصد السادس ﴾

قال تعالى — ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها — الى قوله — ذلك هو الفضل الكبير — . هنا قسم المؤمنين الى طائفتين وأرجعهم الى قسمين فنهم المفكرون والحكماء والمحققون الذين تغلغلوا فى هذه العوالم فعرفوها وذاقوا لذّة العلم واستحلوها وتبينوا اختلاف الأشكال والألوان وتفاوت الثمار وتخطيط الصخور فى الجبال وتباين أشكال الحيوان وعجائب النبات ودرسوا العلم وعقلوه فعرفوا الله ونصروه ، فهل يخشى الله سواهم أو يعرف مقداره إلا هم ؟ ومنهم الذين تلوا الكتاب وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأولئك هم الصالحون . والأوّلون هم العلماء الوارثون فأولئك أقرب الى الله فى عليين وهؤلاء فى رياض الجنة فرحين . ثم ان المؤمنين أجمعين إما سابقون عالمون متقون معلمون ، واما مقتصدون عاملون فى أكثر الأوقات . واما ظالمون مقصرون فى الأعمال . فهذا تمام الوصف الذى وصف به المؤمنون فلم يبق إلا ذكر الجزاء للفريقين من مؤمنين وكافرين وهو

﴿ المقصد السابع ﴾

قال تعالى — جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير — الى قوله — إنه عليم بذات الصدور — . وصف الجنة وحليها من أساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ وحلل الحرير ومايعلنون من المسرة و يظهرون من الفرح واللذة ووصف أهل النار بالاستغاثة والاصطراخ وتيئيسهم من الرجوع للحياة الدنيا وتبكيتهم بتقصيرهم أيام الامكان . ثم ختم السورة بجوهرتين زهراوين و ياقوتتين حمراوين من اتقان النظام واصطلاحه العام ومن تدمير الناس وافسادهم فى الأرض فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاء فى الأرض وما أجدرهم أن يتخلقوا بأخلاقه و يسيروا على الصراط المستقيم فانه عزّ وجل نظم جواهر النجوم الزاهرات والكواكب السيارات وربطها بأسباب وأرسلها من لدنه رحمة فأمسكها ومحبة حفظتها فدارت فى مداراتها وجرت فى أماكنها واجتذبها جذبا لطيفا بمواسك من التعاشق (سماه علماء المحسوسات جاذبية) وتلك المواسك تمسكها لئلا تزول عن مداراتها وتختل فى نظامها ولولا ذلك لتفرّقت أيدى سبأ وطاحت شذر مذر فباد الوجود وهلك الموجود وذلك قوله تعالى — إن الله يمسك السموات — الى قوله — حليما غفورا — وايضاح الجوهرة الثانية أن الناس أفسدوا وما أصلحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام و بدائع الاتقان فاتخذوا لله أندادا وعبدوا أوثانا فباؤا بالغضب صاغرين ورجعوا بالمقت محرومين واذا عاهدوا عهدا نبذوه وان حلفوا أن يتبعوا رسولا ان جاءهم لم يتبعوه وطباعهم الكبرياء وشأنهم الاباء فهلا ساروا

فى الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعزّ منهم نفرا طحنهم الثرى بكلكله ومزّقهم بطوله فتلك بيوتهم خاوية وجماعاتهم للأقدار جاثية ألا ان عاقبة البغى لهم ودائرة السوء تدور عليهم ، ولولا رحمة الله الواسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة ، ولكننا نؤخرهم الى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعمّ ، فليتمتعوا أياما فى ساحات رحمتنا ، ولنوردهم موارد الهلاك بعدلنا جريا على ناموسنا العام وعدلا فى النظام وذلك قوله تعالى ـ وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ـ الى قوله ـ إلا غرورا ـ وقوله ـ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم ـ الى آخر السورة

﴿ آيات العلوم أربع عشرة ﴾

وهى قوله ـ الحمد لله فاطر السموات ـ الى قوله ـ فأنى تؤفكون ـ وقوله ـ الله الذى أرسل الرياح ـ الى قوله ـ من قطمير ـ وقوله ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ـ الى قوله ـ إن الله عزيز غفور ـ وقوله ـ إن الله يمسك السموات ـ الى قوله ـ حليما غفورا ـ وقوله ـ أولم يسيروا فى الأرض ـ الى قوله ـ فان الله كان بعباده بصيرا ـ

(العلوم) ـ علم الحساب والجوّ والرياح والزراعة وعلم الحياة وعلوم البحار والسفن وهى لاتسير إلا بعلم الفلك والهيئة والتقويم والتلغراف البرّى والبحرى والهوائى ومعرفة الجاذبية العامّة وجغرافية البلاد وتاريخ الأمم للاعتبار ، فهذه العلوم مما يجب وجوبا كفائيا أشارت لها هذه السورة ، ولقد تركها المسلمون وقام غيرهم بها ، فالعذاب عليهم جميعا واقع فى الدنيا والآخرة ماله من دافع مالم يسمعوا قول الناصحين وكل ملوم حتى يتم النظام العام فى ديار الاسلام

﴿ آيات الأخلاق سبع ﴾

وهى قوله ـ يا أيها الناس إنّ وعد الله حق ـ الى قوله ـ أصحاب السعير ـ وقوله ـ يا أيها الناس أنتم الفقراء ـ الى قوله ـ والى الله المصير ـ وقوله ـ إن الذين يتلون كتاب الله ـ الى قوله ـ غفور شكور ـ

الأخلاق تزكية النفس من الرجس وتخليصها من الإثم واعتبار أن الحياة الدنيا طريق والآخرة مقرّ وأن على كل امرئ إثمه ، وأن يقوّى المرء ارادته ولايتكل على أحد إلا الله بالعمل الصالح ، فليذر المرء الكسل وليدأب فى العمل وليخش الله وليقم الصلاة اهـ

﴿ مقال عام فى قوله تعالى ـ مايفتح الله للناس ـ الخ ﴾

وفيه « مقامان * المقام الأوّل » فيما يفتح الله به على الناس ، وهو إما فتوح باستخراج مافى العناصر الأرضية من منافع وعجائب . واما بكشف خيرات كانت خافية على الناس فى الطبيعة فظهرت لهم « المقام الثانى » مايمسكه الله فلايفتحه للناس رحمة بهم وهو أعلم بما ينفعهم . فى المقام الأوّل « فصلان * الفصل الأوّل » فيما فتح الله به على الناس باستخراج مافى العناصر الأرضية وذلك

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ـ ﴾

﴿ العناصر ﴾

اللهم إنك أبدعت نفوسا من النور وكوّنتها من الجمال فأشرقت وابتهجت وبها أضاءت حواسنا واستنارت مدننا وأشرقت الأرض بنور ربها كما أشرقت أرواحنا فالأرض مشرقة وأرواحنا مشرقة ولكن اشراق العوالم التى تحيط بنا على ﴿ قسمين ﴾ اشراق ظاهر تدركه الحواس واشراق باطن لاتدركه إلا العقول فأما الاشراق الظاهر الذى تدركه الحواس فقد اشترك فيه الحيوان والانسان . فأما الاشراق الباطن الذى اختصّ بالانسان فهو ما خزنته فى عناصر المادّة من النور المتراكم المتلألئ المستور عن أعيننا المخبوء الذى منعته عن الابصار

ولم

ولم تعطه للناس إلا بعد طلبه والجد فى تحصيله وشوّقت نفوسا ونفوسا الى استخراجه والاستضاءة به . ماذا تقول يا ألله فى عوالمك التى أحاطت بنا ، ماذا نقول فى جمال رائع وحسن باهر . ماذا نقول وقد أودعت فى هذه الدنيا عجائب وعجائب تحسّ بها حواسنا ولا تفقهها عقولنا إلا بعد النصب والتعب ونسمعك تقول — وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها — ونسمعك تقول أيضا — قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب —

أنت وعدتنا أن نعرف وقرنت الوعد بأن أمرتنا بالحمد والحمد يستوجب معرفة النعمة ومعرفة النعمة لا تتم إلا بمعرفة سابقة ، فالمعرفة شرط للحمد فلا بد من المعرفة حتى يتم الحمد ، نحن نحمد على ما نعرف وهذه المعرفة تستدعى معرفة أخرى وهذه الأخرى يتبعها الحمد وهكذا معرفة معها حمد يتبعها أخرى . إذن شرط المعرفة اللاحقة أن تتقدمها معرفة سابقة تحثّ عليها ، فاذا لم تكن معرفة سابقة عدمنا اللاحقة وهذه حال المسلمين فى القرون المتأخرة ، نظروا الهواء والماء والملح فلم يظنوا فيها خيرا إلا ما تعرفه العامة ولم يبحثوا عن سرّ هذه المخلوقات مع انك ذكرت فى قصة سليمان المذكور فى مقام آخر انك سخرت له الريح . فالريح سخرت لسليمان ثم قلت — وان له عندنا لزلفى وحسن مآب — إذن الذى سخرت له الريح أعطاه الله زلفى وأعطاه حسن مآب . فلننظر فى الهواء الذى به يكون الريح . نظرنا فوجدنا ان هذا الهواء مركب من نيتروجين وأوكسوجين ومعهما بخار الماء وكربون (فحم) فلفظ نيتروجين كلمة انجليزية يرادفها بالفرنسية آزوت فهذان العنصران منهما يتركب الهواء والنيتروجين نحو أربعة أخماس الهواء فكل أربعة أجزاء من النيتروجين معها جزء واحد من الاكسوجين . ومعلوم أن الاكسوجين أحد جزئى الماء أيضا

هذا النيتروجين الذى هو أهمّ أجزاء الهواء . ذلك الهواء الذى يحمل السحاب وبه تسير السفن فى البحار ويهبّ على بيوتنا فيطرد المواد والحيوانات الذرية الضارّة بنا وهكذا ينشر ضوء الشمس على الأرض ولولاه لكان ضوءها خاصا بما يحاذى قرص الشمس وبه يكون لون الجوّ أزرق فلولاه لكان سوادا حالكا

أقول : هذا النيتروجين الذى فى هذا الهواء الذى هذه صفاته هو أهمّ جزء فى حياة النبات وفى حياة الحيوان هو المكوّن لعضلات الحيوان ولأهم أجزاء النبات . فالهواء الذى أهمه هذا العنصر يحيط بالناس من يوم أن خلقوا على الأرض ولم نعرف عنه شيأ إلا ما ذكره الله فى القرآن من أن الريح وهو الهواء المتحرّك سخر لسليمان وقد مدحه الله ولم يذمّه حتى اذا ارتقى الانسان وكثر علمه وازدهرت الأرض رأينا السماد الذى به يسمد الزرع أهمّ أجزائه هذا النيتروجين . وقد وفق العلماء فى الدنيا لقتل الذرّات المهلكة للانسان فى الطاعون والأمراض والله رحيم فليس من المعقول أن يوفق الناس لتقليل الطاعون ثم هو لا يعطيهم غذاء . كلا . فان هذه الأرض كلها مشرقة بنوره . فعقولنا من نوره والأرض مشرقة بنوره . هنالك بحث العلماء فى الدنيا عن الأسمدة غير المعروفة لنا وهى فضلات الحيوان المشتملات على مقدار كبير من النيتروجين فماذا فعلوا ؟ وجدوا مناجم فى (جزيرة شيلى) وفيها مادة تسمى (نترات الصوديوم) فهى مركبة من النيتروجين والصوديوم وقد استخرجوا منها (٧٠) مليون طن ولكن علموا أن هذا المورد قليل لابد من فنائه فمن أين يأتون بالسماد الذى يكفى الأرض لأن نوع الانسان كثر والدواب كانت فضلاتها تكفيه قديما أما الآن فلا فاذا نفدت مقادير النيتروجين المركب مع غيره من جزيرة شيلى هنالك يكون خطا عظيم فى العالم لا يقله الماء والمطر بل يقله السماد . هنالك وفق الله عالما ألمانيا اسمه (فرتزهابر) فقال فى نفسه : « نحن نحتاج الى النيتروجين ولولاه لهلك كثير من الناس فى المستقبل فهل من طريق بها نثبت هذا العنصر ونستخرجه من الهواء حتى تنمى مزروعاتنا به » فكما نرى أن جزيرة شيلى فيها النترات أى مركبات النيتروجين وزبل البقر مثلا فيه ذلك . هكذا نراه فى نفس الهواء وهذا مخزن لا ينفد . هنالك رجع الى الكهرباء وقال فى نفسه :

« لابد من استخدام الكهرباء » تلك الكهرباء التى لم تكن الى عهد قريب إلا مجرّد لعبة وتسلية وهى التى لما خطب فيها (فاراداى) خطبة قالت له سيدة : « هب ان أبحاثك هذه وتجاربك صحيحة كما تقول فما الفائدة المرجوّة منها عملا ؟ فقال : إن قيمة هذه الاكتشافات هى كقيمة طفل ولد حديثا لاحول له ولا طول ولكنه سيصير يوما من الأيام رجلا ذا بأس شديد ، ولما زاره (غلادستون) الشهير ومعه كبار رجال الدولة واطلع على أبحاثه سأله : ما الفائدة العملية من هذه التجاريب . فأجابه قائلا : لايمضى زمن طويل حتى تجبى منه الدولة التى تترأسونها المبالغ الكثيرة من الضرائب » ولقد تحقق قوله ، فمن استخدمها فى ارتقاء الصناعة والزراعة (فرتزهابر) الذى نحن بصدد الكلام عليه بعد ذلك بنحوقرن وهو فى زماننا حىّ يرزق فماذا فعل ؟ رجع الى الكهرباء التى جعلوا لها فرنا اسمه (الفرن الكهربائى) وهذا الفرن الكهربائى آلة غريبة بديعة مدهشة كأنها السحر الحلال ، فهومبرّد ومسخن ، أما التبريد فانه يبرد الغازات تبريدا تصيربه تحت الصفر الى درجة (٤٥٩) ومعنى التبريد الى هذه الدرجة أن (فهرنهيت) الألمانى لما وضع آلة مقياس الحرارة (الترمومتر) فى مخلوط الملح والجليد هبط زئبقه (٣٢) درجة عن درجة الجليد فتوهم انه بلغ أدنى درجات الحرارة فدعا تلك الدرجة درجة الصفر ولكنه بعدذلك ثبت أن الصفر المطلق هوتحت صفرفهرنهيت بنحو (٤٥٩) درجة . هذا معنى ماقلته لك أن الفرن الكهربائى يبرد الى هذه الدرجة التى هى غاية البرودة وبهذه الطريقة أمكن العلماء تحويل الغازات أجساما صلبة ، وفى أمريكا يبردّون الغازات التى تشبه الهواء فتجمد كما يجمد الماء بالتبريد ويبيعونها بعصر مثلا

هذا هوالتبريد ، أماالتسخين فان الحرارة بلغت (١٤٠٠٠) فوق الصفر وهذه أعلى من حرارة الشمس (٣٠٠٠) درجة ، إذن الحرارة التى يتحكم فيها الصانع بالفرن الكهربائى نحو (١٤٤٥٠) درجة . فبهذه الدرجات يتحكم الصانع فى الأجسام لأن الحرارة تمنع تماسك الأجسام وتباعد دقائقها فتتحوّل الى بخار ثم ترجع الذرّات الى عناصرها الأوّلية ثم تطير من تلك العناصر بعض كهارب لأن الأجسام كلها ترجع الى الكهرباء والجزء من تلك الكهارب المحللة يعادل جزأ من (١٨٠٠) من ذرة الهيدروجين ، وهذه أصغر وحدة فى هذه الدنيا ، فبهذا الفرن الذى هوأشبه بالسحر حوّلوا الكربون الى الماس وحوّلوا الفحم الى الجرانيت المستعمل فى أقلام الرصاص ، وهذا الفرن نفسه هوالذى استعمله (فرتزهابر) فى استخراج النيتروجين من الهواء واستعماله بدل السمادالطبيعى من الدوّاب ومن جزيرة شيلى وبه أصبح العالم الانسانى الآن لايخشى من نفاد السماد من الأرض

ومن أعجب العجب أن ألمانيا فى أيام الحرب انفصلت عن العالم فمنع عنها (نيترات شيلى) أى المركبات النيتروجية الآتية من شيلى التى كانت تعتمد عليها فى تسميد أرضها ، فلولا استعانة هذا العالم بعلم الكيمياء بطريق الفرن الكهربائى وجعل هذا الغاز الهوائى جسما جامدا تسمد به الأرض ما بقيت ألمانيا تدافع عن نفسها خمس سنين ، وهذا النيتروجين المركب كما ينفع سمادا ينفع فى مركباته الكيمائية كالنشادر ومادّة تسمى (النتريك) وما اشتقّ منهما فى صنع المفرقعات فى الحرب ، فهذا النيتروجين نفع ألمانيا زمن الحرب فى تسميد زرعها وفى قتال عدوّها ، وبهذا العالم أمكنها أن تعيش خمس سنين وحدها منعزلة كما تقدّم . هذاهو الهواء وفوائده التى تنفع فى غذائنا وفى قتال عدوّنا فالأمر رجع الى التبريد والتسخين ، فهذا غاز وبهذا الفرن يرجع جامدا بعمليات لايصح ذكرها لصعوبتها ومثالها سهل : انا نرى البخار أخفّ من الماء نحو (١٧٢٨) مرة والهواء أخفّ من الماء (٨٠٠) مرة ومع ذلك نرى البخارصارماء والماء صارثلجا والثلج نخلطه بالملح فتنزل درجته فيكون أبرد . إذن البخارالذى هوألطف وأخفّ من الهواء صارصلبا هكذا هنا النيتروجين الذى هوجزء من الهواء الذى هوأغلظ وأثخن من البخارصارجسما صلبا . فهذا أمرأمكن فهمه

لنا فى هذا التفسير بدون أن ننظر القرن الكهربائى . ومع صعوبته أذكر الطريقة اجماليا فوق ماضربته من المثل ليقرب على الأذكياء فيفرحون بنعمة العلم فأقول :

طريقة ذلك انهم يطلقون الشرارة الكهربائية فى مزيج الاكسوجين والنيتروجين ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ فى نفس الهواء لأن الهواء أهمّ أجزائه هذان العنصران ، فبهذه الشرارة يتحدان أى تكون بينهما ألفة تامّة كالألفة بين الاكسوجين والاودروجين إذ يتكوّن منهما الماء و يقال لهذا المتحد هنا (فوق أكسيد النيتروجين) كما قيل فيما تركب من الاكسوجين والاودروجين ماء فاذا عولج (فوق أكسيد النيتروجين) بالماء صار (حامض النيتريك) إذن النيتروجين عومل مرّتين : مرة مع الاكسوجين ، ومرة مع الماء حتى صار حامض النيتريك . هنالك تستخدم الأفران الكهربائية و يمرّ فى أنابيب يحيط بها الماء البارد و يعامل بالجير و يباع الناتج فى الأسواق باسم (ملح النرويج) أو ملح الهواء و باللسان الكيمائى (نترات الكالسيوم) وهذه الطريقة تستعمل فى البلاد ذات المنابع الكهربائية الرخيصة كبلاد (نروج) التى تكثر فيها مهابط الماء التى تستخدم فى توليد الكهرباء من غير نفقات طائلة ، والشركات فى بلاد نروج تستخدم فى توليد الكهرباء قوّة نصف مليون حصان من القوّة بالاستمرار فى تثبيت (النيتروجين) الجوّى وأن الحكومة المصرية الآن تدرس مشروع توليد الكهرباء من خزان اصوان فاذا نجحت أمكن تثبيت نيتروجين الهواء بهذه الطريقة وتوفير مبالغ طائلة تستخدم بها الأيدى العاطلة

اللهم إنك أنت متقن الصنع مبدع ، أحسنت كل شئ ، من ذا كان يظنّ أن الهواء فيه أسمدة ومفرقعات وآلات قاتلات ، من ذا الذى كان يظنّ أن القوّة الكهربائية فى السلك الكهربائى الذى يحدث فى الناس رعدة قد كانت مخبوءة فى أكثر المخلوقات و باستخراجها أمكن تسخير الهواء لتسميد الأرض فيغذى بها الزرع كما تغذى دماءنا ! من ذا الذى كان يظنّ أن الماء المنصبّ من أعلى كماء الجنادل والشلالات فى أعلى النيل يؤثر فى حياة الشعب فيرفعها ، من ذا الذى كان يتفطن الى أن أجزاء الهواء يؤثر فيها الكهرباء فتتحد و بمعاملتها بالماء وجريها فى الأنابيب ومعاملتها أيضا بالجير تصبح ملحا يباع فى الأسواق يسمونه (ملح الهواء) إذن فى الهواء ملح ، الهواء الذى يضرب به المثل فى انه خال من كل شئ يستخرج الناس منه مادّة يبيعونها جامدة نافعة . هذا هو الجمال الالهى والحكمة العالية اه

هنالك لما اطلع صاحبى العالم الذى اعتاد أن يخاطبنى فى هذا التفسير قال : إن هذا الموضوع قد وضح وضوحا تاما وقد كنت أقرأ مثل هذا فلا أفهمه وكنت أسمع أن الألمانيين عندهم سبع معامل فى بلادهم بها حوّلوا النيتروجين الى آلات مهلكات وأن تلك المعامل قد حوّلوها بعد الحرب الى مصانع للسماد فكنت أعجب من هذا وأقول كيف يحوّل النيتروجين الى آلات مهلكة والى سماد تسمد به أرضنا حتى عرفت الآن فلله الحمد

هذا ولكن الآن أريد مسألة أخرى ، أنت ذكرت الملح أيضا مع الهواء ، فأىّ شئ فى الملح فوق ما قرأنا فى هذا التفسير سابقا . فقلت له : فيه عجائب كثيرة بطريق الكهرباء . فقال : وما هذه العجائب ؟ فاننى والله لفى شوق شديد لما تقول ، وانما كان ذلك الشوق لأنى أدهش إذ أرى الهواء الذى يملأ هذا المكان يخاطبنى الآن و يقول لى : أيها الانسان . أنا كما أحمل لك الروائح الذكية لسرورك والخبيثة لتحترس منها ، وكما أحمل طلع الأزهار من ذكورها الى إناثها ، وأحمل اليك كلام من يكلمك فتعقله وتفهمه هكذا أنا أدخل جسمك وجسم الحيوان فأغذيكم جميعا وأغذى نباتكم

هذا هو الهواء يحدّثنى عن نفسه و يقول : أنا أحمل العلم فى الكلمات اللاتى هنّ حركات تسمونها أنتم أصواتا فىّ . فهذه الكلمات أنا أحملها وأوصلها من العالم الى المتعلم . فأنا نعمة من حيث لقاح الأشجار وجرى

السحاب وسماع العلوم والأخبار . وفوق ذلك أنا أدخل فى تركيب أجسام الأحياء فأكون لهم عضلات .
قال صديقى : فلما سمعت هـذا من الهواء زاد تعجبى ودهشى . فرجع الهواء يقول لى أيضا : فاذا لم تعقلوا هذه النعمة فوالله ليحوّلنّ الله النيتروجين الذى فىّ ويجعله آلات مهلكة لأجسامكم مخرّبة لمساكنكم كما خرّبت مساكن عاد وثمود

هذا خطاب الهواء لى الآن سمعته ، فهل تحدّثنى حديثا آخر عن الملح عسى أن أسمع عنه خبرا يسرنى فاسمع خطابه لأن لذة الحياة أن نسمع خطاب هذه المخلوقات حولنا ، ومن لم يسمع مات أصم جاهلا وأكثر الناس صمّ بكم عمى فهم لايعقلون . فقلت :

﴿ الملح وفوائده ﴾

إن الملح تقدّم الكلام عليه فى آخر ﴿ سورة آل عمران ﴾ وانه مركب من الكلور والصوديوم والكلور جسم رائحته مفطسة مميتة مهلكة ، والصوديوم تقدّم وصفه قريبا فى هذه السورة وهو جسم يحترق متى لامس الهواء فيتركونه فى الماء ومنهما تكوّن هذا الملح ، فهذا الملح يكثر فى ماء البحر وفى بعض طبقات الأرض ومتى مرّ التيار الكهربائى فى محلوله المائى كما مرّ فى النيتروجين مع الاكسوجين كما تقدم يخرج منه ثلاث موادّ مهمة ﴿أوّلا﴾ الكلور ﴿ثانيا﴾ الهيدروجين ﴿ثالثا﴾ الصودا الكاويه

فهذه الموادّ الثلاث يستخرج الناس منها اليوم قناطير مقنطرة كلها من نفس ملح الطعام المحلول فى الماء و يظهر ذلك عند شلالات (نياغرا) بأمريكا . فقال : كلمة كلور كلمة غير معروفة عند قرّاء التفسير . قلت له : ولكن فوائدها عظيمة . فنها :

(١) انها تضاف الى ماء الشرب فتطهره من الجراثيم القاتلة لاسيما جراثيم الحمى التيفوذية ، فقد كان هو السبب فى منع انتشار ذلك الداء الفتاك ، وقطرة منه واحدة تكفى لقتل الجراثيم فى ثمانين لترا من الماء

(٢) ومنها انه أى الكلور يضاف الى الجير فيكون منه مادة تزيل مافى المادّة التى يصنع منها الورق من الألوان فتفسخها و يصير أبيض

(٣) ومنها انه يضاف الى مواد أخرى فينفع فى الطب وهو (الكلورفورم) فيحدث التخدير فهو اذن قاتل الحشرات ، مبيض الورق ، مخدّر الانسان فى حال الأعمال الجراحية

(٤) ومنها انه هو نفسه غاز سام استعمل فى الحرب

(٥) ومنها انه يوضع مع موادّ أخرى تكون منها غازات وأبخرة سامّة

(٦) ومنها انه يدخل فى المفرقعات

(٧) ومنها انه يدخل فى تركيب الموادّ المهلكة للحشرات فى فنّ الزراعة

سبحانك اللهم . تباركت يا ألله . ملح الطعام الذى أمامنا نأكله ونراه كل يوم يصبح مطهرا لشرابنا قاتلا للحيوانات التى تقتل آلاف الآلاف منا . الملح إذن قاتل للحيوانات القاتلات لنا ، مبيض لورقنا منظف له . مزيل الآلام عن جرحانا . مهلك للأعداء فى الحرب إذ يكون غازا ساما أو بخارا متحدا مع مواد أخرى مخرّب للمبانى . فهو يقتل الأعداء من نوع الانسان ومن الحيوان محافظة على سلامة الأبدان . فقال صاحبى زدنا من هذا

فياسعد حدّثنا بأخبار من مضى ✡ فأنت خبير بالأحاديث ياسعد

نحن عرفنا فوائد الكلور الذى هو أحد جزئى الملح . فما فوائد الهيدروجين . وما فوائد الصودا الكاويه التى حللناها من الملح مع ماذاب فيه من الماء . فقلت :

﴿ الهيدروجين ﴾

أما الهيدروجين فانا اذا أحرقناه فى الهواء فانه يتحد بالاكسوجين و يتكوّن منهما الماء و يبقى الاوزوت أى النيتروجين و يتحد هذا الغاز الأخير بالهيدروجين فى أحوال خاصة فيتولد من اتحادهما غاز (النشادر) المستعمل فى صنع الجليد

فلما سمع صاحبى ذلك قال : مامعنى هذا ؟ قلت معناه اننا لما أمررنا التيار الكهربائى بالملح المذاب فى الماء وانفصل الكلور والهيدروجين والصودا الكاويه أخذنا ندرس الكلور فعرفنا صفاته وفهمناها . قال نعم . قلت : فأما الادروجين فهو أحد العنصرين اللذين يتكوّن منهما الماء فلما أحرقناه فى الهواء والهواء فيه الاكسوجين أيضا وجد فى الهواء حبيبه . فقال مامعنى هذا ؟ قلت انه وجد فى الهواء حبيبه وهو أكسوجين الهواء كما قال الشاعر

جمع الهواء مع الهوى فى مهجتى ✡ فتكاملت فى أضلعى نارانى
فقصرت بالممدود عن نيل المنى ✡ ومددت بالمقصور فى أكفانى

فقال مامعنى هذا . قلت : سافر الشاعر الى محبوبه فى سفينة فقاومه الهواء الجوّى ولم يسعفه ففات بسبب الهوى المقصور بعد ماعاقه عن الوصول الهواء الممدود لأنه لم يصل لمحبوبه . ثم قلت : فهكذا هنا الهيدروجين قبل أن نحرقه فى الهواء . نظر فوجد محبوبه الذى يتحد به عادة وهو الاكسوجين مقيدا فى الهواء مع النتروجين فظنّ انه سيعيش فى حسرة ولوعة وقد عاقه الهواء عن حبيبه فلما أحرق فى الهواء وجد الفرصة سانحة فاتحد مع حبيبه وكوّنا الماء مرة أخرى . فالهيدروجين قبل الاتحاد أصبح كأنه مدّ بالكفن بسبب الحب وأن غاية العاشق أن تتحد روحه بالمحبوب . فأما الشاعر فانه مات بسبب الفراق . فاتحاد الروحين مطلوب الحبّ كما قيل

أعانقها والنفس بعد مشوقة ✡ اليها وهل بعد العناق تدانى
وألثم فاها كى تزول حرارتى ✡ فيزداد ما ألقى من الهيمان
كأنّ فؤادى ليس يشفى غليله ✡ سوى أن يرى الروحان يتحدان

فالهيدروجين هنا كان كأنه فى كفن قبل الاتحاد الذى هو المطلوب للمحبة وهذا المعنى آخر ماقرّره العلامة الشيرازى فى الأسفار

فقال هذه المعانى أدبية فانرجع الى مانحن فيه . فقلت نعم : لما اتحد الهيدروجين بحبيبه وهو الاكسوجين اعتزلهما العذول وهو النيتروجين . والنيتروجين نفسه يتحد بالهيدروجين بشروط خاصة فيكون منهما النشادر المستعمل فى صنع الجليد

فقال صاحبى : الله أكبر . إذن الهيدروجين الذى هو أحد عنصرى الماء ان اتحد مع الاكسوجين صار ماء وان اتحد مع النيتروجين صار نشادرا . قلت له نعم . وأهمّ فوائد النشادر أن يستعمل فى تحضير السماد للزرع . فمن مركباته كبريتات النشادر ومنها فصفات النشادر . وهذه المركبات ترسل الى البلاد الزراعية كمصر تغذى شجر القطن . قال : حسن . إذن الملح الذى حللناه بالكهرباء أفادنا السبع الفوائد المتقدّمة ثم أفادنا النوشادر الذى فيه النيتروجين سمادا للزراعة وهذا ثامن الفوائد . وهاك تاسعها وهو :

ان القطن اذا أصيب بأمراض يطهر بمواد كيماوية مثل مادّة زرنيخ مركب مع الكلسيوم وهذه المادة لاتحضر إلا بواسطة الكلور المتقدّم . وعاشرها أن القطن بعد غزله يحتاج الى مايقصره أى يبيضه . ولاسبيل لذلك إلا بغاز الكلور أو بمسحوق آخر يدخله الكلور . وحادى عشرها أن الناس فى حاجة الى جعل خيوط القطن لامعة كالحرير . ولاسبيل الى ذلك إلا أن تعالج بمحلول الصودا وهو المادة الثالثة التى حصلنا عليها لما

سلطانا الكهرباء على الملح كما تقدم فيصير القطن بهذه الطريقة أبيض ناصعا براقا . وثانى عشرها : اذا أردنا صبغ القطن بالسواد أو بغيره من الألوان استعملنا أصباغ القطران وهذه الأصباغ لاتحضر إلا اذا كان من عوامل ذلك العمل (غاز الكلور)

فهذه اثنتاعشرة فائدة انتفع بها الناس وكلها ناجمة من الملح وحده ، ذلك الملح الذى يأكله الناس وأكثرهم لايعقلون إلاماتحس به حاسة الذوق للطعام لاغير

تباركت يا ألله ، جمال بديع وحسن وبهجة فى هذا الوجود ، ملح منبوذ ، قليل القيمة ، كثير الوجود لايأبه له الناس نستخرج منه هذه الفوائد ، فهو يقتل الحيوانات الذرية القاتلة لنا ، ومنه غاز لإهلاك العدو ومفرقعات ، وهو منظف مبيض للقطن الخ وهكذا الصودا التى جعلت القطن أشبه بالحرير — فتبارك الله أحسن الخالقين —

فقال صاحبى : هذا جميل وجليل ، فهل من معدن آخر تصفه لنا . فقلت : لم يبق فى ذاكرتى إلا

﴿ الالومنيوم ﴾

هذا المعدن كان يستخرج قديما من (ركازه) بواسطة فحم كوك فكان يعسر تخليصه من مركباته فكان الرطل منه يباع بنحو (٢٨) جنيها ولكنه لما ظهر شاب أمريكى فقير يسمى (هول) ولم يصل سنه الى (٢٣) سنة من العمر حتى كشف طريقة لاستخلاصه من ركازه بأن سلط عليه التيار الكهربائى فانحلت الكتل الى أكسوجين وألومنيوم كما ينحل الماء الى أكسوجين وأدروجين ، وهذا الشاب الفقير قبل كشف هذه الطريقة لما مات سنة ١٩٢٤ ترك ثروة تقدر بآلاف الآلاف من الجنيهات . وسبب ذلك أن الالومنيوم له هذه الصفات

(١) هو معدن متين
(٢) لذلك تصنع منه أوانى الطبخ والمائدة
(٣) ويقوم مقام النحاس فى أعمال الكهرباء
(٤) يجعل فى الطيارات والسيارات
(٥) تجعل منه صفائح للتفضيض لأنها تحفظ بريقها ولاتسود كما تسود الفضة فى الهواء
(٦) مسحوقه يستعمل فى بعض الزيوت كدهان للحديد لمنع صدئه
(٧) يركب مع النحاس فيكون معدنا ذهبيا إذ يكون سبيكة من النحاس والالومنيوم لها مظهر الذهب ولاتصدأ بالهواء
(٨) والالومنيوم اذا خلط مع القصدير استعمل بدل النحاس وهو أفضل منه لأنه أخف وزنا وأقل تلفا
(٩) الالومنيوم يستعمل فى لحم المعادن ، وكان ثمن الرطل الواحد (٢٨) جنيها قبل الكشف المتقدم كما قدمنا فأصبح اليوم (٥) قروش

فلما سمع صاحبى ذلك قال هذا جميل ، انه جميل جدا أن يصبح الهواء ويصبح الملح عجائب سحرية تدهش العقل وهكذا الالومنيوم ، فماذا نقول الآن فى أمة الاسلام التى قلت فيها العلوم ؟ قلت : أماأمة الاسلام التى قلت فيها هذه العلوم فان أمرها لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال : اذن أنت تريد أن تقول ان الأمة آثمة بترك هذه العلوم بعد ظهورها لهم . قلت أوتشك فى ذلك ؟ ألست تتذكر أن هذه فروض كفاية ، ولقد ذكرتها فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب . ألم تقرأ ما نقلته عن ﴿ جمع الجوامع ﴾ وعن الاحياء للغزالى وهذا اجماع علماء الاسلام . فهذه علوم واجبة وتركها حرام يورث عذاب الخزى والذل فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون

قل هذا أعرفه ، ولكن أريد ضرب مثل توضح به هذا التحريم . فقلت : ماذا تقول فى عناية الله عزّ وجل بحياة الناس وأموالهم ، ألم يأمر بقتل القاتل ، وتغريب الزانى وجلده أورجه ، وقطع يد السارق . أليس ذلك كله محافظة على الأنفس والنسل والمال . قل بلى . قلت : فاذا قطع اليد على ربع دينار أفليس هذا معناه انه يريد المحافظة على أموالنا كما حافظ على أنسابنا ونفوسنا . قال بلى . قلت : فلوأن لك أبناء عدة وسلمت اليهم أرضك ليزرعوها ، ثم قلت لهم من أخذ من أرض أخيه زرعا يساوى (٢٥) قرشا آذيته أذى كثيرا فحافظ أبناؤك كلهم على ما أعطيتهم من الأرض وغرسوا فيها الحدائق والجنات والزرع ، و بقى لك ابن واحد فترك أرضه بلا زرع ولاعمل حتى صارت وحوشا يبابا ، فماذا تفعل بابنك ؟ ألست تسأله وتقول له لم أهملت أرضك ؟ أفلست اذا قال لك يا أبت إنى امتثلت أمرك فلم أسرق زرع اخوتى فكيف تغضب علىّ ؟ ألست إذن تقول له : يابنىّ أنت ولد شؤم ، أنا قلت لكم فليعاقب من أخذ دريهمات من مال أخيه حرصا على أموالكم جميعا . فهم لما رأونى حريصا على ثروتهم زادوها لأنهم علموا انى محب لثروتهم وغناهم ﴿ بسببين ☆ السبب الأوّل ﴾ انى حرمت عليهم أن يأخذ أحدهم مال الآخر ﴿ السبب الثانى ﴾ انهم رأونى سلمت لهم الأرض . فتسليمى الأرض لهم معناه الرغبة والمحبة لهم أن تنمو زروعاتهم . فأما أنت يابنىّ فلم تفهم واقتصرت على عدم الأذى ولم تراع نعمتى ولم تستثمر أموالى ومثلك جدير بالطرد والحرمان فلآمرن اخوتك أن يملكوا أرضك و يستعملوك فيها فتكون عاملا تأكل بعرق جبينك وهم للأرض مالكون

أفلست تفعل ذلك مع ابنك الذى ترك نصيبه من الأرض التى وهبتها له فعطل الأرض وعطل مواهب جسمه . فلاهبتك من الأرض قام بحقها ولاماوهبه الله من الحواس والأعضاء قام باستعمالها فهو مطرود مبعد منك ومن الله . أليس كذلك ؟ قال بلى . قلت : فهذه حال بعض المسلمين اليوم مع الله . فالله أعطاهم أرضه فتركوها وناموا فتركوا نعمها فلم يستعملوها فألهم أمما أن يستخدموهم فى أرضهم التى ملكوها

الحق والحق أقول ان الأمم الاسلامية اليوم إن لم تقم بما قلته فى هذا التفسير ليكونن هذا القرن آخر قرونهم ويهلكون ولايترك الله أرضه فى أيديهم بل يحرمهم من الهواء ومن الملح ومن الماء تلك التى استخرج الناس منها هذه العجائب التى يقول الله فيها هنا ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ

يا ألله : إنا نحمدك . عرفنا نعمك وفهمنا قولك وشاهدنا صنعك وهاأناذا يا ألله أكتب هذا للمسلمين وهاأناذا تارك الأرض وذاهب اليك

فقال صاحبى : أنت ذكرت مواهب الأرض . فما للهواء والماء والملح مثلا كيف يحرمهم منها . قلت : الأرض ضربتها مثلا ولكن الهواء والملح والماء وأمثالها جهلها بعض المسلمين كما جهلوا نعم الأرض . فاذا كان الله أمر أن من قتل يقتل . أفليس هذا محافظة على أرواحنا كما قدمت . قال بلى . قلت : وأنت اذا رأيت ابنك جالسا وأمامه نار تحرق بيوت وقصور أبنائك ثم هو أمامه صنبور يمكنه أن يفتحه وعنده مضخة عظيمة وهى الآلة الماصة الكابسة التى يمكنه أن يطفئ بها النار فلم يفعل ذلك حتى احترقت تلك القصور والدور فلم يفعل ابنك شيأ من ذلك . أفلست تكرهه . قال بلى . قلت حسن . هكذا فعل الله مع المسلمين . هذا الكلور وهو فى ملح الطعام أشبه بالآلة التى تطفئ النار فهو قاتل للمكروبات فى حمى التيفوذ كما تقدم والمسلم قد سمع هذا أقربه فى هذا التفسير . أفليس اذا ترك هذه العلوم يغضب الله عليه بل الغضب هنا أشد لأن غضبك لأجل نفوس أبنائك وهم يعدون على الأصابع . أما هنا فهى لمنافع أمم وأمم جيلا بعد جيل وأنا موقن كل الايقان أن هذا التفسير متى انتشر هو وأمثاله يهبّ المسلمون مرّة واحدة لحوز هذه العلوم واذن تصبح الكرة الأرضية لها شأن غير شأنها بالأمس . فقال وماذا يصنع المسلمون اليوم وكثير منهم عندهم محتاون لبلادهم . فقلت : إن أكثر بلاد الاسلام اليوم مستقلة اليمن والحجاز مع نجد و بلاد الفرس والأفغان

وأمثالها فهؤلاء من قرأ من هذه الأمم هذا الكتاب وفهمه هو أو أمثاله وجب عليه أن يعلن الفكرة فى بلاده بأى وسيلة كانت بل يجعل حياته وقفا عليها ويحمل حكومته على الاسراع بارسال تلاميذ حالا لدرس جميع العلوم كما فعلت اليابان ويرسلهم للأمم المختلفة لا لأمة واحدة ، وهكذا يجب على الأغنياء أن يرسلوا أبناءهم على حسابهم ويدرسوا تلك العلوم ثم يفتحون المدارس فى بلادهم كما فعلت اليابان كما قدمنا . فأما الأمم التى احتلها الأجانب فان كانوا مستعبدين جدا فكلامى هذا لا يصل اليهم وان وصل اليهم فهم لا وقت عندهم لفهمه فأما الأمم التى احتلها الأجانب ولأبنائها ذكاء فليكونوا جمعيات وليرسلوا أبناءهم فى بلاد مختلفة لتعلم العلوم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

فلما سمع صاحبي ذلك قال عرفنا جمال العلم والحكمة الناتجين من الهواء ومن الملح اذا سلطنا الكهرباء عليهما وعرفنا أن المسلمين متى قرؤا هذا أسرعوا اليه وان قصروا أذنبوا ولكن هذا المقام مقام غزير الفائدة جليل العائدة ، فهل لك أن تأتى لى بمثال غير ما تقدم لأنى أحسّ فى نفسى بنور واشراق وبهجة حين أسمع هـذا القول منك وأنا موقن أن الناس اذا قرؤا هـذا بهذا الاسلوب الذى يفهمونه زاد تعجبهم وفهمهم وارتقت بلادهم . فقلت إن المقال قد طال . فقال . كلا . إن هـذه الآية تجمع العلوم كلها فليس ببدع أن ترينا منه زهرات نشم رائحتها ونبتهج بمرآها وتنشرح بها صدورنا ، فان العلم على هذا الاسلوب نعمة ورحمة وبشرى وابتهاج لنا وروح وريحان وجنة نعيم ، إنى أحسّ بنعيم فى نفسى حينما أسمع هذا الشرح والبيان نعم أنت لست من الاخصائيين فى هذه العلوم ولكن هذا التعبير أحسّ فيه بنور وانشراح صدور فزدنا منه زهرة أخرى واجن لنا من بساتين العلم ثمرة أخرى لتكون لنا نورا وسرورا وبهجة وجمالا . فقلت : ألم تسمع بنبأ أدهش العقول وهو :

﴿ زجاج بلاس ﴾

فقال زجاج بلاس ! وماهوذا زجاج بلاس ؟ فقلت زجاج بلاس زجاج له صفات غريبة وسيملأ الأرض قريبا . فقال صفه لى . فقلت :

(١) هو زجاج قريب فى منظره من زجاجنا

(٢) زجاجنا سريع العطب ، أما هـذا الزجاج الحديث فانك اذا ألقيته على الأرض وأردت كسره فانه لا ينكسر ، ولو أتيت بفأس أو قادوم ثم أخـذت تضربه فانه لا ينكسر مهما أوتيت من قوّة ، وانما يتشقق ويتحطم أما الكسر فلا ، فقال هذا عجب

(٣) وهو تدخل منه الأشعة التى هى فوق البنفسجية من الشمس ، ومعلوم أن تلك الأشعة لها مزية كبرى فى الطب وزجاجنا العادى لا يسمح بدخولها ، ولقد علم الناس أن عند بعض الناس نوعا من الزجاج يدخل الأشعة فوق البنفسجية وهو غال جدا ، ومعلوم أن الزجاج المعتاد مصنوع من الموادّ الرملية مع نحو البوتاسا والرصاص ، فأما الزجاج (بلاس) الجـديد فانه من موادّ أخرى ولكنها قليلة الثمن

(٤) يصنع من هذا الزجاج ألواح على صورة قشر السلحفاة وعلى شكل الرخام ، ويصنعون منه أقداح الشاى وأقداح الماء فلا تحطم ولا تـكسر ، وقـد صنعوا منـه (القلم الأمريكى) وجهاز اللاسلكى والاسطوانات ، ولا جرم أن القلم الواحد منها يكفى الانسان طول حياته

(٥) وسيصنعون منه تطريزا للثياب فان هـذا الزجاج يسهل تلوينه ، فاذا غمست إبرة فى هـذا المحلول ونقشت بها الثياب صار لها منظر جميل بهيج بلا مشقة فى العمـل . وهناك شركات تقوم بتجارب فى

الملابس وتطريزها بهذه المادة الزجاجية الجديدة . وهناك شركة لها مصنع كبير فى ضواحى مدينة (نوتنجهام) ولها مصنع آخرتام المعدات فى (مدينة فينا) بالنمسا ، وهذا المصنع عجز عن الطلبات المقدمات له لأجل ألواح النوافذ ونحوها والأدوات الداخلة فى أعمال الكهرباء

(٦) إن المخترع لهذا الزجاج (المستربالى) أستاذ الكيمياء بجامعة ليفربول هوونجله

هذا هوالذى أردت أن أخاطبك فيه الآن ، أفلاترى بعد هذا أن نوع الانسان لايزال طفلا ، فاذا كان هذا العالم وابنه سيقلب عالم الصناعة بعمل جميل أجمل من الزجاج الذى نعرفه ، أفليس معنى هذا أن هذه الانسانية طفلة الآن وان تكون كاملة إلا اذا استخرجت القوى من جميع العقول والقوى من جميع المواد حولنا . أيها الناس : أنتم جميعا فى حاجة الى علماء يحوّلون عقولكم عما أنتم عليه من استعباد بعضكم بعضا الى استخدام جميع العقول الأرضية فى استخراج جميع المنافع المادّية والمعنوية

هذه الأرض مملوءة بالجمال ولكن أهلها لايزالون أطفالا فاذا داموا على قولهم شرقى وغربى وقوىّ وضعيف فهم جميعا على خطر يجب على جميع الناس فى الشرق والغرب أن يتعاونوا على استخراج عقول كعقل (المستربالى) ، وليس (المستربالى) لانظير له بل فى بلاد افريقيا وآسيا وجميع الأمم عقول فيجب استخراجها لتستخرج ثمرات الأرض . إن أهل الأرض جميعا مقصرون ولاسعادة لهم إلا اذا ارتقت جميع العقول والمواهب فاستخرجت جميع المنافع فى الأرض لأن ربنا واسع وعليم وخلق لنا عقولا وقال اعملوا والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

(مسامرة)

ثم قلت : هل لك أن أحدثك حديثا غراميا هو أليق بهذا التفسير ليكون ترويحا للنفس وتنويعا للفكر وانشراحا للصدر . فقال : إن ماتقدّم لاتسأم منه النفس . انه بهجة ونور وانشراح صدر لاتسأم منه النفوس ولاتأنف من الاطالة فيه الطباع . فقلت : ولكن اذا تفننا فى الحديث (والحديث شجون) كان ذلك أعون على الدرس وأسرع للفهم وأصفى للذهن وأقرب لانشراح الصدر . فقال : أحب ذلك . فقلت : إن هذه المحادثات الصناعية العلمية التى ذكرتها بمناسبة قوله تعالى ــ مايفتح الله للناس ــ الخ قد كنت أحدثك بها وأنا أشبه بأهل الحب الجسمى والغرام لأن الحب يتبع الجمال والجمال جسمى وروحى . فالجمال الجسمى فى الأنف والفم والخدّ والعين وحسن اتساقها وجمال تركيبها . قال نعم . قلت وهذا الجمال الانسانى فى الوجه اذا ساعده حسن الصوت وجمال الرائحة ونور العلم وبهجة الأخلاص والذكاء والحلم كان هذا المحبوب مما لايطاق فراقه . قال نعم . قلت : ومعلوم أن كل جميل فى الأرض لم ينل كل هذه الصفات . والجمال الظاهر ــ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ــ . قال نعم . قلت ولذلك تجد الشاب بعد الوصال بزمن معلوم يرى أن بهجة الجمال تغيرت وأخذت الزوجة ترضع ولدها وهو مجدّ فى طلب الرزق وينقلب الحب اللفظى الظاهرى الى حبّ قلبى هو حب المنفعة والاتحاد فى أمر الحياة . قال نعم . قلت : ومعلوم أن العالم محبوب والشجاع محبوب والمحسن محبوب وحب العلماء لايزول لكن حبّ المعشوق لظواهر الجمال يتغير سريعا على مقتضى تغير الجمال . قال نعم . قلت : إذن فى الأرض عقول تعشق العلم وتعشق العلماء ومنهم من يعشقون خالق العلم والعلماء لأنهم اذا رأوا جمالا فى الوجه أوفى العقل أوفى الخلق . قالوا إن مبدع هذا الجمال أجمل من هذا جمالا لم نره

فالليث وان لم ألقه فقد تصوّرت خلقه ✡ والبحر وان لم أره فقد سمعت خبره

والأذن تعشق قبل العين أحيانا . قال نعم . قلت : بعد هذا أقصّ عليك قصصا جرى فى أيامنا وهو خبر

(فون شونبرج) ومحبوبته (ستوستود) . قال فما خبرهما ؟ قلت : يحكى فى أيامنا هذه أن (شونبرج) منذ ثلاث سنين من تأليف هذه المقالة أثناء طبع هذه السورة ذهب الى (نيويورك) بالممالك المتحدة فبينما هو سائر فى المدينة إذ رأى صورة فتاة من الصور التى توضع على الحائط عادة فى جميع العالم . وكانت هذه الصورة فى معرض الصور فما وقعت عينه على هذه الصورة المعينة حتى ذهل لمرآها وتعجب من جمالها ، وهو رجل عنده اقب (كونت) ومثل هذا لاشئ يشغله عن المناظر لكثرة المال عنده ولم يجد دليلا يدل على اسمها ولاصفتها ولاأحوالها فأخذ يضرب فى الأرض شرقا وغربا وهذه الصورة لاتفارقه فى جميع أحواله و بينما هو مرة فى (برلين) بألمانيا إذ رأى نفس الصورة التى كان رآها فى (مدينة نيويورك) فالتهبت المحبة فى قلبه وزادالغرام والهيام وأنشد قول ابن الفارض

مابين معترك الأحداق والمهج ☆ أنا القتيل بلا إثم ولاحرج
ودّعت قبل الهوى روحى لما شهدت ☆ عيناى من حسن ذاك المنظر البهج

وقد زاد به الغرام واشتدّ به الهيام حتى صار يغدو ويروح كل صباح على هذا المعرض ببرلين و يقف أمام الصورة كالعابد أمام محرابه فيقف جامد الحركة لايسمع له صوت ولاينبس ببنت شفة مبهوتا مسحورا متغير اللون ، مشغول اللب ، مكلوم الفؤاد ، فبينما هو على تلك الحال إذ سمع رجلا يقول : « ماأشبه هذه الصورة بصاحبتها » فتقدّم الى المتكلم وسأله عن اسمها فقال اسمها (ستوستود) من مدينة نيويورك فأسرع الى نيويورك وخطبها من أبيها فردّه أهلها بلطف ، أما هى فلما رأت إلحاحه رحلت من البلاد وفرّت الى أوروبا فسافر هو معها ولم يفارق كل قطار يستقل بها أو بلدة تدخلها أوفندق تأوى اليه أوسفينة تقلع بها ، وكانت بلادنا المصرية خاتمة المطاف فقد جمعهما فى النيل زورق وهما قد ذهبا معا من اسوان الى الشلال ، فأما هى فهذا رأيها ، وأما هو فإنما هو تابع لها . هنالك أذن الله للعاشق أن ينال ماطلب فاتفقا معا على الزواج ونال العاشق مراده اهـ

فقال : هذه نادرة عجيبة وماذا تريد من هذه القصة ؟ قلت : إن هذا منطبق على هذا النوع الانسانى مع هذا العالم الجميل وصانعه الحكيم . إن الله فعل مع الناس ما فعله المصوّرون مع الناس . ألم تر أن الله قد ملأ أرضنا وسمواتنا بالصور الجميلات فى الشموس والأقمار والكواكب وكل معدن ونبات وحيوان . ألم تكن الأرض أشبه بما ورد فى الآثار من أن هناك يوم القيامة سوقا تباع فيه الصور . قال نعم . قلت : فهاهى ذه أرضنا سوق تباع فيه الصور . ومن أراد صورة نالها . إن (فون شونبرج) لما رأى الصورة أغرم بها . لماذا ؟ لأنها موافقة لمزاجه وقد رأى آلاف من الناس هذه الصورة كل يوم فلم يغرموا بها ولم يبحثوا عنها لأنها لا تناسبهم إذ ليس كل جميل يناسبنى . ولولا أن هذه الصورة جميلة لم تعلق فى ذلك المكان . إذن كل صورة هناك جميلة ولكن الطلب راجع الى الذوق والمناسبة بين العاشق ومعشوقه . هكذا الله سبحانه أبرز صور هذه الدنيا الجميلة فجعلها منشورة أمامنا لم يحجبها ولم يمنعها وقال : ـ هاؤم اقرؤا كتابيه ـ وانظروا فقرأنا . فكل من أدركت نفسه جمالا فى عالم من عوالم المادة بحث فيها واستخرج للناس فوائدها . فهذا العالم الذى صنع (زجاج بلاس) وهو الزجاج الحديث القوى المتين . رأى موادّه وهو فى مصنعه فخطر بباله أن يستخرجه لأن هذا الجمال ملائم لعقله ولكن الصور الجميلة الإلهية متمنعة أكثر من تمنع الفتاة الأمريكية . فاذا رأينا هذه الفتاة الأمريكية فرّت من وجه عاشقها شرقا وغربا لما أحسّ قلبها بأنه مخلص و بأن المخلص يستحق تسليم مطلوبه . هكذا الصور التى زوّق الله بها المادة والصفات الجميلة المخبوءة فيها (التى تشبه صفات العلم والحلم والاحسان فى النفوس الانسانية) فهذه الصور متى طلبها الانسان بجدّ وشوق واخلاص فان صاحب المعرض وهو الله يعطى هذا الطالب العاشق مطلوبه كما فعلت الفتاة الأمريكية إذ سلمت نفسها لمن أخلص فى حبها لأن هذه الفتاة من صنع الله

والله

والله هو الذى وهبها الجمال ثم علمها مقابلة الحب بمثله . هكذا أقول وأنا واثق بما أقول : إن هؤلاء العلماء الذين نبغوا فى الأرض وأحدثوا فيها انقلابا عظيما كانوا فى طلبهم أشبه بهذا الكونت وفعل الله معهم ما فعلته الفتاة الأمريكية مع الكونت العاشق لها — ولله المثل الأعلى — لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد — وعليه أقول : إن أحبابى قرّاء هذا التفسير ستحدث لكثير منهم شؤن وشؤن وسيصبح كثير منهم مغرمين عاشقين لهذا الوجود ولهذه العلوم ولرب العلوم وسيعاملهم الله هذه المعاملة عينها وهو لا يعطى إلا العاشق أما المتكلف الذى لم ينقلب تكلفه عشقا فهو من الصالحين لا من الحكماء المحققين ، وأقول أيضا : وإذا كانت الفتاة الأمريكية وإذا كانت العلوم والمعارف المخبوءة فى هذا العالم يحجبها الله عن الناس ولا يحظى بها إلا العاشقون لها ، الباذلون فيها مهجهم الفرحون بها المولعون ، فما بالك بمنزل العلوم وخالق الصور الجميلة ، فهو الكبير المتعال وإذا كان مخلوق الكبير المتعال هذا شأنه فما بالك به ! وهو الذى إليه يرجع جميع العالمين

(الاتحاد المادى والاتحاد المعنوى)

(وهذا الأخير قسمان : صناعى ، وطبيعى . ومعنى السلام على الصالحين فى الصلاة)

فلما سمع صاحبى ذلك قال : أودّ أن تزيدنى فى معانى الحب لأن الحبّ حياة العلوم وكلما زدنا به علما زدنا سعادة . فقلت : إن علوم الكيمياء اليوم قد أوضحت أبواب الحب وشرحته وفسرت لنا معنى قول المصلى ﴿ السلام عليك أيها النبىّ ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ . فقال وأىّ مناسبة بين الصلاة وبين علم الكيمياء . فقلت : رعاك الله . ألم تسمع كلام الهيدروجين المتقدم ذكره وإلامَ يشير ألم تسمعه وهو يتحد تارة بالاكسوجين الذى فى الهواء ، وتارة بالنيتروجين الذى منه . ففى الأوّل كان منهما الماء . وفى الثانى كان منهما النشادر . وبالماء حياة كل حىّ . وبالنشادر مع موادّ أخرى سماد مزارعنا . فقال : ما سمعت من الهيدروجين شيأ . فقلت : إن الادروجين لما أحرق فى الهواء ورأى حبيبه وهو الاكسوجين انطلق إليه حالا وعانقه وقال :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ☆ ما الحبّ إلا للحبيب الأوّل

وقال

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ☆ نحن روحان حللنا بدنا

فاذا أبصرتنا أبصرته ☆ واذا أبصرته أبصرتنا

فهو عاشق للاكسوجين وليس عاشقا تمام العشق للنيتروجين فاحتاج فى الاتحاد مع الثانى الى أحوال خاصة أما مع الأوّل فكان مسرعا إليه . ثم إنى فهمت من هذا الاتحاد وأمثاله أن الاتحاد على ﴿ ضربين ﴾ اتحاد جسمى واتحاد روحى . والاتحاد الروحى أو المعنوى على ضربين أيضا : اتحاد طبيعى واتحاد صناعى . أما الاتحاد الجسمى فهو ما نراه فى المادة من اتحاد الهيدروجين بالاكسوجين ثم اتحاده بالنيتروجين أى الاوزوت وكاتحاد ذرات الغذاء والماء الداخلات فى أجسام النبات والحيوان فانها بالاتحاد كان منها هذه العوالم كلها

ومن عجب أن يكون هذا العالم يسعى لهذا الاتحاد . أما الاتحاد المعنوى أو الروحى الطبيعى فهو اتحاد الصور العلمية بالأنفس الانسانية فان هذه النفوس لما نزلت الى الأرض لم يكن عندها علم ولا حكمة بل كانت غفلا ساذجة فأتى إليها العلم من الحواس ومن العقل . وما العلم إلا صور معنوية . فهذه الصور اتحدت بهذه النفس كما اتحد الاكسوجين بالايدروجين فتكوّن الماء . هكذا هذه الصور المرئية والمسموعة والمشمومة والمذوقة كلها قد اتحدت بهذه الأرواح ففعلت بها ما فعلته الأغذية بالأجسام العضوية . فالجسم لم يكن جسما إلا باتحاد العناصر الداخل فيها اتحاد الاكسوجين مع النيتروجين . هكذا الروح لم تنم ولم تكمل إلا باتحادها مع الصور

التى وردت لها من الحواس فبها نمت وبها عقلت . فكما رأينا أن الطفل فى أوّل أمره وهو جنين فى الرحم (انظره فى سورة طه عند قوله تعالى ـ قل ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ) لم يكن إلا بيضة لاتراها العين فى الرحم ثم تغذى بماء الحيض وأخذ يموشيأ فشيأ ومرّ على أدوار مختلفة ، هكذا كان ادراكه أشبه بهذه البيضة الصغيرة ثم أخذ ينمو بما يرد اليه من الصور الواردة من الحواس ، فاذا كنا نرى أن البيضة الأولى فى الرحم أصبحت لاتنفصل عن المواد التى وردت لها واتحدت بها هكذا هذه الروح الانسانية أصبحت لاتنفصل عن معارفها . فقال لى : هذا القول لا دليل عليه فانا ننسى ماعرفنا واذا كبرنا أصبحنا نهرف بما لانعرف . فقلت له : الاتحاد باق كما هو فى حال النسيان وفى حال الهرم ، وغاية الأمر انه أصبح مريضا فى عقله كما انه مريض فى جسمه ، فاذا كان اتحاد الجسم لم يبطل بمرضه هكذا اتحاد النفس بالصور لم يبطل بمرضها ، وأيضا يقال : إن كل ماعرفناه مخزون فى نفوسنا مهما طال عليه الأمد فهو أثبت من الأحوال المادّية

ألاترى اننا اذا رأينا ذاتا جميلة ثم مرّت عليها سنون فمرضت أوماتت فانها فى عقولنا محفوظة لم تتغير ، فالفلاسفة استدلوا بهذا على أن نفوسنا أصون للصور وأوعى لها من المادة وأحفظ لبقائها ، ومعلوم أن الناس فى أحوال المرض يتذكرون أمورا قد نسوها فى حال الصحة فهذا دليل على أن النسيان ليس معناه أن الصورة قد زالت ، كلا ، بل معناه انها مغطاة عن الذاكرة لعارض عرض لها . إذن عندنا اتحاد جسمى مادّى وهو المشاهد واتحاد روحى أومعنوى وهومانحسّ به فى نفوسنا وهذا هو الاتحاد الطبيعى

أما الاتحاد الروحى أوالمعنوى الصناعى فهو اتحاد رجال الحكومات والشركات ووضع النظم فى الأرض واتحاد الجمهوريات والمجالس النيابية ، فهذه كلها اتحاد صناعى ، فهم يعملون للدولة وللحكومة ولكن الشهوات غالبة على كل واحد منهم فليس اتحادهم كاتحاد الاكسوجين بالايدروجين ولا كاتحاد الصور بالأنفس الانسانية

والعالم الذى نحن فيه لاننال فيه نعمة إلابالاتحاد ، فلولا اتحاد عناصر أجسامنا بعضها ولولا اتحادالصور بأرواحنا ماكانت أجسام ولا كانت مدنية وحياة ، إذن الاتحاد بجميع أنواعه هو الذى عليه نظام هذا الوجود ، والذى عرفنا قيمته جهرة هوعلم الكيمياء وهوالعلم الشريف البهيج الجيل

فقال صاحبى : هذا موضوع يرجع الى الفلسفة والحقائق ومانتيجته عملا ؟ قلت الآن وصلنا الى مانقصد إن نتيجة هذا الموضوع أن هذه العقول الانسانية الى الآن لم تتحد اتحادا طبيعيا ولاصناعيا فهم أشبه بعناصر متفرّقة قليلة الفائدة والعائدة ، إن أهل الأرض اليوم لايزالون فى حال الطفولة أوالمراهقة ولم يزالوا فى مبدأ أمرالحياة ، إن الله حكم على هذا النوع الانسانى أن لايرتقى مرتبة إلا اذا ارتقى اليها بنفسه ولم يأذن لهم أن يخرجوا من جهلهم إلا بأعمالهم الخاصة . والدليل على ذلك أن أهل الأرض لم يعطوا الكهرباء إلا بعد ماجدّوا لها ، ولا أعطوا الحديد ولاالنحاس إلابعد مابحثوا عنهما . ألم تر الى قوله تعالى ـ وأن ليس للانسان إلا ماسعى ✲ وأن سعيه سوف يرى ـ فمن ظن أن سعى الانسان خاص بالأعمال الصالحة الفردية فقد ضلّ وغوى

أيها الذكىّ : إن كتابى هذا ليس خاصا بالمسلمين . إن كتاب الله عزّوجل لم ينزل للمسلمين وحدهم . إن كتاب الله للعالم قاطبة لأن قوله عام لم يخص بأمة دون أمة . فالمفسر يجب عليه أن يوجه اهتمامه للعالم كله وهاأناذا أجدنى مسوقا لهذا المعنى . أجد قلمى ولسانى وقلبى يتسابقون الى فهم النظام العام ومخاطبة الأمم كلها

إن كتاب الله لسائر الأمم فلأجعل كلامى للصالح العامّة الانسانية . واذا كنت منذ (١٨) سنة ألفت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ وخاطبت الأمم كلها وأنا عبد من عباد الله فما بالك بما أكتبه فى تفسير كلام الله فى هذا التفسير أخاطب الأمم كلها من باب أولى والله هو الملهم والله هو المتولى أمور الناس عامّة وخاصة وهو الذى يعلم نتيجة هذا وليس علىّ إلا أن أسطر ما امتلأت به نفسى وبرزلى قلمى وعلى لسانى . فلذلك أخاطب الأمم

الانسانية فى هذا التفسير فأقول :

أيتها الأمم الانسانية : أنتم قد خلت من قبلكم أمم فسرتم فى الأرض فنظرتم كيف كان عاقبتهم ، كان الأوّلون من نوع الانسان لايعرفون من العلم إلا أن يستعملوا الحجارة فى أدواتهم ، فالله لم يكافهم بأكثر من هذا ، ثم جاء العصر البرنزى والحديدى ثم البخارى والكهربائى ولم يرد أن يعطيهم شيأ من ذلك إلا بجدّهم واجتهادهم ، إذن ثبت بالفعل هنا ﴿ أمران * الأوّل ﴾ ان الخزائن مقفلة أمام الانسان ﴿ الثانى ﴾ ان هذه الخزائن لاتفتح إلا بجدّنا . ثم يظهر لى أن للأرض مستقبلا يكون الناس فيه سعداء . ذلك هو اليوم الذى ورد فى القرآن - حتى تضع الحرب أوزارها - فهنالك يوم يصبح الناس فيه اخوانا فى الحياة متحدين اتحادا كاتحاد الاكسوجين والادروجين وكاتحاد الصور الممتزجة بأرواحنا . ذلك يوم تكون فيه الانسانية فى الدنيا كأنها فى جنة . فالجنة للصالحين بعد الموت و يوم القيامة لامتزاج أرواحهم واتحادهم فى أخلاق وعادات . والأرض تكون فيها سعادة نسبية لأهل الأرض

أيتها الأمم : إن هذه الأرض لم تحظ قبل اليوم بانكشاف الحقائق واطلاع الغربى على ما عند الشرقى و بالعكس ولم تكن هناك مواصلات ولامحادثات على بعد مثل ماهو حاصل اليوم

أيتها الأمم : إن النبىّ ﷺ آخر الأنبياء وهو ينادى جهرة بالسلام العام . نعم هو استعمل الحرب مؤقتا فى الزمان الذى كان الانسان مضطرا اليها فيه . ولكن الاسلام يسعى من جهة أخرى الى السلام العام . و يودّ الاسلام أن الأمم كلها تكون على وتيرة واحدة فى الارتقاء والأعمال العامّة كما قال علماؤنا ﴿ لايبقى فى الأرض إلا مسلم أومسالم ﴾

إن أهل هذه الأرض قد آن لهم أن يعملوا بما كتبته فى كتابى ﴿أين الانسان﴾ بحيث يتعلم كل امرىء ماقدر عليه ولاتذرون فردا ولاأمّة بلاتعليم ولاتذرون أرضا ولاهواء ولاماء ولاضوأ بلابحث لاستخراج منافعه ولن تنالوا هذه النعم إلا بتعليم جميع الأمم وجميع الأفراد تعليما على مقدار الاستعداد . إن الاستعداد فى الأرض موضوع فيها بقدر وعلى مقتضى سعادة أهلها فالنقص عنه نقص فى السعادة

أيتها الأمم : إنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأمانىّ . أنتم أمامكم العلم والعمل وأمامكم أرض الله الواسعة . لننظر فى الانسانية الحاضرة . إن الأمم القديمة لم يفتح لها مافتح لنا . إن العلوم قد فتحت أبوابها والمادّة قد أخذت تناديكم أن هلموا الىّ والسعادة أصبحت على الأبواب . تقولون نحن كشفنا . نعم كشفتم ولكن كشفتم جزأ من آلاف الآلاف . انكم اتبعتم خطوات الحيوان فى كشفكم كما تقدم (فى سورة طه عند قوله تعالى - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى -) ولكن لم تلحقوا شأوه

ألم تدرسوا المرجان وجزائره . ألم تنظروا بأعينكم (انظرها مصوّرة فى سورة الفرقان عند آية - وهو الذى مرج البحرين -) هل اتحدتم كما اتحد المرجان . لالا . أنتم قلدتم النمل فى حربه والعنكبوت فى صيده والفأرة فى جر الأنهار للمنازل ولم تتجاوزوا أعمال النمل فى استخدام الاسرى وفاتكم حيوان المرجان . ذلكم الحيوان الذى أخذ المادة الكلسية التى فى ماء البحار وحوّلها الى هيئة أشجار ثم هيئة جزائر وتلك الجزائر تعدّ بالآلاف تنبت فيها النباتات وتعيش فيها الحيوانات آمنة مطمئنة . فمالكم عن عمله مقصرين . تعمد الأمة منكم الى أمّة أخرى فتهجم عليها فتأ كل خيراتها وقد علمكم التاريخ أن من اتكل على غيره فى اصلاح نفسه أوجلب طعامه كان ذلك سببا فى ضعف نفسه جسما وعقلا ثم يكون الانقراض

اتحد حيوان المرجان فتفنن فى صنعه حتى كوّن جزائر وتلك الجزائر كانت سببا فى الحياة لأمم وأمم من الحيوان تعيش فى أمن وسلام

أنا لست أقول إن هذه الأجيال تستطيع ذلك . إن علومها ومعارفها وقلة عددها لن تسمح لها باحداث

قارات جديدة فى البحر . ولـكن لتنظر أم الأرض الآن فى الأرض التى نسكنها الآن . اللهم إنى أقول ما ألهمتنيه وأنت شهيد وأنت المهيمن على الأمم وعلى الأفراد

إنى أضرب لـكم مثلا مما فى هذه الأرض : إن مساحة الجزائر الهنـدية الشرقية التى تحكمها (هولانده) وحدها بقطع النظر عن الباقى مليون وتسعمائة ألف كيلومتر مربع أو (٧٣٣) ألف ميل مربع وهو يعادل مساحة بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا و بلجيكا وهولندا وسويسرا والدنمارك والسويد (و بعبارة أخرى) يساوى نصف مساحة أوروبا تقريبا من غير روسيا

فلننظر الى السكان فانا نجد جزيرة جاوه وجزيرة مدورا وهما من تلك الجزائر نحو (٣٦) مليون نفس و٤٠٠ ألف نفس تقريبا ومساحتهما معا نحو (١٣١) ألف كيلومترا أى (٥٠) ألف ميل تقريبا ، وتعادل مساحة انكلترا بدون اسكتلندا وويلز وارلندا . وسكان سومطره (٦) مليون وربع مليون تقريبا مع ان مساحتها (٤٢٠) ألف كيلومترا أى (١٦٢) ألف ميل مربع فهى أكبر من مساحة بريطانيا العظمى

فأنا لا أطيل فى سرد الأمثلة ، فاذا كانت (سومطره) بمقدار جاوه فى المساحة نحو ثلاث مرات ولـكن سكانها أقل منها ست مرات فمعناه انها تسع نحو مائة مليون نفس ، واذا كانت جزائر الهند الشرقية التابعـة لهولانده وحـدها مساحتها بمقدار مساحـة نصف أوروبا تقريبا وسكانها ماهم إلا (٥١) مليونا من النفوس والأرض خصبة والمناخ أرق من مناخ أوروبا لأنه عند خط الاستواء وخط الاستواء مهد الجنس البشرى كما قيل « وهو مهبط البركات ومعدن النعم الإلهية التى يلقيها الله بأشـعة شمسه على الأرض » فهذا معناه أن هذا النوع الانسانى الآن لم يزل طفلا قد عطل أرضـه وتقاتل فى أراض ضيقة متبعا خطوات الجهالة كما قال تعالى ــ قتـل الانسان ما أكفره ــ إنا عرضـنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا ــ فالانسان لم يؤتمن على الأمانة التى سلمت له وهى هذه النعم . إن جزائر الهند الشرقية التى اتخذتها مثلا تمتد من آسيا الى أوستراليا بين درجة (٩٥) ودرجة (١٤١) من خط الطول شرقا و بين الدرجة (٦) شمالا من خط الاستواء و (١١) جنوبا منه وأطول خط من الغرب الى الشرق خمسة آلاف كيلومترا فتمخر فيها السفينة البخارية فى (١٤) يوما فى وقتنا هذا ، وهذه المسافة (الخمسة آلاف كيلومترا) تعادل تقريبا المسافة بين الشاطئ الغربى لارلندا فى الاطلانطيقى و بين الشاطئ الشرقى للبحر الاسود فى آسيا ، وأبعد مسافة من الشمال الى الجنوب (٢٠٠٠) كيلومترا وتعادل المسافة بين البحر الأبيض الشمالى وروسيا . ومجموع طول شواطئ هذه الجزائر يعادل طول دائرة الأرض . فجزائر الهند الشرقية ضربتها مثلا لما فى الأرض من متسع عظيم . وكم فى أمريكا الشمالية والجنوبية من أرض خالية من سكانها وكم فى العقول الانسانية من مواهب لم يستخدمها ولم يستخرجها الانسان

إن المسلم يقول فى صلاته ــ اهدنا الصراط المستقيم ✡ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ــ ويقول المسلم فى صلاته ﴿ السلام عليك أيها النبىّ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ . المسلم يسلم على الناس وعلى أهـل منزله و يسلم على نفسه وعلى الصالحين اذا دخـل المسجد . إن الصراط المستقيم بأل هو صراط الله وصراط الله هو الصراط الذى قامت به السموات والأرض والصراط الذى قامت به السموات والأرض هو صراط يوجب الاتحاد لأنا لم نجد نباتا ولا حيوانا ولا انسانا قام على الأرض إلا بعناصر متحدة فقام ذلك المخلوق وهو الاتحاد المادّى الجسمى كما تقدّم فى اتحاد الهيدروجين بالاكسوجين تارة فـكان الماء و بالنيتروجين تارة أخرى فـكان النشادر . إذن صراط الله يرجع الى النظام والنظام أوجب الاتحاد وهكذا اتحدت الصور العلمية فى نفس هذا الانسان فـكان العلم وكان العمل وهو الاتحاد المعنوى الذى قدّمناه

يقول المسلم ــ اهـدنا الصراط المسـتقيم ــ والصراط المستقيم صراط الله الذى له مافى السموات ومافى

الارض

الأرض . فلكه فى السموات والأرض لم يقم إلا بالنظام والنظام أوجب الاتحاد والاتحاد تمت به الحياة . فاتحاد ذرّات الأجسام واتحاد الصور العلمية فى العقول قام بهما هذا الوجود ، فالمسلم يقول اهدنا نفس هذا الصراط ونفس هذا الصراط هو صراط المنعم عليهم الذين هم غير المغضوب عليهم وبهذا الصراط يكون السلام العام الذى يقوله المسلم فى التشهد ويقوله لمن يقابله ويزوره والمسلمون قد فرّقهم الله فى الأرض وانتشروا فيها فى كل صقع و بلدة وهم يقولون هذا القول فى صلواتهم ويريد الله بهذا أن يرقى الانسانية كلها لأن الأرض مملوءة بالخيرات ، وقد كان الانسان قديما تحصده المجاعات والحروب والأمراض والطاعون وهاهو ذا الآن يسعى ليقلل الحرب والمرض كما سعى وخفف وطأة الطاعون ، فهاهم أولاء يكثرون و ينتشرون فى الأرض والطرق سهلت للتقارب

فليعمر الناس كل أرض لا ساكن بها . ولقد كتبت فى كتابى ﴿ أين الانسان ﴾ أن كل أمة عندها أرض واسعة وقلّ رجالها عليها أن تقبل فى أرضها أقواما من أمم أخرى كما تفعل الممالك المتحدة ، هذا واجب محتم ، فلتعمر الأرض الموجودة الآن ، ثم لتوجه الهمم من الآن الى تعليم جميع الأمم جملة وأفرادا حتى اذا امتلأت هذه الأرض بنوع الانسان وكانوا أضعاف أضعاف الانسان الحالى كانت عقولهم قد أخذت كلها حظها من العلوم والصناعات مع رياضات الأبدان وقوتها ، فهنالك هذه الأمم تتضافر وتصنع قارّة جديدة فى المحيط الهادى مثلا أوتحدث جزائر للسكنى فيها ، فاذا كنتم أيها الناس اليوم قلدتم النمل فى حربه وأسراه وقلدتم العنكبوت فى نسجها وصيدها وقلدتم الآساد فى افتراسها فأنتم والله أعجز مخلوق على الأرض اذا أنتم تركتم مواهبكم واحتجتم الى أرض جديدة بعد دهور ودهور ثم عجزتم أن تصنعوا ماصنع حيوان المرجان من احداث أرض جديدة

أنتم الآن لستم فى حاجة الى أرض جديدة . أنتم فى حاجة الى عقول كبيرة مرشدة ترشدكم الى طرق نظام أرضكم هذه والاتحاد فى تعميرها ، فاذا ظهر فيكم هؤلاء الرجال عرفتم جميعا أن الانسان محتاج الى الانسان وانهم جميعا يكونون أشبه بأعضاء جسم واحد فيما تقدّم ، أو بصور علمية فى نفس واحدة

فاذا قال المسلم — اهدنا الصراط المستقيم ✡ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم — فليعلم المسلم وغير المسلم أن من كانوا متعاونين مخلصين من أهل الأرض وهم خلاصتها فان هؤلاء يكونون فى العالم الأخروى أوفى عالم الأرواح أشبه بنفس واحدة ، فكر الواحد فكر الجميع ولهم هناك نتائج لانعلمها وهكذا أهل هذه الدنيا فى مستقبل الزمان حين يكثرون وتعمر أرضهم ويكونون كأنهم رجل واحد أونفس واحدة ، فهؤلاء حتما منعم عليهم كأهل الآخرة الصالحين ولذلك يقول الله فى أهل الجنة — ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ اخوانا على سرر متقابلين —

فالأرواح العالية آراؤها كلها رأى واحد فما يراه أحدها يراه الآخر ، فاذا ارتقى أهل الأرض وكانوا هكذا فيها بعد أجيال وأجيال فهم أيضا غير مغضوب عليهم لأن هذا مطلوب الاسلام لأنهم على صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض

ألاهل أذكرك بحياة الخلية الواحدة فى العالم الحى . فقال : مامعنى هذا ؟ فقلت : قد كشف للناس بسبب اختراع المنظار المكبر أن أنسجة الجسم مركبة من خلايا . قال : نعم هذا معروف . قلت : وكاشف هذا أمثال (شون) و (شليدن) و (فيرشو) وذلك أن كل حىّ يبدأ حياته بهيئة خلية وهذه الخلية تنقسم و يستمر الانقسام وهذه الخلايا تقسم أنفسها أقساما كبيرة وتجعل لكل قسم عمله الخاص به فمن هنا كانت الأعضاء والأجهزة المختلفة فانتظم المجموع مع ان لكل خلية حياتها المستقلة وهذا هو تفسير نظرية الحبّ . فكل من الحبيبين يودّ الاتحاد بالآخر ليحسّ بالسعادة بذلك الاتصال . فههنا ظهر الأمر . كل خلية فى كبد أوامعاء أو

،عدة مستقلة فى حياتها منضمة الى غيرها فرحة بذلك وكل عضو كالكبد وكالقلب عنده هذا المبدأ مستقل فى عمله فرح بالاشتراك مع غيره لتكمل حياة المجموع ، وهذا بعينه هو سياسة الأمم فى المستقبل ، يسعد كل فرد باستقلاله وحياته وهو فرح باندماجه فى جماعة والجماعة فرحة لانضمامها للامم الأخرى . هذه هى الانسانية المستقبلة . أما الانسان الحالى فهو طفل لم يعرف شيأ من ذلك ، وسيصل لهذه المرتبة فى مستقبل الزمان ، والأرواح التى تخرج من الدنيا الآن وهى غير مستعدة لهذا الاتحاد مع غيرها تكون أقرب الى جهنم والعكس بالعكس

فلما سمع صاحبى ذلك قال : وهل قول المسلم ـ صراط الذين أنعمت عليهم ـ معناه ذلك ؟ قلت : ألست تعلم أن المنعم عليهم هم الصديقون والشهداء والصالحون الخ قال بلى . قلت : أليس هؤلاء يسعون لسعادة الأمم . قال بلى . قلت : أوليس العالم أو الملك تكون منزلته على مقدار ما أسدى من المعروف للانسانية . قال للمسلمين . قلت : كلا . إن الأمم الاسلامية واجب عليها أن تحافظ على من تحكم من الأمم وعلى من تسالم أو تعاهد وهكذا . إذن نحن جئنا لمنفعة الانسانية كلها . قال نعم . قلت : ثم إن الانسانية كلما كانت أكثر تضامنا كان أفرادها أوفر سعادة ، فاذا سلمنا فرضا أن منفعة المسلم والصالح انما تكون للمسلم أو لمن يدخل فى سلطانه فان هؤلاء تكون سعادتهم أوفر اذا اتحد نوع الانسان كله ، وعليه يكون قول المسلم ـ صراط الذين أنعمت عليهم ـ له حال أرقى أحواله وهو وفرة المنافع بكثرة العقول المتحدة للنفع العام وذلك بأهل هذه الكرة ، كيف لا وقد رأينا أن مخترعى الآلات البخارية بجميع أنواعها والكهربائية وصانع الآلة الحاكية (الفونوغراف) والتلغراف الذى له سلك والذى لاسلك له والطيارات والبالونات لم يقتصر نفعهم على أممهم بل عموا بنفعهم الأمم كلها ونحن منهم . فاذا كان العمل من قوم لم يقولوا «الحمد لله رب العالمين» ولم يقولوا «اهدنا الصراط المستقيم الخ» أى انهم لم يوجهوا وجوههم قبل العالم كله فى دينهم وقد نفعونا ونحن نقول : إن الله محمود لأنه يربى العالمين لا المسلمين وحدهم ونطلب من الله أن يهدينا صراطه المستقيم الذى به نظم السموات والأرض المعبر عنه بالعالمين ، فلامعنى لهدايتنا لذلك إلا بأن نوجه قلوبنا للمنافع العامة لأن هذه صفته هو التى نحمده عليها والتى طلبنا الوصول اليها . وكلما كان النفع للناس فى الدنيا أشمل كان الارتقاء فى الآخرة أكثر فاذا طلبنا فى صلاتنا أن نكون مثل الأنبياء والصالحين فى عمل الخير لنرقى به فى الآخرة فكماله أن يعم نفعنا الأمم كلها . واذا مرن جميع الناس على فعل الخير فى الدنيا كان هذا المران عدة لهم يوم الدين . إذن أفضل أحوال المسلم أن يكون فى الأرض مع انسانية سعيدة فى الأرض كلها حتى يكون ذلك أسعد له فى الآخرة وهذا أفضل من السعادة القاصرة على أمة أو على أمم . فلا كمال فى الآخرة إلا بعد الكمال فى الدنيا ولا ثمرة هناك إلا مما غرس هنا والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ـ

فيا أيها المسلمون : اذا نحن طلبنا من الأمم كلها أن يتحدوا للمنافع العامة وأنتم ـ خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ـ فقولوا وخبرونى أيها المسلمون : هذه أمم الأرض الآن لاتأمر بالمعروف ولاتنهى عن المنكر وأضرب لكم مثلا :

هذه الأيام أيام انقلاب وقد كانت أمم الشرق كلها غافلة نائمة وكان للفرنجة سفراء فى بلاد الاسلام وهؤلاء السفراء كانوا يتبارون فى التقرب من ملوك الشرق ومعهم نساؤهم وملوك الشرق يكرمون الضيوف فأعطوهم امتيازا فى بلادهم كما هو شأنهم فى اكرام الضيوف . فماذا جرى ؟ أخذ الشرق يضعف وأخذ الغرب يقوى . أصبح الامتياز مهلكة للبلاد و إذلالا لهم . فنهض الشرق اليوم نهضة الآساد ومنعوا تلك الامتيازات كأهل إران والترك والصين واليابان . انما الأمر المحزن المؤلم أن هذه الأمم لم تتنازل عن الامتيازات إلا بحد السيف . وليس هناك للانسانية نصيب وقد بقيت مصر وفيها امتيازات للاجانب وقد كانت تابعة لدولة الترك ولكن

الترك منعوا ذلك الامتياز ولم يبق بلد فيها امتياز مثل مصر ومصر جيشها ضعيف لأن الانجليز منعوها أن تنظم جيشها ، فبقيت الامتيازات ظلما فى البلاد فلم نجد هـذه الدول نهى بعضها بعضا عن هـذا الظلم . إذن المدنية الحاضرة داخلة فى قوله تعالى ـ كانوا لايتناهون عن منـكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ـ

ولقد جاء فى كلام (اللورد أفبرى) الانجليزى نقلا عن عالم يابانى ما ملخصـه : « ان أوروبا لما كنا نابغين فى العلوم سمونا نصف متمـدينين ، ولـكن لما قتلنا منهم مئات الالوف وأرسلناهـم الى عالم الآخرة اعتبرونا متمدينين » إذن المدنية الحاضرة ناقصة وأهلها ليسوا شهداء على الناس . إن الأمم المستعمرة جميعها قد حتمت أن تنشر الجهل بين من تحكمهم من المسلمين ، فالجهل هو الذى أهلك المسلمين وأذلهم . إن هذه الأمم وهم بهذه الحال لايصلحون لاسعاد أهـل الأرض ، وكيف يصلحون لذلك وهـم لايعرفون المصلحة العامّة ؟ ولن يصلح هذا النوع الانسانى مطلقا لرقىّ النوع الانسانى إلا اذا كانوا جميعا مثـل الشهم المنصف الانجليزى وهو (المستر بلانت) فانه ألقى خطابا فى بلاده نهى فيه قومه عن احتلال بلادنا المصرية واعتبر هذا عسفا وظلما ، وخاطب رئيس الحزب الوطنى المصرى بمـا معناه :

« إنـكم يا أهل مصر تريدون أن نعطيكم استقلالا ، فاعلموا أن الأمم الاوروبية لاتعطى إلا مكرهة ، ولايمنعها عن ظلم الأمم إلا السلاح ، أما إعطاء الاستقلال بلاسلاح فهـذا مستحيل ، إن من يغركم بأنـكم ستنالون استقلالا بغير هذه الطريقة فلاتصدّقوه » اهـ

هذا فحوى خطابه والمسيو (بلانت) هذا رجل حرّ مخلص للانسانية وهذه شجاعة منه ونزعة شريفة ولعمرى لن يكون نوع الانسان سعيدا إلا اذا كان كله على أخلاق كأخلاق هذا الانجليزى

فعـلى المسلمين أن يتعلموا علوم الأمم كلها وأن يساووهـم ثم ليكونوا عونا لأمم الأرض كلها . إنهـم وسط بين الأمم وهم كالملح فى الطعام ، فليمنعوا الأقوياء عن الضعفاء ، هنالك فقط يكونون خير أمة أخرجت للناس ـ يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنـكر ، و بهذا يسعد نوع الانسان

أيتها الأمم الاسلامية وغير الاسلامية : أنسبقـكم (الأرضـة) التى شرحتها فى سورة النمل وسورة سبأ ، تلك الممالك العظيمة من هذه الحشرة العمياء التى تبنى مدنا عظيمة تمتدّ أميالا وأميالا وترتفع (٨) أمتار فوق الأرض وهذه الحشرة العمياء تقوم بنظام عملها بغاية الدقة والأوامر مطاعة من ملـكتها ، لوعدت هذه الحشرات فى المملـكة الواحدة منها لزادت عن نوع الانسان ، فهل يحجم نوع الانسان عن تـكوين مملـكة كمملـكتها ؟ وهذا حيوان المرجان الذى قدّمت ذكره هنا وقلت انه أوجد فى البحر جزائر ، فهل عجز الناس أن يتحدوا و يأتوا بالعجائب . وكيف يتحد المرجان فى البحر والأرضـة فى البرّ مع ان عدد الانسان على الأرض ضئيل بالنسبة لعدد الحشرات فى هذه الممالك . إن الانسان فى المستقبل سيصل لغاية يجهلها الانسان الحاضر . إن الشمس لاتهدأ فى جريها وكذلك القمر والنجوم نشاط مستمر والبحر لايهدأ ولايسكن وفى الطبيعة نشاط مستمر عجيب . فسبحانك اللهم نراك حوّلت الماء فى القطبين أراضى واسعة ثلجية وخلقت من الماء جبالا ثلجية عظيمة تعوم على وجه البحر وعلمت الناس طريقة بها حوّلوا النيتروجين الذى هو أحد عنصرى الهواء فحوّلوه مع الادروجين الى النشادر وهو قد دخل فى سماد الأرض وفى المفرقعات فتارة يكون طبقة تسمد الأرض وتارة يكون منميا للزارع فى أنحاء الـكرة الأرضية

الهواء صار أجساما جامدة والماء حوله المرجان أى حول مافيـه من المواد الى آلاف من الجزائر العامرة فهل عجز الانسان عن الأمرين : الاتحاد العام كاتحاد المرجان والأرضة وإيجاد جزائر فى البحر عند الاضطرار نعم الانسان اليوم طفل والطفل انما يفرح بالمفرقعات فهم قد ألهموا اليوم صنع المفرقعات لأنهم أطفال فأما غدا فسيكثر نوع الانسان ويكونون أعلم من هـذه الأجيال وحينئذ يفهمون روح هذا الوجود و يعقلون قيمة

الشمس والقمر والكواكب وكيف ركبت فيهم عقول قادرة على الابداع واسعاد أهل الأرض — ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم — ومتى جاء ذلك اليوم أى يوم الاتحاد العام يظهر معنى حديث البخارى الذى يفيدنا أن الرجل يأخذ الصدقة فلا يجد من يأخذها . إذن ذلك يوم يستخرج فيه من الأرض منافعها ومن العقول مواهبها . ذلك هو اليوم الذى يكون المسلمون فيه شهداء على الناس لأن أهل الأرض اليوم عن هذه المرتبة قاصرون . انتهى ليلة الأحد بعد نصف الليل فى ١٣ يناير سنة ١٩٢٩ م

﴿ ضوء الجوهرة ﴾

وعدنا الله أن يرينا الآيات — ولن يخلف الله وعده — إن الله لا يخلف الميعاد — . أنت وعدتنا يا ألله أن ترينا آياتك ، وآياتك هى التى ذكرتها فقلت : — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق — وقلت — ولقد أريناه آياتنا كلها فكذّب وأبى — وقلت — وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون — وأنت ترينا الآيات فى خلقك من شمس وقمر وكوكب وأرض وما عليها من نبات وحيوان ومعدن ، أنت ترينا والأنبياء يرونا — فأراه الآية الكبرى — والطيور ترينا فقد جاء فى الغراب — ليريه كيف يوارى سوأة أخيه —

اللهم ان كل شئ فى مخلوقاتك يرينا . هذا وبينما أنا أكتب هذا إذ حضر صديقى العالم وقال : ماذا تريد أن تكتب بعد ما جاء فى هذا التفسير من هذه المعانى ؟ إن هذا المعنى قد تكرر فى كل مناسبة . فقلت : لا مكرر فى هذا . ألا ترى رعاك الله أن هذه ألوان الكلام وفنون العلم وأصناف المعرفة ، ومن عادة النفس أن تحب التفنن فى الأساليب كما تحب شهوة الطعام التفنن فى المآكل وتحب العين أفانين الصور والأذن أنواع النغمات . إن النفس أشوق الى هذه الأفانين ولكل وقت فنّ وفيض خاص وابداع ومناسبة . فقال : فماذا الآن ؟ قلت : إن الله يقول — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق — ويقول أيضا — وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها —

اعلم أيها الذكى أن أصل كل تلك المعارف انما يقصد بها نفوسنا ، فلنبحث فى أمر هذه النفوس وقواها فهى عندى أصل الحكمة ، وأصل الفلسفة ، وأصل الابداع فى الدنيا ، انظر قواها . إن لها أفانين من الغرائز وأنواعا من العواطف . وعادة الناس أن يعجبوا من الطير ومن الأنعام ومن الكواكب . أما أنا فى هذه الساعة فكأنى منفصل عن نفسى وكأنها أمامى أشرحها شرحا جيلا . أرى نفسى يعوزها الطعام والشراب والكساء والتزوّج والعلم . لم هذا ؟ انما حدث هذا لأن الله يرينا أنه لا معنى لشهوة الطعام والشراب ولا شهوة النساء ولا لمدافعة العدوّ إلا للعلم . فكل ما فى وجودنا لا يراد منه إلا العلم حتى العبادة هى مران النفس لتستقر على حال وتحصل لها ملكة تثبت عليها من الأخلاق أو العلم . قال أوضح هذا المقام اذا شئت . فقلت : إن الله أحوجنا للطعام والشراب ودفع نفوسنا الى طلبهما وركب فينا شهوة لتقبل الطعام وهذا مبدأ أوّل من مبادئ العلم لأن الحواس أخذت تهتم وتميز الحلو من الملح والحامض . فهذه مبادئ للعلم وهكذا يمتاز الماء العذب من الملح . كل ذلك مبادئ للعلم فان احساس الحواس مبدأ العلوم . فقال لا شك فى ذلك . فقلت وقد علمت فيما تقدّم فى هذا التفسير كيف كانت جميع مآكلنا ومآكل حيواننا عبارة عن موادّ محرقة . فانظر لطعام جىء به لغذائنا لنبقى كيف آل الأمر فيه الى أن تنبهت فينا قوّة العقل فأصبحت (بعد أن كانت خامدة) نارا متأججة تنقب وتبحث

سبحانك اللهم . أتكون شهوة الطعام والشراب ولذة الوقاع وحب الانتقام من الأعداء هذه كلها للعلم فى الحقيقة . أليس من العجب أن دراسة طعامنا تنتهى بأن نرى (كما تقدم) أن الملح ما هو إلا الصوديوم

والكلور

والـكلور وكلاهما مادّة مهلـكة . فالصوديوم يحترق اذا تعرّض للهواء والـكلور يدخـل فى الغازات الخانقة والموادّ المهلـكة كما انه قاتل للحيوانات الذرية المهلـكة لنوع الانسان

هذا الملح وحده مثال من بقية الأغذية فى انه أرى العقول الانسانية أنه من مواد مهلـكة تزجى سحابا من الغازعلى الجيوش فتهلـكهم ، إن النفس الانسانية تدهش وتعجب من هذه العجائب فى نفوسنا ، إذ ذاك ترى عظمة لاحدّ لها وتعشق الحـكمة والعلم ويزول عنها الخول ، فتـكون دراسة هذه العجائب موقظات للنفوس ، وكأنّ هذه الدراسة تياركهربائى سلط على النفس فيز قواها كما ان (الـكهرباء) تحلل (بطريق خاص) العناصر ، وكأن الملح بانفصال كل من الـكلور والصوديوم وحده تظهرقواهما وعندالاجتماع تـكون لهما قوّة غير قوتهما الأصلية . هكذا هذا الانسان ما دام لم يعرف العلم تبقى نفسه جامدة خاملة لاشتراكها مع القوّة الغضـبية والقوّة الشهوية . فاذا اطلعت على العجائب أخـذت تتعالى وتترفع عن القوّتين الأخريين وتشمخ بأنفها وترتقى وترجع الى عالمها العالى وهوعالم الفـكر كما يرجع الصوديوم الى حاله النارية اذا وضع فى الهواء . فنار الصوديوم كانت مخبوءة فى الملح فأثارها انفصال الصوديوم من الـكلور . هكذا غريزة حبّ الاسـتطلاع وتأجج نيران النفس تظهرأتمّ ظهور متى اغترفت النفس من ينابيع الحـكمة لأنها ذاقت ومن ذاق عرف وقبل أن تذوق كانت خامدة . فجميع العامّة من سائرالأمم يأكلون الملح وأمثاله ولاتحترق أفئدتهم بحكمته وعلمه . فأما الذين أدركوا نظام الملح وأمثاله فأولئك تتأجج فى قلوبهـم نارالغرام بالحـكمة والعـلم ويقولون إذن : نحن نأكل نارا منطفئة . فالقمح والشعير والذّرة وأمثالها فيها (الجـير والمغنيسيا وحمض الـكبريتيك وحمض الفوسفور والـكلور والصوديوم والبوتاسا . وهذه كلها مواد نارية . إذن الجبار القهار قهرهذه العناصر وأخذ نارها حتى خضعت لنا وأطاعت وأتت صاغرة . هنالك يفهم معنى اسم الله القهار الجبار والمتـكبر والقابض والمذلّ والحـكم والعدل واللطيف والمقيت والواسع والحـكيم والقوىّ المتين والقادر المقتدر والمقسط والضارّ والنافع . هنالك يفهمون معنى هذه الأسماء . فهوجبار على الـكبريت والصوديوم والبوتاسيوم وقوىّ عليها ومقتدر ومذلّ فأذلها وأخضعها وأنزلها من حرارتها وجعلها منقادة حتى أكلها الانسان وجعل الضارّ بالاحراق كالصوديوم نافعا فى الأغذية بحسن اللطف فى صنعه وهومقسط عدل يجمع العنصرين بأوزان لانقص فيها ولازيادة ولولا ذلك لم تأتلف وهذه ظاهرة فى علم الـكيمياء أتم ظهور فى جميع مركباتها

كل هذه المعانى مخبوءة فى أغذيتنا . فهذه الأغذية ظاهرة لاقامة حياتنا مع ان الحياة كان يمكنها أن تقوم بغير هـذه المواد ولـكنها توقفت عليها لندرسها فلما درسناها أيقظت قوانا العاقلة وهكذا كل ماتحس به من ذلّ أوعزّ أوقوّة . كل ذلك يستدعى عملا فى مادة والعـمل فيها يستدعى دراستها ودراستها تفتح للعقل باب النبوغ والحـكمة . وهاك ايضاحا لبعض أسماء الله الحسنى فى عناصر الطبيعة أوسع مما تقدّم

قد تقدّم فى سورة البقرة وغيرها أن النبات مركب من العناصر ومايقرب منها . انظر الى العناصر الداخلة فى القمح وفى القطن وفى البرسيم مما شرحناه فى سورة البقرة وفى غيرها فانك تجد مقادير محدودة لانعيد شرحها وهذه المقادير قد حكم عليها أن لاتزيد ولاتنقص . فهنا يلبس المسلم القطن ويأكل القمح وهولايعلم أن الذى ازدرده من الطعام انما هى كلمات الله مجسمة أومعانى الأسماء مشاهدة . وأنا أقول هـذا الآن حقا لامبالغة لم خلق القطن ؟ خلق من موادّ منها الصوديوم والبوتاسيوم والجير والمغنيسيا الخ

يلبس الرجل القطن وهو يجهل مايلبس ! انه يلبس موادّ محرقة ولـكن عناية الله قد حلت بهذه المواد فاتحدت فصارت ملبسا . الصوديوم محرق وكذا البوتاسا والجير فتجلى عليها اسم (١) السلام (٢) والمؤمن (٣) والجبار (٤) والمتـكبر . فسلم المرء من نارها . فأمن من عودتها . فخضـعت القوّة المحرقة . ولايبرز هذه المعانى لمن ليس أهلا لها (٥) الخالق لأنه قدّرها (٦) البارئ لأنه أوجدها (٧) المصوّر لأنه صوّرماخلقه

(٨) الغفار لأنه ستر هذه العجائب عن الناس وغفر لهم جهلهم كما نغفر نحن للأطفال (٩) القهار قهر حمض الكبريتيك وحمض الفوسفوريك فأطفأت الحرارة وتكاملت القوى (١٠) الوهاب : لأنه لما أخضع هذه المواد واكتملت وهبهالنا (١١) الرزاق : فانتفعنا بها (١٢) الفتاح : يفتح أبواب العلم فنعرفها وأبواب الرزق لنعيش به (١٣) القابض : قبض نارها فلم يسلطها (١٤) الباسط : بسطلنا الرزق بهذا التدبير (١٥) الجامع : لهذه العناصر بهيئة نظامية بعدل لأنه (١٦) المقسط و (١٧) العدل : وبهذه المخلوقات تكاثر خزائنه الناتجة من قدرته فهو (١٨) غني و (١٩) مغنى لنا بها وهو (٢٠) مانع ضرها و (٢١) ضار و (٢٢) نافع . فالضر بوضعهافى غيرموضعها كملح الطعام اذا كثر والنفع اذا اعتدل المتعاطى لها (٢٣) الهادى : هدى الناس لعلمها واستعمالها (٢٤) النور : وهذا الاسم هوسر هذه الدنيا لأن القوم علموا أن لكل عنصر من العناصرالتى تبلغ نحو ٩٠ نورا خاصا عند احتراقه وقد قابلوا أضواءها كضوء الحديد والنحاس والذهب والفضة والصوديوم والبوتاسيوم فوجدوها تختلف اختلافا بينا فى أضوائها ثم نظروا فى أضواء الكواكب وبحثوا فيها فوجدوا مشابهة بين الأنوارالواصلة من السماء وبين الأضواء الناتجة من هذه العناصر كضوء الحديد والنحاس الخ لاسيما الخطوط المظلمة التى تتخلل تلك الأضواء . فهذه الأحوال تختلف فى العناصر عندنا وتختلف فى أضواء الكواكب الواصلة الينا . وقد وجدوا أن الأنوار الكوكبية تحتوى على أنواع من الأضواء مشابهات لأضواء العناصر عندنا فحكموا بتركيب تلك الكواكب من عناصر مثل عناصر أرضنا . وعليه يكون اسم الله تعالى (النور) هوسر الكون ولذلك سميت سورة باسم النور وقال الله سبحانه ـ الله نور السموات والأرض ـ بل ثبت فيما تقدم فى تفسير الآية أن أصل العالم نور . إذن اسم الله النور هوسر هذه الدنيا لأن عالمنا نفسه نور وثوب القطن الذى كلامنا فيه نور محمد تجلى عليه الله بأسماء أخرى آتية من صفاته فتراكم النور فلبسناه . فالثوب القشيب والثوب الخلق سيان فى أنهما نور عند العالم ولكن الجاهل لايرى إلا الظواهر فقد تجلى عليه باسمه (المميت) وعلى العالم باسمه (المحيى) وهو قادر ومقتدر بما صنع فى الثوب من صناعات مختلفة إذ خلق نساجا وخياطا وهكذا وعلمهم صنائع حتى لبسنا ثوب القطن وهو وال يلى أمر الملك ومنه هذا الثوب فقد تولاه بهذه الأعمال مع انه متعال فليست ولايته بالمشابكة بل هو متعال . هذا وبقية الأسماء ظاهرة منطبقة على هذه الدنيا بأسرها . فلاشجر ولاحجر ولاجبل ولاطير إلا وقد دخلتها صناعات وأعاجيب حولتها من حال الى حال وقد تجلى الله عليها بتجليات ظهرت لنا من مبدئها الى منتهاها

فلابس الثوب وآكل الخبز قد اشتمل عملهما على آثار أسماء الله الحسنى التى دخلت فى معانى صفاته . إذن صفات الله تعالى كأن لها أمثلة محسوسة بالبصر . فهذه أمثال مضروبة للناس . فتى أشرقت القلوب تجلت لها الأسماء فيما تشاهده فى أنفسها وفى الآفاق . وخير معوان لها العلوم الحديثة لاسيما الكيمياء والا فما هذا الجمال وماهذا الابداع . كيف يكون النور هومبدأ كل شئ ؟ كيف يكون ثوبى وخبزى نورا أونارا قد جدا وخدا . كيف يأكل الناس فى الدنيا نارا قد أخذت

بمثل هذا يفهم الناس قوله تعالى ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ وقوله تعالى هنا ـ مايفتح الله للناس من رحمة ـ الخ وبهذا يقرب لنافهم قوله تعالى ـ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ـ

(اختلاف نتائج الطعام فى أحوال الناس)

أثبت الاستاذ (مكام) بتجاربه على الفيران التى ظهر للعلماء انها تأكل اللحم والخضر كالانسان فلها شبه به من حيث التغذية فجعلها العلماء محل تجاريب الطعام . فهذا الاستاذ وهو مدرس لعلم الصحة بجامعة (جونز هبكنز) قد جعل أربع فيران فى ناحية وأربعة فى ناحية أخرى فغذى الفريق الأول بالماء والحنطة وغذى

الفريق الثانى بنفس الطعام مضافاً اليه أوراق لفت أو بنجر فكبر الفريقان وزادت أفراد الفريق الثانى فى أحجامها ضعف أقسام الفريق الأوّل ولم يحصل بينهما فرق إلا فى ذلك وهكذا صنع علماء اليابان فقد أخذوا يغذون فريقا من التلاميذ بغذاء أهل اليابان وفريقا آخر بغذاء الأمم البيضاء فزاد الفريق الثانى فى الطول بضع بوصات وهكذا فى الوزن وهكذا علماء أمريكا جربوا هذه التجارب فى التلاميذ بمدينة (باطيمور) الأمريكية فوصلوا الى ماوصل اليه علماء اليابان من النتائج ، فكانت النتيجة أن الصينيين واليابانيين والكورنيين وأهالى جاوه وغيرهم من الشعوب انما قصرت قاماتهم للاغذية التى يتعاطونها بخلاف الشعوب الطويلة القامة فان الأغذية أثرت فى أجسامها فطالت وضخمت

وفعلت هذه التجارب نفسها بواسطة (الكولونل ماكريسن) من أطباء مصلحة الصحة الهندية إذ وجد (قبائل السنح) و (الپاتان) أكبرمن (قبائل المدراسى) ونحوهم من الهند ، فوجد الأوّلين يتناولون الألبان والخضر ونحوهما واللحم ، والآخرون ليسوا كذلك ، فجرّب هذه الحال فى الفيران كالاستاذ (مكلم) فكانت النتيجة كما تقدم تماما ، وهكذا فعل هذا الفعل فى الجرذان فأطعم طائفة منها طعام فقراء العمال الانكليز وطائفة أخرى طعام اليابانيين ، فكانت الفيران التى تناولت طعام الانجليز الفقراء خشنة الجلد ميالة الى النزاع والحرب ، والفيران التى تناولت طعام اليابانيين وسكان فيلبين وجاوه صغيرة الأحجام والقامات وظهرت فيها بعض صفات هذه الشعوب

هكذا رأى العلماء أن مرض (البرى برى) يصيب ملايين من سكان الهند والشرق الأقصى على الأخص فيميت منهم نحو مائة ألف كل سنة ، وذلك بسبب أكل الارز الأبيض المقشور لأن مادّة الفيتامين لاتكون إلا فى الارز الأسمر ، فالمادة المغذية انما تكون فى قشرجبة الارز ومرض (البلاغمرا) يصيب سكان الولايات الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية وهو يفشو بين القبائل التى يقل الغذاء فيها ، وغالب طعامهم الذرة وهى لاتعطى جميع المواد المغذية فهى قاصرة ، والعين قد تصاب بغشاوة بسبب فقد الفيتامين من الطعام وهكذا يحدث مرض الجلد بسبب حذف بعض عناصر الغذاء من الطعام ، و بعض أطباء اليابانيين أحدث قرحا فى المعدة على هذه الطريقة ثم شفاها ، ومرض الكساح سببه قلة التغذية و يشفيه تناول زيت كبد الحوت وهو المعروف بزيت السمك . انتهى ملخصا من المقتطف

كل هذه العلوم عرفها الانسان بسبب أن شهوة الطعام أوجبت على الانسان تعاطى الغذاء وتعاطى الغذاء دعاه للبحث ولما بحث وجد أن اختلاف الغذاء يوجب اختلاف القامة والخلق وهكذا . إذن هذه الأغذية من أعظم المؤثرات فى هذا الانسان

﴿ الثواب والعقاب ﴾

إذن ثواب الناس وعقابهم سيكون كنتائج الأغذية فكما أن العقول البشرية لاتعترض على قصر قامة اليابانى لاقتصاره على طعام الارز ونحوه ولاترى أن هنالك ظلما فى قصور قامة اليابانى عن نظيره من أهل الشرق الأدنى والاورو بيين طوال القامات . فالنتائج لها مقدّمات ولاغبار على تلك النتائج بعد المقدّمات . إذن شهوة الطعام وغيره انما خلقت فى الانسان لتفتح عين بصيرته . فالجاهل يرى فى الطعام لذة فى حاسة الذوق ولكن العالم يرتقى للذة العقل فيقول للجهال أنتم تأكلون كما تأكل الأنعام لاتعلمون إلاماتحس به حواسكم . أما أنا فان عقلى يستلذ بادراك المعانى المخبوءة فى الأغذية والفواكه وينسى الشهوة الصغرى التى اشترك فيها الحيوان والانسان

هنالك فتحت للانسان بصيرته فماذا فعل ؟ تمادى فى الكشف والعلم فحفر الأرض واستخرج كنوزا

وسافر فى البرّ والبحر وفى الطيارات وبحث عن العوالم المخلوقة فى القطبين

فقال صاحبي : هذه شهوة البطن لاغير . فقلت : كلا . هى شهوة علمية ، والدليـل على ذلك أن الذين توجهوا للقطبين مات كثير منهم ، فهذه شهوة معرفة الحقائق أو الذكر والصيت ونحوها

نشط الانسان فى زماننا هذا نشاطا لم يعهـده ، واختلط الغرب بالشرق وظهرت الكنوز والعلوم المدفونة فالنقود والحلى والخزائن الذهبية والجواهر المخزونة ظهرت فى أقطار كثيرة وابذعرّ الناس وانتشروا فى الأرض وطاروا فى الأقطار بطياراتهم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وسار الانسان سيرا حثيثا سريعا لاسيما لما ارتقى الطيران فامتطى الانسان غارب الهواء بالطيارات والبالونات كما امتطى غارب الماء بالمراكب وامتطى صهوات الجياد فى الفلوات فسافر الناس الى القطبين فى هذه الأيام . كل ذلك سرّ مايفتح الله للناس الخ

﴿ وصف مناطق القطبين من حيث علم الفلك ﴾

تلك البلاد التى جعلها الله من أعجب العالم ، سنتها يوم واحد ، فالقطب الشمالى يبتدئ يومه من أوّل فصل الربيع وينتهى بآخر فصل الصيف وهناك يبتدئ ليله وهكذا القطب الجنوبى يبتدئ يومه فى أوّل فصل الخريف وينتهى فى آخر فصل الشتاء ثم يبتدئ نهاره وهكذا ، وصـفة الشمس هناك انها تجرى جريا رحويا أى كما تدور الرحا فهى تدور حول سكان تلك الأقطار مدّة ستة الأشهر كما يدور الثور فى الساقية والبقرة فى الطاحون ولكنها فى أثناء الدوران ترتفع شيأ فشيأ الى نحو (٢٣) درجة من السماء ثم تهبط راجعة ثم تغيب

سعى الناس فى أيامنا لكشف تلك الأقطار كأنهم قرؤا هذه الآية ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ـ وكأنهم قرؤا قوله تعالى ـ هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ـ فقوله جميعا يراد به أن لا ندر شيأ إلا بحثناه وعرفناه ، فماذا عرف الناس هناك ؟ عرفوا البترول والفحم والحديد والنحاس وغيرهما

إن احتياج الناس للطعام ومايعين عليه أدّاهم الى كشف الأقطار البعيدة بشغف علمى وقد فهموا من صنع ربهم انه خلقهم للعلم والعمل وقال لهم ما قاله طارق بن زياد « العدوّ من ورائكم والبحر أمامكم » قالها للجيش الاسلامى وهو يغزو بلاد الأندلس ، هكذا الله يقول للناس : « ذلّ الحياة من ورائكم والموت أمامكم فلابد من العمل » فشمروا عن ساعد الجدّ وكشفوا القطب وكثرت الطيارات وارتقى نوع الانسان ارتقاء نسبيا لكنهم الى الآن لم يصلوا الى عشر معشار مايقدرون عليه لأن أكثر الانسان معطل فى هذه الأرض . أكثر الناس معطلون . فكم من عقول ضاعت لعدم استعمالها فيما خلقت له وهذه الأرض قد ملئت خيرات وأهلها لايزالون أطفالا ، فهذا غزال (الرنه) التى رأيت رسم صورتها فى ﴿ سورة النور ﴾ مع غيرها يعيش فى القطب البارد ، وهكذا تلك النباتات التى تعدّ بالمئات قد حرم من الانتفاع بها الانسان وكذا الحديد والنحاس وغيرهما هناك ولم يعرفها الناس إلا فى زماننا . إذن ابتدأ الانسان الآن يتعلم

هذه بعض الآيات التى أراها الله للناس فى هـذا الزمان وهى الآيات التى عرفها الناس بسبب احتياجهم للغذاء ونحوه وهى مما فتح الله للناس من الرحمات

﴿ الآيات التى عرفها الناس فى زماننا بسبب قوّتهم الغضبية ﴾

اعلم أن الانسان كما عرف عجائب النبات وتركيبه وخواصه ومهلكاته وامتلاء الأقطار النائية به كالقطبين هكذا نراه عرف بسبب قوّته الغضبية علوما أخرى عظيمة . ذلك أنك قرأت فيما تقدّم تاريخ المسلمين بالأندلس وبالشرق ، وهكذا تقدّم أيضا تاريخ قدماء المصريين فكانت النتيجة أن الترف والنعيم يهلك الأمم ومعنى هذا أن دولة العباسيين سقطت وذهبت ريحها ومزّقت كل ممزّق بسبب نظامهم السياسى المبنى على أن الملوك هم المتصرفون فاتبعوا الشهوات وأضعفوا الأمم الاسلامية وهكذا تبعهم فى ذلك سكان الأندلس إذ تفرّقوا عشرين دولة وهم بين فكىّ الأسد فى أوروبا فقضموهم قضما والتهموهم التهاما وأكلوهم أكلا لما . ولقد

تقدّم واضحا وعرفنا سر تشتت الأمم العربيــة شرقا وغربا ورجع الأمر الى الشرّ والجهــل والترف والبطر واتخاذ النساء من أمم أخرى حتى فسدت الدولة وساء المصير

نعم نحن رأينا هذا وعرفناه . إذن فلنتب من هذا ولنستغفر الله ولنسر بسيرة غــير سيرة آبائنا الأوّلين فقد أيقنا الآن ﴿ أمرين ✫ الأمر الأوّل ﴾ ان نتائج الأغذية لاتخطئ قوّة وطولا وضعفا وقصرا هكذا نتائج الأمارة المستعبدة التابعة لأهواء الأمراء فانها مضمحلة ذاهبة ، إذن قد صدق الله وعده فانه نظم التاريخ وخلق المؤرخين فألقوا العلم الينا وأصبح العلم أمامنا والتاريخ يحدّثنا حديثا صحيحا عن آبائنا انهم وقعوا فيما أخبرهم به النبيّ ﷺ إذ قال فى الحديث الصحيح « إن أخوف ما أخاف عليكم مايفتح عليكم من زهرة الدنيا الخ » فهذا الحديث قد تمّ وظهر أن النبوّة قد أخبرت بالمستقبل وأخبر ﷺ بما وقعنا فيه الآن من الذّلة بسبب فتوح البلدان لآبائنا فاتـكلوا على ما بأيديهم ولم يتعلم الشعب كيف تستفيد الأمم من أرضها وأعمالها وذلك بعد القرون الأولى وهذا قوله تعالى ـ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لـكم كيف فعلنا بهم وضربنا لـكم الأمثال ✫ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ـ

إن هذا القول منطبق علينا الآن وأن هذا التفسير قد جمع زبدة هذه المباحث وسيكون والحمد لله لها آثار قريبة المنال هو وأمثاله إن شاء الله تعالى

فنحن معاشر المسلمين جميعا سكنا فى مساكن أمم خلت وأكثرها ظلمت أنفسها وعرفنا بالتاريخ (كالذى قرأته فيما تقدّم قريبا عن ابن خلدون وغيره) انهم كانوا مترفين ظالمين كما علمت وبعضهم من آبائنا العرب إذن هذا هو قول الله تعالى ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ ، فالآيات قسمان : آيات فى الأنفس ومنها تاريخ العرب الاسلاميين ومن عاشوا معهم من المسلمين ، وآيات فى الآفاق وهى التى عرفناها فى تحليل الغذاء الى عناصره وفى عجائب القطبين ونحوهما ، وفهمنا فهــما لاشكّ فيه أنه لافرق بين كون طعام أهــل اليابان يوجب القصر وغــيره يوجب الطول ، وبين كون الترف والتنعم فى الأمم يورث زوالها والفضائل والعدل فيها يورث بقاءها ، إذن العلوم والتاريخ الآن مضبوطات ونتائجها لاشك فيها ، إذن الله أرانا فعــلا آياته فعرفناها وأن حياة الأفراد بالأغذية نتائج تابعة لها كما ان حياة الأمم تبع لأخلاقها الفاضلة وموتها تبع لخستها وترفها والله حكيم عليم . لقد علمت يا ألله أمم ممن حولنا تاريخ الأمم فعملت به فاحترست فطالت أيامها أكثر من طول أيام دول أخرى قديمة . وهذه المباحث مما فتح الله للناس من الرحمات تفسيرا للآية

﴿ نتائج تعليم الله لنوع الانسان فى هذا الزمان ﴾

اعلم أن نتائج التعليم فى العصر الحاضر أن النوع الانسانى قد اعترته حال جديدة زحزحته عن أكثر مالديه من أحوال التعليم ، ثارت ثائرة هذا الانسان ، أخذ يسير فى الأرض وقد زلزلت زلزالها وأخرجت أثقالها ففتحت خزائنها وظهرت كنوزها وأخرجت موتاها من القبور بأجسامها لا بأرواحها وعرفوا المعادن وأنواع السوائل المخزونة فى الأرض فاستخرجوها وسارعوا الى القطبين فرأوا مالم يره السابقون وأخذوا يستنطقون الأحجار فنطقت وأخبرتهم بما حلّ بالقرون السابقة والأمم الخالية وأخذ الناس يسأل بعضهم بعضا ماذا يحلّ بآلنا بعد الآن وأخذ الناس يركبون الطيارات ، ولايمضى إلا زمن قليل حتى يركب الناس الطيارات ويكونون فى غدوّهم ورواحهم كالطيور الصافات . هنالك فقط ينتفعون بنعم هذه الأرض كما انتفعت الطيور برحلة الشتاء والصيف المذكورة فى ﴿ سورة النور ﴾ عند قوله تعالى ـ والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ـ

ستكثر الطيارات وتستعمل للأفراد ويشارك الناس الطير فى جوّ السماء فيصير هذا الجسم الثقيل الانسانى كالطيور ويجوب الأقطار ويقتحم الأسفار وهنالك تحصــل للناس حال جديدة إذ تصير جميع الناس فى عمل ويقل الـكسل والجهل ويعم التعليم . ولايعيش فى هذه المدنية المقبلة إلا المتعلمون تعلما حقيقيا . ولا يكون فى

الناس من يكون عالة على غيره إلا المرضى والأطفال . والتعليم يكون عاما بواسطة نفس الأمة . هنالك ترقى الانسانية ويكون ذلك حالا نسميها التوكل لأن التوكل حق التوكل هوأن يعمل الانسان كل ما فى طاقته ويترك الأمر فى نتيجة عمله لله عزّ وجل . هنالك يظهر لنا ﴿ معجزتان ☆ الأولى ﴾ الحديث الوارد فى الصحاح ﴿ ان الرجل يأتى بصدقة فلا يجد من يأخذها ﴾ وقد ذكر فى هذا التفسير سابقا ﴿ الثانية ﴾ هوقوله ﷺ ﴿ لوتوكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴾ فهذا تلويح الى زماننا هذا إذ يطير الناس كما تطير الطيور فى الجوّ ويجوبون الاقطار . فلايحصرون فى الأمصار كالطيور ، والطيور تجوب وتقطع مهامه لايعرفها الانسان ، وأذكرك بما تقدّم فى هذا التفسير من أن القوم يبحثون بالطيارات عن قارّة مجهولة جهة الأقطار الشمالية لأنهم رأوا الطيور ترحل اليها ، فتوكل الطيور هو أجلّ توكل لأن الطير لايتكل بعضه على بعض ، ولكن هذا الانسان لنقص نظامه تستبد طائفة منه بالثروة وتترك الباقين فيقل العلم والصناعة . فلذلك ترى هذا الانسان ناقصا نقصا فاحشا محزنا مؤلما . فاجتهاد جميع الأفراد كاجتهاد الطيور يرفع الانسانية رفعة لاحدّ لها . هنالك تزول الزكاة كما ورد فى الحديث إذ لايحتاج فان الرزق موجود فى كل مكان بل ربما كانت هناك منابع للرزق غير مانعرفه تحقق معنى الحديث . إن هذا الزمان زمان انتقال وهو بعض مايفتح الله للناس من رحماته

(١) لقد زاد الطيران بسرعة فصار (٣٠٠) ميل فى الساعة للطيارة فى الجوّ

(٢) وهذا سيجعل القفر عامرا فسكان استراليا انتقلوا فجأة بالطيارة من أوائل القرن التاسع عشر الى العشرين أى من السير على المركبات والجياد الى ركوب الطيارات إذ تمكنوا بالطيارات من قطع مسافة (٥٠٠) ميل فوق القارات التى بين مدينتى برث ودربى فى استراليا و٤٨٠ ميلا من ادليد الى ملبورن . و٥٠٠ ميل من ملبورن الى سدنى و٥٠٠ ميل من سدنى الى بريسبن

(٣) بعض المستأجرين الأراضى هناك وهو شيخ بلغ السبعين قطع مسافة (١٢٠٠) ميل فى يوم واحد وكان يقطعها قبلا فى ستة أسابيع على جواده

﴿ مصادر القوّة ﴾

يقول الاستاذ (صدى) البحاثة فى أشعة (الراديوم) وغيره من مصادر القوّة والضوء . إن مصادر القوّة التى يعتمد عليها أبناء هذا العصر قريبة الزوال

(١) لقد استخدم أهل (النروج) الضباب الصناعى لوقاية الحاصلات من الصقيع . وذلك بتغطيتها بالبخار الساخن

(٢) الاستاذ (لوسيان دانيال) ولد نباتا ينتج طماطم فوق سطح الأرض و بطاطس تحت سطحها فى (مدينة رين) بفرنسا

وقد تنبأ بعض علماء الفسيولوجيا والكيمياء بأنه يأتى يوم يتخذ الانسان غذاءه من نفس القوّة الحيوية المخبوءة فى الجوهر الفرد لأن قوّته مستمدّة من قوّة الشمس وذلك بأن يوصل بدنه بآلة كهربائية خاصة تتصل بتلك الجواهر الفردة بحال خاصة فيمتلئ جسمه بما يحييه ويغنيه وهذا رأى (المستر ولز) والعلماء اليوم كلهم يقولون : « إن كل قوّة فى الأرض انما هى من الشمس » فكل القوى فى أرضنا مستمدّة منها لذلك يولون وجوههم وهممهم نحوها

هذه أمانى العلماء فى المستقبل وهذه منتهى أبحاثهم . كل ذلك تفسير للحديث : « ترزقون كما يرزق الطير الخ » وحديث الصدقات إذ لاتجد من يأخذها . وهذا يدل على أن أرضنا ستكون فيها أيام سعادة لأجيال قادمة . هذا هو المقصود من انه ﷺ رحمة للعالمين وانه آخر الأنبياء والمرسلين

وإياك أن يصدك عن هذا أن المسلمين جهل . فهؤلاء الجهال سيثبون وثبة واحدة تهتز لها الأرض .
وهذه الوثبة ليست للحرب وإنما هي للحكمة والعلم وسيعرفون آراء الأمم ويقرؤن لأن هذا مما فتح الله من الرحمات

(١) — ﴿ رأى المسيو البرت أودن فى كتابه أصل الرجال العظام ﴾

إذ ذكر الذين اشتهروا بالأدب الفرنسي شعرا ونثرا فى خمسة القرون الماضية فأثبت أن تسعة أدباء من كل مائة أديب اشتهروا من أولئك الفقراء ، والفقراء فى فرنسا (٩٧) فى المائة ، فالطبقة الغنية القليلة هى التى أنجبت النابغين فيها فى خمسة القرون الماضية ، وطبقة الأشراف فى فرنسا وهى جزء من مائة منها أنجبت (٢٥) فى المائة من النابغين فى الأدب الفرنسى فى القرون الخمسة المذكورة ، والوضيعة لم تنجب سوى (٣) فى المائة ، وروايات الأشراف هى التى أحدثت الانقلاب فى فرنسا

(٢) ويعرف المسلمون رأى (السرفرنسس غلتن) العالم الانكليزى الذى بحث فى مدة (٢٥) سنة فوجد فى كل (٤٠٠٠) شخص من العامة ينبغ واحد فى القضاء . أما القضاة الذين هم أبناء قضاة فيكون واحد من ثمانية يشتهر بالشهرة عينها

(٣) ويعرفون أيضا رأى الاستاذ (اميرتوسافيوتى) الذى بحث فى تلاميذه بميلان فرتبهم هكذا :

(١) أبناء أصحاب المهن الحرة	٥١ر٩
(٢) أبناء الطبقة التجارية العليا	٥٠ر٨
(٣) الطبقة التجارية العادية	٤٧ر٢
(٤) الخدم	٤٤ر٤
(٥) الصناع	٤١ر٧

فقد امتحن قوة ذكائهم فوجد هذه النتيجة

(٤) ويعرفون رأى عالمين من علماء السيكولوجيا فى تلاميذ مدرسة فى بروكسل ببلاد البلجيك ولا يؤمها إلا أبناء الأغنياء فوجدا ذكاءهم يفوق المتوسط لمن فى سنهم . وقد ظهر لهما فى امتحان أولاد الأغنياء الذين لا يزيد سنهم على (٩) سنوات فى إحدى المدارس فوجدوا انهم مثل أولاد الفقراء فى العاشرة ذكاء

(٥) ويعرفون رأى (العالم السيكولوجى سيريل) إذ وضع أسئلة فوجد الأولاد الذين يعيشون فى أزقة (لفربول) القذرة يستغرقون (١٢٣) ثانية فى الاجابة وأبناء التجار يستغرقون (٩١) ثانية وأبناء الأساتذة والمطارنة (٧٤) ثانية

(٦) ويعرفون رأى الاستاذ (لوس ترمن) الأمريكى إذ يقول : « إن التفوق فى الذكاء يزيد (٥) أضعاف فى أبناء الطبقة العالية والاجتماعية عن أبناء الطبقة الواطئة

(٧) ويعرفون رأى الدكتور هفالك الس الفيلسوف الانكليزى إذ بحث (١٠٣٠) نابغة من الانجليز رجالا ونساء سنة ١٩٠٤ فكانوا على هذه الصفة

الطبقة العالية	١٨ر٥	الجيش والأسطول	٦ر١
رجال الكنيسة	١٦ر٧	صغار الموظفين	٣ر٢
رجال القانون	٧ر١	التجار	١٨ر٨
رجال الطب	٣ر٦	الصناع	٩ر٢
المهن المختلفة	٧ر٦	الفلاحون	٦ر٠

(٨) ويعرفون رأى الدكتور (كاتل) رئيس « مجمع تقدم العلوم الأمريكى » إذ جمع سير (٩٥٠٠) رجل من رجال أمريكا المتفوقين فى العلم فوجد أن أصحاب المهن يبلغون (٣٨) فى المائة من المجموع وقد

أنجبوا (١ر٤٣) فى المائة من النابغين و (١ر٤١) فى المائة من المجموع يشتغلون بالزراعة أنجبوا (٢ر٢١) من النابغين و (١ر ٣٤) من المائة من المجموع هم أهل الصناعة والتجارة أنجبوا (٧ر٣٥) فى المائة من النابغين ، إذن ثلاثة فى المائة من سكان أمريكا وهم أصحاب المهن الحرّة أنجبوا نصف علمائها

(٩) ويعرفون رأى الدكتور (ادوين لفت كلارك) إذ بحث فى أصل ٦٦٦ رجلا من رجال الكتابة والتأليف فوجد أن أصحاب المهن الحرّة أنجبوا (٢ر٤٩) فى المائة من الرجال الذين تناولهم البحث والمشتغلون بالتجارة أنجبوا ٧ر٢٢ والمشتغلون بالزراعة أنجبوا ٩ر٢٠ وغيرهم ٢ر٨ .

(١٠) وسيعرفون رأى الدكتور (كلارك) إذ يقول : « الفقر لا يخلق النبوغ ولا الغنى ولكن الغنى يساعد وهو أكبر معوان على اظهاره » والمستقبل يقول : « إن النبوغ لا يكون لغير المتعلم » والله أعلم

هذه آراء عشرة من رجال العلم فى الأمم المختلفة المحيطة بنا ، أثبتوا أن القضية المشهورة عندنا معاشر المسلمين أن الفقر يدفع الى النبوغ قضية خاطئة ، نعم إن ذلك دافع للعمل ولكن يحتاج لمساعدة المال . وبعد هذا سيعلم المسلمون علما ليس بالظنّ أن ماهم عليه من سوء الحال ناجم من جهلهم بنظام ربهم إذ حرم على هذا الانسان أن يرقى إلا متحدا والمسلمون منع عنهم الرقىّ ، إن كل امرئ منهم لا يريد إلا نفسه أوأقاربه وهذا جهل محض ، فالله يقول — اهدنا الصراط — ويقول — إياك نعبد وإياك نستعين — فلست أستعين بالله وحدى ولا أعبد وحدى ، والمسلم يقول فى الصلاة أيضا ﴿ السلام عليك أيها النبىّ ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فهو يسلم على الأمّة مرتين فى ضمن الصلاة على نبينا ﷺ لأنه رمز لها كلها فالمسلم عليه مسلم على الأمّة ضمنا لاتحاده معها ، والمصلى عليه مصل عليها معه ، فهو يطلب من الله رحمته وهى ظلّ له فكأنه طلب لها الرحمة معه . إذن الصلاة فى معناها رمز للوحدة العامّة الاسلامية ، فعلى قادة الأمم الاسلامية أن يجعلوا التعليم عاما ، وأن يبذلوا للصبيان كل مايحتاجون اليه بحيث يكون أبناء الفقراء فى ذلك كأبناء الأغنياء تقريبا وهناك يظهر النبوغ وترتقى بلاد الاسلام

فلما سمع صاحبى ذلك قال : إن هذا الموضوع جميل ولكن أراك أدخلت معنى قوله تعالى — اذا زلزلت الأرض زلزالها — فى ضمن هذا المقال ، هل تريد بهذا القول أن قوله تعالى — اذا زلزلت الأرض زلزالها — يرجع الى هذه الحركة العامة ؟ هل هذه زلزلة ؟ وهل اخراج الأرض أثقالها هو مانراه من علوم الآثار الخ وهل قراءة أخبار الأمم على أحجارها مثلا مثل القوانين التى كتبها حورابى

كل ذلك تفسير للآية ، وهل أعمال الناس فى الكشف الحديث والجدّ فى العمل يرجع لقوله — أشتاتا — وهل قوله — ليروا أعمالهم — معناه أن كل امرئ يعمل ويعطى الرزق غالبا من عمله ولا يتكل إلا على ربه وأن عمله له سواء أكان قليلا أو كثيرا . قلت : هل أخذت هذا من كلامى ؟ قال نعم . قلت : اعلم أن السورة واردة فى القيامة ولكنها منطبقة انطباقا تاما على أحوال عصرنا فلما أن نقول هذا كناية ؟ ولاجرم أن الكناية تشمل المعنيين معا : المعنى الأخروى ، والمعنى الدنيوى ، وما الآخرة إلا صدى الدنيا والأمر سهل فى هذا . واذا كان العذاب فى الآخرة فهو فى الدنيا ، وقد قرّرنا هذا فى مواضع كثيرة من هذا التفسير

يقول الله فى أوّل ﴿ سورة فاطر ﴾ — يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها — ثم ظهر أن هذا العصر هو عصر الخروج . فاستبان للناس أن الفرنجة قد استخرجوا من بلاد اليمن أخبارا كثيرة من أحجارها التى رسموها وهكذا أتى بنفس هذه الجملة فى أوّل ﴿ سورة الحديد ﴾ للاشارة الى أن معدن الحديد مما يخرج من الأرض . فاذا قيل ان الأرض زلزلت وكان المعنى أن ذلك يوم القيامة فليس هناك مانع أن يكون رمزا لحال العالم الآن من الحركة العلمية والحربية التى زلزلت لها الأرض زلزلة بالحرب والأعمال العظيمة . وهاهى ذه الكنوز العلمية والعملية قد أخرجت . وهاهم أولاء الناس شرقا وغربا يتساءلون قائلين : الى أين نحن سائرون

ولا مجيب

ولاعجيب ! ولكن الجواب ظاهرفى الآية . ذلك أن كل امرئ سيقوم بعمله الخاص ويكون الناس كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا . فهاهى ذه الطيارات أخذت ترتقى ، وفى هذا اليوم وهو ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩ م بقيت الطيارات الأمريكية ستة أيام فى الجو ولم تنزل من خلالها على الأرض ، ومعنى هذا أن الطيران سيرتقى ويعم قريبا ويكون للناس شأن آخر فتعمر الأرض التى لازرع فيها وتقوم حكومات توزع الأرض التى لامالك لها على العاطلين من الأمم ، وهناك يتكل الناس على ربهم فلاتحارب بينهم ، وأيضا لايأكل القوى مال الضعيف ولايدخر الناس مالا بل تكون الأرض كلها أشبه بدار واحدة لأسرة واحدة . وهذه الطيارات مقدمة لذلك العمل وبها يصبح الناس كالطير وذلك من عجائب النبوة ومدهشاتها ، وهذا المقام واضح فى كتابى ﴿ أين الانسان ﴾ والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ آيتان فى الكشف الحديث ﴾

(الآية الأولى . كشف الحيوانات الذرية)

من آيات الله التى ظهرت بعد ذلك كشف الحيوانات الذرية (المكروبات) . وقد تقدم فى سورة ابراهيم ذكر كشف علوم كثيرة فى تفسير قوله تعالى ــ وذكرهم بأيام الله ــ ذكرتها فى بيان تذكيرى للمسلمين بأيام الله

أنا أكتب هذا اليوم أعنى يوم ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٢٨ فأقول : « إن الناس قبل ٢٥٠ سنة لم يكونوا يعلمون شيأ عن الحيوان فاتفق أن رجلا اسمه (ليونهوك) من دلفت بهولنده لايعرف علما من العلوم ولالغة من اللغات الأجنبية ، قد جعل أوقات فراغه فى صنع العدسات إذ سمع أن الانسان اذا صنع عدسة كبيرة من الزجاج يقدر أن يرى بها الأشياء ، فأخذ يطحن الزجاج ويصبه ليخرج العدسة المطلوبة وبقى فى هذه التسلية عشرين سنة فصنع مئات ومئات منها لتحسينها حتى استطاع أن يصنع عدسة نقية مضبوطة ولكنها لدقتها أمكنه أن يرى منها الأشياء الصغيرة فى أحجام كبيرة على غاية الوضوح فأخذ ينظر كل شئ بها مثل الشعر والنسيج وقطع من الجلد وزبان النحل ورؤس الذباب فكان ذلك تفكهة له وسرورا لما فى ذلك من الغرابة والسرور والبهجة . واستمر يفعل ذلك الى أن اتفق له ذات يوم أن يكون أول كاشف لأعجب وأعظم العلوم الطبيعية وهو ذلك العالم الكبير الذى لايحصى عدده ولايعرف أمده

(الآية الثانية)

﴿ حيوانات شتى فى الماء الصافى ﴾

ذلك انه وضع نقطة من الماء النقى تحت العدسة فلما نظرها أخذته الدهشة فسمعته ابنته وهو يناديها « تعالى أسرعى ، تعالى انظرى الحيوانات الصغيرة فى الماء الذى نشربه ، انها تعوم ، هاهى ذه تجرى وتلعب ويجرى بعضها وراء بعض ، ما أعجبها ، انها أصغر بآلاف المرات من أى حيوان نراه بالعين المجردة . انظرى انظرى هذه الحيوانات التى أكتشفها »

فبهذا الكشف انتقل من حال الى حال وعرفه الناس وعظم قدره وظل يجاهد طول حياته ، وأحدث بهذه المعلومات ضجة كبيرة ، ولقد قيض الله بعد وفاته لهذا العلم قسيسا ايطاليا اسمه (سبالانزانى) فزاد هذا العلم درجته وتقدم به خطوة إذ برهن أن هذه المخلوقات ليست توجد هكذا بغتة بل هى تتناسل كما يتناسل الحيوان المعروف . انتهى الكلام على الفصل الأول فيما فتح الله به على الناس باستخراج ما فى العناصر الأرضية والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فيما فتح الله به على الناس بكشف خيرات كانت خافية عليهم فظهرت لهم)

نذكر فى هذا الفصل إحدى عشر موضوعاً وفيما يلى بيانها :

﴿ أولا ﴾ ثروة القطب الشمالى

﴿ ثانيا ﴾ أرض كشفت فى دائرة القطب الجنوبى

﴿ ثالثا ﴾ ماذا كله من نور الشمس ونتداوى به ؟ والكلام على المنسوجات الكيمائية

﴿ رابعا ﴾ أعجوبة مدهشة فى البناء

﴿ خامسا ﴾ مانستخرجه من الألماس

﴿ سادسا ﴾ من أحدث الاختراعات وعجائب العلم الجليد السخن وصنع الورق من حطب الذرة

﴿ سابعا ﴾ الغاز الطبيعى

﴿ ثامنا ﴾ ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس . وساعة تشتغل بنفسها أمدا طويلا

﴿ تاسعا ﴾ عجائب العلم الحديث القسع

﴿ عاشرا ﴾ أغرب غرائب أمريكا

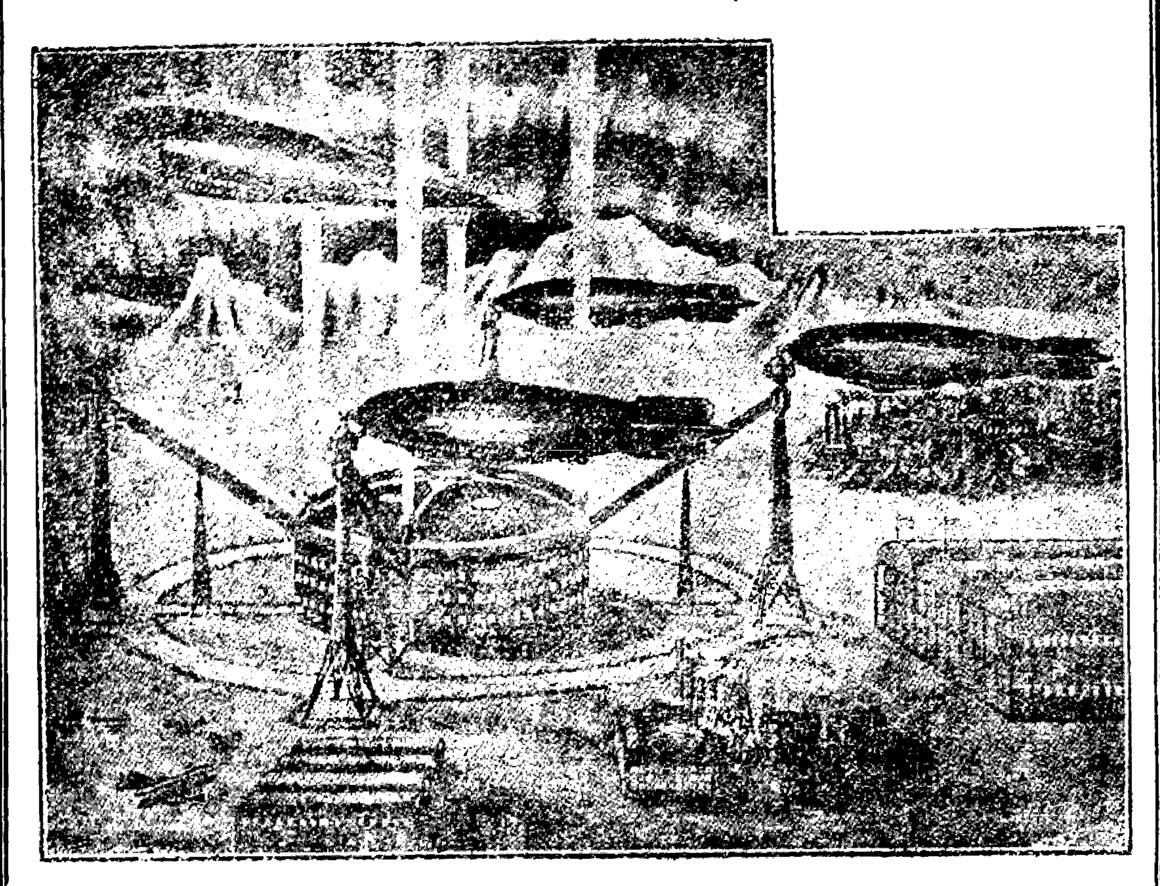
﴿ حادى عشر ﴾ الأطفال ذووالعقول الجبابرة

أولا ـ ﴿ ثروة القطب الشمالى ﴾

جاء فى جريدة كوكب الشرق بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ م مانصه :

يقول المكتشف ستفانسون « إن فى القطب الشمالى مناجم من الفحم والبترول والحديد والنحاس . واذا كانت هذه المناجم لم تكتشف وتستغل للآن فان علاماتها كلها واضحة . اما النباتات فكثيرة وخصوصا تلك الغابات المؤلفة من الاشجار المخروطة . وفى القطب الشمالى من النباتات المزهرة ٧٦٢ نباتا وأقدر أنواع الحيوان التى تستطيع المعيشة فى برودة القطب هو الرنة الغزال المعروف . وتقدر مصلحة الزراعة فى الولايات المتحدة ان فى الاسكا وحدها من الاعشاب مايكفى أربعة ملايين رنة . و يعيش فى القطب غزال المسك و يمكن تدجينه بسهولة ، وستجعل الطيارات للقطب الشمالى مركزا عظيما تحط فيه وتقلع منه فى اسفارها بين أوروبا وأميركا وآسيا » انتهى . وسترى فى الرسم التالى مايحقق ذلك (انظر شكل ١) فى الصفحة التالية

(القطب الشمالى ملتقى الخطوط الهوائية)



(شكل ١ ـ رسم محطة الطيارات والبلونات فى القطب الشمالى كما تخيلها أحد المهندسين)

ثانيا ـ ﴿ الأرض فى دائرة القطب الجنوبي ﴾

جاء فى جريدة المقطم بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٩ م

مات أشهر رواد القطب الجنوبى فقضى امندصن الغروجى وسكوت الانكليزى وغيرهما من أولئك الابطال الذين ازدروا المخاطر وتجشموا أعظم المشاق لشق الحجاب الذى كان يحجب دائرة القطب الجنوبى عن عيون البشر فكان لهم ما أرادوا . ولو عاشوا إلى اليوم لأبصروا دول العالم تتسابق لامتلاك تلك القارة التى كانوا يعتقدون بوجودها ولو انها لم تكن الغرض الأكبر والأول من رحلاتهم . فقد وصفت التلغرافات الخصوصية والتلغرافات العمومية أمس ماهو واقع من المنافسة بين الاميركيين والبريطانيين والاستراليين على رفع الرايات على بلدان هذه القارة القطبية الذى تقول بعثة بيرد الاميركية انها اكتشفت منها بالطيارات مامساحته أربعون ألف ميل مربع . وقد سبق أن عينت حكومة استراليا بعثات برئاسة المسترموسون . هذا الذى ورد ذكره فى التلغرافات أمس للايغال فى دائرة القطب الجنوبى ودرس طبيعة أرضها وبحارها وجوها لما لذلك كله من العلاقة الجوية بالبلدان التى تتلوها شمالا ولما يرجى أن يجنى منها من الفوائد المادية كصيد الحيتان واستخراج بعض المواد . فهل تصير تلك الجهات مسكنا للبشر متى غصت الأرض بسكانها ولم يعد فى القارات المجهولة مجال لخلق جديد . هـذا ما يحتمل أن يكون إلا اذا مكن العلم البشر قبـل ذلك من التماس مقام لهم فى العوالم الأخرى المجاورة لعالمهم كالمريخ من السيارات اهـ

ثالثا ـ كيف نأكل نور الشمس و نتداوى به ؟ والكلام على المنسوجات الكيمائية

ظهر فى حوانيت البدالين الامريكيين منذ بضعة أسابيع غذاء جديد للفطور من القطانى (١) (مشبع بضوء الشمس الصناعى الذى ينبعث من مصابيح كهربائية قوية) فكان هذا الغذاء أول مادة صحية مشمسة تشميسا صناعيا عرضت فى الاسواق . وسوف تعقبها أنواع شتى على ممر الزمن . و يعتبر الغذاء المتقدم ذكره باكورة ثمار الاستنباط العلمى الذى استنبطه الاستاذ هارى ستينبوك من أساتذة مدرسة و يسكونزين الجامعة بامريكا (متوخيا به وقاية الانسان من فتك الامراض . وقد كان فى وسع المخترع استثماره بطريقته العلمية هذه فتدر عليه الملايين من الجنيهات بيد أنه استصوب ألا يضن بها على الخلق ، فنزل عنها مدفوعا بعوامل الشفقة على الانسانية المعذبة بالأوصاب . وماعتم ذلك العالم أن أماط اللثام عن استنباطه هذ المدهش . وفحواه «أن الغذاء المشبع بضياء الشمس خير واق من الكساح (داء العظام الرهيب) وانه يرجو نجعه أيضا فى منع التدرن وفقر الدم» حتى خشى عاقبة وقوف التجار ولاسيما من لاخلاق لهم على كنه اختراعه فيتخذونه ذريعة لابتزاز المال من خلق الله) فهرع الى معمله الخاص بالتحليل الكيماوى فحطم ما كان يحويه من المصابيح الشمسية القوية وأعاد الفئران البيضاء التى أتاحت له اختراعه الجليل . الى أقفاصها . ثم عمد الى ديوان تسجيل المخترعات طالبا إعطاءه رخصة باختراعه ليحتكره . ولما أن ظفر بأربه ذاك ، نزل عن اختراعه العظيم المشار اليه ورخصته أيضا وكل مايتعلق به لجامعة و يسكونزين . وعلم كبار صناع الاغذية بالاختراع المتقدم ذكره فقصدوا الى العلامة ستينبوك مستوضحين . فلم يسعه الا الايعاز اليهم بالتوجه الى أمناء الجامعة السابقة الذكر ليتلقوا منهم الاجابة عما يبغون . وهناك علم وفد التجار بانه لايحظر عليهم الانتفاع باختراع التشميس الصناعى السالف الذكر . بشرط ألا يزيدوا أثمان المأكولات عما هى عليه ، من أجله (فقبلت هذه الشروط طائفة من الشركات المشهورة ومنها شركة كبيرة تدفع الآن سنويا عشرة آلاف جنيه لأمين صندوق الجامعة فى مقابلة الاباحة لها بالمتاجرة بالمواد الغذائية المشمسة بالطرق الصناعية . وكل مااستغلته الجامعة حتى الآن من الاختراع الذى نحن بصدده هى «القطانى المشمسة» التى يعرضها التجار المشار اليهم للبيع وسيعقبها باقى الغلات فى القريب العاجل . هذا ولابد من ادراك العلماء ذات يوم كنه تأثيرضياء الشمس ولاسيما الأشعة التى فوق البنفسجى . التى يولدها الدكتور ستينبوك وغيره من العلماء بالطرق الصناعية أى بالمصابيح الشمسية . فى حياة الجنس البشرى .

وكان أهالى بلاد بيرو القدماء وطوائف الزور واستربن القديمة وخلفاؤهم عبدة النار فى الهند وغيرها من القبائل القديمة والشيع الدينية تعتقد اعتقادا راسخا (بأن الشمس مصدر الحياة) فأيدت المباحث الحديثة تلك الاعتقادات الدينية العتيقة . وطالما أطلقنا اسم (اللفح الصحى) على تلويح البشرة من التعرض للشمس وما علمنا الا من عهد حديث أن ذلك نتيجة تأثير الاشعة الخفية التى فوق البنفسجى . فى الجلد (ثم تحققنا كون هذه الاشعة تمد الجسم بخاصيات منعشة) أطلق عليها اسم (فيتامين) واننا اذالم ندخل هذا الفيتامين فى أجسامنا مع طعامنا ونحصل عليه فى أبداننا من طريق الجلد ما استطعنا التمتع بسلامة الصحة ولا هناءة المعيشة زمنا طويلا . والنساء أسبق من الرجال الى تطبيق هذا الرأى العلمى على حياتهن (كما أثبت ذلك الدكتور (افرايم ملفورد) رئيس الجامعة الطبية فى نيوجرسى) أمام مجمع الأطباء من عهد حديث . ولايخفى أنهن أطول أعمارا من الرجال وأشد مقاومة للامراض وألين عطفة تجاه الاجتهاد . و يعزو الدكتور ملفورد

(١) القطانى (بفتح القاف وتشديد الياء) الحبوب التى تطبخ وذلك مثل العدس والفول واللوبيا والحمص والارز والسمسم

السبب

السبب الى الازياء الحديثة (المودة) التي تحتم على النساء لبس ملابس أقصر من اللازم وأقل من الواجب (وهن بذلك يعرضن انفسهن للاشعة التي فوق البنفسجي) بينما الرجال مازالو مصرين على تغطية أبدانهم من قمة الرأس الى أخمص القدم بالثياب الصفيقة القاتمة (يقول المؤلف هذا رأى وللدين موقف آخر)

اذن يخلص مما تقدم (أنه كلما اشتد بياض اللباس وتضاعفت مسام نسيجه، سهل اختراق الأشعة التي فوق البنفسجي اياه كما أثبتت ذلك مباحث مصلحة المقاييس في الولايات المتحدة بأمريكا. أما المنسوجات المصبوغة والتي اصفر لونها قليلا لقدمها فانها تكاد تمنع اختراق الأشعة للجلد منعا باتا. ومما جاء في هذا الموضوع في تقرير قدمه الدكتور (سيل هاريس) من أطباء مدينة برمنجهام في ولاية مدينة ألاباما بامريكا الى المجمع الطبي الأمريكي قوله. اننا نحفر قبورنا بأسناننا بنبذنا الأطعمة المحتوية على الفيتامين، وباقبالنا على الأغذية المكونة من السكر والنشاء. اذ كل مايعترى الانسان من ضعف مقاومة الأمراض المعدية التي تصيب الانف والزور والمعدة والامعاء انما ينجم عن التغذى بخبز مصنوع من الدقيق الناصع البياض، والبطاطس البيضاء والارز المبيض واللحوم الهزيلة والقهوة المشبعة بالسكر، والنقل المحلى بالسكر، والمشروبات الحلوة «والمربات ونحوها» وقدعزا زيادة أمراض المعدة الى كثرة استهلاك السكر والاطعمة الحلوة فقال. كان الفرد في الولايات المتحدة مثلا منذ خمسين سنة يستهلك في السنة ٣٦ رطلا من السكر فأصبح معدل مقطوعيته الآن مائة رطل وستة أرطال في السنة. وما الاصابة بالنوازل والتهاب الرئة والتدرن والتهاب الزائدة الدودية وقرح المعدة وداء الصفراء الانتيجة انعدام الفيتامين في غذاء الأشخاص الملازمين للحياة الجلوسية في امريكا وغيرها فاذا استطاع المرء أكل طعامه نيئا، هان عليه الحصول على مايعوزه من الفيتامين (لان الآلة البشرية يتسنى لها أداء وظائفها على خير مايرام اذا اقتصر الشخص على أكل مايصيده أو يحصل عليه بعرق الجبين) لأن ذلك يقتضى اجهاد العضلات وتعرضها لضياء الشمس كى تحصل على الغذاء المشبع بالفيتامين لتعرضه هو أيضا لضوء الشمس.

واذا كان أسلوب الحياة هذا لايتفق ومدنيتنا الصناعية الحاضرة، فجدير بنا الاكثار من أكل المواد الدهنية والجوز والأثمار والخضراوات ولبس أخف مانطيقه من الثياب، والمشى في ضياء الشمس بقدر ماتسمح به حالنا ثم الوثوق بحسن المصير

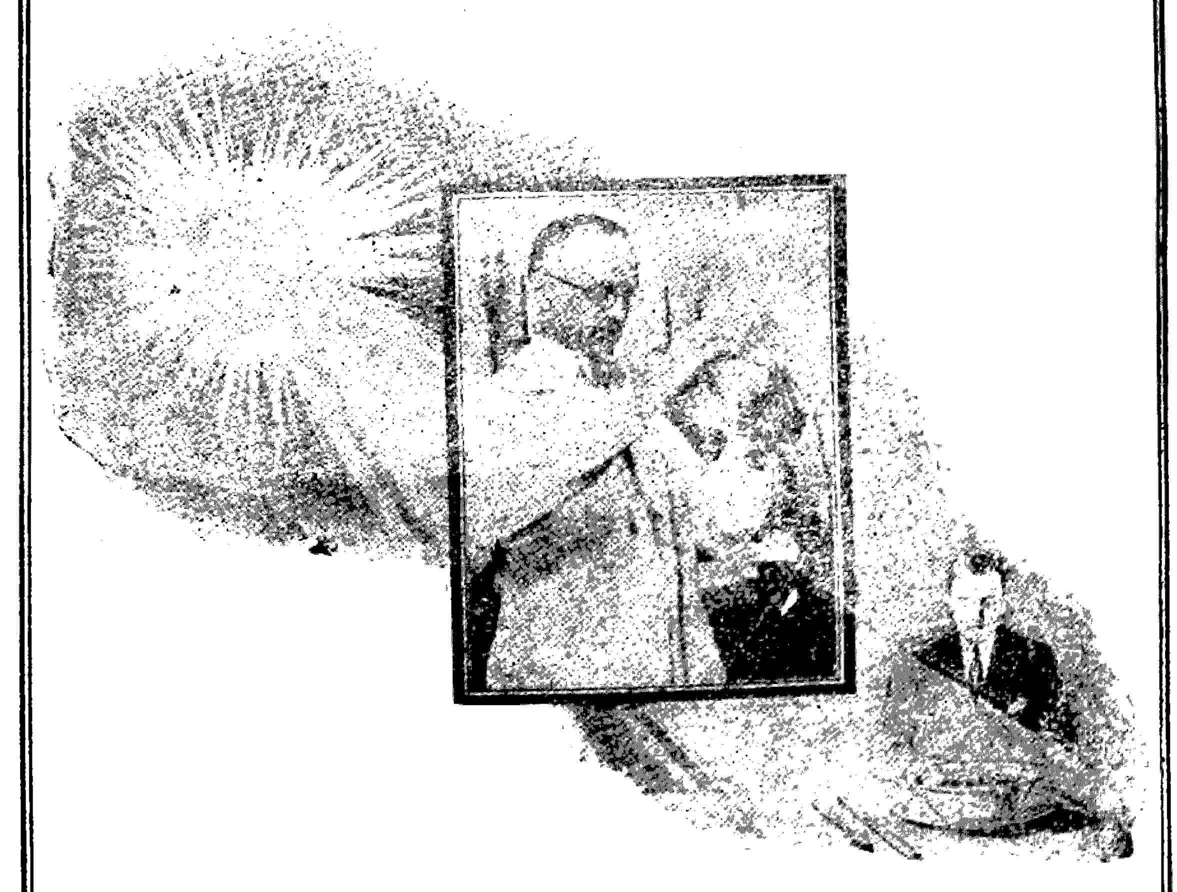
و بينما كان الاستاذ «ستينبوك» يغذى الفئران البيضاء بالحبوب في معمله الكيماوى المظلم كان زملاؤه من العلماء في امريكا وأوروبا يجربون حصر ضوء الشمس في قنانى لانتفاع الملا به فقد جاءت الانباء من معامل التحليل الكيماوى في انكلترا وألمانيا بأنه قد استنبطت مادة اذا عرضت لضوء الشمس أو للضوء الذى فوق البنفسجى أصبحت دواء ناجعا يفوق زيت كبد الحوت «الباكالاه» المعروف باسم زيت السمك (ألوفا من المرات) ويقال ان كل ست أواق منها تعادل طنا من زيت السمك من جهة الفائدة العلاجية. وقد سماها العلماء «ارجوستيرول» وهى تتركب من الخميرة وتشبع بضوء الشمس. وتوجد منها مقادير ضئيلة في بدن كل جسم صحيح. فاذا انعدمت من أى جسم أمكن تجديدها بحقنة دقيقة من الارجوستيرول «لايمكن قياسها لصغرها». و بلغ من شدة مفعول هاتيك المادة أن الحقنة الواحدة منها اذا زادت على المتوسط بضع حبات أعقبت الموت الزؤام أشد من الزرنيخ. أما طريقة الاهتداء الى المادة السحرية المتقدم وصفها، فأمر طريف بدأ بتجارب باشرها العلماء قصد تحسين طعم زيت السمك لكيلا يعقيه [1] من يوصف له ليستطبه. وقد أسفرت التجارب الأولى التى تحرى بها العلماء تحسين طعم ذلك الزيت بتنقيته مما يشوبه من الشوائب، من ضياع فائدته الطبية. فكانت هذه النتيجة أول دليل على أن رواسب زيت السمك هى العنصر الشافى الفعال فيه. وقد واصل الاستاذ «جورج بارجر» المدرس بجامعة ادنبره البحث في هذا الموضوع فاستدل

(١) عقى الأمر: كرهه

أن الفائدة الطبية لزيت السمك كلها محصورة فى مادة الارجوستيرول . وهذه توجد كثفل فى المواد الدهنية .

ثم حـذا حذوة الدكتور «أدلف وندوس» الخبير الألمانى بجامعة جوتينجن فأثبت أنه بتعريض مادة الارجستيرول لضياء الشمس أو للنور الذى ينبعث من مصابيح الأشعة التى فوق البنفسجى ، يمكن استغلال مادة ذات قوة شافية مثل قوة زيت كبد السمك (القد) سهلة الهضم جدا حتى على أضعف معدة . وقد نال الدكتور أدولف من أجل هذا الاستنباط جائزة نوبل فى الكيميا لسنة ١٩٢٨ وقيمتها أكثر من ٨٠٠٠ جنيه

ويستفاد مما تقدم أن فائدة زيت السمك فى العلاج متوقفة على رواسبه المشار اليها ومصدر قوتها (الرواسب) ضوء الشمس الذى يرشح من الماء الى السمك العائم فى البحار ، فاذا مامس ضوء الشمس مادة الارجوستيرول حولها الى فيتامين من الطبقة الرابعة وهو الفيتامين الدالى (نسبة الى حرف الدال فى الأبجدية) ونعنى بها عنصرا من العناصر الخفية الضرورية فى الغذاء التى يعتقد العلماء الآن أن فوائدها الصحية إنما هى امتصاصها ضوء الشمس وادخارها إياه ، والفيتامين الدالى هـذا هو النوع الشافى للكساح ويتولد فى الجسم البشرى بطريقة عجيبة لم يوفق العلماء للوقوف على حقيقتها الا من زمن قريب وتبيان ذلك : أن مادة الارجستيرول المدخرة فى الجسم البشرى تتطرق منه الى البشرة حيث تتشمس بضوء الشمس ويمتصها الجسم ثانية مشفوعة بالفيتامين المنعش . وبما أنها تساعد فى هـذه العملية . يشير الأطباء بالاحتراس عند التشمس بضوء الشمس الصناعى المتولد من المصابيح . هذا ماجاء فى مجلة مصر الحديثة والله أعلم . (انظر شكل ٢) و (شكل ٣)



(شكل ٢ – الاستاذ هارى ستينبوك من أساتذة جامعة ويسكونزين الذى كشف حقيقة كون الغذاء المشمس بضياء الشمس يساعد على منع الادواء ، والذى أسدى الى الجنس البشرى حبو باغذائية صحيحة)

شكل

رابعا ـ ﴿ أعجوبة مدهشة فى فن البناء ﴾

(كنيسة تنقل بذاتها من مكان الى آخر)

جاء فى « مجلة الجديد » مانصه : ﴿ كثيرا ما يقال أن أمريكا بلاد العجائب وانها فى هذه الحادثة بالذات تعمل أعجب ماعرفناه عنها ، فقد نقلت الأخبار الأخيرة أن بعض كبار المهندسين فى الولايات المتحدة نجحوا نجاحا مدهشا فى نقل كنيسة السيدة العذراء بشيكاغو من مكانها الى مكان آخر وهى التى ترى فى هذه الصورة (انظر شكل ٤) فقد نقلت بذاتها من أحد جانبى الطريق الى الجانب الآخر ، وهذه هى أوّل مرة يستطيع الأمريكان فيها أن ينقلوا بناء كبيرا بهذه الضخامة لأن ما حصل قبل ذلك لم يكن إلا فى أبنية صغيرة ، وقد استخدم فى نقلها أربع ونشات كبيرة ومائتا رجل وخمسمائة ألف قدم من أسلاك الصلب السميكة وثلاثة آلاف عجلة وأربعة آلاف آلة رافعة وخمسمائة ألف قدم من الخشب ، وبديهى أن هذه الأعجوبة الهندسية العظيمة قوبلت بمزيد الدهش فى جميع أنحاء العالم ﴾ انظر صورتها



(شكل ٤ ـ رسم كنيسة تنقل بذاتها من مكانها الى مكان آخر)

خامسا ـ ﴿ الكلام على استخراج الألماس ﴾

جاء فى مجلة « اللطائف المصوّرة » مانصه : « اشتهرت مدينة (امستردام) فى هولندا بتخصص أهلها فى فنّ تنظيف الألماس وتنقيته فان معظم مايستخرج من هذا المعدن الثمين فى ولايات افريقيا الجنوبية يرسل بالحالة التى استخرج فيها الى مدينة امستردام هذه حيث يقوم الأخصائيون هناك بعملية تنظيفه وتنقيته واختيار الصالح منه ووزنه ثم يعيدونه الى أصحابه نظيفا نقيا ، وفى امستردام معامل عديدة يشتغل فيها ألوف من الكيماويين والصياغ وتعدّ منبع ثروة البلاد ، والألماس عند وصوله الى المعامل ينظف من التراب والمعادن الأخرى التى تكون قد اصقت به وذلك بواسطة آلات أعدّت لهذا الغرض . ثم يشتغل أناس من الاخصائيين بفرز ماتنظفه الآلات فتوضع القطع النقية الى جهة والتى فيها عطب أوتشوب نقاوتها شائبة الى جهة أخرى . و بعد ذلك يعمد فوج آخر من الأخصائيين الى وزن هذه القطع جميعها بدقة فائقة نظرا الى قيمة الألماس وعلوّ ثمنه . والأشكال الثلاثة الآتية (شكل ٥) و (شكل ٦) و (٧) تمثل الأدوار الثلاثة المهمة التى يمرّ بها الألماس قبل وصوله الى التجار والمشترين وهذه صورتهم فى الصفحات التالية



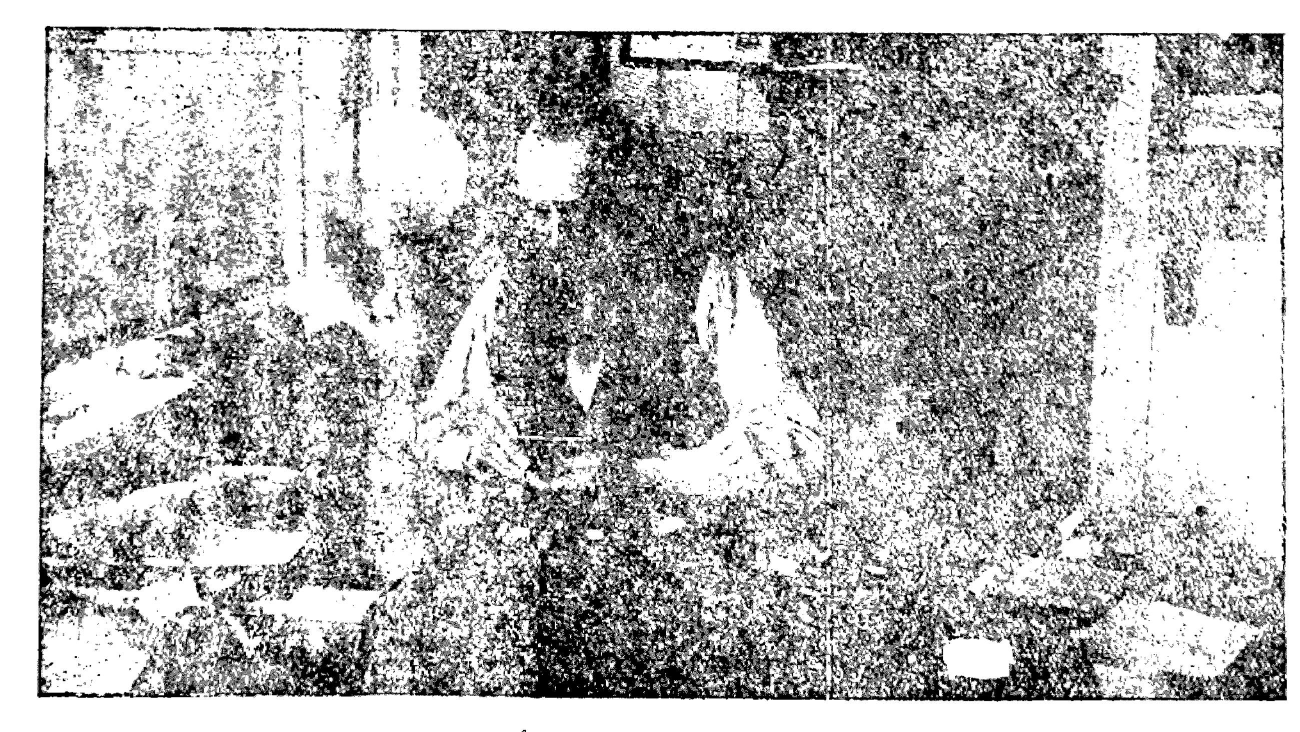
تنظيف الألماس

(شكل ٥ ـ منظر عام للآلات التى يجلس اليها العمال المنوط بهم تنظيف الألماس من الأتربة والمعادن الغريبة . والآلات لاتقوم بالعمل كله بل إن العامل يستعمل يديه وحدّة نظره . ويرى فى الصورة أحد المفتشين الذين يسهرون على العمل ويراقبون العمال)



(فرز الألماس)

(شكل ٦ ـ عملية قطع الألماس واختيار الصالح منها من الطالح . ويقوم بهذه العملية رجل لايستخدم إلا يديه وملقطا صغيرا يتناول به القطع الواحدة بعد الأخرى)



(شكل ٧ ــ منظر الاختصاصى الذى عهد اليه بوزن قطع الألماس بعدتنظيفها وفرزها . وعمله
هذا أدقّ من الأعمال الأخرى إذ ان على نتيجته يتوقف تحديد ثمن الألماس وعرضه للبيع)

سادسا - « من أحدث الاختراعات والفوائد العلمية »

(وعجائب العلم . الجليد السخن وصنع الورق من ورق الذره)

استنبط الاستاذ (برسى) و (بردجمان) أحد معلمى مدرسة هارفرد الجامعة بأمريكا جهازا يستطيع به احداث ضغط صناعى يقدر بـ ٦٠٠٠٠٠ رطل على مامساحته بوصة مربعة واحدة ، وتسهيلا لادراك كنه هذا الضغط الذى يعتبر أشدّ ضغط أدركه المخترعون حتى الآن نقول انه يعادل فى الوقت نفسه ضغط الماء فى قعر المحيط على عمق ٢٥٠ ميلا ، ثم ان ضغط صرح من الصروح الفولاذية فى (نيو يورك) التى أطلق عليها اسم (ناطحات السحاب) لعظم ارتفاعها وثقلها لايعادل بعض ثقل الضغط الذى يتولد من الجهاز المشار اليه وبه يتحوّل الفولاذ الى مادّة لينة يمكن تمديدها ويتحوّل شمع البرافين الى مادّة أصلب من فولاذ الآلات ويصبح الصمغ المرن قاسيا جدا بحيث تصنع منه مقاطع للفولاذ ، وبهذا الجهاز يجمد الزئبق تحت ضغط مقداره ٢٠٠٠٠٠ رطل مع انه يتجمد عادة عند درجة ٤٠ تحت الصفر أو أسفل منها . ومع كل هذا يقول العارفون إن الجهاز فى حدّ ذاته غير معقد التركيب اذا قيس بغيره من الأجهزة العلمية فهو بمثابة طلمبة هواء عادية تولد الضغط المطلوب . ولذلك يؤتى بالمواد المراد ضغطها وتوضع فى تجويف صغير يجوف فى قطعة صلبة من الفولاذ ثخنها خمس بوصات ثم يغطى التجويف بسداد صغير من الفولاذ أيضا يمدّد بتأثير الضغط فيبقى محتويات التجويف والهواء من الافلات . وقد حدث فى أثناء التجربة أن انفجر التجويف فانفرزت شظاياه فى لوح خشب صنوبرى صلب الى عمق ست بوصات فى ظهر الجهاز . وفى تجربة أخرى استخرج البيض من ماء جليد سخن بتعريضه لضغط مائة ألف رطل فظهر انه مسلوق سلقا جامدا

(حطب الذرة وصنع ورق الصحف)

من أحدث الوسائل التى استنبطها العلماء للانتفاع بالمواد الزراعية المهملة والفضلات الحقلية العاطلة تحويل حطب الذرة بالطرق الكيمائية الى عجينة لصنع الورق اللازم لطبع الكتب والمجلات والجرائد . وقد جرّب ذلك أوّل مرة رؤساء تحرير الصحف فى مدينة دنفيل بولاية ايلينوا إحدى الولايات المتحدة بأمريكا كى يستوثقوا من صلاحيته للطباعة . فاستبانوا أن هذا الورق سيفاخر الأصناف التى تصنع من عجينة الخشب . ويمارس الباحثون الآن تجارب أخرى يبغون بها الوقوف على مبلغ ماتتكلفه عمليات انتاج المقادير الكبيرة منه وهل ستفضى الى قصد بعض نفقات الطبع أولا

هذا وقد اتضح أن ورق الطباعة المصنوع من عجينة حطب الذرة أشبه بورق عجينة الخشب بل إن ذلك أمتن قواما من هذا وأنصع لونا وأسهل تشربا للمداد . وكان أوّل كتاب تمّ طبعه من هذا النوع الجديد مؤلفا موضوعه مطابق للبحث نفسه وهو المجلد الأوّل فى المنافع الصناعية للحاصلات الزراعية المهملة لمؤلفه الاستاذ (جورج م . روميل) الذى انتدبته حديثا وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة لبحث مسألة الانتفاع بالمواد الزراعية التى لايعبأ بها الزراع أولا يجنون منها أرباحا تذكر اهـ

سابعا — الغاز الطبيعى

الفحم الحجرى الذى نشعله فى بيوتنا ونطبخ عليه طعامنا يصنعه الانسان بحرق الأخشاب مطمورة بالتراب فتحترق احتراقا بطيئا يزيل منها الأبخرة والغازات ويبقى فيها المادّة الخشبية على ماهو معهود ولكن الفحم الحجرى الذى نوقده فى المعامل والبواخر صنعته الطبيعة فى العصور الجيولوجية وخزّنته فى جوف الأرض فوجدناه غنيمة باردة ، وكان يمكن أن يكون من المنافع العمومية التى لاثمن لها كالهواء ونور الشمس لولا ما ينفق على استخراجه ونقله من مكان الى آخر

والغاز الذى تناربه هذه المدينة (مصر) وغيرها من المدن الكبيرة يستخرج من الفحم الحجرى باستقطاره منه استقطارا . ثم ينقى مما يخالطه من الشوائب ويوزّع على الشوارع والبيوت بالأنابيب المعدنية كما توزّع المياه واستقطاره وتنقيته وتوزيعه تقتضى نفقة كبيرة فتضاف الى ثمن الفحم الحجرى وربا رأس المال وتفرض على المستصبحين به ، ولكن الفحم الذى يستقطر الغاز منه لايضيع سدى بل يبقى نافعا للوقود وهو المعروف بالكوك ، والشوائب التى تستخرج عند تنقية الغاز يستخرج منها أكثر أنواع الصباغ المعروفة الآن من ذلك ثلاثون لونا من الألوان الحمراء وستة عشر من الألوان الزرقاء وستة عشر من الصفراء واثنا عشر من البرتقالية وتسعة من البنفسجية وسبعة من الخضراء عدا ألوانا أخرى من السمراء والسوداء . وقد يزيد ثمن الشوائب على نفقات استخراج الغاز وتنقيته فيستخرج لأجل استخراجها منه فقط ولولم ينتفع به للانارة . وفى جوف الأرض غاز طبيعىّ كما فيها فحم طبيعىّ . وهذا الغاز الطبيعى كان معروفا فى بلاد الصين منذ سنين كثيرة . وكان الصينيون يثقبون الأرض ثقوبا ضيقة ويستخرجون الغاز منها ويوقدونه لتبخير المياه الملحة واستخراج الملح منها . وعندهم آبار له عمقها ألف متر . وقد عرف فى أمريكا منذ أكثر من مئة عام ولكن لم يسع أهلها فى استخراجه واستخدامه للوقود والاستصباح إلا خمسين سنة فى أواخر القرن الماضى فى ربيع سنة ١٨٨٤ ألف بعضهم شركة تجارية فى مدينة فندلى بولاية أوهايو من ولايات أمريكا لتثقب الأرض وتستخرج الغاز الطبيعىّ منها وكان عدد أهالى تلك المدينة حينئذ (٤٥٠٠) نفس ولم تشرع الشركة فى عملها حتى شهر اكتوبر من تلك السنة فثقبت بئرا عمقها (١٠٩٣) قدما ووضعت فيها أنبوبا وأشعلت الغاز المنبعث من الأنبوب فامتدّ لهبه فى الهواء ثلاثين قدما ، وكان هذا اللهب يرى على مسافة ثلاثين ميلا من كل ناحية ، وقدّروا الغاز المنبعث من هذه البئر يوميا بمائتين وخمسين ألف قدم مكعبة فتقاطر الناس لرؤيتها من كل فج . وسنة ١٨٨٥ ثقبت بئر عمقها ١١٤٤ قدما فانبعث الغاز منها انبعاثا لم يعهد له مثيل فيسمع صوت خروجه منها عن ثلاثة أميال ويرى لهبه على مسافة أربعين ميلا من كل ناحية ويقدّرون مقدار الغاز المنبعث يوميا من هذه البئر باثنى عشر مليونا من الأقدام المكعبة . ومن ثم أخذ سكان المدينة يزدادون بكثرة النازحين اليها فبلغوا ستة آلاف نفس فى غرة سنة ١٨٨٦ وعشرة آلاف نفس فى ربيع سنة ١٨٨٧ ونحو ١٨ ألف فى أواخر تلك السنة واتسعت مساحة المدينة وغلا ثمن أراضيها وأنشئت فيها معامل للزجاج والحديد والآجر والكلس ونحو ذلك مما يقتضى وقودا كثيرا لأن أصحاب الغاز الطبيعىّ أجروه فى أنابيب الى المعامل وأوقدوه فيها بدل الفحم وأجروه أيضا الى بيوت السكان فاستعملوه للطبخ والاستدفاء . واقتدت مدن كثيرة بمدينة فندلى فى كل ولاية أوهايو واندیانا ويقدّرون الآن انه ينبعث من مدينة فندلى كل يوم ستون مليونا من الأقدام المكعبة من الغاز ومن غيرها من المدن المجاورة أربعون مليونا . وأكثر هذا الغاز يستخدم فى الأعمال النافعة بدل الوقود على ماتقدم . وكانوا فى أوّل الأمر يحرقونه عند أفواه الآبار فيذهب ضياعا . أما الآن فقد اقتصدوا فيه مخافة أن ينفد . وحالما شاع أمر الغاز الطبيعى أخذ الناس يتفلسفون فى أصله ومايؤول اليه استخراجه من الأرض فقال بعضهم « إن الأرض مجوّفة وجوفها مملوء بهذا الغاز وهو علة تعلقها فى الجوّ فاستخراجه منها شديد الخطر لأنها اذا فرغت منه تصدّعت وتحطمت ووقعت من مكانها فى السماء » وهو من أسخف الأقوال التى طرقت المسامع وقال غيره « إن الغاز ليس مالئا جوف الأرض كلها بل بعض الأجزاء وانه يخشى أن تمتد النار الخارجية الى مصدره الذى تحت ولاية أوهايو واندیانا فيشتعل دفعة واحدة وينسف الأرض نسفا فتصير كل تلك البلاد واديا عميقا فتجرى اليه مياه (بحيرة ارى) فيصير بحيرة كبيرة . وطلب من الحكومة الأميركية أن تنظر فى هذا الأمر وتمنع استخراج الغاز من الأرض ، وهو أيضا من السخافة بمكان

وقال آخر : انه تفحص أحوال الغاز الطبيعى بالتلفون والترمومتر فوجد أن درجة حرارة الأرض ٣٥٠٠

على عمق ميل تحت مدينة فندلى وأن تحت المدينة مباشرة تجويفا كبيرا مملوءاً بالغاز الطبيعي وتحت الغاز طبقة من الصخور سمكها نحو ميل وتحت هذه نار متقدة تذيب الصخور بشدة حرارتها ولابد من أن تذوب تلك الطبقة الصخرية فتصل النار الى الغاز فيلتهب دفعة واحدة فينسف الأرض التى فوقه بما عليها

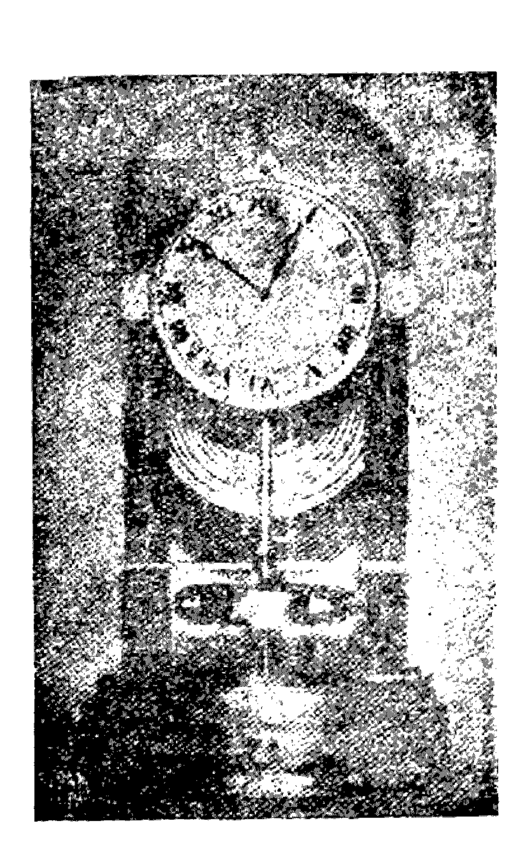
وكل هذه الآراء من الخرافات التى لا يؤيدها العلم لأن الغاز لا يشتعل مالم يتحد جانب منه بجانب من أكسوجين الهواء فإن لم يمتزج بالهواء فلا خوف من اشتعاله اهـ

«ثامنا» ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس

وساعة تشتغل من نفسها أمدا طويلا

جاء فى إحدى المجلات العلمية ما نصه : « اخترع (المستر جورج فوتشر) من (لوس انجليس) بالولايات المتحدة ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس والأرض فى أى وقت فى مدة ست سنوات ، وهى تسير حسب النتيجة العبرية القديمة أى باعتبار السنة القمرية واضافة ماتنقصه عن السنة الشمسية وهو سبعة أيام وكسر فى نهاية كل أربع سنوات لتكوين سنة كبيسة ذات ثلاثة عشر شهرا اهـ

« واخترع أحد المهندسين فى (بيرن) بسويسرا ساعة عجيبة تشتغل بنفسها أى بدون أن يملأ زنبرقها كالساعات العادية وتمكث كذلك ١٠٠٠٠ سنة وهى مبنية على استثمار تغيرات درجة الحرارة والضغط الجوى» (انظر شكل ٨)



(شكل ٨ — رسم ساعة تشتغل من نفسها ١٠٠٠٠ سنة)

ويلحق بهذا عجيبتان . العجيبة الأولى — (اكتشاف الطيارات فى الجو)

تمكن المستر (بيرد) المشتغل فى أبحاث الرؤية من بعد من ايجاد أشعة يمكنها أن تعين مكان أى طيارة على أية مسافة ، وسيعرض هذا الاختراع قريبا فيحضر جهازه ويضعه فوق عمارة ويرسل منه أشعة مرئية ويصوبها نحو الطيارات المحلقة فوقه فانها مهما بعدت فالأشعة تكون متصلة بها ولو لم تكن مرئية للناس وتصورها على الشريط مع بيان مقدار بعدها . ثم بعد ذلك يخرج من نفس الجهاز أشعة غير مرئية ويقوم بما فعله فى الأول فتنطبع على الشريط صور مماثلة للأولى بالضبط ، وعلى ذلك يمكن الجزم بأنه أصبح فى الامكان اكتشاف الطيارات مهما اختلفت وبعدت فى الجو فلا يمكن استخدامها على غرة فى غارة حربية كما كانت تفعل الطيارات الألمانية فى الحرب الكبرى

﴿ العجيبة الثانية ﴾

قد اخترعت فونغرافات لتعليم اللغات بالألفاظ والصور فليس على من يريد تعلم أى لغة إلا شراء أحد هذه الفونغرافات والاسطوانات الخاصة بهذه اللغة ، فاذا دارت الاسطوانة دار معها أيضا شريط مصور ، فكل كلمة تنطق بها الاسطوانة يبينها الدليل على الشريط ، وبذلك يستطيع أن يتعلم أى لغة بدون حاجة الى مدرس ويمكنه أن يعيد الاسطوانة كما يشاء حسب استعداده . وهذه ميزة لا يمكن أن توجد فى تدريس الأساتذة اهـ

تاسعا — ﴿ عجائب العالم الحديث ﴾

أول ما يلفت النظر فى عجائب العالم الحديث أنها من نوع آخر يختلف كل الاختلاف عن العجائب القديمة وان تكن أعلى منها قدرا وأعظم نفعا لجميع الجنس البشرى . فهى انتصارات للعلوم لم توجد بالرق والاستعباد وسلمت الانسان زمام القوى الطبيعية يسخرها لنفعه كيفما أراد . وقد يكون ذيوعها وانتشارها فى جميع الانحاء العملية فى أصقاع الأرض وجعلها طوع كل يد مما سبب عدم حدوث الروعة والدهشة من أجلها فى النفوس . ولكن لاريب فى أنها غيرت حياة الانسان على هذا الكوكب فى وقتنا الحاضر تغيرا كليا لم تشهده الأمم الماضية حتى عهد قريب . وقد استشارت مجلة العلوم الامريكية أكبر العلماء عن آرائهم فى أعظم عجائب العالم الحديث وقد وصلت عدة مئات من الرسائل من مشاهير العلماء فى كل أمة . فأسفر تلخيصها وحصر ما فيها عن نحو خمسين عجيبة تعد من أكبر انتصارات العلوم فى جميع مناحى الحياة العملية والهيئة الاجتماعية . وقد استوجب هذا أن يستشير رئيس تحرير مجلة العلوم الامريكية الدكتور «ستراتون» رئيس معهد الفنون فى «ماساشوسيت» بالولايات المتحدة كى يختار له من بينها سبع عجائب فقط مجاراة للصيغة اللفظية التى يعبر بها عن عجائب العالم القديم . فلما قابله فى مكتبه حيث يشرف على مئات من الشبان العاكفين على الابحاث والتجارب العلمية كى ينقلوا الى يد الانسان مدهشات القوى الطبيعية أحاطه بمهمته فلم يك من الدكتور « ستراتون » إلا أن قابله بالدهشة وأجابه متعجبا «سبع لاغير» كيف يكون ذلك ؟ أيخيل اليك أنه يمكن أن نجعل عجائب الوقت الحاضر سبعا فقط هذا مستحيل بل المعقول أن نقول انه يوجد فى الوقت الحاضر ٧٧٧ عجيبة . وأخذ يسرد له قوائم مطولة على ترتيب حروف الأبجدية عن عجائب هذا العصر فذكر الآلات الزراعية والطيارات والسيارات والكبارى . الخ . ولما كانت أعمال الدكتور (ستراتون) لا تسمح له الا بالقليل من الوقت . أمهله رئيس التحرير حتى يفكر فى خلوته فى انتقاء أعجب العجائب ، وقصارى القول أنه عاد اليه فى الموعد المحدد فوجد الاجابة مطبوعة بالآلة الكاتبة على قرطاس من الورق كما يلى :—

(١) استكشاف البكتريا واستثمارها فيما ينفع الناس

(٢) تقدم العلوم فى معرفة تركيب المادة ومعرفة القشعع

(٣) تقدّم علم الكهرباء واستثماره القوة الكهربائية فى إيجاد الضوء والحركة

(٤) الاحتراق الداخلى فى الآلات

(٥) طريقة البناء الحديث المعروفة بالاسمنت المسلح

(٦) التعدين الحديث

(٧) طرق حفظ المواد الغذائية بدون تعفن أوفساد

(٨) الطيارات والرحلات الجوّية

(٩) تقدّم صناعة الآلات الميكانيكية وانه من المفيد أن نبين بكل ايجاز ما أجمله فى هذه الفقرات التسع .

فان الأعجوبة الأولى وهى استكشاف البكتريا لاريب فى أنها من أكبر انتصارات علم الكيميا فى العصر الحاضر فقد لبث الناس طوال الاجيال الخالية . لايدركون شيئا عن فعل الكائنات الذرية التى منها مايقدم للانسان اكبر الخدمات ومنها مايلحق به أشدّ الأمراض ويهدّد حياته بالأخطار المريعة كما كان يحصل فى الطواعين وغيرها من الأمراض الوبيلة الفاتكة . حتى إذا جاء العالم العظيم «باستير» باستكشافاته فى هذه العوالم الذرية التى لاتحصى والتى بالرغم من تدخلها كل التدخل فى حياتنا نفعا وضرا فليست تراها العين المجردة ولكنها الآن أصبحت معروفة فى كل مكان فالمعروف من أنواع «البكتريا» المفيدة يزيد على ٢٠٠٠ نوع وتوجد فى العالم مئات من المعامل الكبيرة لدراسة حياتها وميزاتها وقد درست كذلك أنواع كثيرة من الميكروبات أو الجراثيم التى تسبب الأمراض وعرفت طرق مقاومتها والقضاء عليها ولذلك لم تصبح انسانية كما كانت فى القرن السابق عرضة لأن تحصد أبناءها الأوبئة والطواعين بل صار لكل مرض ينشأ عن هذه الجراثيم الدواء الفعال الذى يقفه عند حد ان لم يستأصله بالكلية ونشأ من ذلك استعمال المطهرات فى كل شئ وعلى الأخص المياه فى المدن المزدحمة بالسكان ، ولذلك يلاحظ ازدياد السكان فى كل الأقطار الآخذة بأصول الحضارة

وقد ذكر الدكتور ستراتون فى الأعجوبة الثانية : تقدم العلوم فى معرفة تركيب المادة ومعرفة التشعع . فان دراسة التركيب الذرى للمادّة قد أدى الى انتصارات كيماوية وطبيعية ترتكز عليها كل الأعمال الصناعية وغيرها فى الوقت الحاضر . وان أكبر هذه الانتصارات من غير شك هو اكتشاف الراديوم فى سنة ١٨٩٨ بواسطة الطبيب الفرنسى (بيير كورى) و «مدام كورى» زوجته . وليس من أحد يجهل مايقوم به الراديوم الآن من المعجزات التى لم يكن يتصور العقل حدوثها . على أن الراديوم لم يزل حديث العهد وينتظر له من الانتصارات العظيمة فى المستقبل مالا يمكن أن يذكر فى جانبها ماعرف الآن من مزاياه ومبلغ قوته

وأما الأعجوبة الثالثة وهى : تقدم علوم الكهرباء بحيث أصبحت من القوى النافعة الآن فى المصانع والدور والبيئات الاجتماعية فظاهرة لكل ذى عينين . فانه يرى الكهرباء فى الطرقات فى شكل أضواء زاهية لامعة حسبما يراد من القوة ، ويراها فى المصانع قوة محركة لقوم بمالايمكن أن يقوم به الآلاف من الناس ، ويراها كذلك مستخدمة فى وسائل المواصلات والنقل مثل التلغراف والتليفون والسكك الحديدية والتلغراف اللاسلكى والتليفون اللاسلكى والرؤيا من بعد الخ . وان كل واحد من هذه الاختراعات العظيمة يعدّ أعجوبة لاتقدر ولاريب أن اختراع طريقة الاحتراق الداخلى فى الآلات أحدث فوق أديم الأرض كثيرا من التغيير فى أحوال المجتمع الانسانى حيث سهلت المواصلات بعد أن كانت فى العصور الماضية عقدة العقد . فهذه هى السيارات وان تكن حديثة العهد ولكنها أصبحت الآن فى كل مكان ويعرف كل انسان ماتقوم من الخدمات النافعة . ويوجد منها فى الولايات المتحدة وحدها ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٣ سيارة أى بنسبة سيارة واحدة لكل ستة أشخاص ويمكن أيضا تقدير مايستفيده الانسان فى هذه الأعجوبة اذا فكر فى الآلات المختلفة التى تسير بالاحتراق الداخلى لرىّ الأراضى أو الاضاءة أو لادارة المصانع المختلفة فهذا مشاهد فى كل مكان

وأما الأعجوبة الخامسة فهى : الطرق الحديثة فى البناء المعروفة بالاسمنت المسلح حيث يستخدم فيها المعدن والأسلفت فى وقت واحد . وقد لايعد البعض « الاسمنت المسلح » بين العجائب ولكنه إذا رأى كيف تبنى ناطحات السحاب فى أمريكا وغيرها من البلاد . لايسعه إلا أن يقر بفضل هذه الأعجوبة التى يمكن أن يتم بواسطتها من البناء فى بضعة أشهر ما كان يستغرق فيه بناة الاهرام عدة سنوات وان حدائق بابل المعلقة التى لاترتفع أكثر من ٤٠٠ قدم لايمكن أن تعد أعجوبة اذاقورنت بأى برج من الابراج الحديثة المبنية بالاسمنت والحديد ولاسيما اذا عرفنا أن القدماء كانوا يبنون بالطين وأكثر ما استعمله قدماء المصريين الجبس ، والرومان المواد البركانية مع الجير . وكان اختراع الاسمنت فى سنة ١٨٢٥ ومن ذلك العهد تطور فن البناء وظهرت العمائر الضخمة ذات العشرات من الطبقات (٦) وقد كانت انتصارات التعدين من أول الامور المحققة لكثير من مناحى التقدم العمرانى والصناعى حيث يجد كل صاحب صنعة أو عمل نوع المعدن الاكمل الذى يمكن أن يكون أعظم من سواه فى العمل الذى يتعهده ، أو الآلة التى يصنعها (٧) وان طرق حفظ الأغذية من التعفن والفساد لها قيمتها الكبرى لأن الاغذية من أول العوامل الحيوية اللازمة لوجود الانسان . وقد كانت تحصل المجاعات فى الأزمنة القديمة ويهلك بسببها مالا يحصى من الأمم . بينما توجد بلاد تزيد حاصلاتها على ماتستهلكه فتطرح للتعفن والفساد بدون أن تستثمر فى انقاذ الهالكين فى المجاعات . وصارت الحركة التجارية الآن فى جميع أنحاء العالم تستثمر حاصلات كل قطر من الاقطار ولولا طرق حفظ الأغذية لما أمكن أن يتم ذلك (٨) و بديهى أن من يعد عجائب العالم لابد أن يذكر الطيارات وتقدمها العظيم كما هو مشاهد للعيان فقد أصبحت تتم بها الرحلات بين جميع أقطار الكرة الأرضية وهى تستخدم الآن فى نقل البريد والمسافرين ولها فى إبان الحرب أروع الأعمال التى تكسب الجيوش الفوز والنصر . وذلك لأنها أول طرق المواصلات المحررة من القيود المكانية فهى تسبح فى الهواء أين تشاء ﴿وأما الأعجوبة التاسعة﴾ وهى : تقدم الآلات فانه يدخل تحتها مالا يعد من الآلات التى تقوم بأعظم الخدمات للمجتمع الانسانى فى أقل مدة من الزمن مع أنها كانت تتم فى العهود الماضية بمواصلة الجهود الشاقة فى مئات الامثال لهذه المدة ومنها الآلات الزراعية المستخدمة فى الحرث والحصاد ودرس القمح ومنها آلات الخياطة والكتابة والحساب والطباعة و يكاد لايقوم الانسان الآن بأى عمل من الأعمال بدون أن يستثمر فيه الآلات وقد تكون قوته باستخدام آلة واحدة تعادل قوة عشرات المئات من أمثاله : فهل بعد كل ما استعرضناه من المدهشات يمكن أن يقال أن عجائب العالم الحديث لها عدد أو نهاية . انتهى

أليس هذا وغيره سر من أسرار الفتح الربانى الذى فتحه الله للناس من رحمته وكلما فتح فتحا جديدا للانسانية على يد كاشف كشفه قامت فى وجهه العقبات من حسد الحاسدين ومكر الماكرين . ولكن الله يقول . كلا . لاممسك لرحمتى . فليكشف المسلم غوامض مخلوقاتى واذا قام فى وجهه الحاسدون فليعلم انه لاممسك لرحمتى التى أظهرها لعبادى على يد واحد منهم . فأنا أنصر كل مجد لنفع الناس طرا . فليعلم شبان المسلمين قراء هذا التفسير وليشمروا عن ساعد الجد وليدلوا دلوهم فى الدلاء مع العاملين لنفع الانسانية كلها وأنا أساعده وأنجحه . فاذا سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين فهذه كلمتنا لعبادنا الذين ألهمتهم أن يكشفوا عجائب رحمتى فى العناصر والمادة

ولاريب أن من مقدمات النهضة الاسلامية فى الأرض هذا التفسير والله هو الذى فتح هذه الرحمة للمسلمين فلا ممسك لها . ويلحق بهذا أربع فوائد

أولها ـ ﴿ قياس سرعة البرق الصاعق ﴾

توصل العلم الى قياس سرعة البرق بعد جهاد كثير من العلماء ولاسيما الاستاذ (بويز) الطبيب الانكليزى الشهير الذى مكث ستا وعشرين سنة يقوم بتجارب واختبارات عديدة فى هذا الشأن حتى توصل الى اختراع

جهاز دقيق يحقق هذه الغاية بكل سهولة . وهذا الجهاز عبارة عن آلة فوتوغرافية شديدة التأثر ذات عدستين تتحركان بسرعة كبيرة . وقد وجد أن البرق الصاعق يتم تكوينه فى ٠٠٠٧ر٠ من الثانية وأن أى جزء منه لا يمكث أكثر من جزء من (٣٥٠٠) جزء من الثانية

ثانيها – ﴿ هل يحصل البرق الصاعق من الأرض أم من السماء ؟ ﴾

كان العلماء يذهبون الى رأيين متناقضين فى ذلك فنهم من يقول بأن البرق الصاعق يسقط من السحاب الى الأرض ، ومنهم من يقول بوثوبه من الأرض . وقد أثبت الاستاذ (بويز) أن البرق الصاعق ينشأ من الطرفين أى من الأرض والسحاب فى وقت واحد تقريبا ، ويتم ما بين طرفيه فى الجو فى نحو جزء من (٧٠٠٠) جزء من الثانية . وذلك لأن الفوتوغرافية التى صنعها كانت ترسم بعدستيها طرفى هذا البرق فى صورتين ، وبقياس الوقت اللازم لرسمهما بواسطة أجهزة دقيقة تمكن من أن يعرف الوقت اللازم لتكوين البرق الصاعق وسرعته

ثالثها – ﴿ من أين تأتى القوة ؟ ﴾

تأتى كل القوة التى فى العالم إلا جزأ قليلا منها من الشمس فإن الرياح والأمواج والشلالات والأنهار والزيت والبترول والفحم توجد فيها قوة الشمس أوهى قائمة عليها ، وأن قوة الجزر والمد التى تنسب للقمر هى فى الحقيقة مستمدة بواسطته من الشمس

رابعها – ﴿ مصدر قوة الانسان ﴾

ويستمد قلب الانسان وأعضاؤه وعضلاته القوة من الشمس فى الحقيقة لأنها ليست ناشئة إلا من هضم السكر والنشا وهما مستخرجان من النباتات ، ومن الثابت أن النباتات لا تبنى أنسجتها إلا بتأثير أشعة الشمس انتهى ما أردته من المجلة المذكورة والله أعلم

عاشرا – (أغرب غرائب أمريكا)

جاء فى مجلة « كل شئ » ما نصه :

المستر وليمسون رجل أمريكى يعيش بنقل الصور الملونة للأسماك وسائر أنواع الحيوان ، وكان أبوه قبطانا قد اخترع زورقا يغوص تحت الماء وله أنبوبة تتصل الى أعلى لتجديد الهواء ، وكان غرضه من هذا الزورق استنقاذ السفن الراسبة ، وهذا الزورق عين كبيرة من البلور الصافى يبلغ قطرها ثلاثة أقدام فيمكن الانسان أن يرى الأشياء والحيوان تحت الماء بها ، وقد مات القبطان ولم يستعمل الزورق للغرض الذى بنى من أجله وانما استعمله ابنه المستر وليمسون فى تصوير الحيوان ، وقد مضى عليه (١٦) سنة وهو فى هذا العمل

ولما تزوج أخذ زوجته الى الزورق وقضى معها شهر العسل عند جزر باهاما حيث اشتغل بنقل الصور . وباهاما من جزر الهند الغربية ، والماء عند عمق (٢٥) قدما يشبه النهار عند ما تغيم السماء ، ولكن لعين الزورق مصابيح كهربائية تشع ضوأ باهرا فى الماء فيمكن نقل الصور كما تنقل على سطح اليابسة فى النور العادى وهذا اذا كان الماء هادئا ، أما اذا حدثت زوبعة وهاجت الأمواج بلغ الهياج قعر البحر فعندئذ يرتفع الطين الراسب ويكدر صفاء الماء كما يرتفع الغبار عند ما تهيج الريح على اليابسة

ويعيش الآن المستر وليمسون مع زوجته فى هذا الزورق فيغوصان به فى النهار ويصعدان الى السطح فى المساء . وقد يظن القارئ أن هذه المعيشة تسئم الانسان وخصوصا الزوجة ولكن المسز وليمسون تصف هذه المعيشة بأنها ليست خالية من الملاهى بل تقول انها أحيانا كثيرة تجذبها المناظر فتبقى ساعات لا تدرى بانقضاء الوقت لفرط ما ترى من غرائب الطبيعة وجمالها تحت الماء . أما هذه المناظر فهى أعشاب البحر

المختلفة التى تشبه المروج والمراعى وهى فى الواقع كذلك فان السمك وسائر الحيوان يسير بينها و يتخللها يأكل منها أو يختفى فى ثناياها كما يفعل الحيوان فوق اليابسة . ومن المناظر الجميلة حقول المرجان بألوانها الزاهية المختلفة وفى ملاحظة حركات الأسماك وأخلاقها مايجعل الانسان يقضى الساعات وهو لايسأم . والأسماك تختلف فى المزاج والقوّة والأخلاق . فقد ترى السمكة الصغيرة الخفيفة تعمد الى سمكة كبيرة فتهاجمها وتضربها ثم تفرّ منها . وأحيانا تأتى سمكة فترى عين الزورق البلورية فتأخذ فى التحكك بها ومسحها بأطراف فمها . وأحيانا تجرح البلور فيحتاج المستر وليمسون الى صقله بضع ساعات لكى يعيد اليه صفاءه . و يقول المستر وليمسون ان اختباراته تدل على أن سوء الظن بالقرش خير من حسن الظن به فهذه السمكة شريرة وقد رأى قروشا تتشاجر فيمزّق أحدها الآخر تمزيقا مروّعا . والقرش فى البحر كالنمر على اليابسة يحب الافتراس والقتل ولاينفك عن ذلك وهو يأكل الرّمة ولكنه يحب الأحياء من الناس و يأكلهم . والمستر (وليمسون) يزود السينماتوغرافات بأفلام عن الحياة تحت البحر كما يزود المدارس والمتاحف بصور فريدة للتاريخ الطبيعى اهـ

حادى عشر ـ ﴿ الكلام على عالم الطفولة ﴾

(مدهشات عالم الطفولة)

أوّلا ـ الأطفال ذووالعقول الجبارة

يوجد الآن فى (سلوفاكيا) طفل فى الخامسة من عمره حير العقول فى مقدرته فى الحساب حيث يجيب على العمليات التى تستوجب من الحاسب أن يجريها بالقلم على القرطاس فى بعض ثوان . ولقد أحضر فى محفل كبير وسأله الأطباء لفحص قواه المدهشة . كم يوما مضى منذ ميلاد المسيح ؟ فأجاب هذا الطفل الجواب الصحيح بغير توقف . وما كان يعطى تاريخ ميلاد أى شخص من الحاضرين حتى يجيب بدون تردّد عن مقدار مامرّ عليه من الأيام والدقائق منذ ولادته غير ناس لحساب السنوات الكبيسة التى تتخلل عمره ورأس هذا الطفل كبيرة للغاية حتى انه لا يمكنه أن يلبس أكبر قبعة عادية . وظهرت أخيرا فى الولايات المتحدة طفلة فى الثامنة من عمرها تجيد التكلم بثمانى لغات وألفت ثلاثة كتب وعدّة مقالات وقصائد ، ولما كان سنها ثلاث سنوات كانت تكتب على الآلة الكاتبة وتتكلم بالاسبرانتو والفرنسية وان تكن اللغة الانكليزية لغتها الأصلية ، ولما بلغت الخامسة من عمرها أخذت تقول الشعر

﴿ الأعجوبة الحقة ﴾

ظهر فى صحيفة من صحف لندن منذ قرن من الزمان مايأتى :

جوتنجن فى ٢٠ مايو : انتظم فى سلك الدراسة فى جامعتنا منذ ثمانية شهورطالب فى منتصف السنة العاشرة وهومن عجائب المخلوقات ، واسم هذا العالم الصغير (شارلس ويت) و يعرف عنه انه لما بلغ الثامنة من عمره كان يجيد الى جانب لغته الأصلية وهى الألمانية اللغات الآتية : اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية والانكليزية والايطالية ، وهوقوىّ فيها الى درجة الكمال كتابة وحديثا ، و يستطيع أن يترجم بكل سهولة من (فيرجيل) و (هومر)

﴿ طفل دائرة معارف ﴾

وأغرب من هذا الغلام طفل اسمه (هنرى كرستيان هينكن لو بك) فانه لما بلغ الشهر العاشر من عمره كان يستطيع أن ينطق كل كلمة فى قاموس اللغة الألمانية مع ماهو معروف عن صعوبتها فى النطق عن أية لغة من اللغات الحية ، وما أتمّ سنة حتى كان ملما بأشهر الحوادث فى تاريخ العالم . ولما بلغ من العمر سنتين كان على علم تام بكل تواريخ التوراة وقصصها وأنبيائها ورجالها . ولما كان فى الثالثة كان يجيب بمنتهى الدقة على

كل سؤال فى جغرافية الكرة الأرضية جميعها وتاريخ العالم القديم وعند مابلغ الرابعة كان يشتبك فى مجادلات حادّة مع شيوخ الأساتذة فى أربع لغات ولكن العمر لم يمهله حتى يتم السادسة

ثانيا ـ ﴿ أغرب طفل فى العالم ﴾

وهو الطفل البلجيكى النابغة الذى تتحدث عنه الصحف الاوروبية والأمريكية وتعدّه أعظم أعجوبة فى عالم الطفولة فهو لم يتجاوز السنة الثانية من عمره ولكنه على الرغم من ذلك يعدّ من أكبر الرياضيين وأصحاب المواهب الخارقة للعادة فى علم الحساب وهو يستطيع أن يضرب عددا مكوّنا من خمسة أرقام فى عدد آخر من خمسة أرقام فى ذهنه أى بدون كتابة و ينطق بحاصل الضرب بسرعة و بدون تردّد ولم يحصل انه أخطأ فى ذلك مرة اه

ثالثا ـ ﴿ صبى فى الثانية عشرة ينال بطولة مصارعة الثيران ﴾

لك أن تسميه شجاعا أوأن تصفه بما شئت غير ذلك من صفات البطولة وانما المهمّ هو أن فى جمهورية (بيرو) صبيا لايتجاوز عمره الثانية عشرة قد اشتهر على الرغم من نحول جسمه بمصارعة الثيران والتغلب عليها

وكان الكثيرون يظنون فى هذه الشهرة شيأ من المبالغة ولكن حفلة كبرى لمصارعة الثيران أقيمت فى (ليما بيرو) وحضرها ألوف من الجماهير وكثير من مندوبى الصحف فبرهنت على أن شجاعة المصارع الصبى واسمه (رافاليتوميحاس) ليست كاذبة ولامبالغا فيها فان هذا البطل الصغير لم يصارع ثورا واحدا بل صارع ثورين فنجا من ضرباتهما وكان له عليهما الفوز والغلبة

﴿ رابعا ﴾ وهو ماجاء فى جريدة الاهرام فى يوم ٢١ نوفبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

﴿ عبقرية الأمى الفتى « ترك » ﴾

أشرنا منذ أسابيع فى الاهرام الى عبقرية الفتى الأمى المسمى (ترك) والى مقدرته الحسابية ومواهبه الخارقة للعادة . وعلى أثر صدى هذه السمعة استدعاه حضرة صاحب العزة مدير مصلحة المساحة وامتحن مقدرته وكتب الى وزارة المالية يطلب اليها تعليم الفتى ترك على حساب خزينة الدولة حتى اذا أتمّ الدراسة عمل فى خدمة الحكومة على مقتضى ماتؤهله اليه كفايته وظروفه إذ ذاك . وقد وافقت وزارة المالية على هذا الطلب طبقا لما أشرنا اليه من قبل

ومما هو جدير بالذكر أن نشير الى بعض المسائل التى امتحن فيها الفتى المذكور، فقد طلب اليه أن يذكر حاصل الضرب بين الرقمين ٦٤٥٣٢١٥٤ و ٣٤٧٨ فأجاب الاجابة الصحيحة بعد أربع دقائق . وطلب اليه معرفة خارج القسمة للعددين ١٧٦ر٥١٦ر٨٦٣ر٢٨ على ٥٨٦٤ فأجاب إجابة صحيحة بعد عشر دقائق . وذكر لهذا الفتى أيضا أن المملكة المصرية تشتمل على ٩٩٦٣٢٧ كيلومترا وأن الكيلومتر الواحد يساوى ٢٣٨ فدانا وأن المطلوب معرفة المساحة بالأسهم فأجاب بعد خمس دقائق بأن الرقم المطلوب البحث عنه هو ٧٧٦ر٤٧٥ر٥٨٤ر١٣٦ وشرح له الجذر التربيعى والجذر التكعيبى ففهمه للحال واستخرج الجذور التربيعية والتكعيبية

وهذا الفتى المذكور من « ششت الأنعام » بمديرية البحيرة . و بهذه المناسبة أشارت مصلحة المساحة الى من حفظ التاريخ أسماءهم من أمثال الفتى المصرى حيث ذكر اسم (جورج بيرور) وكان من عظماء المهندسين فى العالم والمرجع الهام فى أعمال السكة الحديدية ، وقد ولد فى انكلترا سنة ١٨٠٦ وكان ذكاؤه باديا فى جميع أدوار حياته . وقد حذق فى فنّ الهندسة وعين رئيسا لمعهد المهندسين المدنيين وهناك أشخاص آخرون مثل (جوهان واز) الألمانى فنرجو أن يكون للفتى المصرى حظ هؤلاء العظماء . انتهى المقام الأوّل

(المقام

﴿ المقام الثانى ﴾

مايمسك من الرحمات فلا يفتحه للناس رحمة بهم مثل ما ورد فى الأخبار

﴿ أولا ﴾ يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٢٩ م ﴿ وثانيا ﴾ يوم ٢٢ منه أيضا من البرد فى أوروبا ﴿ وثالثا ﴾ مثل ماجاء فى يوم ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩ م من ثورة الطبيعة فى سوريا ﴿ ورابعا ﴾ مثل ماجاء فى «مجلة الجديد» بعنوان «٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار خسائر الجليد فى العالم فى كل شتاء» وفيما يلى بيانها

أولا ـ ﴿ البرد فى أوروبا ﴾

لندن فى ١٣ فبراير ـ بلغ البرد اليوم فى بريطانيا العظمى كلها درجة تذكر ببرد القطب الشمالى ومن المنتظر أن يشتد . وقد عرقلت المواصلات بالسكك الحديدية وعلى جميع الطرق فى بريطانيا العظمى واليبس الاوروبى الى حد عظيم ووردت الانباء بوفاة كثيرين على أثر البرد ـ روتر

باريس فى ١٢ فبراير ـ يشتد البرد فى جميع انحاء أوروبا ولاسيما فى فرنسا وقد صار السفر بطيئا فى سكك الحديد وفى الطرق الأخرى وأصبح العمل فى المناجم صعبا ولا سيما فى تشكوسلوفاكيا وألقت الذئاب الجائعة الرعب فى بعض جهات البلقان وتجمد نهر الدانوب فى القسم الذى يجتاز تشكوسلوفاكيا . وهبطت الحرارة الى ١٤ درجة تحت الصفر فى باريس والى ٢٣ درجة فى رنس و ٢٠ درجة فى ستراسبورغ ـ هافاس

لندن فى ١٢ فبراير ـ ان البرد القارس الذى اشتد فى اوروبا أفضى الى فواجع كثيرة فقد جاء فى تلغراف من وارسو خبر وفيات كثيرة بالبرد وان حراس الغابات عثروا على زمرة من «الغجر» تتألف من ٣٤ شخصا رجالا ونساء وأولادا نزلوا فى غاب على مقربة من لوبلن وماتوا بردا

وجاء فى تلغرافات برلين أن ثلاثين سفينة محصورة بالجد فى جهة بحر البلطيك الغربية وليس فى بعض هذه السفن طعام وقد أصيب بعضها بعطب شديد بحيث لا تستطيع السفر وان الطرادات الألمانية المهتمة بالانقاذ يعوقها الجد وتمد طيارات الحكومة السفن المحصورة بالجد بالطعام ـ روتر

صوفيا فى ١٢ فبراير ـ من انباء فارنا و بورغاس البرقية ان الموانئ البلغارية على البحر الاسود محصورة بالجد ومقفلة فى وجه السفن و يمتد الجد على مسافة بعيدة من الشاطئ وهو سميك جدا بحيث يسهل التزحلق عليه على طول الشاطئ ولم يسبق لهذا البرد من نظير من سنة ١٨٤٩ وقد ازداد صعوبة النقل بسكك الحديد ويخشون من وقوع أزمة طعام فى بلغاريا ـ روتر

ثانيا ـ ماجاء بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٩ بالعنوان المتقدم

اثينا فى ٢٢ فبراير ـ لاتزال رداءة الجو الشديدة مستمرة وقد اكتسحت عاصفة ثلج اقليم أثينا ـ هافاس

لندن فى ٢٢ فبراير ـ بينما الثلج يذوب فى بريطانيا العظمى يشتد البرد فى غيرها من البلدان الاوروبية فقد جاء فى برقية من أثينا أن عاصفة ثلج شديدة اكتسحت بلاد اليونان وان انحاء كثيرة فى الارياف تهددها المجاعة من جراء انقطاع المواصلات وقد اكتتب حتى الآن بمبلغ ٣٥٠٠٠٠٠ دارخمة اعانة لمنكوبى الفيضان فى جنوب بلاد اليونان ومن جلتها مليون من بنك اليونان الوطنى ونصف مليون من المسيو فنزيلوس . و يؤخذ من برقيات صوفيا أن البرد عاد وأن حرارة الجو هبطت الى ٢٥ درجة تحت الصفر فى بعض الأماكن وسقط ثلج أسود فى روستجق و يظن أنه ممزوج بغبار البراكين

رومية فى ٢٢ فبراير ـ يعوق البرد المشتد فى ايطاليا حركة سكك الحديد فقد وصل اكسبرس الشرق الى ميلانو متأخرا ١٤ ساعة عن ميعاده ـ هافاس

بودابست فى ٢٢ فبراير عاد البرد القارس بشدة عظيمة و بلغ الدرجة الخامسة والاربعين تحت الصفر هنا

اليوم والجد سميك جدا فى نهر الدانوب بحيث تمر فوقه مركبات تجرها الثيران . وقد تلف القسم الأكبر من أزهار الثمار وخمسون فى المئة من قفران النحل - روتر

ثالثا - ﴿ ثورة الطبيعة بسوريا ولبنان ﴾

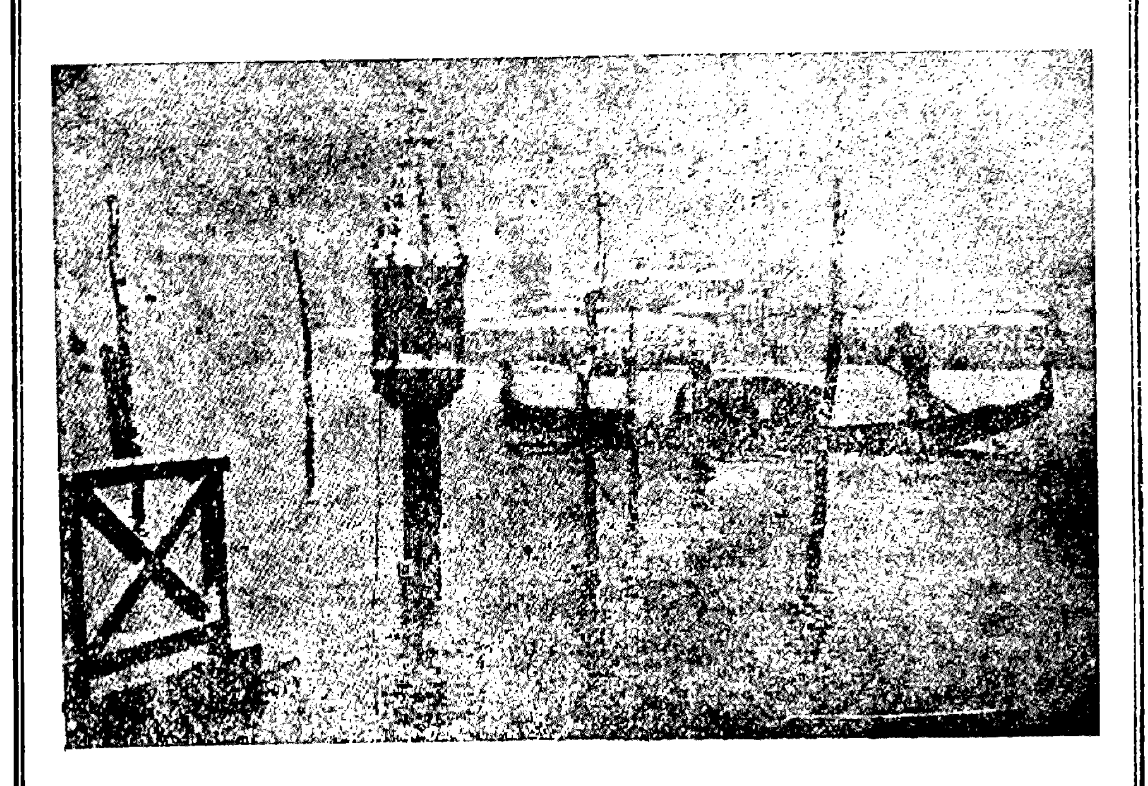
من عادة سكان الجبال العالية فى لبنان أن يدخروا لأيام الشتاء المأكل والملبس حتى يستغنوا عن المدن والسواحل مدة شهرين على الأكثر ولكن الطرقات تظل مفتوحة ويظل الأهالى قادرين على المجئ الى الساحل وشراء حاجاتهم غير أنه حدث فى هذه الأيام أن الثلوج تراكمت حتى قطعت الطرق وعزلت كثيرا من القرى فى أعالى الجبال فنفدت حاجات السكان وعز خروجهم من قراهم وصعب الوصول اليهم فأخذ الكثيرون من سكان السواحل يستصرخون الحكومة لتمديد المساعدة الى القرى المعزولة وتوصل اليها حاجاتها من المأكل والغذاء الى أن يمنّ الله بالفرج وتذوب الثلوج وتنفتح الطرق

قالت البلاغ البيروتية :

طمرها الثلج ولم يبق من بناياتها شئ ظاهر ويرجحون أن منازلها سقطت على ساكنيها اذ قيل ان ارتفاع الثلج فوقها بلغ ٢٥ ذراعا ويقول الشيوخ انه لم يسبق لذلك مثيل منذ نصف قرن . قال : وقد اصيبت قرية بان أيضا باضرار جسيمة سنوافيكم بتفصيلها وتفصيل غيرها من النوائب الجوية فى صرود البترون و بلاد جبيل وسقطت صاعقة فى البترون فقطعت اسلاك التلغراف ولم يصب أحد بأذى والحمد لله

رابعا - ﴿ ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار خسائر الجليد فى العالم فى كل شتاء ﴾

هذا هو المبلغ الذى يذهب سدى من جراء سقوط الجليد . وهو كما يرى فى الصورة قطع من الثلج متفاوتة الحجم فمنها ماهو كالحصة ومنها ماهو فى حجم البيضة . وترسله السماء بانهمار شديد بين زئير الصواعق والرعد . وقد كان شتاء هذا العام شديد البرد لكثرة مانزل من الجليد فى بعض الأقطار . فقد كان ملاحظا فى الاستانة كما هو فى جنوب افريقيا . وجنوب اوروبا و بعض أقطار أمريكا وكانت تغشى طبقات منه أبنية وشوارع الريفييرا ومونت كارلو وغيرهما من البلاد وكان البرد على أشده عدة أيام فى جنوب ايطاليا فكانت درجات الحرارة ١١ درجة تحت الصفر فى البندقية وسينا و١٣ فى بيروجيا و ٢٠ فى أودين وبالرمو . ولكن أروع حالة كانت فى القسطنطينية فى أوائل فبراير الحالى وكانت الرياح الشمالية تسير بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة وكانت تكنسح الجليد أمامها فكان من الصعب أن يرى الانسان ما أمامه فى شوارع الاستانه وقد وصل سمك الجليد فى بعض النقط ١٥ قدما . وتعذر مرور السفن فى البسفور لما كان فوق سطح الماء من طبقات الجليد . (انظر شكل ٩ فى الصفحة التالية)



(شكل ٩ ـ إحدى كنائس مدينة البندقية فى ايطاليا تحت الجليد)

انتهى المقال العام فى آية ـ مايفتح الله للناس ـ الخ

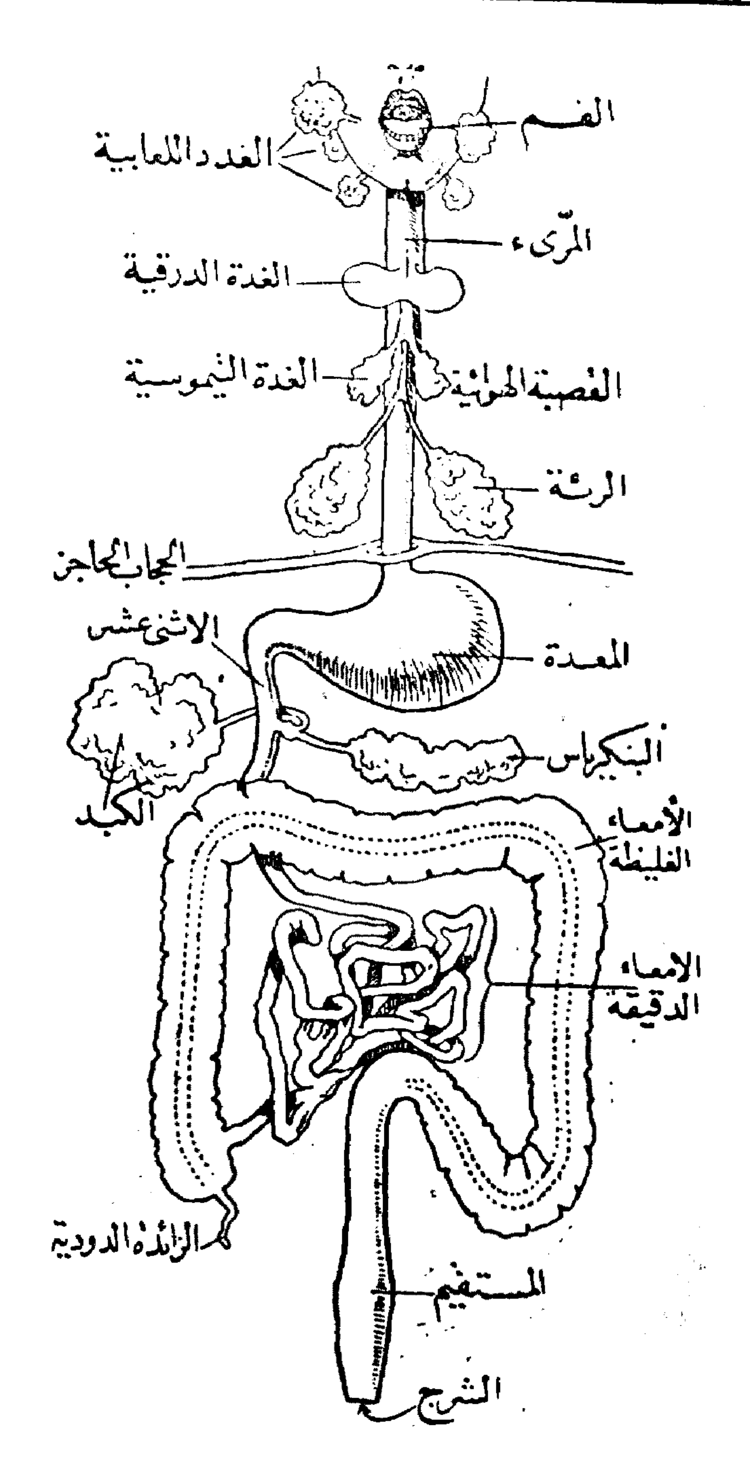
﴿ لطيفة فى قوله تعالى ـ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا ـ ﴾

(كتب قبل الفجر ليلة ٣٠ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ)

اللهم إنا نحمدك على نعمة العلم و بهجة الحكمة والهداية للفهم والانعام ، اللهم إن أعظم نعمك علينا هو العلم ، العالم الذى نعيش فيه مادة والمادة لاثبات لها بل هى شبكة نسجتها لنا يد الحواس الخمس لنصيد بها جواهر العلوم فى ظلمات بحر الحياة اللجى ، فو يل ثم و يل لمن مرت عليه السنون تتلوها السنون وهو فى غفلة وهو من المعرضين ، لولم يكن هذا العالم فى غاية الابداع والجمال لكانت هموم هذه الحياة وأسقامها عبثا

اذا لم تكن الآلام والأسقام موقظات للعقلاء أن يفكروا فيما خلقوا فيه من الجمال لظل جميع الخلق محجو بين مبعدين عن بهجة ذلك الجمال البارع والحسن والنور والعرفان

أكتب هذا الآن و بين يدى كتاب « الطبيعة وعجائبها البديعة » فهاهوذا الجهاز الهضمى (شكل ١٠ فى الصفحة التالية)



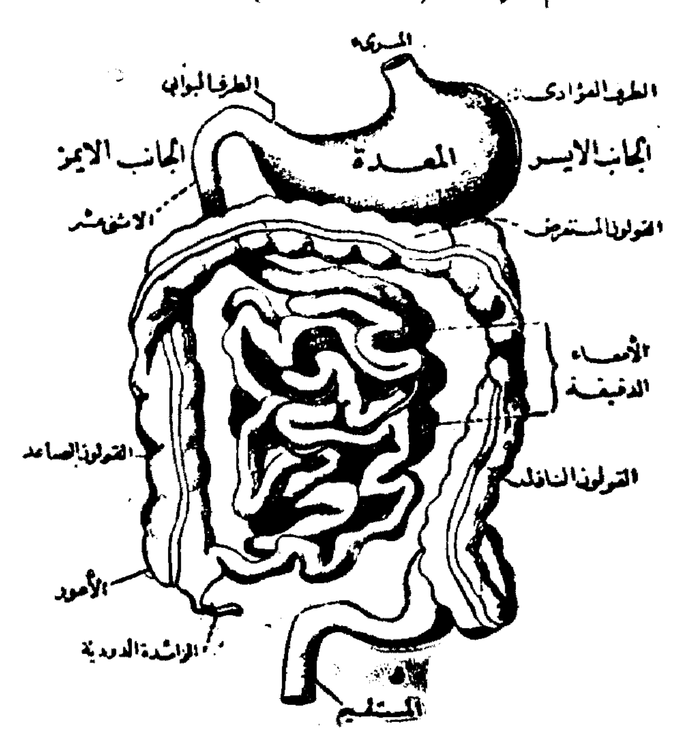
(شكل ١٠ - الجهاز الهضمى)

أنظر اليه وفكر فيه . أليس هذا هو المخلوق من النطفة المخلوقة من تراب ، هاهوذا التراب فانظر كيف خلق منه نبات فحيوان فانسان فأكل هذا نباتا وحيوانا فاجتمعت العناصر فكان منها أمثال هذه القناة الهضمية هذه يراها العالم والجاهل فتظهر تارة بهيئة حقيرة لقذارتها أوهيئة مشتهاة اذا طبخت وكان الناظر جائعا وهى فى نظر الجزار سلعة تقصد لثمنها ، أما الحكيم المفكر فانها فى نظره لوح يقرؤه وكتاب يفهمه وتبصرة وذكرى ، فأول مايصادفه بعد الفم وما فيه من الاثنتين والثلاثين سنا (الغدد اللعابية) فينظر فيرى هناك ثلاثة أزواج من الغدد كلها تفرز اللعاب الجارى فى قنوات ، وذلك اللعاب سائل شفاف غير حمضى بل هو قلوى

وهذه

وهذه الثلاث موزّعات فى الفم . فالزوج الأوّل منها يسمى (النكفيّ) وهو أعلى . والثانى تحت الفك الأسفل والثالث تحت اللسان ، وهـذا اللعاب فيه موادّ مخاطية وخميرة اسمها (تيالين) لها تأثير على أمثال القمح والبطاطس والأرز وكل مادّة نشوية فتحوّلها الى مادّة سكرية ذائبة ، وهذا اللعاب مرطب للأطعمة مسهل لابتلاعها مانع من تأثير الموادّ الحمضية على الأسنان لأنه قلويّ

ثم ينظر فيرى البلعوم وهو القسم الأعلى من القناة الهضمية الذى يلى الفم . ثم يرى المرىء وهو أنبوبة عضلية ضيقة تلى البلعوم طولها (٢٥) سنتيمترا أو (١٢) قيراطا وهذا يمتد فى العنق والصدر ويخترق الحاجز ويتصل بالمعدة وله غشاء يفرز سائلا مخاطيا يسهل مرور الأطعمة . ثم المعـدة الموضوعة على هيئة (قربة الموسيقى) طولها أيضا (٢٥) سنتيمترا كطول الاثنا عشرى الآتى ذكره لأنه اثنا عشر قيراطا ، ولها غشاء مخاطى أيضا مجعد يفرز العصير المعدىّ وفيه خمسة أنواع من الموادّ الهاضمة وهى المنفحة والموادّ المخاطية والأملاح المختلفة وحمض الكلوريدريك والببسين والطرف الأعلى فى اليسار يسمى الطرف الفؤادى والطرف الأيمن وهو الأسفل يسمى (البوّابى) والأوّل متصل بالمرىء والثانى متصل بالامعاء الدقاق . وبعد ذلك يرى الاثناعشرى ثم تكون الكبد على اليمين وغدة البنكرياس على اليسار والاثناعشرى هو أوّل الامعاء الدقاق وبعده الصائم واللفائفى من تلك الامعاء وهما اللذان تراهما فى هذا الرسم (شكل ١١) فى داخل الامعاء الغلاظ والطعام يمرّ فى هذه كلها بالترتيب حتى يصل الى الامعاء الغلاظ فيبتدئ بالأعور جهة اليمين فالقولون الصاعد فالقولون المستعرض فالقولون النازل فالمستقيم فالإست (انظر شكل ١١)



(شكل ١١ ـــ منظر عام للقناة الهضمية حسب وضعها الطبيعى)

وهنا يتفكر العاقل فى هذه الغدد ومامعها ، فيرى أن الطحال والبنكرياس يفرزان موادّ هاضمة لتلك الموادّ كما تفرز غيرها الغدد التى فى الفم وفى المعدة والامعاء . إن التى فى الفم ذوات المجارى الست تفرز موادّ قلوية تؤثر فى الموادّ النشوية كما تقدم فتجعلها سكرية وعلى الآكل أن يمضغ الطعام ببطء ليمكن الخميرة المسماة بالتيالين التى فى لعاب الفم أن تؤثر فيه فتذيب تلك المواد . فاذا وصل الطعام الى المعـدة تلقاه العصير المعدى فأذاب بعض الموادّ التى لم تذب بخميرة وبعضها الآخر بخميرة أخرى فترى المواد الزلالية فى اللبن تصير كالجبن

بواسطة خميرة اسمها (المنفحين) ولاجرم أن وسط المعدة حمضى بخلاف وسط الفم فهو قلوىّ ولكل منهما خمائر تناسبه ولاعمل لخميرة إلا فى مكانها الخاص

ثم انه لابد فى فهم حقائق بقية هذا الموضوع من معرفة ماهى الأغذية اللازمة للانسان انها :

(١) موادّ عضوية غير آزوتية أى ليس فيها عنصر الآزوت الذى هو جزء من الهواء الجوّى وهذه إما مواد كربوايدراتيه مثل النشادر والسكر . واما مواد دهنية كأنواع الزيت والسمن والشحم

(٢) ومواد عضوية آزوتية وهذه تستهلك فى أنسجة الجسم . وهذه مثل (البروتين) كزلال البيض والجلاتين المستخرج من العظام المغلية والمادة الجبنية فى اللبن ومادة (الميوسين) التى فى اللحم وهكذا يكون (البروتين) فى المواد النباتية لاسيما فى بذور البقول مثل الفول والبسلة والعدس . وفى الحبوب كالقمح والذرة

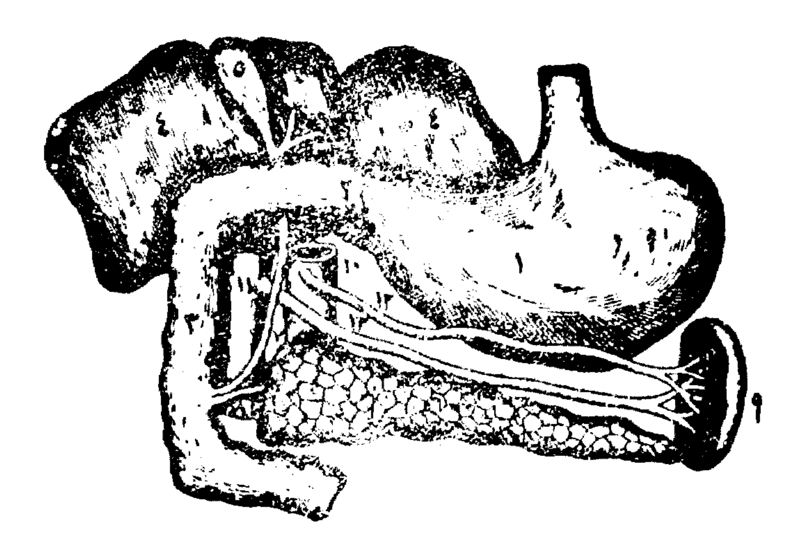
(٣) ومواد غير عضوية وهى الماء والمواد المعدنية والماء ثلثا الجسم والمواد المعدنية منها :

(ا) كربونات الجير وهى فى العظام والأسنان

(ب) وفوسفات الجير وهى فى العظام أيضا وتكون نصف وزنها تقريبا وان فوسفات الجير وكربوناته داخلات بمقادير كافية فى الأغذية النباتية والحيوانية

(ج) وملح الطعام

(د) وأملاح أخرى بمقادير قليلة تدخل فى الجسم من الغذاء . اذا عرفت هذا فان الحكيم المفكر الذى تكلمنا عنه ينظر فى سير الطعام أثناء سيره (انظر شكل ١٢)



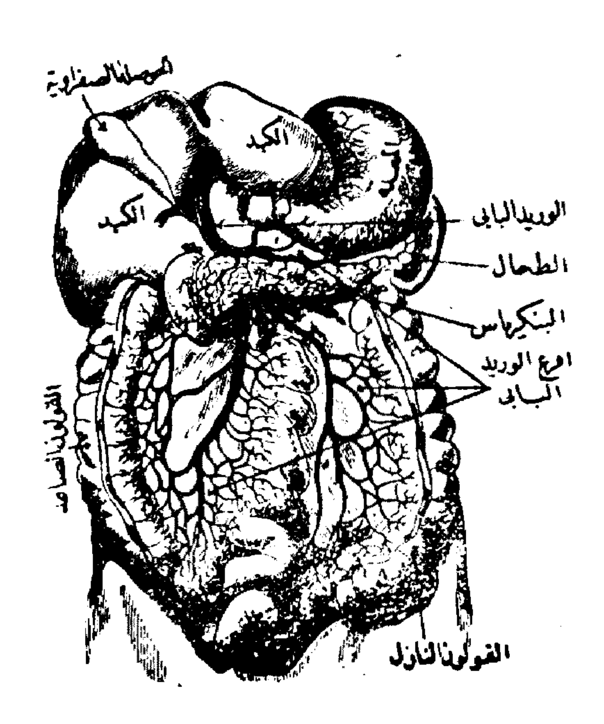
(شكل ١٢ - المعدة والاثناعشرى والكبد والطحال والبنكرياس (١) المعدة (٢) البوّاب (٣) الاثناعشرى (٤) السطح السفلى للكبد (٥) الحوصلة الصفراوية (٦) غدة البنكرياس (٧) القناة الصفراوية (٨) القناة البنكرياسية (٩) الطحال (١٠) الأورطة (١١) الوريد البابى (١٢) الشريان الطحالى (١٣) الوريد الطحالى)

فيرى أن هناك القناة الصفراوية (نمرة ٧) فى هذا الشكل توصل الصفراء المطبوخة فى الكبد الاثناعشرى ومثلها القناة البنكرياسية الآتية من البنكرياس (نمرة ٨) فى الشكل فإذن يرى هاتين العصارتين تصبان فى مكان واحد وتمتزجان بمادّة الكيموس الآتى من المعدة ذى القوام الغليظ . وهذا الكيموس يمرّ بالامعاء فتقابله عصارة أخرى تفرزها الامعاء نفسها . فهذه العصارات الثلاث تذيب من المواد مالم يذب من قبل و ينقلب بسببها الكيموس الى كيلوس ذى قوام سائل لبنى . وهنا استعدّ الطعام لأن يرتقى درجة أخرى فتمتصه الخلات التى فى الامعاء الدقيقة و يمر الباقى الى الامعاء الغليظة ولايزال الامتصاص مستمرا هناك أيضا ومافضل

مما لم يمتص أولم يصلح للامتصاص يخرج بالتبرز . وهنا يرى هذا الحكيم أن القناة الهضمية فيها مصانع لتجهيز أنواع الهواضم . فأما فى الفم فاللعاب وفيه خمائر تذيب المواد النشوية كالسكر والنشاء ومابقى ففى المعدة وفى الامعاء بالعصارة البنكرياسية والمعوية والصفراوية

هنالك يرى ذلك الحكيم درجة جديدة للطعام ، فانه أولا كان نباتا وحيوانا وماء ومعادن ثم أصبح فى الفم ذائبا باللعاب أوكيموسا فى المعدة بأنواع من الهواضم ثم انتقل الى الامعاء فسلطت عليه العصارات الثلاث المتقدمة من البنكرياس والصفراء والامعاء فصار كيلوسا ثم ارتقى فتقبلته شبكة دقيقة من الأوعية الدموية تحت الغشاء المخاطى بعد أن تمر بذلك الغشاء المبطن للامعاء . وهذه الشبكة تسلمها الى الدورة الدموية والدورة التنفسية

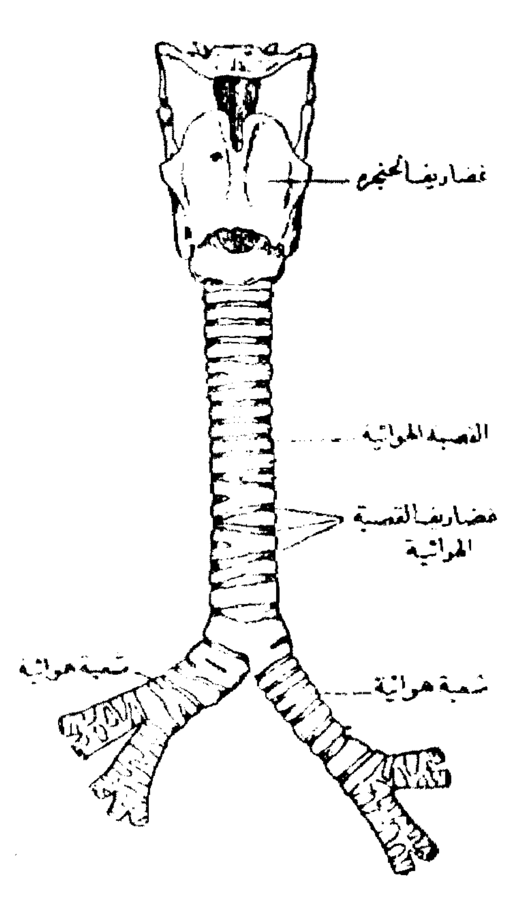
ههنا ينظر فى الدورة الدموية فماذا يرى ؟ يرى هذا الرسم (انظر شكل ١٣) وهذه الدورة تقدم شرحها مرارا وتكرارا فى هذا التفسير ولكن هذه الصورة البديعة لم يتقدم لها نظير من حيث وضوحها (شكل ١٣)



(شكل ١٣ ـ الوريد البابى والفروع الرئيسية التى يتكون منها)

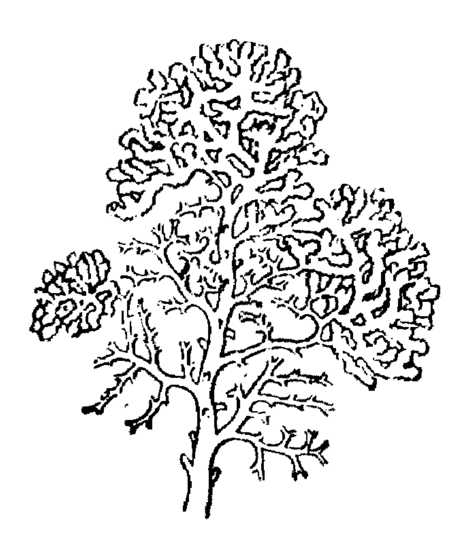
وهنالك يرى الدم الشريانى فى يسار الصورة والوريدى فى يمينها والأول يتدفق فى الاروطى الخارج من البطين الأيسر وقد تفرع الى فرعين : أعلى وأسفل لتغذية الجسم كله أعلاه وأسفله فهو أشبه بنوع الانسان حينما يكون جاهلا فاذا تعلم صار كالمواد المهضومة ثم يرقى فيصير نافعا لمجموع الأمة كما صار الدم غذاء للجسم فأما بقية المواد التى لم تهضم أو هضمت ولم تمتص فقد خرجت بالتبرز فهى أشبه باولئك الذين رسبوا فى المدارس لأنهم لم يجيبوا فى الامتحان أو كأهل النار الذين لم يصلحوا لسكنى الجنة لأنهم فى الدنيا لم تتوافر فيهم صفات الكمال حتى يصلحوا لمعاشرة أهل الجنة الذين هم علماء وحكماء . ويرى الدورة اللمفاوية العليا والسفلى . والوريد البابى . والوريد الكبدى الأعلى المتصلين بالكبد وهما مملوآن بالدم الوريدى ثم يبحث فيرى الدم الشريانى متى اتصل بأجزاء الجسم تحول الى دم وريدى فيعرف انه قد اسود بسبب المواد الفحمية التى خالطته بسبب التفاعل الكيماوى ثم يرى ذلك الدم الوريدى أخذ يرجع ثانيا فأخذ يصب فى الأذين الأيمن ثم ينزل منه الى البطين الأيمن ومن البطين الأيمن يخرج هذا الدم فى طريقه جاريا فى فروع الشريان الرئوى

متصلا بفروع الشعب الهوائية وهناك يبحث عن هذه العجائب كيف تكونت فيرى القصبة الهوائية (انظر شكل ١٤)



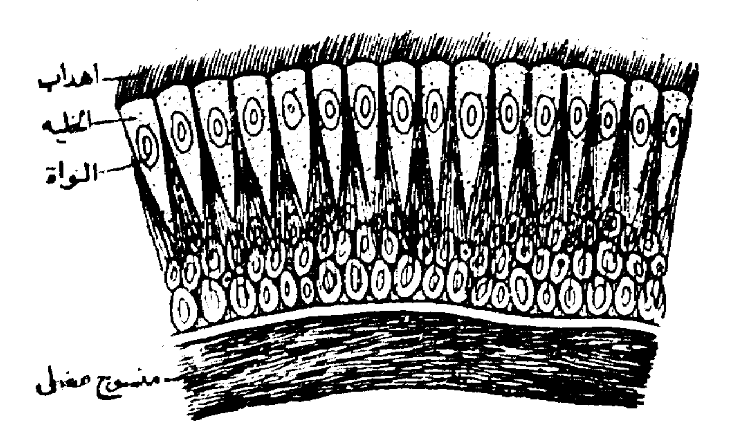
(شكل ١٤ ــ القصبة الهوائية وفروعها)

وهذه القصبة الهوائية تكون منها شعبتان هوائيتان وهاتان الشعبتان يخرج منهما مايشابه الأشجار ويسمونه بالحويصلات الهوائية (انظر شكل ١٥)



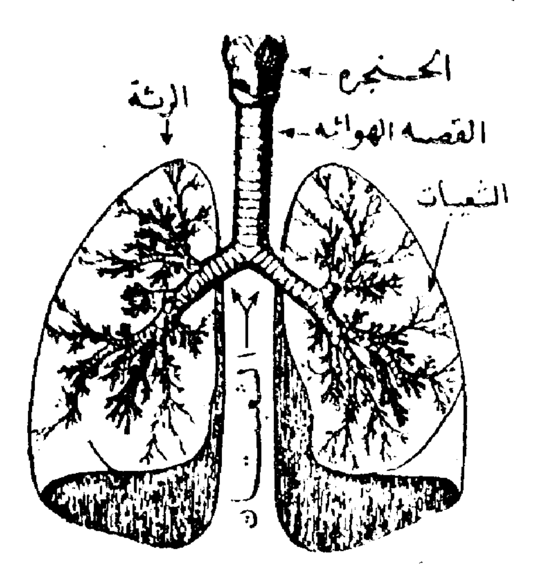
(شكل ١٥ ــ الحويصلات الهوائية)

وعند تأمله فى القصبة الهوائيـة يجد فيها عجبا ! يرى نسيجا هدبيا مبطنا للقصـبة (انظر شكل ١٦)



(شكل ١٦ ـ النسيج الهدبى المبطن للقصبة الهوائية)

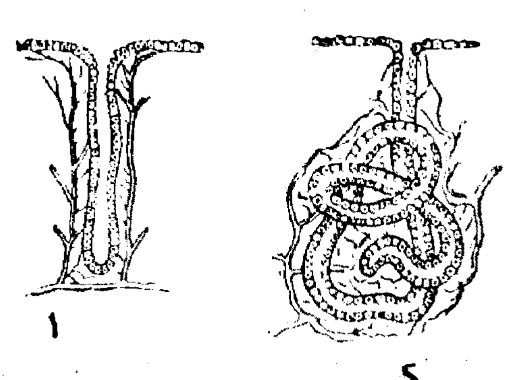
فيقول : « ما عمل هـذا النسيج ؟ إن فيه لأهدابا وخلايا ومنسوجا عضليا» ثم يهتدى أخيرا الى أن هذه الأهداب أشـبه بالكناسين والزبالين لأنها دائما ليلا ونهارا تتحرك من الداخـل الى الخارج ، لماذا هذا ؟ لتطرد الغبار الداخل مع النفس فى القصبة الهوائية ، فهذه الأهداب حوافظ وخفراء تطرد الأجانب لئلا تفسد المملـكة الرئوية الخادمة للمملـكة الدموية ، فالقلب يرسل جنوده الدموية المنهكة القوى المتعبة فتأتى الى الرئة فيقابلها الخدام والحفظة فينظفونهم و يحملون ماخالطهم من الأدران و يرمون به فى الخارج فضلا عن امداد هؤلاء الجنود بالغذاء وهنالك يسافرون الى الجسم كرة أخرى و يفعلون ما فعلوه سابقا ، وفى أثناء سيرهـم يتقابلون مع جنود أخرى يأتون اليهم من الغذاء المهضوم النقى الذى تمتصه الشبكة الدموية فى الامعاء ليكون عوضا عن الدم الذى تمثل بالجسم ، فيقول ذلك الحكيم إذ ذاك : « كيف يفهم المسلمون آية ـ وكل شئ فصلناه تفصيلا ـ إلا بهذا وأمثاله ، أوآية ـ وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم ـ أوآية ـ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا ـ الخ » (انظر شكل ١٧)

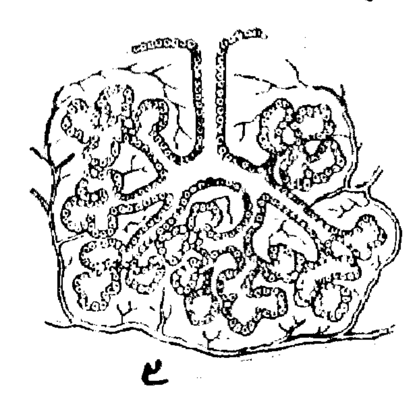


(شكل ١٧ ـ الرئتان وتفرع القصبة الهوائية فيهما)

ثم يقول : « هاتان شعبتان هوائيتان قد تشعبتا فى الرئة وهناك قابلا الأوردة والشرايين » هنالك يهوله الأمر و يزيد عجبه إذ يرى مايشـبه الأشجار التى فى الحدائق قد نبتت من القصبة الهوائيـة وأخرى

امتدت من القلب وتقابل الأعلى والأدنى من فروع وفريعات يماثل أدناها أعلاها حتى يمكن الاقتباس والانتفاس والأعمال الكيمائية ، وهنالك ينظر ذلك الحكيم نظرة أعلى فيقول : « ما هذه الغدد التى أراها على أنواع مختلفة فمنها البسيطة والأنبوبية والعنقودية » (شكل ١٨)





(شكل ١٨ – رسم بيانى للغدد)

(١) غدة بسيطة (٢) غدة أنبوبية (٣) غدة عنقودية

فماذا يرى بعد البحث ؟ يرى أن هذا الدم الذى لم ينله الجسم إلا بعد مشاق ومشاق وتعب ونصب ومصانع تحضر مواد فى الفم وفى المعدة والامعاء والكبد والبنكرياس لايزال هو بحاجة الى اصلاح . إن هذا الدم عبيط لاحيلة له ولاقدرة على اصلاح هذا الجسم بمفرده ، وكما أن الأغذية لم تصر دما إلا بعد مواد صنعت فى مصانع خاصة ، هكذا هذا الدم لايصلح لعمارة هذا الجسم إلا بعد أن يقوى ويؤيد بمواد نافعة تؤهله لهذه الأعمال العظيمة وايجاد هذا الخلق الجديد . إن الدم منه تصنع جميع العظام والأعضاء والحواس

(١) فيرى أولا أن أعضاء التناسل ونمو الشعر والعظام لابد لها كلها من عمل آخر حتى يتم لأن الدم بمفرده لايصنع ذلك . هنالك يجد أولا الغدة الصنوبرية وهى قدر حجم الحمصة موضوعة بين المخيخ والنصفين الكرويين للمخ وهذه الغدة اذا صارت ضخمة فان الانسان يبلغ السن المعتادة وينمو شعره قبل أوانه وعظامه الطويلة تنمو بطريقة غير منظمة . إذن هذه الغدة أشبه بالمهندسين من نوع الانسان أو الصناع الماهرين فاذا اختلت صارت أشبه بالصانع الجاهل الذى يعمل بلا انظام

(٢) ويرى ثانيا الغدة النخامية وهى جسم بمقدار حجم الترمسة وهو متصل بأسفل المخ وله فصان أمامى كبير وخلفى صغير فى تجويف بالفص الأمامى ، فالفص الأمامى الكبير من الغدة النخامية يفرز مادة نافعة فى تكوين العظام كالغدد السابقة ، فاذا زاد نشاط هذا الفص زمن الشباب فان الجسم يزيد طوله طولا فاحشا حتى يصل بصاحبه الى طول العمالقة ، إذن هذا أيضا مهندس آخر كالسابق أو صانع ماهر فاذا أسرع فى عمله قبل أوانه فهو صانع غير ماهر وتعليمه قليل ، فأما اذا زاد نشاط هذه الغدة بعد تقدم السن فانه ينشأ مرض

يسمى

يسمى (اكروميجاليا) وهو كبر الأطراف إذ تصير بعض عظام الجسم أكثر ضخامة لاسيما الفك السفلى والأيدى والأقدام

هذه أعمال الفص الأمامى ، أما الفص الخلفى فإن له تأثيرا على أعضاء التناسل وله صلة بضغط الدمودقات القلب و بعض العضلات التى ليست ارادية و بافراز اللبن . إذن الغدة الترمسية والغدة النخامية بفصيها أعمالهما يتم بعضها بعضا تقريبا

(٣) ثم يجد الحكيم ثالثا أن فى العين مادة ملحية سائلة فيعجب و يقول : « من أين أتى هذا الماء وملحه ؟ » فيبحث فيرى هناك غدة فى حجم اللوزة موضوعة فى جهة العين الخارجة فهى تفرز سائلا ملحيا يحفظ سطح العين نظيفا ، ثم يقول : « إن هذا عجب ، هاأنا ذا اطلعت فى سورة الفرقان عند آية — وخلق كل شئ فقدره تقديرا — وفى سورة العنكبوت على صورة الجهاز الذى فيه السم الذى تقذفه النحلة والعنكبوت على ماشاءت والجهاز الذى فيه غزل العنكبوت ، فهذان الجهازان جعلا مناسبين للحاجة فأحدهما فيه السم للدفاع والثانى فيه الغزل للاقتناص وغيره ، وههنا هذه الغدة قد جعلت لمصلحة العين فجعل فيها سائل ملحى

(٤) ثم ينظر أيضا فيرى الغدة الدرقية (نمرة ١) فى الشكل المتقدم وهذه الغدة واضحة فى الرسم أمامك وهى جسم لين فى الجهة الأمامية من العنق تحت الحنجرة فائدتها تكوين العظام وعمل الاحتراق فى الجسم ولها علاقة بالغدد التناسلية ، واذا زاد افرازها جف الجلد ونحل الجسم و بطؤ الكلام وضاق النفس واضطربت التغذية ، واذا انعدمت الغدة فى سن الطفولة ظهر نقص عظيم فى النمو فى الجسم والعقل أو وقوف تام لهما

(٥) ثم ينظر خامسا فيرى غدة مجاورة لهذه تسمى (الغدة جارة الدرقية) وهذه اذا عطلت حصل التشنج عند الأطفال والشلل مع الرعشة وأن تصير العظام هشة سهلة الكسر ، واذا أزيلت هذه الغدة كثرت فى الجسم التشنجات العضلية وقلت تغذية الشعور والأظافر وقد يصير فى العين ماء أزرق

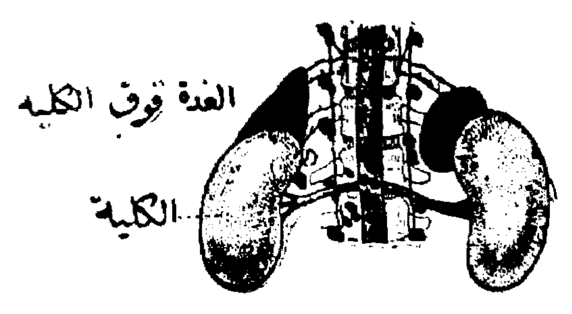
(٦) ثم ينظر سادسا فيرى غدة التيموس الموضحة فيما تقدم فى (شكل ١) بعد الغدة الدرقية فيقول : « فياليت شعرى ماعمل هذه أيضا ، هاهى ذه واضحة بأعلى المنطقة الصدرية تحت الفص و بعد البحث يراها لاتبلغ أشدها إلا فى السنة الثانية من عمر الطفل و يبتدئ خمودها واضمحلالها عقب سن البلوغ ثم تختفى تقريبا . فهذه تؤثر فى نمو الأطفال وتكوين أعضائهم التناسلية ، واذا اختفت قبل أوان اختفائها يحصل اضطراب فى الجسم لاسيما فى تكوين الأعضاء التناسلية

(٧) ثم ينظر سابعا فيرى غدة البنكرياس المرسومة فى (شكل ١) أيضا المقابلة للكبد فماذا يرى ؟ يرى أن فيها غددا أخرى غير الغدد المتقدم ذكرها لأنها فيما مضى أفرزت مادة ذهبت الى الامعاء ولكن الغدد الأخرى هنا فى البنكرياس تذهب الى الدم مباشرة . فماذا تصنع ياترى ؟ انها تعرف بالانسيولين . إن (الانسيولين) يساعد الكبد فى تحويل المادة المسماة (جلوكوز) الى مادة ألطف يسمونها (جليكوجين) فالمادة الأولى سكر وهذا السكر لاتقدر خلايا الجسم على احتماله وادخاله فى تكوينها . فاذا لم يساعد الانسيولين الكبد على ذلك التحويل بقيت تلك المادة السكرية عالة على الجسم فلا محيص للجسم من التخلص منها بواسطة الكليتين فى البول بدون أن ينتفع الجسم بها فيحصل ضعف تدريجى وأعراض أخرى وهذا هو مرض البول السكرى . إذن هذه الغدة جعلت فى الجسم لمنع البول السكرى المعروف . والكبد وهو مقابل للبنكرياس فى الجسم أكبر غدة فيه هو فى أعلى الفراغ البطنى وهو الى الجهة اليمنى أقرب وهو نحو ثلاثة أرطال وربع فى الانسان البالغ تقريبا وسطحه العلوى محدب والسفلى مقعر وهو يفرز الصفراء المتقدم ذكرها وتخزن فى الحوصلة الصفراوية وهذه الصفراء :

(١) تساعد عصارة البنكرياس فى تجزئة الكرات الدهنية ويكون هناك مستحلب

(ب) وتلين الامعاء فتساعـدها على الحركة الدورية فى القولون والمستقيم وتمنع التعفن فى الأغذية التى تزيد فى الامعاء

(٨) ثم ينظر ثامنا فيرى غدتين فوق الكليتين (شكل ١٩) وهاتان الغدتان اذا اعتدلتا فى افرازهما اعتدل النشاط الطبيعى فى الشرايين والعضلات الارادية وغير الارادية واذا قل نشاطهما حصل مرض فى الجسم يسمى مرض (اديسون) ذلك أن الجلد يلون بلون آخر هو اللون (البرنزى) ويكون هناك ضعف وقئ وانهاك عصبى ينتهى هذا كله بالموت ، واذا نزعت هاتان الغدتان يحدث الموت فى مدة قصيرة وهذه صورتهما



(شكل ١٩ ــ الغدتان فوق الكلى)

(٩) ثم ينظر تاسعا فيرى الغـدد التناسلية وهما الخصيتان فى الذكر والمبيضان فى الأنثى ، فالحيوانات المنوية تخلق فى الخصيتين والبويضات فى المبيضين وهذا ماهو إلا افراز كالافراز الخارجى فى الغدد الأخرى ولهذه الغدد افرازات أخرى بها يمتاز الذكر من الأنثى فى مظهرهما ، فاذا رأينا شعر الشارب واللحية والشعر المنتشر على الجسم وخشونة الصوت وظهور بروزات عظام الجسم واضحة فى الرجـل ورأينا ذلك كله فى الأنثى على خلاف ذلك وهى تزيد بنمو الغدتين الثدييتين واستطالة شعر الرأس وازدياد المواد الدهنية المدخرة تحت الجلد فتخفى زوايا العظام البارزة . أقول : اذا رأينا ذلك كله عرفنا انه وجد بسبب ماتفرزه الخصيتان والمبيضان من المواد لتكوين ذلك كله فضلا عن تكوين الحيوانات المنوية والبويضات لظهور النسل . وللخصيتين والمبيضين آثار فوق ماتقدم إذ هما بما يفرز منهما يوقظان الوظائف الحيوية فى الجسم لاسيما ما كان له علاقة بالتناسل

(١٠) ثم ينظر فيرى فى الجلد غددا عرقيـة منتشرة تحت الطبقـة الجلدية وهى أنابيب طويلة تفرز السائل العرق

(١١) ثم ينظر فيرى غددا دهنية وهى فى العادة بجانب الشعر وهى تفرز مواد دهنية لها ثلاث وظائف حفظ الشعر لينا وتغطية الجلد بطبقة دهنية تحميه من المؤثرات الخارجية ومنع تشعع الحرارة من الجلد بكثرة

(١٢) ثم يرى غدتين فى الانسان بأعلى الجزء الأمامى من الصـدر وظيفتهما فى المرأة افراز اللبن لارضاع الأطفال اهـ

إن الحكيم حينما يطلع على هذا يقول هذا من العجب ، غذاء مختلف الأشكال حل فى الأجسام هضمه الحيوان وصبت عليه مواد مختلفات فى الفم والمعدة والامعاء وخف ولطف وارتقى فصار دما فدار الدم فى الجسم وأخذت تهذبه عصارات وعصارات وتقابله فى سيره ، وهناك مصانع تصنع فيها تلك العصارات ، فمنها مايمنع التشنج ، ومنها مايحفظ اللون المعتاد ، ومنها مايحفظ أعضاء النسل ، ومنها مايحفظ الهيكل العظمى منظما جميلا معتدلا وهكذا . وأخيرا منها ماجعل لمنفعة الجيل المقبل . إذن الحيوان والانسان مخلوقان عجيبان دراستهما عند الحكيم روح وريحان وهما عند الجاهـل مخلوقان للعذاب ــ وماخلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ــ ــ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ــ

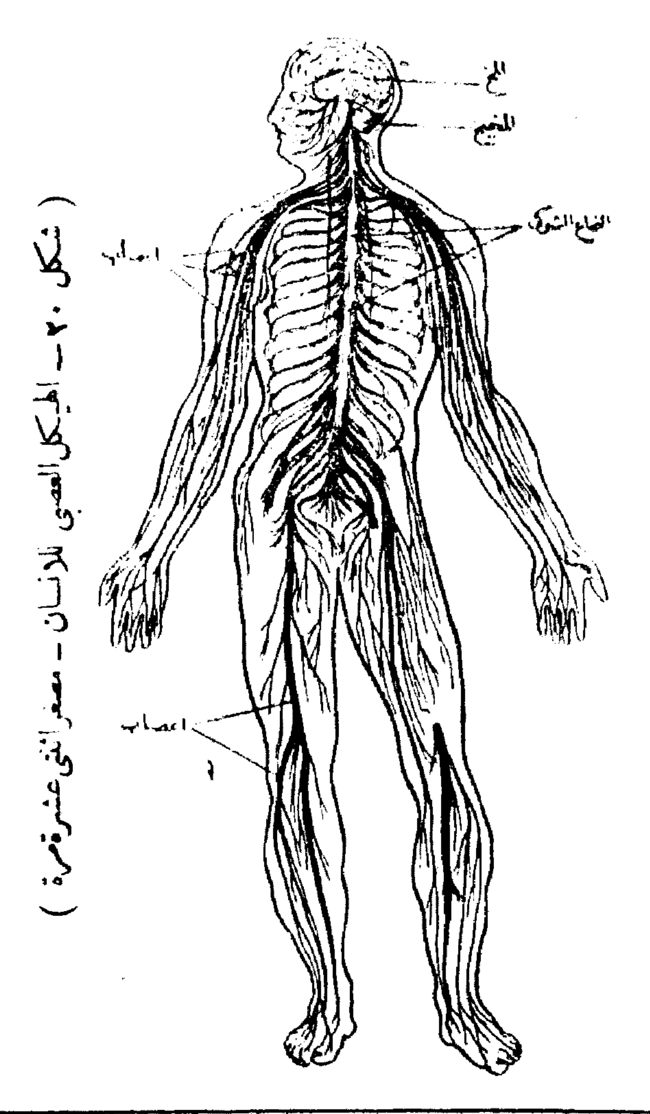
فهذا

فهذا الحكيم حين يرى هذه العجائب يشتاق لصانعها ويحنّ الى لقائه وتكاد روحه تفارق جسمه من شدّة الولوع بذلك الصانع لولا لطفه به إذ يلقى عليه الغفلة والشهوات فتلهيه عن هذا الجمال فيعيش محبوسا فى هذا الهيكل الى أن يرجع الى موجد هذا النظام البديع

﴿ نظرة عامة فى أعصاب الحس وأعصاب الحركة لذلك الحكيم ﴾

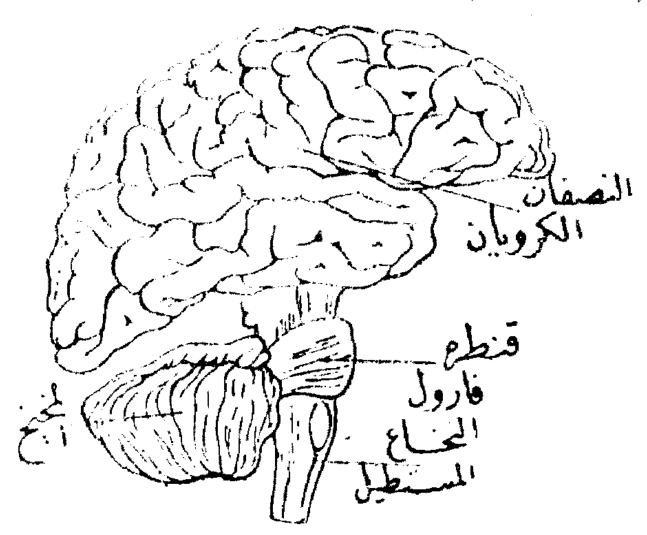
ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى و يتتبع سير الدم فيقول إن الدم الان قد تحوّل الى هذه العظام وهذه العضلات وهذه العروق وهذه الأعصاب وهذا الشعر فلأنظر

إن الناس يشتاقون الى صعود الجوّ بالطيارات والى قراءة علم الشموس والأقمار بل يودّون الصعود الى تلك العوالم ، ولكن لماذا حبسنى الله الذى وضعنى فى هذا الجسم وأبقانى فيه الى أمد معلوم ؟ فيظهر لى انى حبست فيه لأدرسه ، واذا عجزت عن دراسة جسمى فأناعن دراسة العوالم العلوية التى أشتاق اليها أعجز وعن فهم مافوق ذلك أشدّ عجزا ، إذن انظر فى هذا الهيكل الذى كان أصله هذا الدم الذى كان غذاء والغذاء كان نباتا وحيوانا ومعادن . ولقد درست هذه العوالم من قبل لأنها مقدّمات لحياتى فلم يبق إلا أن أدرس نفس جسمى لأنه نتيجة ذلك كله ، ولقد وجدت الأمم تبدأ بما حولها أوّلا ثم تنظر فى أجسامها ثانيا لأن ماحولنا أسهل فهما من أجسامنا فضلا عن انه مقدّمة لها والله يقول ـ وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ـ فقدّم مافى الأرض لأنه أسهل وأيضا أنا محتاج اليه فى حياتى وحياة أمّتى ، إذن ينظر فيرى عوالم أخرى وهى عوالم الحس والحركة (انظر شكل ٢٠)



(شكل ٢٠ ـ الهيكل العصبى للانسان ـ مصغر اثنى عشرة مرة)

وهذه الصورة لا تتكرر فيها مع صور الانسان المتقدمة فى (سورة المؤمنون) وغيرها لأن هذه للأعصاب وتلك للأعضاء والعضلات ونحوها ، وههنا ينظر الحكيم فيعجب من عالم جديد . ماهو هذا العالم ؟ هو عالم لاهو نبات ولاحيوان ولامعدن ولاهوكيموس أوكيلوس ذوقوام لين ولاهودم ولاهولحم وعظم بل هوعالم يقرب من العالم الروحى وعالم الأثير وعالم الملائكة لأن هذه الأعصاب خارجات من المخ والنخاع الشوكى . أما المخ ففيه أولا نصفان كرويان أكبرهما تسعة أعشاره تقريبا وهما قسمان : أيمن وأيسر . وهذان النصفان هما مركز الحس والشعور والذكاء والفكر والذاكرة والارادة . ثانيا فيه المخيخ وهوالجزء الصغيرالحجم الظاهر فى الرسم وهو منظم للحركات العضلية وربطها وحفظ توازن الجسم لأنه متى اختل هو اختل نظام توازن حركات الجسم فليس له إلا التنظيم . ولكن مصدر الحركات هما النصفان المتقدمان . وثالثا النخاع المستطيل وهو ٣ سنتيمترا ونصف ويوصل قنطرة فارول بالحبل الشوكى . وهذا النخاع المستطيل يحكم وينظم حركات التنفس والقلب والبلع وينظم افراز العرق وحجم الأوعية الدموية وهكذا وفيه تم ترجيع التيارات العصبية الصادرة من المخ الى الحبل الشوكى الآتى ذكره والتيارات الواردة من الحبل الشوكى الى المخ . واذا أصيب النخاع المستطيل بضرر ما ظهرت أعراض خطرة . ورابعا (قنطرة فارول) التى هى ألياف متصلة من أعلى بالمخ والمخيخ ومن أسفل بالنخاع المستطيل وهى موصلة التيارات العصبية المتبادلة بين الحبل الشوكى والمخ والمخيخ هذه الأربعة هى المخ (انظر شكل ٢١)



(شكل ٢١ — المخ)

أما الحبل الشوكى فهو يمتد من النخاع المستطيل الى أسفل . يمتد داخل القناة الشوكية فى العمود الفقرى ويبلغ طوله (٤٥) سنتيمترا تقريبا وقطره ثمانية ملليمترات . وهو ينقل الاشارات بين المخ وأطراف الجسم وبالعكس وهو مركز منظم للحركات القلبية الآتية

ههنا يعرف ذلك الحكيم أن المخ والنخاع الشوكى هما الجهاز العصبى المركزى . ثم ينظر فى المخ نظرة أخرى فماذا يرى ؟ يرى هناك اثنى عشر زوجا من الأعصاب تخرج منه موزعات فى المنطقة الرأسية وماحولها لأن المخ أشبه بقصر الملك والملك معه الآلة التلفونية والتلغرافية فيصدر أوامره بتلك الأزواج العصبية الى أعضاء الحس كالعين والأذن والفم واللسان . فيقول للعين ياعين أبصرى والموصل عصبها وللأذن اسمعى والموصل عصبها وعنده هوجهاز الآلة التلفونية أوالتلغرافية (البرقية) وبعض الأعصاب أيضا محرك فهو يأمر العين مثلا بالنظر فتخبره فيصدر أمرا أسرع من البرق الى أعضاء الحركة بواسطة أعصاب الحركة وهكذا

ثم بعد ذلك ينظر نظرة أخرى فى الحبل الشوكى فيجد أمرا عجيبا مدهشا . يجد هناك ثقوبا موضوعة بين الفقرات يمر بها أعصاب متقابلة من الجانب الأيمن والأيسر وتمر من تلك الثقوب ، وعدد تلك الأعصاب ٣١

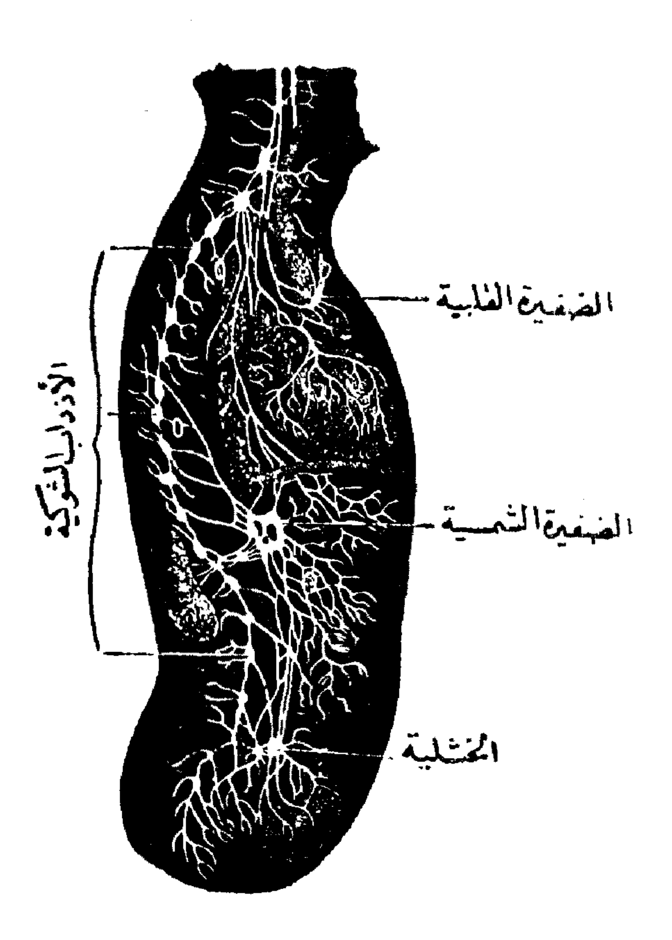
زوجا

زوجا موزّعات فى جانبى الجسم بالتساوى وكل عصب من تلك الأعصاب الشوكية عند خروجه من الحبل الشوكى له ﴿ جذران ﴾ أحدهما ﴿ أمامى مركب من ألياف محركة ، والآخر خلفى مركب من ألياف حساسة وبه انتفاخ صغير هو عقدة عصبية ويتحد الجذران بعد مسافة قليلة ويكوّنان عصبا واحدا يتفرّع الى فروع منتشرة فى الجلد والعضلات الارادية

ثم ينظر ذلك الحكيم فيرى أن الاثنى عشر زوجا الخارجة من المخ والاحدى والثلاثين زوجا الخارجة من الحبل الشوكى لاسلطان لها إلا على الأعضاء الارادية كاليدين والرجلين

أما الغدد اللعابية مثلا فى الفم وهكذا القلب والأوعية الدموية وأجزاء القناة الهضمية المشروحة سابقا والمثانة وأعضاء التناسل والغدد العرقية وهكذا ، فهذه كلها لاسلطان للجهاز العصبى المركزى عليها الذى يتفرّع منه الأعصاب المتقدمة البالغة (٤٣) زوجا يسمونها الجهاز العصبى الطرفى ، فما الذى يؤثر إذن فى الأعضاء التى ليست تحت ارادتنا ، وبعد البحث يجد هناك جهازا آخر غير الجهاز العصبى المركزى وما هو ذا ؟ هو عقد على جانبى السلسلة الفقرية ممتدة من أوّل العنق الى الحوض يسمونها الأذراب ، ومن هذه العقد تخرج أعصاب تتوزّع فى الغدد اللعابية والرئتين وهكذا الى آخر ما تقدم أى فى الأعضاء التى لاسلطان لنا عليها ، وهنا يدهش الحكيم ويقول : « ياسبحان الله . نظام محكم وآداب جمة . إن الذى لنا سلطان عليه كانت له عناية خاصة فكان نفس المخ ونفس الحبل الشوكى قائمين بتدبيره وتدبير الحبل الشوكى متجه الى الأطراف وتدبير المخ متجه الى الحواس التى بالقرب منه . فالأعلى يدبر الأعلى والأسفل يدبر الأسفل

أما هذه العقد الشوكية فلها تدبير منزلى وتسمى هذه العقد وما تفرّع منها (بالجهاز العصبى الاشتراكى السمباثوى وهذه صورته (انظر شكل ٢٢)



(شكل ٢٢ — الجهاز العصبى الاشتراكى)

فههنا يقول ذلك الحكيم : ماهذه العجائب ؟ جهاز للحس بالامور التي تحت ارادتنا وجهاز للحس بالامور التي ليست تحت ارادتنا . ثم ان الزوج الواحد من الثلاثة والأربعين زوجا عصبيا الخارجات من المخ والحبل الشوكى فيه عصب للحس وعصب للحركة . فتى أحس الانسان بشئ من الخارج مثلا انتقل الخبر حالا فى عصب الحس فوصل الخبر إما الى المخ ان كان من أعصاب المخ أوالى الحبل الشوكى إن كان من أعصاب الحبل الشوكى ومنه ينتقل الى المخ وهناك يأمر المخ حالا عصب الحركة فيوصلها حالا الى ظاهر الجسم فيبعد العضو عن الخطر أسرع من البرق

ثم يقول حينئذ ذلك الحكيم : إن الجهاز العصبى عبارة عن عالم مباشر لعوالم حية . فهذا العالم أرقى من عالم الغذاء ومن عالم التنفس . هو عالم يشبه عالم الملائكة . فنقول إذن : هذا هو درس الوجود بأكمله لأن هذا الجسم هو لوحى الذى أقرؤه واقد قرأته فى هذا التفسير بصور مختلفة وكلها أمور عظيمة مدهشة

ثم يقول : بهذا عرفت « من عرف نفسه عرف ربه » وهنا ينظر نظرة أخرى فيقول : إن الانسان قد يكون نائما فيؤذيه برغوث فلا يحس به ولكن العضو نفسه يتحرك . فما الذى حركه ؟ القوة الحاكمة فى الدماغ نائمة و بعد البحث والدرس الطويل يفهم أن هناك حركة تسمى الحركة العكسية إذ يجد أن النخاع الشوكى اذا قطع من موضع معين فان جميع الحركات الارادية والحسية فى الأعضاء التى تتفرع فيها الأعصاب الخارجة من النخاع الشوكى أسفل هذا تقف أى انه يحصل هناك تخدير وشلل . إذن النخاع الشوكى هو الواسطة فى نقل التيارات العصبية الحركية والحسية كما تقدم . ولكن اذا قرصنا هذا العضو الفاقد الاحساس أو المشلول الذى لاصلة بينه و بين المخ أوهيجناه فانا نجد عضلاته تنقبض فجأة وليس للارادة عليه أدنى تأثير . فهذه هى المسماة بالحركة المنعكسة ، فالتيار الاحساسى ينقلب فى النخاع الشوكى الى تيار حركى يرجع فى بعض الأعصاب المحركة وهى تنبه العضلات المتفرعة فتدعوها الى الانقباض

واذن ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : « هنا أدب جم فى دراسة هذا الجسم ، فههنا ملك سكن فى قصره وهو المخ فدبر أشرف مافيه وهى الحواس كالسمع والبصر باثنى عشر زوجا وأرسل من قبله حكاما آخرين قد ظهروا فى الحبل الشوكى ، وهؤلاء الحكام نواب عنه يتلقون الأخبار بواسطة الاحد والثلاثين زوجا من الأعصاب و يوصلونها الى المخ وهو الآمر الناهى ومن دون ذلك طائفة لها نظام آخر وهى طائفة الجهاز (السمبانوى) وهى العقد العصبية المصفوفة على جانبى العمود الفقرى كما تقدم فهذه أشبه بعمال الزراعة والتجارة والصناعة أى أعمال الدولة الداخلة فأما الملك وأعوانه فلهم نظام أعلى وأعمال أهم وأعظم»

ثم يقول الحكيم : « إن هذا الملك الذى استوى على عرشه له أعوان ثلاثة هى :

(١) الحس المشترك الذى يجمع كل ما أدركته الحواس ومعه القوة المخيلة التى تحلل وتركب وتصور صورا لانهاية لها مما اقتبسته من الحواس

(٢) القوة المفكرة التى لها السلطان على المعانى المعقولة والأفكار السامية والقضايا المنطقية ومعرفة الأسرار

(٣) والقوة الذاكرة التى تتذكر ماعرفناه عندنا من الصور والقضايا العقلية

فالمخيلة بها جميع العلوم الجميلة من الرسم والتصوير والشعر الخ والمفكرة تعرف نظام الطبيعة ونظام الجسم وتبحث عن وجود الله والعوالم العلوية ، والذاكرة بها علوم المواليد الثلاثة والفلك والرياضيات وتاريخ الناس فهذه كلها تحضرها الذاكرة إذ تتذكر مامضى بحسب درجاته

فهؤلاء الثلاثة أعوان للنفس . ولها أيضا ترجمان يترجم جميع ماذكر وهو اللسان . ولها وزير هى اليد فهى تفعل كل ماتطلبه النفس وتبرزه للخارج كما أبرزه اللسان بصورة كلمات وهى صور فى الهواء يسمعها السامعون فيفهمون

ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : « إن الحركة العكسية التى لاتصل الى المخ أشبه بتدبير الشخص نفسه فى عالم الانسان . فكما أن العضو المشلول أو العضو السليم فى حال نومنا يفعل أفعالا عكسية لاعلاقة لها بالمخ هكذا الفرد فى الأمة مسؤل عن تدبير نفسه هو وهذا هو علم تهذيب النفس الذى ألف له ابن مسكويه كتابه . ويرى أن الجهاز السمپاثوى الذى يحكم فى الأعضاء التى ليست تحت ارادتنا أشبه بنظام سياسة المنزل والجهاز المركزى وفروعه أشبه بنظام المدينة . انتهى والحمد لله رب العالمين

هذا هو مافتح الله به فى تفسير قوله تعالى ـ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه ـ ولولا علمه مانظمت هذه الأعضاء ولاالأعصاب ولاالمخ ولاالعقل ولاالعلوم ولانظامها ـ وأن الى ربك المنتهى ـ كتب بعد ظهر يوم الاثنين اليوم الثانى من شهر شوّال سنة ١٣٤٨ هـ

(تذييل للمقال المتقدم)

بعد ما كتبت ماتقدم قمت للصلاة ثم للرياضة فخطر لى مايأتى :

ذلك ان الحكيم الذى يتفكر فى هذا الموضوع ويرى هذه المناظر والمعانى يتعجب فوق ماتقدم ويقول : « ياسبحان الله . علم التشريح الآن وعلوم المواليد الثلاثة اليوم أصبحت بسبب التصوير الشمسى واضحة ظاهرة فنحن الآن فى هذا التفسير لم نحتج الى انسان لنشرحه ولاحيوان بل كفانا أن ننظر الصور . فياسبحان الله . إن الله ذمّ أقواما فقال ـ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم ـ وألزم الناس الحجة غبيهم ومقلدهم وعالمهم فقال ـ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ـ فهؤلاء الشهداء ليسوا سواسية فنهم من شهد بالحق وهو الذى قيل فيه ـ إلامن شهد بالحق وهم يعلمون ـ ، ومنهم من شهد وهو غافل لأنه غير مستعد وان كان أعلم الناس بعلم التشريح فهذا يكون علم التشريح عنده أشبه بزرعة الزارع يحتال لتنظيف الأرض من الحشائش ويسق الزرع ولكنه لايدرى من أسرار النبات شيأ ، كذلك هذا يحتال فى حفظ الأعضاء ومداواتها وتغذيتها ولكنه غافل عن أسرارها وعجائبها التى يعرفها الأذكياء من قراء هذا التفسير وان كانوا هم أقل منه علما بالتشريح كما يعرف عالم النبات تركيبه وعجائبه وان كان لايعرف طرق الريّ ولاأحوال الزراعة ، ومنهم من هو مستعد للفهم ولكنه مقلد ، والى هاتين الطائفتين قال تعالى بعد ماتقدّم ـ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ـ وهذا لمن فى استعدادهم نقص ـ أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرّية من بعدهم ـ وهؤلاء المقلدون والفريق الأوّل هم الذين شهدوا بالحق إذ أشهدهم الله ، فهؤلاء قالوا بلى وهم يشاهدون نظام أنفسهم والآخرون لايشهدون بالحق لأنهم مقلدون أو غافلون ، والفريق الأوّل هو المذكور فى قوله تعالى ـ شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ـ فالله يشهد انه منفرد بالالوهية قائم بالنظام والعدل والملائكة استمدّوا الشهادة منه وعلماء الأرض استمدّوا من الملائكة فهم يشهدون بالحق ، ومن الشهداء بالحقّ قراء هذا التفسير بشرط أن يكونوا أذكياء فهؤلاء هم الموقنون بما شهدوا لأنهم يشاهدون عجائب المخلوقات بأنفسهم ويفهمونها ، وهذه الطائفة الشاهدة هى المقصودة من هذه الدنيا ، فهم بمشاهدة هذه العجائب يرشحون الى الدخول فى عوالم ألطف ويكونون ـ عند مليك مقتدر ـ لأنهم أوّلا فى هذه الدنيا يؤدّون الخدمة الواجبة لهذا النوع الانسانى وهم فى نفوسهم قد درسوا عجائبها فكملت لهم القوّتان العلمية والعملية ، وما الحياة إلا علم وعمل كما أن الأعصاب للحسّ وللحركة ، فالحسّ راجع للعلم . والحركة راجعة للعمل ، فزوج العصب الواحد نظامه كنظام الوجود كله

ثم ينظر هذا الحكيم نظرة أخرى فيقول ياعجبا : إننا نقرأ النحو والصرف والبلاغة ونلاحظها فى الانشاء

فاذا أخذنا نكتب المقالات ونؤلف الكتب نجد أننا غير مفكرين فى تلك العلوم اللفظية الثلاثة بل هى أصبحت عندنا غريزة وهذه الغريزة جعلناها شبكة نصطاد بها معانى أخرى ، هكذا نرى هذا الجسم الانسانى قد اشتمل على الدائرة الغذائية والدائرة التنفسية والدورة الدموية ، وهذه الدوائر الثلاث عندنا أصبحت كدوائر النحو والصرف وعلوم البلاغة نستعملها ولا نفكر فيها ونطلب بها غيرها ، فهذه الدوائر فى أجسامنا تحت اشراف أرواحنا وفى ادارتها ولكننا غير مفكرين فيها ولذلك رأينا لها نظاما خاصا وهو النظام (السمبائوى) وهذه طلبنا بها غيرها وهى المعانى العقلية التى نقتنصها بالحواس المستعملة للأعصاب التى تقدم شرحها

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول : « إن قوله تعالى — والله خلقكم من تراب — يتضمن العناصر والعناصر تبلغ فوق الثمانين وهى مواد راجعة فى جوهرها الى الحركات والأضواء المتقدم شرحها فى ﴿سورة النور﴾ عند آية — الله نور السموات والأرض — فى بحث قطرة الماء هناك فان المواد ترجع كلها الى أضواء والأضواء متحركات فترسم دوائر وهمية والدوائر الوهمية باختلاف وتنوع حركاتها تظهرانها مواد فيكون الحيوان والنبات وهكذا لما وصلت هذه المواد الى جسم الحيوان أخذت ترتقى مرة ثانية من غذاء الى دم الى حركة وحس فى الأعصاب والمخ والعقل ، فأولها حركة مع احساس بعقل عام منظم لها فى الكون وانتهت هنا الى حركات وعقل خاص فى جسم الانسان الواحد ، وهذا أشبه بمثال صغير لآية — كما بدأنا أول خلق نعيده — ولقوله تعالى — يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه —

فها هى ذه المادة أصلها الحركات والأنوار فرجعت فى النهاية الى الحس والحركة فى المخ والحبل الشوكى والعقل والقوى فى الدماغ — وأن الى ربك المنتهى —

ثم ينظر ذلك الحكيم أيضا فيقول : « نظام هذا الجسم بديع كابداع السموات فانا نجد وضع كل عضو فى موضعه ، وهذه طبقات الجسم منظمات أعلاها المخ تحكم فيه القوة العاقلة والقلب فى الصدر والمعدة والامعاء أسفل من الجميع ، فهذه مراتب متقنة ، هكذا نرى نظام الشمس مع سياراتها وأقمارها كل منها فى مركزه الخاص ، وهكذا حركاتها السنوية والشهرية والخسوف والكسوف لها أوقات محددات ، كل هذا تقدم فى هذا التفسير »

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول : « ياعجبا . مالى أرى هذا الانسان جاهلا . كيف يغفل عن نظام جسمه ؟ هذا الجسم متقن لم يترك فيه غدة إلا لها عمل . فهذه الغدد الدهنية والغدد العرقية والغدد اللعابية والدرقية والتيموسية والنخامية والبنكرياسية والكبد والصفراء وأمثالها والانثيان للرجل والمبيض للمرأة فهذه كلها لها أعمال فلا معطل فى الجسم . أما هذا الانسان الجهول فانه متى أعطى ملكا مال الى الراحة وأكل أموال الناس بالباطل فيحصل البطر والبطالة فيموت الشعب . وهذا هو الذى حصل فى دولة الرومان ودولة العرب ودولة الترك وأخيرا دولة انكلترا . هذه الدولة التى عاشت بفضل مستعمراتها فى الهند واستراليا وكندا وارلندا وغيرها فألف الشعب الاتكال على الأمم وكثر العاطلون وعددهم فى هذا الشهر وهو فبراير سنة ١٩٣٠ فوق ألف ألف وخمسمائة ألف انسان . فهذه ليست سنة نظام طبيعة الجسم لأن طبيعته أن لا يترك عضوا بلا عمل والله يقول — وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون — ويقول — وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو — إذن الناس ماداموا مخالفين لسنة الله فانهم معذبون . هو لا يلعب ولا يخلق شيأ باطلا وهم يلعبون بتعطيل القوى والمنافع . والدول الاوروبية اليوم تعطل قوى الأمم التى تحتل بلادها فيقتص منها الله بحلول الخلل فى نظامها وكثرة الثورات وظهور الاشتراكيين والفوضويين ، وليس من اللعب واللهو الأعمال الرياضية بل هى لتقوية الجسم . إذن هى من أعمال الجد فليست باطلة انما الباطل هو تضييع المنفعة من قوى الأمم الغالبة بالاتكال على أعمال الأمم المغلوبة وتعطيل قوى هؤلاء المغلوبين

التى

التي بها يرتقون عن طبقة العمال ولهذا قال تعالى - ولكن أكثرهم لايعلمون - فعدم علم الناس وجهلهم غشى على عقولهم فلم يفهموا هذا الوجود فظنوا أن الراحة هي نهاية السعادة فخاب فألهم وضل سعيهم في الحياة الدنيا وجهلوا نظام النحل وانه يقتل الذكور واذا حلت الملكة من ذكور أخرى من خلية غيرها . فاذن لاداعى لبقاء هؤلاء الذكور فى الخلية بلا عمل فيقتل النحل هؤلاء الذكور . وهذه هي سنة هذا الكون . إذن لايسعد الناس فوق هذه الأرض إلاإذا اختص كل امرئ وكل جماعة وكل دولة بماهم أهل له كأعضاء الجسم وأعصابه وعضلاته وحواسه . هذا ماخطر لى بعد الرياضة البدنية وكتب ليلة الثلاثاء الثالث من شهر شوّال سنة ١٣٤٨ هـ والحمد لله رب العالمين

مسامرة فى نظام الانسان وجماله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله « أما بعد » فانى أكتب هذا قبيل الفجر يوم الأربعاء (٩) ابريل سنة ١٩٣٠ وهي مسامرة بيني و بين بعض العلماء . ذلك ان بعضهم لما اطلع على هذه الصور الجميلة التى أودعها الله فى الانسان . قال : هذا نظام حسن بديع ولكن حدثنى رعاك الله كيف أكثرت من ذكر هذه المسائل . وكيف لهجت فى أكثر كتبك بأن هذا هو الجمال وانه يثير فى القلوب ثائرة الحب والعشق للمبدع . فلقد تكرر هذا فى هذا التفسير . نحن لانريد أن نكون مقلدين فى أمثال هذا بل نودّ أن يكون القول مطابقا لما فى النفوس فان أكثر الصوفية و بعض العلماء نسمعهم يذكرون هذا وهى شنشنة أعرفها من أخزم . وهذا ضرب مثل ومعناه أن هذه عادة هؤلاء . فقلت : أنا لم أكثر من هذه العجائب اعتباطا بل أنا أكتبها وأعلم أن تكرارها وترادفها يحدث فى بلاد الاسلام ارتقاء واسعادا للروح وللجسم معا باشراق القلوب بالحكمة و بالاسراع فى ارتقاء هذه الأمم الانسانية لاسيما الاسلامية ، فأما انه باعث على العشق والحب فأنا أبينه الآن فأقول :

إن الله خلق فى عالمنا صورا جميلة وجعل نظام هذا الانسان وقبله الحيوان على الزوجين الذكر والأنثى وأبدع فى خلقهما مايشاء أن يبدع ، وفتح باب النقش والتصوير والابداع فى الوجوه البهجة وجعل الأعلى منها قليلا أى جعل الجمال الأكمل فى وجوه الناس قليلا ليكون قبلة الأنظار و يرتسم فى القلوب لأن القليل يحفظ والكثير لايوجب اتجاه النظر و يصبح معتادا عند الناس فلايهيج لهم بالا ، فهذه الوجوه الجميلة الممتازة نموذج لأعلى الجمال الانسانى وهذا يدعو العاقل للتفكر فى هذا الأسلوب فيقول « لم خلق التناسب والجمال » وهذا السؤال جوابه ظاهر وهو التوادّ والتحاب والائتناس لاسيما بين الذكور والاناث ، ثم ينظر فيرى أن هذا الجمال بعد قليل ينسى و يحل محله جمال النفوس بالتربية والمحافظة على الأطفال فى المنازل ، و يرى هذا الجمال يأخذ فى الضعف . والرحمة والرأفة بالأطفال تأخذان فى الزيادة ، فنرى وجهى الأبوين يأخذان فى النشوه والتجعيد والتقطيب و يرحل ذلك الجمال الظاهر و يحل محله الجمال الباطن ، فنرى أن هذين الهرمين أخذا يعانقان أبناءهما و بناتهما بدل معانقة أحدهما الآخر ، ونرى هذه الذرّية تهوى الى هذين الشيخين حبا فى عطفهما لاغراما بجمالهما الظاهرى . هنالك نعرف أن هنا جمالا مخبوأ فى هذه الدنيا فلنبحث فيه عسى أن ندركه فماذا نرى ؟ نرى مدارس وعلماء وحكماء ، وكلما كان الحكيم أغزر علما كانت القلوب اليه أميل ولحبه أسرع ، فبعد أن كان الصبى مغرما بهذين الهرمين فى صباه نجد غرامه تحوّل الى الاستاذين والمعلمين لأنه رأى كمالا وجمالا أرقى ونفوسا أسعد وأشرف ، فرحمة هذين الهرمين تعطيه الطعام والشراب والكساء لجسمه ، ولكن روحه بفطرتها تعلم أن مغذيات الروح أشرف من مغذيات الأجسام ، فهو يسمع من أفواه المعلمين

مايسعد روحه وقد تعلم من الأبوين دروس الحب لهما ووازنت نفسه بين الدرسين ، فهنا أخذ يسمع العلوم اللسانية والطبيعية والرياضية ، فكما كان يحب أمه لتغذية جسمه هكذا أخذ يحب معلمه لتغذية روحه ، و بعد أن كان يلهج بذكر الأم والأب أخذ يلهج بذكر المعلم وأخذ الحب يرتقى قليلا قليلا . و يكون الحب للعلم على مقدارماتعلم منه فان رآه فى النحو عالما أحبه بمقدارذلك العلم وان رآه فى علم الفلك بارعا ازداد حبه له وهكذا كلما شارك أستاذه فى علم ازدادت نفسه حبا لاستاذه وهنالك يترقى فى المعرفة و يتبعها الارتقاء فى الحب . والحب هوالسعادة فى هذا العالم ولايزال يترقى حتى يفكر فى عالم هومعلم العلماء وهوالله تعالى . قال : فاضرب لى مثلا لهذا الحب على شريطة أن يكون ذلك فى موضوعنا . فقلت نعم . تصوّرأناسا جلسوا وأخذوا يتحدّثون فى الألغاز والمحاجاة فقال قائل منهم : أنا أطلب معرفة رقمين عددين اذا ضما الى عدد آخر مركب من هذين الرقمين أنفسهما معكوساترتيبهما يكون مجموع العددين المذكورين (٥٥) واذا طرح أحد الرقمين من الآخر كان الفرق بينهما (٣) فما هما العددان ؟ فهنا شغل أفهام السامعين فى هذا اللغز إذ هم ملزمون أن يكون العددان مجموعهما (٥٥) مع انه يشرط شرطان : أن ينعكس ترتيب وضعهما . وأن يكون فرق مابينهماعدد (٣) ولاجرم أن هذا يدعو الجالسين أن يجرّبوا عدّة مرات وهيهات أن يتم لهم ذلك بالحدس والتخمين . فمتى جاء رجل وكان يحسن علم الجبر فانه يفعل هكذا فى حال ما اذا كان العددان (١١٠) والفرق بينهما (٦)

س زائد ١٠ ص زائد ص زائد ١٠ س = ١١٠

أوس زائد ص = ١٠

س — ص = ٦

٢ س = ١٦

س = ٨

إذن ص = ٢

فيكون أحد الرقمين ٨ والآخر ٢ أى ٢٨ و ٨٢ ومجموعهما ١١٠ والفرق بين الرقمين ٦ واذا جعل مجموع العددين (٥٥) والفرق بين الرقمين (٣) مثلا كما تقدّم حدث عندنا ٢ س = $\frac{٥٥}{١١}$ زائد ٣ = ٨ أوس = ٤ إذن ص = ١ فيكون العددان ١٤ و ٤١ والفرق بين الرقمين ٣ ومجموعهما ٥٥

فمتى قال هذه ذلك العالم للمتناظرين وحلّ هذه المسألة فرح به الجالسون وأحلوه المحل اللائق به وأحبوه وأقبلوا عليه ، فاذا سمعوا منه حل المسائل فى الهندسة والفقه والنحو والصرف والبلاغة والسياسة أخذ بمجامع قلوبهم على مقدارعلمه وهذا ينمى المتسامرين حب سواه . واذا سأل سائل فقال : رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص لشرائها منه فسألوه عن ثمنها فذكره لهم فقال أكبرهم لأوسطهم إن أعطيتنى ثلاثة أخماس مامعك من الدنانير صارمعى ثمن الفرس وقال الأوسط للأصغر : إن أعطيتنى أربعة أسباع مامعك من الدنانير صارمعى ثمن الفرس ، وقال الأصغر للأكبر : إن أعطيتنى خمسة أثمان مامعك من الدنانيرصارمعى ثمن الفرس فكم كان ثمن الفرس دينارا ، وكم كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنانير

فكم يكون سرورك حينما تحل المسألة حلا عجيبا فتقول (س) رمز للأكبر و (ص) رمز للأوسط و (ع) رمز للأصغر . ثم تقول س يساوى ص زائد $\frac{٣}{٥}$ ص و ص يساوى $\frac{٤}{٧}$ ع زائد ع و ع يساوى $\frac{٥}{٨}$ س زائد س والثمن كله يساوى ٣ فى ٤ فى ٥ زائد ٥ فى ٧ فى ٨ يساوى ٣٤٠

وس يساوى (٢ فى ٧) زائد (٣ فى ٤) وكلاهما يساوى ٢٦ و ٢٦ فى ٨ يساوى (٢٠٨) هومامع الأكبر فلنطرح ٢٠٨ من ٣٤٠ يصير $\frac{٣}{٥}$ مامع الأوسط وهو ١٣٢ و ١٣٢ زائد $\frac{٢}{٣}$ فى ١٣٢ يساوى ٨٨ و ٨٨ زائد ١٣٢ يساوى ٢٢٠ وهومامع الأوسط . وذلك أن ٨٨ هى خمسان أضفناهما الى ١٣٢ وهى ثلاثة أخماس

اما

أما مامع الأصغر فإنا نعرفه بطرح ٢٢٠ من ٣٤٠ فيكون الباقى ١٢٠ وهذا هو ⅘ مامع الأصغر فإذا زدنا عليه ¾ منه يكون هومامعه ¾ فى ١٢٠ يساوى ٩٠ و٩٠ زائد ١٢٠ يساوى ٢١٠ فالذى مع الأصغر ٢١٠ إذن الذى مع الأكبر ٢٠٨ ومع الأوسط ٢٢٠ ومع الأصغر ٢١٠

أقول : انك اذا أجبت السائل بهذا الجواب بعد هذا الجهد فى هذه المسألة الجبرية فانك تجد فى نفسك سرورا وبهجة وهى مسألة مادية جزئية ثمن فرس فما بالك اذا رأيت نفسك قد أشرقت على هذه العوالم كلها وأخذت تحل مشكلاتها وتعرف مخبآتها . إنك إذن تكون أوفر سعادة وأكثر لذة

وهاك حديثى مع المرحوم الشيخ محمد عسكر وهوكان مدرّسا بالخديوية قبل ولادتى ثم اجتمعت به وهو هرم ولم أره من قبل فجلست معه يومين بلياليهما وحوله شبان ذوو جمال وثروة وعلم . فقلت له : أيها الاستاذ لماذا أرى قلبى يميل لك مع ان حولنا الجمال البديع . فقال : لأنك لاترى الجمال الحقيقى إلا فىّ أنا . وهذا الجواب حقيقى منطبق على كل عالم أخذ الناس عنه علوما . إذن فلنرجع الى ابداع أجسامنا ولننظر هذا الجسم الانسانى ولنقصر الكلام عليه

فقال صاحبى : ولكنك مثلت بمثال من علم الجبر . وهل كل قرّاء التفسير يعرفون الجبر ؟ كلا . فقلت هذه الحروف والاشارات الجبرية لابدّ منها لحل المسألة ووضعها لايضر . ذلك لتحدث عند من لم يقرأ هذا العلم شوقا اليه وهوقد عرف النتيجة . واذا أدرك أن هذه المسألة تشرح صدر المتناسبين وتجعل فى قلوبهم حبا لمن حلها واعظاما فهنالك يقيس النظام العام على النظام الخاص . فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت : العقلاء يدركون الفرح والحب والاعظام لمن حلّ هذه المسألة . فقال : حقا ذلك : فقلت : فاذا عرفوا أن أجسامنا وتغذيتها ماهى إلا لغز يحتاج الى أضعاف أضعاف هذا الحل ثم أدركوا حل لغزه دهشوا وأغرموا بمن حلّ ذلك اللغز . إن هذا النوع الانسانى أمره عجب . هو نفسه لغز ولايدرك ذلك . ومتى درس علوما كثيرة رجع فوجد نفس هذا الجسم كله علوما فيقرؤه فيحب من ملأه بالعلم المرموز فيه . ألم تر أن الانسان يدهش اذا قرأ فى ﴿ سورة يونس ﴾ نظام الهرم بمصر وأن أبعاده ومقاييسه لها نسبة الى مدار الأرض حول الشمس من حيث مقياس أربع جهاته ونسبة أخرى من حيث ارتفاعه الى بعد الشمس عن الأرض ونسب أخرى كثيرة الى مكاييل المصريين وموازينهم

إن قلب الانسان يدهش ويحسّ باعظام لذلك الحكيم المصرى الذى فكر فى أن يجعل نسبا بين مقاييس الهرم وبين الكيلة والأردب والرطل والدرهم والوقية والفدّان والقيراط والسهم والذراع البلدى والمعمارى وهكذا مدار الشمس وبعدها عن الأرض ، فهو إذن يكون أكثر دهشا اذا عرف نسبة هذا الجسم الانسانى الى المخلوقات حوله ، ولكن لغز الانسان فى كل يوم يحتاج الى حلّ جديد لأن حله الى الآن لم يتم . قل أوضح ماتقول . فقلت أذكر لك بعض أمثلة يقولها العلماء فى الطب حديثا : « إن أكل الهندبا (اسمه فى مصر جعضيض) وأكل البصل ينفع الكبد . وأكل البقدونس وكشك الماز والفجل ينفع لمرض الكلا ولمرض يسمى (الرجيج) ينفع الطماطم والليمون . وللجلد الجزر وللشجاعة البرتقال والليمون » وهكذا بحث العلماء فى الأغذية وقالوا انها اذا نظمت لايحتاج الانسان الى دواء . وقد وجدوا الجسم يحتاج الى المواد الزلالية كاللحم والبيض والى المواد الدهنية والشحمية والمواد النشوية وهكذا الماء والملح

فانظر الى موادّ حيوانية وأخرى نباتية وأخرى معدنية لابدّ منها فى نظام أجسامنا الانسانية كأجسام الحيوان واذا نقص منها واحد حصل لنا مرض بقدره كما يضعف النبات بنقص عنصر من مغذياته . ولكن هذه المواد من المواليد الثلاثة ومن الماء أكثرها غليظ . فكيف السبيل الى انتظام هذه الأجزاء وتصويرها عينا ورجلا ويدا وأذنا . فلنحل هذه المسألة . هنالك قال الله لنا : أنا أخلق سنا للقطع ونابا للتمزيق وضرسا

للطحن ومجموعها (٣٢) سنا مقسمة على تلك المواد . و بعد ذلك يحتاج الطعام الى الاذابة فكيف السبيل لذلك ؟ فترى ثلاثة أزواج أنهر فى الفم : تحت الخدّين . وتحت اللسان . وتحت الشفة السفلى

وهذه الأنهر الست يختص عملها بالمواد النشوية ومابقى منها يحوّله عصير آخر فى الامعاء الى مادة سكرية والمواد الشحمية تحوّلها الصفراء والبنكرياس فى القناة الهضمية الى مادة كالصابون ليمكن امتصاصها والمواد الزلالية تحوّل فى المعدة بعصيرها . أما الماء والملح فلايتحوّلان الى شئ . فههنا (٣٢) و (٦) منابع فى الفم والصفراء والبنكرياس والعصارات المعدية والمعوية وهكذا فهى تبلغ نحو (٤٣) كل هؤلاء صناع يصنعون فى الطعام داخل أجسامنا ليتهيأ للامتصاص ودخول الدم . وهذا كله يضاف اليه فعل نفس المعدة انقباضا وانبساطا . فهنالك يتحوّل الطعام الى سائل سنجابى اللون يقبل الامتصاص . ألايعجب الناس أن يكون الفم للنشوى والمعدة للزلالى كالبيض واللحم بعد البنكرياس والامعاء لما بقى من المادّة النشوية المهضومة فى الفم ولاتمام تحويل الموادّ الدسمة بعد البنكرياس والصفراء

ولوأننا تركنا أكل المواد الزيتية ونحوها لاعترانا مرض كما اتفق لى مرارا . فانى منذ عشر سنين اقتصرت على الخضر وظننت أن ذلك كاف ونسيت الدهن فأصبح الدم كثير الماء لأنه فقد المادة اللفاوية التى يحدثها الدهن فابتليت بالرعاف . ولكن الأطباء ليس لهم عمل إلا المداراة . وقابلنى طبيب حاذق وقد نظر فى جسمى من الداخل فوجد بقعا ملونة فقال لاتخف هذا مرض لايعدى ولكنه يدل على نقص فى التغذية . إذن نقص التغذية بالمواد الدهنية التى لم أحفل بها (لأنى قرأت فى الكتب أن الاكتفاء بالخضر نافع) كان سببا لمرضين خروج الدم من الأنف بكثرة وتلوين الجلد ببقع غير حسنة . و بقيت كذلك لاعلم لى بهذا النظام حتى قرأت حديثا كتبا فى التغذية فصرت آكل الزيت والفاكهة والخبز مع السمن والزبدة فزال المرض إذ زالت البقع من جلدى ولم يرجع لى الرعاف مرة أخرى منذ أكثر من سنتين بل أنا لم أتعاط دواء بعد ذلك

الله أكبر . إذن أنت ياألله جعلت أجسامنا لغزا وأمرتنا بحله وقلت لنا : « ياعبادى اسمعوا . أنتم تحلون مسائل الجبر والحساب والفلك . ولكن أجسامكم نظامها معقد واذا أخطأتم فى حل مشكلاتها كان الهلاك كما يحصل الخطأ فى حلّ المسائل الحسابية اذا حصل خطأ فى الحساب

انظروا الى ماحولكم ، إن جسمكم مشتق منه ، فهو من الماء ومن الملح ومن النبات ومن الحيوان ومن الهواء ولامرض يحلّ بكم إلا بسبب نقص أوجهل فى مقادير الطعام أوالشراب ، هنالك يجد الحكماء فى نفوسهم سرورا لاحدّ له وحبا عظيما للمبدع الذى خلق المرض فينا ليحدث عندنا فكرة فى نظام طعامنا و يفتح باب العلم ، فهنا يكون ﴿ أمران ﴾ صحة أجسامنا بنظام الطعام وأهمّ منه اسعاد النفس بادراك ذلك الحكيم الذى أتقن ذلك النظام

إن قراء هذا التفسير المدركين للعجائب المذكورة فيه يرون فى نفوسهم حبا وعشقا مفرطين لصانع العالم وهنالك تكون سعادة تزداد بازدياد العلم ، وهذه مبدأ سعادات أخرى فى هذه الدنيا ثم فى الآخرة وتكون هناك أشرف من سعادة الجنة الحسية بما لاحدّ له

إن قرّاء هذا التفسير يكون الأذكياء منهم سعداء فى الدنيا وفى الآخرة ، اللهم إنك بما صنعت فى أجسامنا من الاحكام والابداع وتقسيم المصانع التى أبدعتها فى القناة الهضمية على الطعام الذى وزعته على مناطق الأرض تدهشنا . لماذا تدهشنا ؟ تدهشنا لأننا نرى أرزا ودقيقا ناعما مثلا يتجاذبهما لعاب المعدة والامعاء ونرى زيتا وشحما وهكذا خوارج من النبات والحيوان قد تجاذبها الامعاء والصفراء والبنكرياس ونرى بيضا ولحما وأمثالها يتجاذبها البنكرياس والمعدة . ههنا مناطق أرضية ربيت فيها النبات والحيوان ومناطق فى القناة الهضمية وزعت عليها ماربيته فى تلك المناطق الأرضية . فياعجبا مناطق فى أجسامنا مقسمات

على نواتج المناطق الأرضية كما قسمت المناطق السماوية والأرضية على مناطق المخ . فللحساب مناطق فى الدماغ وبقية العلوم الرياضية والطبيعية وهكذا . فعارف العوالم كلها موزّعات على مناطق الدماغ المقسمات تقسيما منتظما على مقتضى العلوم . فيا رباه : قسمت قناة الهضم وقسمت الدماغ وأعددتهما لاقسام مناطق المخلوقات صورا ذهنية وصورا جسمية وقلت : ـ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ـ

فياويل من مات وهو جاهل بهذا النظام عاجز عن ادراك هذا الجمال . جوع نحس به يدعونا الى تعاطى الطعام فنزرع ونحصد ونصطاد ونأكل فتتلقاه مناطق الهضم بآلاته ومناطق العقل بتصوّراته . حكم أبدعت وآيات نظمت . إذن نحن خلقنا للعلم والا فما هذا الأحكام والجمال . جسم صغير ثمانية أشبار بشبرى يمثل ماحولنا ﴿تمثيلين﴾ تمثيلا جسميا . وتمثيلا عقليا . ثم تمثيلا متوسطا بواسطة اللسان إذ هو معبر عن كل ما تقدم . فههنا عقل وههنا جسم وههنا لسان كل منها يمثل العالم بالتمثيل الجسمى والصور الهوائية بالحروف والصور الذهنية المعقولة والعالم كله متصل بهذا الجسم وشؤونه

﴿ مشاهدات لطيفة فى بلدة المرج ﴾

قد قلت سابقا فى هذا التفسير انى أقوم كثيرا الى جهة المرج لملاحظة أرض هناك زراعية ففى يوم الأربعاء (٩) ابريل سنة ١٩٣٠ قبيل طبع هذه السورة توجهت اليها فرأيت جنديا راكبا جوادا يقود فلاحا ويرمح بحصانه فيسلمه الى جندى آخر وهكذا رجلا وراء رجل والناس يهربون من الجند . وهذا منظر غريب يقل نظيره فسألت فقيل انهم يجمعونهم لمطاردة الجراد لأنه الآن فى الجبل الأصفر وهو قريب من قرية المرج وقد قرأت فى هذه الأيام فى الجرائد فى نفس الشهر أن الجراد هجم على مصر من الشرق والجنوب وانه خطر داهم وانهم جمعوا من مركز بلبيس (٦٠) زكيبة من الجراد وهم يستعملون المواد الملتهبة فى إبادته وجمعوا الجند والفلاحين للتعاون على ذلك وأهل فلسطين قد طاردوه قبل أهل مصر . وهكذا تقول جريدة الاهرام يوم الخميس ١٠ ابريل سنة ١٩٣٠ مانصه : « من الطرق المتبعة فى بلاد الجزائر لمقاتلة الجراد أن تلقح جرادة أو بعض جرادات بمكروب (كاوليرا الجراد) وتطلق مع الأسراب فتلقحها بهذا المكروب الذى ينتشر فى الجراد انتشارا سريعا ويقضى عليه ، وقد أنبئنا أن الجراد فى (سيناء) أصيب بهذا الداء » اهـ

إذن الجراد له مرض قتال ووباء عام كوباء الانسان العام . ومعنى هذا أننا نحن يجب علينا أن نتعلم نظام الجراد وحياة الجراد وقاتل الجراد حتى نحترس منه ، وعلينا أيضا أن نوحد صفوف المصريين لمحاربته وصفوف الأمم التى حولنا لمحاربته أى على الأمم كلها أن تتحد فى درء خطر الجراد ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان هذا الانسان لا كمال له إلا باتحاد جميع الأمم المعروفة على درء المفاسد ، إذن الانسان اليوم ناقص نقصا فاحشا لأن أهل السياسة وعظماء الأمم لايزالون أطفالا ، أو كالأطفال لأن مصر لوكانت فى حرب مع فلسطين لأكل الجراد قوت البلدين ، فههنا ﴿ أمران ﴾ اتحاد الأمم للأعمال العظيمة ، ودراسة كل حشرة وكل نبات وكل حيوان

أما بعد فهذا كله تفسير للآية التى نحن بصددها ، فهذا كله راجع لما نحن فيه من خلق الانسان من نطفة ، وهذه النطفة أمشاج وانه ابتلى وجعل سميعا وبصيرا ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان الجوع مبدأ لهذا كله الجوع طلب الطعام ، والطعام موزّع على سطح الأرض ، وفى الأرض آفات كالجراد . ولايتم طعامنا إلا بازالة المهلكات لزرعنا . إذن نحن لم نخرج عن موضوع الآية وكأن هذه الدنيا كلها تطبيق على دروس جسمنا كما ان آيات القرآن حقا وصدقا تستتبع جميع العلوم فكأن أجسامنا علم الفلسفة الذى يجمع العلوم أو كالقرآن الذى يأمر بها ويحويها بعض جمله كآية ـ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ـ وأى علم يخرج

عنهما . وقبل أن أختم هذه اللطيفة لامحيص لى من الاعجاب بخلق الجراد وخلق آفته . إن الذى خلقنا وخلق الجراد وخلق الشمس قال : لابد للجراد من آفة تناسبه وهى حيوانات ذرية تهلكه وعلى الانسان أن يدرس الصغائر والكبائر من هذه الدنيا ويتحد على المنافع وتكون النتيجة السعادة العلمية فى الدنيا ، وما هذه العوالم كلها إلا كعدار الصور المتحركة (السينما) وهى التى حدثت فى زماننا إذ يرسمون الصور على الشريط بالتعاقب صورة وراء صورة ثم يحفظونه و بعد ذلك يضعونه فى مكان مظلم ويضيؤن الأنوار الكهربائية فتلقى على ذلك الشريط أشعتها فتبرز الصور على ما أمامها واضحة جلية كأنها أجسام حقيقية بحر و برّ وسماء وأرض وسفن وحرب وضرب وسرقة واهلاك وتدمير واصلاح ، فبهذا يفرح الناس بما هو خير وماهو شر لأنها كلها ترجع الى الحذق والمهارة والدقة والابداع ، وكل ذلك تحبه النفوس ، فأنا لما كنت فى المرج وشاهدت الجندى يقود الفلاح وسمعت بمطاردة الجراد لم أر هذا فى نظرى إلا انه تمثيل لرواية وتشخيص لحكمة عالية تنزلت لنا بهذه الصور ولكن هذه المناظر أحكم وأبدع ولن يعقل انها كذلك إلا قليل فأما الكثير فانهم لايفرحون إلا بالصور المنقولة عن هذه الصور الحقيقية أوماتركب منها ، فدور الصور ظل لهذه المظاهر الحقيقية والحقيقة أوضح من ظلها

فياأيها المسلمون : هل يعجبكم هكذا أن تعيشوا عالة على الأمم وأنتم خير أمة أخرجت للناس أتضيعون قواكم العقلية بالكسل وتذرون منافع أرضكم بالجهل ، لا لا ، لاأيها المسلمون ، أنا ناصح لكم أمين فلاتناموا بعد الآن . شمروا وجدّوا واقرؤا كل علم . فوالله لاسعادة فى الدنيا إلا بما ذكرته لكم ولاسعادة فى الآخرة إلا به . ومن ادّعى من صغار العلماء أو صغار العقول أن ديننا لايطلب هذا كله وأن الجراد ووباء الجراد والنمل ودراسة كل شئ لاموجب له وأن الانسان تكفيه ظواهر العبادة فقولوا له : اسمع ما قاله الغزالى فى الاحياء بالحرف الواحد تحت عنوان « بيان السبب فى زيادة النظر فى الآخرة على المعرفة فى الدنيا » وهذا نصه

« وكما انك ترى فى الدنيا من يؤثر لذة الرآسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الامور الإلهية على الرآسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا . فكذلك يكون فى الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم فى الدنيا ماوصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به » الى آخره

وقد نقلت هذه العبارة بتمامها فى أوّل ﴿ سورة البقرة ﴾ عند ذكر الجنة وملخص مابقى منها أن الناس يموتون على ما عاشوا عليه وعلمهم يصحبهم و ينقلب الى مشاهدة ونعيم الجنة على قدر الحب فى الدنيا والحب بقدر المعرفة والمعرفة هى أصل السعادات كلها . ولاجرم أن ماذكرناه من الجراد ووباء الجراد والقناة الهضمية وتوزيع الطعام عليها كلها موجبات للحب ولسعادة الدنيا معا . فقرّاء هذا التفسير أى أذكياؤهم يعطون ﴿ جنتين ﴾ جنة فى الدنيا بحب العلم والبحث ويترتب عليه إسعاد الأمم . وجنة فى الآخرة بسعادة مشاهدة ذلك الحكيم الذى أبدع هذه النفوس وصوّرها . واياك أن تظنّ أن بعض ماذكرت فى هذا المقام يخرج عن معنى آيتنا التى نحن بصدد تفسيرها ــ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه ــ فهو بعلمه دبر الجوع ليحملنا على طلب العلم ونزرع ونأكل وندرس الدنيا كلها ومنها الجراد مثلا ونخرج من الدنيا وقد شهدنا مناظر جميلة تحببنا فى لقائه . إذن أنت أيها الذكىّ من الآن سعيد فى الدنيا سعيد فى الآخرة . انتهى صباح يوم الجمعة ١١ ابريل سنة ١٩٣٠

﴿ لطيفة فى قوله تعالى ـ ومايستوى البحران ـ الى قوله ـ لعلكم تشكرون ـ ﴾

(وفيها فصلان)

﴿ الفصل الأوّل ﴾ فى بعض عجائب البحر

﴿ الفصل الثانى ﴾ فى الفلك المواخر فى البحر

﴿ الفصل الأوّل فى بعض عجائب البحر ﴾

إن هذا المقام تقدّم منه كثير فى أجزاء هذا التفسير . ولكن لاأخلى هذا المقام من شذرات تسر القارئين وتشرح صدور المفكرين ، تباركت يا ألله فى جمال أعمالك وبديع اتقانك وإظهارك لنا من المحاسن والبدائع مايأخذ بألبابنا ويهيئ عقولنا للارتقاء الى عوالم أعلى وأعلى

ما أبهر بحارك ، وما أعجبها ، تحار عقولنا فى جمالها وعظمتها ولاتقف فى تلك الحيرة عند حدّ :

(١) أتقف عند دوامها واتساعها وأمواجها و بطشها وعظمتها المذكرة بعظمة مبدعها ؟ أم تقف عند ماترى من حياة تتخلل سائر تلك الطبقات تحت الأمواج كأنها جعلت طلاسم تستعصى علينا دراستها مالم نجدّ فى تحصيلها لندرك سرّها فنعرف من الحيتان أنواعا مثلا مثل (الكاشالوت) ذلك الذى يطوف فى البحار طولا وعرضا وهو يجول كما تجول الآساد فى البرّ وله أنياب محدّدات يسطو بها على ضعاف الحيوانات البحرية واذا أصيب بأى جرح من الانسان فى السفينة فما أشدّ اندفاعه ومناصرة عشيرته له واجتماعهم على تلك السفينة فلاتزال تلك الجموع تحيط بها وتصارعها حتى تصرعها انتقاما لما أصيب به أحدها من جراح بل إن حوتا منها واحدا هاجم مركبا أمريكيا ولم يزل يهجم عليها حتى حطمها وأنزلها فى دركات المياه و بئس القرار

(٢) إن عقولنا لاتقف عند هذا الحدّ فان (الروكال) أقوى منه وأضخم ، أليس طوله يبلغ ١٢٠ قدما على ماقيل وان كان فيه مبالغة

(٣) واذا أردنا التفكر فى أعماق المحيط ألفينا السمك فى عمق (٢٧٥٠) قامة فى تلك الأماكن التى لانور فيها ، وكيف يصل لها النور ، وهل نور الشمس سريان أبعد من ٢٠٠ قامة ؟ مئتا قامة فقط و بعدها ظلام حالك ، ففى تلك الأرجاء السحيقة البالغة ٢٥٥٠ قامة بعد انتهاء نور الشمس تعيش أحياء بغير ضوء شمس . وكيف تعيش بلاشمس ؟ أتكون حياة بلاشمس ؟ هذا عجب ! ولكننا اذا فكرنا فى أمرها بعد ماكشف منها رأينا ماهو أبدع وأعجب . رأينا أن النور والظلمة خاضعتان لأمر السمكة فلها عضو يشع منه النور متى أرادت فان احتاجت الى فريسة أوقوت أضاءت المكان بشمسها الصغيرة واذا أحست بمفاجىء لها من أعدائها أطفأت شمسها وغابت فى لجج البحر . وقد يجعل ذلك النور إرهابا للعدوّ واضعافا لبصره فيكون سلاحا ضوئيا يهزم به العدوّ الذى به يغشى بصره . و بعض تلك الأسماك فى قاع البحر لماع براق (فسفورى) و بعضها فضىّ اللون وهناك لطافة وجمال وحسن وبهاء . وأعمق البحار كأعلى الجبال انخفاضا وارتفاعا

(٤) وهناك الجزائر المرجانية ومنها جزيرة سيلان بالقرب من الهند والجزر البركانية والجزر المرجانية وقد شرحنا كثيرا منها فيما مضى فى هذا التفسير . انما الأمر العجب هنا أن نقول : أليس من العجب أن نجد (الأرضة) المذكورة فى ﴿ سورة سبأ ﴾ وتقدّم شرح أعمالها وانها وهى عمياء قد بنت فى الأراضى القفراء مدنا آهلة بسكان منها لاحصر لعددها تديرها ملكة عظيمة القدر حجمها بمقدار راحة اليد ومعها زوجها المرسوم معها فى ﴿ سورة سبأ ﴾ فهذه الحيوانات الضئيلة قد رفعت بنيانها فى اليابسة فبلغ فى العلوّ (٦) أمتار بل ثمانية واتسعت مدنها فكانت أميالا واعتاصت فى هدمها على الانسان فلم يهدمها إلا بالديناميت فهكذا هنا نجد جزائر فى البحر وما بناها إلا هذه المخلوقات الضعيفة المسميات بالمرجان . تباركت يا ألله جزائر فى البحر

عظيمة فى المحيط الهندى والمحيط الهادى (الباسفيكى) يبنيها حيوان صغير وتكون فيما بعد مزارع ومروجا واسعات تكسوها أشجار (الشكولاته) المرسومة فيما تقدّم فى هذا التفسير ، أليس من العجب أن تكون بعض الحشرات البرية و بعض الحيوانات البحرية قد اتحدت على احداث مايعجز عن فعله الناس فى الأرض وهل للناس من قدرة على أن يحدثوا فى البحار جزائر . كلا . انهم لوقدروا على ذلك ماحارب بعضهم بعضا على أرض من اليابسة ، فلوانهم قدروا على ذلك لصرفوا تلك القوى التى أضاعوها فى اعداد آلات الحرب الجهنمية على ايجاد جزائر كجزائر المرجان المعروفة بما يسمونه (باسكاديف وملاديف) أى بحيرة الجزائر أى (١٠٠٠٠٠) جزيرة و (١٠٠٠) جزيرة . فلوقدر الانسان على الجزائر كما يحدثه المرجان لفعل أكثر منه ولأحدث أراضى فى المحيط وقارّات فسعد وأسعد ولكنه جهول يظن عقله آخر ماوصل اليه الابداع ولم يفطن الى أن هذه الغريزة المرجانية والغريزة التى فى حشرة الأرضة المشروحة فى ﴿ سورة سبأ ﴾ كما قدّمنا قد أبدعت ابداعا لم يصل له هذا الانسان المسكين الذى يفرح بما عنده من العلم وهو لايزال فى أوّل حروف هجائية — إن الانسان لظلوم كفار — إنه كان ظلوما جهولا —

أما ظلمه فانه الى الآن لايزال يفخر بأنه يعيش على نهب المال من أخيه الانسان ، وأما جهله فهاهو ذا ظاهر فى انه لم يصل الى علم حشرة الأرضة فى نظام المدن والبناية ولا الى علم حيوان المرجان البانى فى المحيط جزائر وجزائر ، أليس هذا هو الابداع والاتقان والجمال (انظر صورة المرجان فى أوّل سورة النحل فى المجلد الثامن وفى آخر سورة الفرقان فى المجلد الثانى عشر) انتهى الفصل الأوّل

(الفصل الثانى فى الفلك المواخر فى البحر)

يقول الله : — وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون — فأوّلا نرى الفلك مواخر وثانيا نبتغى من فضل الله . وثالثا نشكر الله على ذلك الفضل . فههنا ثلاث جواهر

﴿ الجوهرة الأولى فيما نراه من الفلك المواخر فى البحر ﴾

أما الجاهل فلايدرك من هذا القول فى القرآن إلا لفظه واعرابه وصرفه و بلاغته ، فهذا حدّ الجاهل وكثير من العلماء المتأخرين فى الأمم الاسلامية ، أما الحكيم المفكر فانه ينظر بعقل أحكم ونظر أتم فيقول : « نحن رأينا الفلك فى البحر مواخر ، فأىّ فرق بينها و بين سير الانسان فى الأرض وركوب الدواب وركوب القطارات الحديدية ، نسمع الله يقول لنا بعد ذلك — ولتبتغوا من فضله — لِمَ أتى بهذه الجملة بعد رؤيتنا الفلك مواخر مع انه يقول : — والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة — ولم يقل — لتبتغوا من فضله — وان كان الجميع من نعم الله وتسهيل أمور الحياة علينا . ههنا يرجع الحكيم الى العلوم التى أبرزها الله فى الأرض فماذا يرى ؟ يرى أن قوّة الحصان الواحد تجر على الطريق العادى نحو (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف رطل بسرعة ثلاثة أقدام فى الثانية وتجر على شريط السكة الحديدية نحو (٣٠٠٠٠) ألف رطل للمسافة نفسها والوقت نفسه أى ان شريط السكة الحديدية يكسبنا فى النقل عشرة أمثال مانكسبه من السير فى الأرض المعتادة

فاذا جعلت نفس هذه القوّة فوق سطح الماء فانها تجر فى الزمن نفسه والمسافة عينها (٢٠٠٠٠٠) رطل إذن الماء أكسبنا تسهيلا فوق سهولة السكة الحديدية نحو (٧) مرات تقريبا وفوق مانناله فى سيرنا المعتاد على اليابسة نحو (٧٠) مرة ، عجب : ان الماء يسهل لنا النقل بنسبة عظيمة جدا لم تصل اليها دوابنا ولا طرقنا الحديدية . إذن البحر نعمة فى النقل تعلو على نعمة القطرات فى سكة الحديد وعلى الطرق المعبدة (بتشديد الباء) فى الأرض . هذا معنى قوله — وترى الفلك مواخر فيه —

فأما العامة وصغار العلماء فلايرون بأبصارهم من السفن إلا كما يسمعون بآذانهم من القرآن مناظر سطحية

وألفاظا مقروءة . فالفريقان فى ذلك أشبه بمن يرى أمواج البحر ويظن أن البحر ماء خامل لاحياة فيه بل الحياة الدنيا كلها عند أكثر هذا الانسان حياة كالأمواج لاجمال فيها ولابهاء . فلاجمال فى الحياة الدنيا إلا بدراستها ولابهجة فى ماء البحر إلا بتعلم علومه التى عرفها الناس . ولافائدة يعقلها الانسان من منظر السفن الماخرات فى البحر إلا بدراسة القوى وموازنتها كالذى ذكرناه هنا وهنالك فقط يفهم لم ذكر الله — ولتبتغوا من فضله — بعد ذكر السفن الماخرات فى البحر

ان للماء قوة تدفع الاجسام العائمة عليها الى أعلى فيخف ثقلها و يحس الانسان بذلك وهو فى البحر فانك اذا استحممت فى البحر كشواطئ الاسكندرية وهنالك زجاج مكسور تحت الماء وأنواع من الادوات الحادة فانك لاتألم بما يصيبك من هذه الادوات الحادة لان الماء سيرفعك رفعا يحفظك من الضغط على أمثال الزجاج فلا يصيبك الجراح . ذلك سر رفع الماء لأجسامنا فتخف وهذه النظرية معروفة فى جميع الدوائر العلمية ولها تدابير لامحل لذكرها وهى المعروفة بنظرية (ارشيمديس) فهذه النظرية سر من أسرار الله الذى وضعها فى الماء و به جرت سفننا فكانت أسرع نفعا من دوابنا ومن قطراتنا لذلك عقبه بقوله

﴿ الجوهرة الثانية — ولتبتغوا من فضله — ﴾

هنا نبتغى من فضل الله لاننا وجدنا طرقا سهلة معبدات عبدها (بتشديد الباء) الله لنا قبل أن يخلق أبانا آدم . لذلك نبتغى من فضله والمسلمون هم المخاطبون بالقرآن أكثر من غيرهم . فيارب هل الابتغاء من فضلك بالسفن الماخرات قاصر أكثره على غير المسلمين أم المسلمون من عبادك وهم أيضا يبتغون من فضلك بالطرق البحرية المذللات ولايقتصرون على الطرق الارضية التى تقل عن البحار (٧٠) مرة من سهولة النقل . أيها المسلمون البحار بحار ربكم وهو الذى سهلها لكم ولغيركم . لم لاتبتغون من فضل ربكم فى بحاره ولو أنكم جاريتم الامم فى السير فى البحر لنشرتم فضائل الدين فى الامم بالعلم والاقناع فترك الناس أصنامهم وأوثانهم ولخففتم عن الانسانية جهالتها المتراكمة واياكم ان تظنوا ان سير السفن فى البحر أمر سهل أو أن الابتغاء من فضل الله بالتجارة بمعاونة السفن أمر يسير . ان هنا عالما آخر وهو عالم الأثير . ذلك العالم البديع الذى هو ألطف من الهواء . عالم يتدخل فى الماء وفى الهواء وفى الارض وفى الاجسام الحيوانية وفى السماء وفى الكواكب وفى الارض هو عالم لطيف ينفذ فى كل شئ . هذا العالم أيضا يسعد الانسان باسراع المواصلات فبه يكون البريد البرقى (التلغراف) بقسميه أى الذى له سلك والذى ولاسلك له وهذا لابد منه لسير السفن فى البحار الله أكبر أصبح الانسان بهذا و بذاك كأنه جسم واحد اللهم انك أنت جعلت العوالم كلها كأنها جسم واحد فأرضك مع شمسك وقمرك وسياراتك ومجراتك كلها كأنها جسم واحد هكذا هذا الانسان الجهول المسكين يظهر لنا أنك تكاد تجعله جسما واحدا فهل يتنحى المسلمون عن هذه الموهبة بالجهالة . هل يتنحى المسلمون عن استخدام القوة الكهربائية التى يبعثها الناس فى الفضاء فتتلقفها السفن فى عرض البحار فتنجو من المخاطر وذلك بنعمة الاثير التى جعلها الله محيطة بنا . فهى أعم وأرق من الماء والهواء . واذا شئت شرحا لهذا الموضوع فاقرأ مانقلته من كتاب الجغرافيا التجارية الاقتصاديه والجغرافيا البشرية تأليف (محمد بك حمدى) ناظر مدرسة المحاسبة والتجارة وهذا نصه

﴿ البرق السلكي البرى والبحرى والبرق غير السلكى ﴾

انتشرت الأسلاك البرية فى الفضاء ومدت البحرية فى مياه البحار والمحيطات فاتصلت أطراف المعمورة برا و بحرا وأصبح العالم كله وكأنه قطر واحد فهانت المناجاة فى قليل من السويعات وانتظمت عقود التجارة الدولية وشاعت أخبارها فى الآفاق بالسرعة بسبب سهولة نجاز البيع والشراء والأخذ والعطاء فيما ينفع الناس

واشتبكت المصالح الدولية بشباك أوتادها فى كل المدن العظمى وفى الموانئ الكبرى وفى جميع جزر البحار الحسنة الموقع الجغرافى مما يسهل على الطالب تعيينه من الخريطة

(البرق غير السلكى)

نطيل الكلام فى هذا وحده لأن له الآن المكان الأول فى جميع أرجاء العالم الراقى فى قضاء الشؤون التجارية وفضله على البرق السلكى بريا كان أو بحريا واضح جلى لأن الثانى معدود الخطوط محدود الجهات بواسطة الأسلاك أما الأول فتعم اشارته الأرض قاصيها ودانيها على حسب قوة الدفعة الكهربائية التى تبعث بها من أعلى الفضاء هذا فضلا عن إغاثة السفن فى عرض البحار اذا ماحلت بها الأخطار فتتداركها السفن الأخرى المجاورة لها وتنتشلها من ورطتها وفى ذلك من تأمين الأنفس والتجارة مايرجع بالفائدة العظمى الى هذا النوع من البرق ولهذا نراه قد شاع ذكره واستعماله حتى لم تخل منه طريق تجارية ولا بلد رئيسية ولا السفن البخارية وبعض الشراعية فقد أصبح لها أثاثا وعدة من ألزم العدد واذ قد عم استعماله الآفاق رأينا عدم الحاجة الى سرد أشهر الموانئ والمدن التى تستخدمه فقد لايخلو منه الآن موقع ذو شأن فى التجارة الدولية والسياسة الخارجية واذا كان ينقص جهة فهى عاملة حتما على انشائه فيها فى القريب العاجل

وبمصر عدد البروق غير السلكية أشهرها فى الاسكندرية وأبى زعبل «وهى قرية من أعمال القليوبية»

وأنشأت وزارة المواصلات حديثا محط «البرق غير السلكى فى الاسكندرية» تسهيلا للمخابرات التجارية بين هذا البلد والخارج لاسيما بين السفن المسافرة فى البحر والثغر الاسكندرى فأقامت ساريتى البرق المذكور على شاطئ البحر فى رأس التين وجعلت ارتفاع السارية ١٣٠ قدما فأصبح للمحط من القوة الأثيرية مايحمل الأنباء منه واليه مسافة ستمائة ميل بحيث يستطيع أن يلتقط الأنباء من البواخر السابحة فى البحر الأبيض المتوسط كله ومن ثغور هذا البحر وما حواليها من الأماكن ولاشك فى أن الدوائر التجارية فى الاسكندرية وبقية مدن القطر الكبرى لتغتبط بهذا العمل النافع

وجهاز «البرق فى أبى زعبل» تابع للحكومة الانجليزية رأسا وهو من أكبر عدد العالم التى من نوعه وهو عبارة عن (١) آلة ميكانيكية ضخمة تولد الكهرباء تسمى المولد «الدينامو» تتولد فيها الحرارة الشديدة بواسطة (٢) آلة بخارية فى بناء آخر كبير مجاور للأول وعلى مسافة بعيدة منهما (٣) أعمدة عدة يبلغ عددها نحو خمسين عامودا مقامة على أرض مرتفعة جدا وقد يبلغ طول الواحد منها نحو عشرين ومائة متر ويربط فى أعلى كل عامود بطريقة فنية اسلاك تمد على جوانبه حتى تصل الى نهايته ثم تسير تحت الأرض حتى تتصل بالمولد وهناك حجرة للبرق المنوط به العمل ولديه آلة ذات مفتاح متصل بالمولد فاذا ضرب على المفتاح انفتح فم المولد وقذف موجة كهربائية ذات صوت شديد قاصف فتسيل هذه وما يتلوها من الموجات الأخرى مارة بالأسلاك القائمة على الأعمدة قاصدة أعاليها حتى تخرج من أطرافها الى الفضاء الواسع فتنتشر فى جو السماء بسرعة عظيمة تحاكى البرق الطبيعى وأمثال هذه الأسلاك موضوعة فى فرنسا على برج إيفل وفى البواخر على رؤوس السوارى . والموجات الكهربائية التى يقذفها المولد من شاهق تنتشر فى الجو كما سبق وصفه وتدور حول الارض مارة فوق الجبال والبحار من غير أن يعترضها شئ وقد يبلغ ماتقطعه الموجة الواحدة فى الجو ثلثمائة ألف كيلو متر فى الثانية أو أكثر من ذلك

والمصطلح عليه فى إشارات البرق أن حرف الألف مثلا يساوى نقطة وشرطة والباء شرطة وثلاث نقط والتاء شرطة واحدة وهكذا . والفرق بين الشرطة والنقطة أن الأولى يرسلها المبرق على المفتاح بقوة تساوى ضعف القوة التى يرسل بها الثانية وعلى هذا القياس يرسل موجاته متتابعة فى الجو فتتقبلها كافة الأسلاك المهيأة على المرتفعات الشاهقة فى الممالك الأخرى سواء فى ذلك البر والبحر ثم يتلقاها المبرقون بواسطة «سماعة» أشبه شئ بسماعة

المسرة «التليفون» فيدوّنون الكلام بواسطة سماعهم الموجات تطنّ طويلا أوقصيرا (شرطة أو نقطة) كما هو مألوف فى البرق العادى

والموجات الكهربائية تشبه فى انتشارها الموجات الصوتية فعلى قدر قوة الباعث تكون قوة الموجة وترددها فى الهواء وإذن تختلف قوى البرق غير السلكى باختلاف حجم المولد وعدد الأعمدة فعدة الاسكندرية مثلا لها مولد أصغر من مولد أبى زعبل وليس بها إلا عمودان اثنان على حين أن للاخرى خمسين عمودا ومن ذلك يكون نطاق المراسلات بواسطة الاول ضيقا بينما يتراسل الثانى مع جميع أطراف الارض وتتكلف الأعمدة نفقات عظيمة فقد بلغ ما أنفق على الواحد منها مليون جنيه

ويستطيع المبرق عند وضع السماعة على أذنه أن يأخذ أىّ الاشارات التى تتبادلها الممالك الأخرى بعضها مع بعض ولديه طريقة فنية لتمييز الموجات ومعرفة مايخصه منها ومالا يخصه فالبرق غير السلكى والحالة هذه لا يؤتمن على سر إلا ما كان مرسلا بالارقام السرية

ولقد اتصل أحيانا مع الموجات الكهربائية أصوات الزوابع والرياح من كندا أو روسيا أوجبال فرنسا أو أىّ جهة كانت فيشعر بها المبرق ويسمعها كما هى وقد تضعف هذه الرياح أصوات الموجات على أن اختلاطها بها لا يمنع فهم إشارتها على الاطلاق ولكل محطة برقية علامة خاصة لمناداتها بها فعندما تتصل الموجات الكهربائية بين بلدين يمكن للبرقين مبادلة الكلام بواسطة تلك العلامات

وفى ساعات معينة من الليل يستعد عمال جميع البروق غير السلكية لتلقى إشارات « روتر وهافاس » دون الاشارات الأخرى ولا يستطيع العامل بأبى زعبل مثلا أن يراجع لندن فى كلمة فاتته ولهذا السبب يوجد دائما فى مثل هذه الاحوال عاملان لتلقى الاشارة الواحدة حتى اذا ترك أحدهما كلمة تداركها الثانى

هذا ولايزال البرق غير السلكى آخذا فى التقدم من الدقة والاتقان بما سيضاعف نفعه وفوائده انتهى ما أردته من كتاب الجغرافية التجارية الاقتصادية

✡✡✡

أيها المسلمون : هانحن أولاء خلقنا فى الأرض يحيط بنا الهواء فاستعملناه فى الحروف الهجائية وذلك بالفطرة ولكن العلم الآن أرانا الأثير فاستعملناه بحروف واصطلاحات وكلم الشرقى الغربىّ وأصبح الصينى يكلم المصرى والألمانى به . أليس بهذا وأمثاله نبتغى من فضل الله وهذا هو سر التعبير بالفضل فى هذا المقام . ولما كانت هذه النعم قبولها واستعمالها شكر وتركها كفر بالنعمة أعقبه بذكر

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾

وهى — لعلكم تشكرون — فياليت شعرى كيف يكون شكر هذه النعم ، نعم الماء المسهل للنقل ونعم الهواء المسير للسفن ، ونعم البخار كذلك ونعم الكهرباء ونعم الأثير الذى يربط الناس بعضهم ببعض ويكون به التواصل والتخاطب ، لاشكر لهذه النعم إلا بتعلمها أوّلا ثم العمل بها ثانيا

فلاشكر للنعمة إلا بعد العلم بها ومن علم عمل وهناك يحسّ فى نفسه بحب وغرام بمبدع تلك النعم فيفرح بها وينطلق اللسان بالحمد والاركان للعمل فينفع المسلم الناس كما يفرح بنعم ربه ، فهناك ﴿نتيجتان اثنتان﴾ حب الله بفهم هذه النعم ونفع عباده باظهارها . وهل الشكر غير هذا ؟ إن قراء هذا التفسير هم الشاكرون والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس أوّل مايو سنة ١٩٣٠

(تذكرة من عجائب البحر)

إن من أجل ماسطرته الدهور . وأبدع ماأظهرته العلوم . مسألة الحياة فى أعماق البحار التى ذكرناها هنا لقد كان العلماء فى النصف الأوّل من القرن التاسع عشر يحكمون حكما لاريب فيه ولا جدال . أنه لاأثر للأحياء تحت عمق أربعمائة متر فى البحار الملحة مستدلين بأن الضوء لايصل الى هذا العمق . والى أن الضغط على أجسام المخلوقات هناك يكون عشرات أضعاف الضغط الجوّى . وان الحياة هناك مستحيلة قطعا تحت ذلك الضغط . فصار من البديهى ألاوجود لأحياء فى ذلك العمق . وهذا البرهان ظاهر واضح حق من كل الوجوه . ولكن ظهر خطأ هذا البرهان لما ظهرت الابحاث البحرية بعد ذلك وتكاثرت وصادوا حيوانات على أبعاد مختلفات بآلات صيد خاصة تدل على العمق الذى أخذ منه ذلك الصيد من سمك وقشريات ونجميات من عمق سبعة آلاف متر أو أكثر كما تقدم هنا : ووجد العلماء الضغط الواقع على أجسام تلك الحيوانات (٧٠٠) سبعمائة ضغط جوّى . لان ذلك الضغط يساوى نحو عشرة أمتار من الماء فوق الارض كما هو معروف فى العلوم الطبيعية . وفوق ذلك وجدوا هذه الحيوانات محمية بدرع صلبة تجعل أعضاءها الداخلية فى مأمن من العطب : بل ان أغلب هذه الحيوانات طرية الملمس . شأنها شأن نظائرها فى المياه السطحية . وعقول العلماء حائرة أمام هذه الحقائق الظاهرة . وما هذا الذى اختفى فى هذه الحيوانات حتى تحملت ذلك الضغط العظيم

هذا واذا حوّلنا النظر عن الحيوان فى البحث الى نفس الماء الذى هو مسكن الحيوان رأينا أمرا عجبا . رأينا أن السنتيمتر المكعب من الماء يحتوى على (٣٠) ألف مليون مليون مليون جزىء وان متوسط سرعة الجزىء الواحد نحو ٣٠ كيلو مترا فى الدقيقة الواحدة أو نصف كيلو متر فى الثانية الواحدة . وان وزن ذلك الجزىء لايتعدى ثلاثة أجزاء من مائة ألف مليون مليون مليون جزء من الجرام ولكن هذا الجزىء الواحد مركب من ذرتين من ذرات الادروجين وذرة من ذرات الاكسوجين والحركة المستمرة المشار اليها الملازمة للذرات هنا أشبه بحركات جماعات النحل تصطدم الواحدة بالأخرى اصطداما دائما . وعلى مقدار ذلك الاضطراب تكون درجة الحراره زيادة ونقصا . و بسبب هذه الحركات المستمرة والاصطدام يكون الضغط من الماء على الاناء الذى هو فيه أو المكان من البحر الذى هو فيه . والفضل فى معرفة ذلك يرجع الى (كلارك مكسول) العالم الاسكتلاندى من علماء القرن الماضى . ولكن كيف تركب الاكسوجين المذكور مع الاودرجين مثلا فى الماء . وكيف تكوّنت العناصر الاخرى مع بعضها فى جزئيات الاجسام الاخرى . هذا أمر عجز عنه العلماء فى كل عصر من العصور

ثم ان هذه الجزيئات المائية أى التى يتركب منها الماء ونظائرها مما يتركب منه كل موجود فى العالم المادى ليست هى أصغر ماعرفه الناس اليوم بل كل جزىء منها مركب من شئ أصغر منه جدا بمقدار (١٨٥٠) مرة وهذا الشئ يسمونه (الكترونا) وما هذا الالكترون الاشعاع ضوئى وهذا الشعاع الضوئى الدقيق تتركب منه كل ذرة والذرات تتركب منها المخلوقات

اذن ماء البحر وحيوانه وكل مادة نراها مركبات كلها من موادّ نوريه . اختلفت مظاهرها باختلاف حركاتها وهل هذا إلا قوله تعالى ــ الله نور السموات والارض ــ أى منورهما . اذن لاظلام فالعالم كله نور . ماء البحر نور . الارض نور . الجماد نور . الجبال نور ولكن اختلفت المظاهر باختلاف الحركات وتنوعها وان شئت المزيد . فارجع الى آية ــ الله نور السموات والارض ــ وادرس قطرة الماء هناك وافرح بنعمة العلم لتعلم أن العالم كله نور لاغير ولكن خفى علينا أمره فى هذه الحياة لنتعلم ولاسبيل لتعليمنا بغير ذلك . ومن لهم قدم صدق فى

هذا

هذا الموضوع (مدام كورى) وزوجها (المسيو كورى) المكتشفان عنصر الراديوم الذى هو أنشط العناصر كلها شعاعاً وقد وجدا له ثلاثة أنواع من الشعاع . فنها أشعة ايجابية . ومنها أشعة سلبية . ومنها أشعة قصيرات الموجات جدا والأشعة السلبية هى التى قدر وزنها بما تقدم وهى داخله فى تركيب جميع لذرات الله أكبر عجبا أصبحنا نعجب من حيوان تحت ضغط ماء يفوق سبعمائة ضعف الهواء الجوّى الضاغط علينا ونعجب أكثر وأكثر من ضوء صغير جدا دقيق تتركب منه ذرات وباتحاده تكون هذه المواد . أن حياتنا عبارة عن مرسح نشاهد فيها الأعاجيب فن ضوء يتنوع حوتا وذئبا وحجرا وشجرا وماء ومن حيوان صغير طرى اللحم يتحمل ضغطا قويا لانقدر نحن على تحمله ولا الفيل ولا الجمل تبارك الله رب العالمين . هذه بعض عجائب البحار وربك يخلق مايشاء ويختار . فهل يعجبكم هذا أيها المسلمون أن تناموا وتقوم امرأة وزوجها (كالمدام كورى والمسيو كورى) فيبحثان عن الأشعة وعن الذرات وعن الاضواء ونحن وأبناؤنا ونساؤنا عالة عليهم اللهم انك أنت ربنا وربهم فأنعم علينا بنور العلم واشرح صدورنا وألهم الامم الاسلامية عشق العلم انك أنت السميع العليم اهـ صباح يوم الخيس ٨ مايو سنة ١٩٣٠

واذ فرغنا من الكلام على آية ـ ومايستوى البحران ـ الخ فلنفض القول فى آية ـ ألم ترأن الله أنزل من السماء ماء ـ الخ فنقول :

﴿ لطيفة فى قوله تعالى ـ ألم ترَ أن الله أنزل من السماء ماء ـ الخ ﴾

لقد جاء فى ﴿ سورة الكهف ﴾ عند قوله تعالى ـ إناجعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ـ الخ ماجاء فى كتاب « علوم للجميع » باللغة الانجليزية مترجما أن هناك علما حديثا يسمى ﴿ علم الألوان ﴾ وهذا العلم يقول المؤلف إن علماء أهل الأرض الآن أطفال فيه ولكن الذى عرفوه منه فعلا يستبين منه للناس أن الألوان موضوعة فى هذه الأرض لمقاصد صادقة وليست اتفاقا ولامصادفة وذكرت لك هناك ما أوردوه فى هذا المقام من الألوان المختلفة البديعة مرسومة مشروحة مبينة أسبابها وأن ضوء الشمس هو الذى يرسمها ويخططها وكلما كان الحيوان أكثر تعرّضا للشمس كان أقرب الى السواد وكلما ابتعدت أجزاؤه عن ضوئها واختبأت كانت ملونة بلون من الألوان الأخرى كالحمرة والصفرة . وترى هناك أيضا أن هذه الأحوال العارضة التى ظهرت فى أمثال (أبى دقيق الطاووسى) وفى (حمار الحبشة) المرسومين هناك قد حيرت العلماء إذ وجدوا أن البياض فى ظهر حمار الحبشة المصاحب للسواد فى ظهره وفى جوانبه يحتاج الى علة غير علة إلحاح الشمس على ظهر الحمار لأنها توجب السواد التام ، أما البياض فهو أمر آخر لايتفق مع إلحاح الشمس عليه وهكذا تلك الألوان البهجة الزاهية فى أبى دقيق الطاووسى المتزنة اتزانا تاما ، الهندسية الشكل البديعة النظام فانها جاءت بسبب مواد الصقت بأجنحة تلك الحشرة ووضعت بنظام مدهش وهذه على ﴿قسمين﴾ قسم جاء اللون فيه حادثا من انحباس الهواء فى أوعية خاصة منتظمة فعكس ضوء الشمس عن ذلك الهواء المنحبس وقسم آخر جاء اللون فيه عن انعكاس الأشعة الضوئية عن ذرات منتظمات رتبت ووضعت فى صفوف منظمات فظهر بها اللون بهجا جميلا . انظره هناك

ثم ارجع معى هنا وقل معى : سبحانك اللهم وبحمدك . أريتنا الجميل . ذلك لأنك جميل . وضعت لنا قاعدة يا ربنا وقلت لنا فيها كلما كانت الشمس أكثر إلحاحا على الجسم كان أقرب الى السواد . وكلما كانت أقل إلحاحا عليه كان أبعد عن السواد وتحلى بلون من الألوان السبعة . ثم اننا رأيناك لوّنت الثلج بالبياض لبرودته ولوّنت عروق الشجر الضاربة فى الأرض بلون البياض : لماذا ؟ لأنها لم تلاق حرارة الشمس ولم نر الألوان إلا فيما برز للشمس من أجزاء النبات . فهانحن أولاء رأيناك بالله أخذت تتفنن وتبدع الابداع كله وتضع ذرات على أجنحة الحشرات وتلصقها وتهندسها وتظهرها للشمس فيبهرنا لونها ونجد أفانين وأفانين من الجمال . ولو

انك أبقيت حال هذه الحشرة مثلا بلاابتداع مثل هذا لم تر هذه الأفانين والصور الجميلة . والحق يقال ان العالم الذى خلقتنا فيه كله جمال . ورأيناك لم تقتصر على ذرات تلصقها بالأجنحة بل أبدعت فى الأجنحة ابداعا آخر وحبست الهواء فيها وعرّضتها للشمس فأخذت أمواج الهواء تلقى أشعتها على أعيننا داخلة فى قرنيتها متخللة بلورتها (بتشديد اللام) أى عدستها مرسومة على شبكيتها جارية فى أعصابنا الى مخنا ، فهناك يظهر لنا الجمال والكمال والبهاء

سبحانك اللهم : أبدعت ورقشت وزينت ، ولما كان ابداعك فى الصور واتقانك هندستها يراهما الجاهل فلا يأبه لهما (وذلك لأن الانسان لا يأبه ولا يهتم ولا يعجب ولا يطرب ولا يفرح لما ألفه وعرفه من إبان صغره وميعان شبابه إذ يطلع على هذه الأشياء وهو طفل ثم يشب ويكون فتى وكهلا فشيخا فهرما وهو فى ذلك كله لا يرى فى هذا الجمال إلا انه أمر عادى لا يستحق التفكير)

ألهمت طوائف من كل أمة من الأمم قديما وحديثا أن يصبغوا ويزينوا وينقشوا ويأتوا بأفانين الصور وأحاسن الأشكال وبدائع الجمال وروائع الزينة ومباهج الأصباغ . وأقدم هذه الطوائف التى عثرنا عليها قدماء المصريين الذين زينوا مبانيهم بنقوش غريبة وصور بديعة حار فيها الناظرون وتحير فى أمرها النقاشون والمهندسون ، وانما ألهمت الأولين والآخرين ذلك لتفتح العقول لهذا الجمال والابداع الذى نسوه بإيلافهم وجهلوه بتكرار مشاهدته وسقوط اعتباره من القلوب ، فهنالك هنالك الحكمة ، استبان للناس الجمال والبهاء والحكمة . والحكمة لا تعطى إلا للمفكرين . والمفكرون لا يعرفون الجمال والحكمة إلا بالتحليل ومعرفة المقادير والأجزاء الداخلة فى تركيب الأجسام والأصباغ

مالناس سوى قوم عرفوا ☆ وسواهم همج الهمج

فلأبين الآن لأذكياء الأمم كيف كانت الأصباغ عند قدماء المصريين فأقول :

أصباغ النقوش المصرية

قال الشاعر المصرى شوقى بك :

غاب من حولها الزمان وشابت ☆ وشباب الفنون مازال غضا
ربّ نقش كأنما نفض الصا ☆ نع منه اليدين بالأمس نفضا
ودهان كلامع الزيت مرّت ☆ أعصر بالسراج والزيت وضا

يقول علماء عصرنا ان قدماء المصريين تفننوا تفننا أدهشهم . فهاهى ذه هياكلهم العجيبة ومبانيهم الفاخرة وأصباغهم التى مرّت عليها العصور والدهور وهى هى كأنما نفض الصانع عندها يده الآن

فلننظر نظرة فيما كشفه القوم الآن لما حللوا تلك الأصباغ ومتى عرفنا بعض ذلك معرفة تامة رجعنا الى صنع الله تعالى فعرفنا تلك العظمة وسعدنا بالجمال الذى ندركه ونفرح به فى هذا الوجود . هنالك يشوقنا جمال هذا العالم ونحسّ بالمسرة والبهاء

لقد كان قدماء المصريين يمزجون الصبغ الأحمر بالأصفر فيكون منهما صبغ برتقالى اللون وهذا اللون عثروا عليه فى مدفن (نفرمت) الذى كان من رجال بلاط الملك (سنفرو) أحد ملوك الدولة الرابعة التى كانت تحكم مصر منذ ستة آلاف سنة وذلك قبل (خوفو) الذى بنى الهرم الأكبر من اهرام الجيزه

وهذه النقوش عميقة على هذا القبر وقد ملئت بهذا الطلاء . وكان عندهم طلاء آخر أشد صفرة وأبهى وأجل لونا . وطلاء آخر أخضر خضرة طبيعية وهو من الحجر الملكى الأخضر . وطلاء أزرق من الحجر الملكى الأزرق وكلاهما من مركبات النحاس . وهنا آن أن أذكر لك طلاءهم الأزرق الذى كان كثير الشيوع عندهم فهو كان صناعيا لا طبيعيا . وكانوا يصنعونه قبل المسيح بألفين وخمسمائة سنة . وماهوذا ؟ هو نوع من

الزجاج

الزجاج . وكيف صنعوه ؟ صنعوه من الرمل والجير والكلس والقلى ومعدن النحاس . حرقت هذه معا فكان منها فتكوّن منها زجاج أزرق . وقد حللوا قطعة منها تحليلا كيماويا فوجد فيها جزآن فى المائة من (اكسيد النحاس) وثمانية وثمانون جزأ من السلكا رجزء من الصودا وثمانية أجزاء من الجير وقليل من اكسيد الحديد ، واذا كان حجر النحاس من جزئين الى خمسة فى المائة كان الطلاء أزرق صافيا ، واذا كان حجر النحاس من (٢٥) جزأ الى (٣٠) كان لون الطلاء أزرق قاتما أو بنفسجيا ، واذا كان أكثر صار لونه أسود واذا قلّ القلى كثيرا فالحاصل مادّة رملية لاقوام لها ، واذا كثر كثيرا فالحاصل جسم صلب لايحك منه الطلاء المطلوب

ولقد جاء فى ﴿المقتطف﴾ فى يوليوسنة ١٩٢١ م مانصه : « ولذلك كان عليهم أن يزنوا العناصر كلها ويعلموا مقاديرها تماما ومن ثم استعمل الميزان فى الأعمال الكيمائية » وأنا الآن أكتفى بهذا المثال فان المدار على فهم مانكتب لاعلى كثرة المعلومات

هاهم أولاء قدماء المصريين منذ خمسة آلاف سنة نظروا فى الأحجار فاستعملوها ولوّنوا بهامصنوعاتهم ثم انهم ألهموا أن يقلدوا ماوجدوه فى الطبيعة وهذا التقليد لايكون سهلا بل مرّت عليهم قرون ودهور وهم يجرّبون ، فاهتدوا الى البرتقالى بمزج الأحمر بالأصفر ووزنوا النحاس والسلكا وهوالرمل والصودا والجير واكسيدالحديد فكان منهازجاج أزرق ، فياعجبا يا ألله ، نحاس وحديد ورمل وجير وصودا بامتزاجها يكون اللون الأزرق ولكن بمقادير محددة ولكن النحاس هو المقياس فن قلّ كانت الزرقة وان كثر كانت البنفسجية أشدّ منها ثم يصير أسود

هذا المثال يرينا ﴿أمرين * الأوّل﴾ ان هذه الأصباغ التى نراها فى النبات والحيوان مخلوقة فى الطبيعة أمامنا مرجعهامزيج موزون بموازين لواختلت لاختلت الألوان ولذهب الجمال ــ والسماء رفعهاووضع الميزان ــ ياعجبا . هذا هوالميزان . هذا هو ميزان علماء الكيمياء الذى وزنوا به الحديد والنحاس والرمل والجير والصودا الخ حتى حصلوا على زجاج أزرق . ياسبحان الله . إذن الله وزن هذه الموادّ وأمثالها حتى أبدع لنا أزهارالورد والقطن وأزهارأشجارالفواكه والرياحين ، حينئذ هذه البساتين والرياض الناضرات التى نراها ذات بهجة تسرّ الناظرين قد وزنت المقادير الداخلة فى تركيب هيئاتها حتى ازينت للناظرين . إذن الزينة بالوزن ، إذن الله وضع الميزان فى كل مكان ، وضعه فى كل شجر وحجر وجبل ، وفى كل شمس وقمر ، إذن ميزان الله يملأ السموات والأرض . إذن فهمنا قوله تعالى ــ شهد الله أنه لاإله إلاهووالملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ــ وقوله ــ قائما بالقسط ــ حال من الله فهو واحد قائم بالعدل . فهذا هوالعدل وهوالوزن الحق والوزن الحق هوالذى به ظهرت هذه الألوان وبهرت وسرّت الناظرين . لوأن اللون البنفسجى فى البنفسج الطبيعى زادت مادّته النحاسية عن (٣٠) فى المائة لم يلن بنفسجيا بل كان أسود ولوكان أقلّ كثيرا لكان أزرق صافيا

هذا هوالوزن فى عمل الله ولم نعرف جماله إلابدراسة الألوان . فبالدرس أدركنا معنى ــ ووضع الميزان ــ ومعنى القيام بالقسط ومعنى القول المشهور « أسست السموات والأرض على العدل » ولواختلّ الوزن فى عناصرهذه الموادّ لم تكن تلك الألوان واختلّ النظام وذهب الجمال الذى أبدع الله عيوننا لترسمه على شبكتيها وتوصله الى عقولنا لننظرالى ذلك الجميل الذى زين الأرض والسماء للناظرين وقل ــ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ــ . ثم هوألهم عباده أن يقلدوه وهاهم أولاء قدماء المصريين قلدوه فى الصنعة وقلده جميع أهل الأرض فى زماننا ماعدا أكثر المسلمين ولما قلدوه وزنوا وزنه ، فهو قد وزن فى مصنوعاته وهم وزنوا فى مصنوعاتهم تبيانا لقوله تعالى ــ ووضع الميزان * ألا تطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا

الميزان ـ . يقول تعالى : وضعت الميزان ووزنت كل ملوّن وكل مكوّن وكل متحرك وكل ساكن لأجل أن لاتزيدوا فى ميزانكم ولاتنقصوا بل تعتدلون وتزنون بالقسط فى مصنوعاتكم لئلا تختل وتقيموا العدل فى أعمالكم بميزان لئلا يختل نظام مدينتكم ، فالعدل فى وزن المصنوعات يجعلها جميلة والعدل فى القضايا ووزنها بالقسط وزنا علميا قانونيا يحفظ دولكم ومدنكم ويجعلكم فى الأرض سعداء ، ولاجرم أن الصناعات واجبة وجوبا كفائيا كما قدّمناه فى أكثر مواضيع هذا التفسير وأن التقصير فيها يورث الذلة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، فياحسرة على أمم الاسلام تلك الأمم التى أورثها الله أرض الأمم البائدة ، وقد دفن تحت أرجلهم صناعات قدماء المصريين والآشوريين والبابليين وأمم خلت من قبلهم ، فلما زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وظهرت كنوزها وتحدّثت الأحجار دهش نوع الانسان وقال : ماذا فى الأرض ؟ ولقد صدر الناس أشتاتا كل يسعى لعمل يجدّ فيه ، وقد جنت كل أمة وكل فرد ثمرات ما عملوا فى هذه الحياة الدنيا ، والآخرة على مقتضى الأعمال فى الحياة من خير ومن شرّ

كل هذا والمسلمون لم يحركوا ساكنا وأكثرهم نائمون وعلماء أصول الفقه ينادونهم أن شكر المنعم واجب ولاحمد إلا بعد معرفة النعمة ونعم الله ملأت السهل والوعر ! فمالكم تجهلونها ولاتعرفونها ، وتكفرونها ولا تشكرونها ! ولاشكر ولاحمد إلا بمزاولة النعم وتقبلها وفهمها ، فان نظرتم فوقكم رأيتم الطيارات محلقات من فوق رؤسكم وان نظرتم تحتكم ألفيتم صناعات الأمم الذين من قبلكم ولم تبلغوا معشار عزّهم وان نظرتم فى الامم التى معكم فى أرضكم هذه ألفيتموهم سبقوكم فى الصناعات أجيالا وأجيالا

أما آن للمسلمين أن يتعلموا صناعات الأمم ويدرسوها ـ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ـ انتهى صباح يوم الأحد ٢٠ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ جوهرتان فى آية ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ـ الخ ﴾

(الجوهرة الأولى) فى صور الأصباغ والزينة والجمال فى المصنوعات الإلهية تفسيرا للآية

(الجوهرة الثانية) فيما جاء فى علم الألوان حديثا ونحوه

﴿ الجوهرة الأولى فى صور الأصباغ والزينة والجمال فى المصنوعات ﴾

وذلك إما فى النبات . وإما فى الحيوان . أما الذى فى النبات فاقرأه فى سور كثيرة أقربها ماجاء فى سورة السجدة من صور النباتات العجيبة ، وأزيد الآن ماجاء فى المجلات المشهورة (كالمصوّر) و (الجديد) و (كل شئ) وهكذا وهاك نص ماجاء فيها :

﴿ أشجار غريبة ﴾

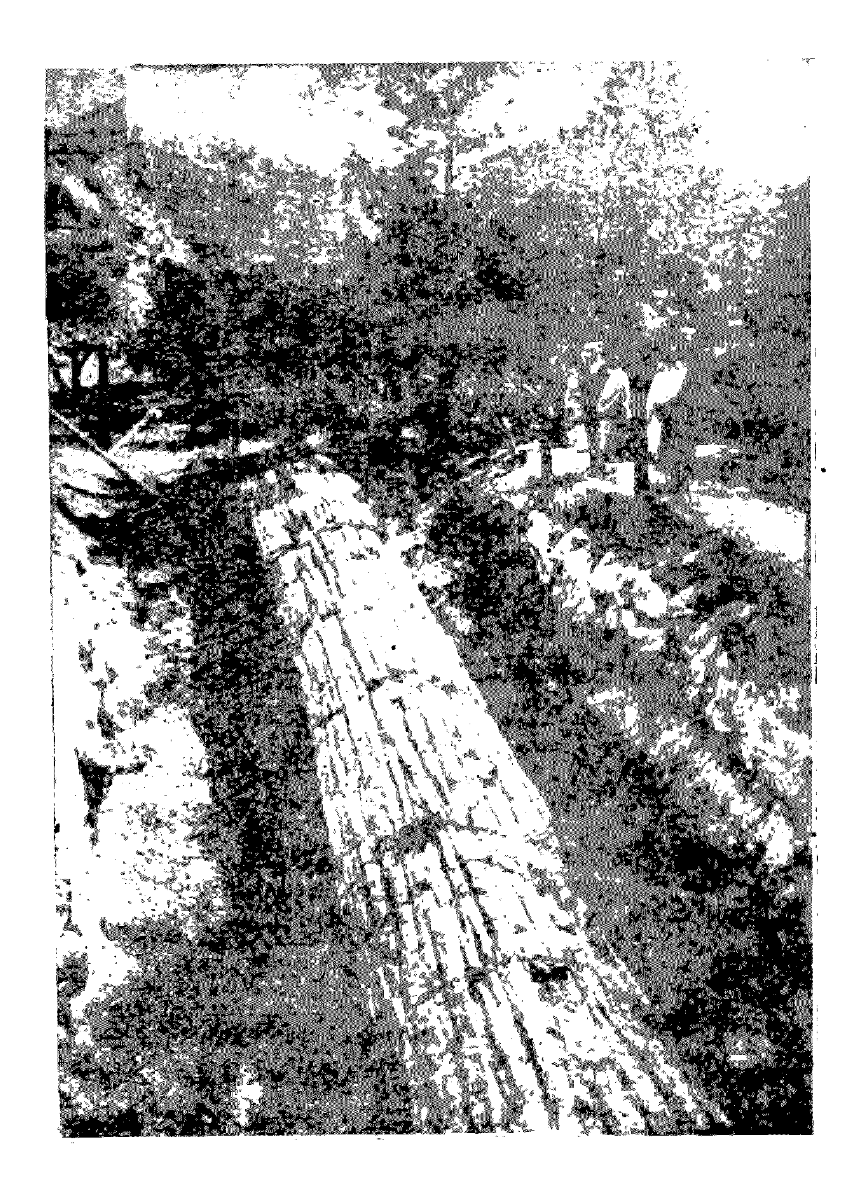
يرى القارئ فى الأشكال الأربعة الآتية (شكل ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) مجموعة من الصور عن الأشجار العجيبة وهى وان كانت أقلّ بكثير مما تصوّره رواة القصص الخيالية فهى على كل حال غير مألوفة لدى القارئ المتواضع الذى لايجمح به الخيال الى مثل ذلك (انظر شكل ٢٣ فى الصفحة التالية)

شكل

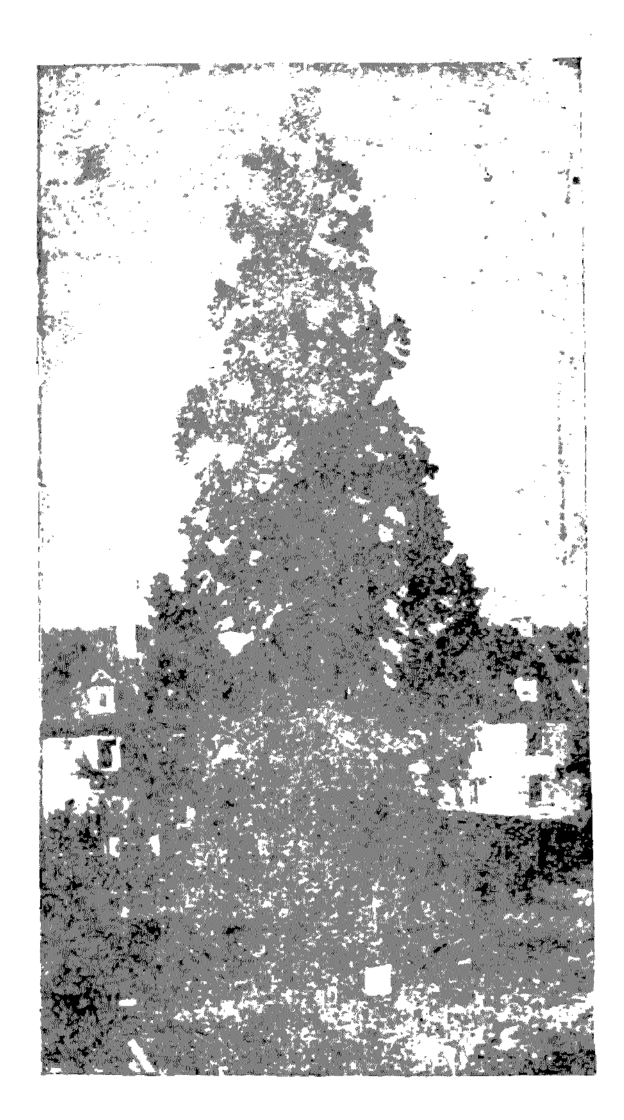


(شكل ٢٣ ــ رسم شجرة ذات جدائل)

(شجرة جديدة من نوع (يوشوا) اليابانى فى جنوب كاليفورنيا فروعها عديدة ملتفة كأنها الجدائل المضفرة)



(شكل ٢٤ ـ شجرة عجيبة فى (حديقة سونوما) بشمال كاليفورنيا وهى من أضخم الأشجار فى العالم وأكبرها حجما . يبلغ طولها عشرين مترا ، وقد أحيطت بسياج يحتشد خلفه السائحون لمشاهدة هذه الشجرة الهائلة)



(شكل ٢٥ ـ ناطحة السحاب : رسم شجرة هائلة من ناطحات السحاب (اذا جاز لنا أن نستعير هذا الوصف للأشجار) فى برعن بألمانيا ويزيد ارتفاعها عن ٢٥ مترا وعمرها تسعون سنة)



(شكل ٢٦ ـ شجرة الفيل)

(رسم شجرة عجيبة فى الحديقة الوطنية فى دنفر بالولايات المتحدة وكأنها رأس فيل رفع خرطومه)

﴿ الجوهرة الثانية فيما جاء فى علم الحيوان حديثا ﴾

وأما الذى فى علم الحيوان فقد ملىء به هذا التفسير ، وأزيد الآن عليه (أولا) صورا بهجة فى حيوانات تطير من ذوات الأربع ، وثانيا صورا لأنواع ريش الطيور غريبة بديعة . وثالثا صورا لأنواع عجيبة من حيوان البحار . ورابعا عجائب العلاقة الزوجية بين الطيور

أولا ـ ﴿ الحيوانات التى تطير من ذوات الأربع ﴾

يوجد الآن فى الكرة الأرضية أكثر من نصف مليون نوع من الحيوانات المختلفة ولكل حيوان منها طريقته الخاصة فى ايجاد مأواه كله والفرار من عدوّه حتى لايفترسه وليس يوجد مصدر للغذاء فى العالم لم تطرقه الحيوانات . ولا وسيلة للحصول عليه لم تجربها . وكذلك لم تدع الحيوانات أية طريقة من طرق الخداع للافتراس أوالنجاة بالحياة وكلها فى نضال مستمر وعداء لانهاية له . يأكل كبيرها الصغير وقويها الضعيف ومحتالها الساذج . فهى من أجل القوت فى حرب عوان وخدع دائمة . فالحيوان الواحد فى وقت واحد طالب ومطلوب . فاذا كان يجيد الهجوم على فريسته فلابدّ له من أن يجيد طرق الفرار من أعدائه الكثيرة

ومن وسائل النجاة التى منحها الله لبعض أنواع الحيوان الطيران فى الهواء فيستطيع الحيوان الذى يطير أن يتخلص من عدوّه الذى لايستطيع الطيران . وتنقسم الحيوانات التى تطير على وجه العموم الى ﴿ قسمين * أوّلهما ﴾ الحيوانات التى تطير بخفقان الأجنحة الى أعلى وأسفل بقوّة عضلية ميكانيكية مثل الحشرات والطيور والوطاويط ﴿وثانيهما﴾ الحيوانات التى يكون طيرانها مثل قفزات كبيرة تختلف فى الطول

حسب

حسب القوة الدافعة وحسب حجم أجنحتها الغشائيـة أوالجلدية مثل أنواع السمك الطيار والسحالى الطائرة والسنجاب الطائر

يريد علماء التاريخ الطبيعى إذا قالوا الحيوانات الفقرية ذوات الأربع الحيوانات التى لها سلسلة فقرية سوى الأسماك وتسير على أربعة أعضاء بمثابة اليدين والرجلين فى الانسان ويكون كل اثنين منها متشابهين تماما فى التركيب والشكل . وتعرف هـذه الحيوانات بأنها أرضية أى انها تنتقل على وجه الأرض بتحرك هذه الأعضاء الأربعة وقد صار بعض هـذه الحيوانات بحريا مثل الحيوانات البحرية الزاحفة والحيتان وانقرضت أعضاؤها وصارت زعانف طويلة تستعمل للتجديف فى الماء . واستطاع جانب من الحيوانات ذوات الأربع أن ينال قوة الطيران فى الهواء مثل الطيور والوطاويط فتغيرت فيها الأعضاء الأمامية وصارت أجنحة تخفق بها فى الهواء . وانه لمن المفيد أن نقارن بين عظام جناح الطائر وجناح الوطواط وزعنفة الحوت وذراع الانسان لنرى تقارب الشبه فى تركيبها وكيف تحولت عن أشكالها الأصليـة لتقوم بالوظائف التى تؤديها فى الحياة حسب عاداتها المختلفـة . ففى المنطقة الحارة فى آسيا نحو عشرين نوعا من السحالى الطائرة . ويرى فى السحلية منها على جانبى الجسم غشاء رقيق يتصل بالأضلاع يطوى ويفتح مثل الشمسية . وان من يتأمل حياة هذه السحالى يجد أن هذا التركيب الغريب نشأ عندها من النظام المعتاد فى حياتها . فان هذه الحيوانات تعيش فى الأشجار وتسير بكل سرعة فوق الفروع باحثة عما تقتات به من الحشرات وتكون أجنحتها فى أثناء ذلك مطوية . فاذا أرادت السحلية الانتقال من فرع الى فرع أومن شجرة الى شجرة نشرت جناحيها المطويين ووثبت فى الهواء دون أن تخشى السقوط . وأما الحيوانات الثديية التى تطيرأوتقفزفى الهواء فللواحـد منها قطعتان كبيرتان من الجلد على جانبى الجسم تعرفان بالجناحين الغشائيين أو بأسفل الصدر كما فى بعض أنواع الفالنجر وهوحيوان من نوع (الكانجارو) وأصغر نوع منـه الفأر . ويمكن الفالنجرأن يعيش على الدوام فوق الأشجار بدون أن يضطر الى النزول الى الأرض فيثب فى الهواء ناشرا غشاءه لينتقل من غصن الى غصن ومن شجرة الى أخرى . وهناك أنواع كبيرة من الفالنجر تشبه السنجاب ويستطيع الواحد منها أن يمرق بغشائه فى الهواء مجتازا فوق نهر عرضه ٤٠ يارده

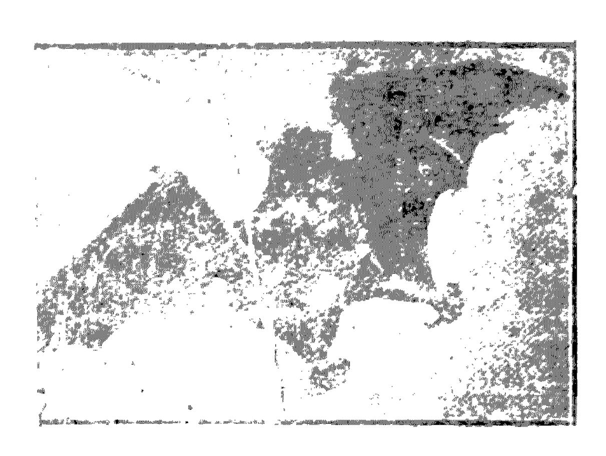
وأما السنجاب الطائر فليس من أنواع الفالنجر ولـكنه من فصيلة الحيوانات القارضة وهو يعيش كذلك فوق الأشجار ويمرق فى الهواء بغشائه الجلدى نحو خمسين يارده ، وفى الهنـد نوع من السنجاب الطائر يمرق فى الهواء ثمانين يارده ، وفى بلاد الملايو حيوان اسـمه (الكوبجو) وهو لايتصـل بأى نوع من أنواع الحيوانات ، ويرى بعض العلماء انه يقرب من فصيلة الوطاويط ، ويقرب حجمه من حجم القط ولـكن أرجله صغيرة دقيقة وينتهى بمخالب معقوفة ، وغشاؤه الجلدى يمرق به فى الهواء يغطى جميع جسمه ويتدلى من جميع نواحيه وهو يعيش كالأنواع السابقة فى الأشجار ويمكنه أن يمرق فى الهواء مسافة قدرها سبعون يارده ، وفى جزائر الفيلبين نوع صغير من هـذا الحيوان ويعرف القراء كيف تطير الوطاويط بأجنحتها الجلدية الخالية من الريش ، وان من يتأمل جناح الوطواط يجده مكونا من غشاء رقيق يتصل بالساق وتتخلله عظام هى أصابع العضو الامامى . ويوجد أنواع كبيرة من الوطاويط تعرف بوطاويط الفواكه . ويبلغ طول أجنحة بعضها خمسة أقدام وتسمى وطاويط الفواكه فى الهند والملايو واستراليا بالثعالب الطائرة لأن لها آذانا صغيرة ووجوها كوجوه الثعالب . وهى تنام انتهى (انظر شكل ٢٧و٢٨ و ٢٩ فى الصفحة التالية)



(شكل ٢٧)



(شكل ٢٨ — الوطاويط أثناء نومها وهي تحمل صغارها)



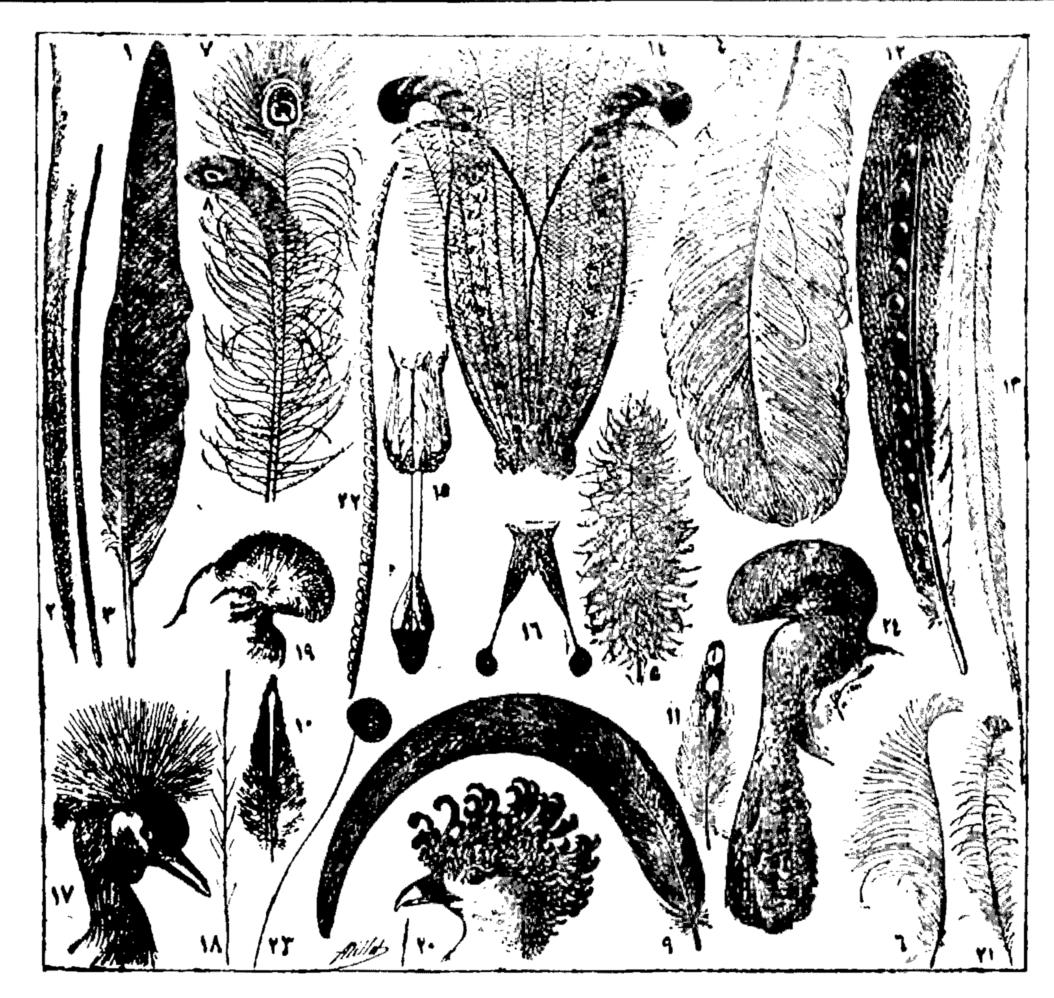
(شكل ٢٩ – وطواط طول جناحيه خمسة أقدام ويسمى بالثعلب الطائر)

ثانيا – ﴿ ريش الطيور البديع ﴾

جاء فى مجلة « كل شئ » مانصه :

بعض الطيور زاهى اللون متناسق الريش تتماوج الألوان وتترقرق الأصباغ المختلفة عليه حتى لقد فتن الانسان بجمالها وصار يصيد الطير لكى يحصل على ريشه ويتزين به . والاوروبيات مولعات بريش الطيور يضعنه فى قبعاتهن حتى صار جلب الريش تجارة واسعة النطاق يشتغل فيها الصيادون من مختلف البلدان . وكان أكبر ضحايا هذا الصيد أنواع (أبى قردان) المختلفة فقد كان الصيادون لالحاحهم على صيدها يبيدونها لولا أن تدخلت الحكومات ووضعت الشرع المختلفة لحمايتها بعض الشئ

وذكور الطير هى التى تتزين بالريش الباهر الزاهى . أما الاناث فتبقى عادة فى سذاجتها وهذا ظاهر فى الدجاج فان الديك يتزين دون الأنثى وهو وقت مغازلة الأنثى يزيف ويتطوس كأنه يشعر بجمال ريشه أوكأنه يدرك أو يتوهم أن الأنثى تعجب به وهذا هو الشأن فى معظم الطيور وخاصة تلك التى تقتات بالأثمار . أما جوارح الطير كالعقاب والصقر فلايزهو لونها لأن زهوته تنم عليها فتدل فريستها فتحذرها . وقل مثل ذلك فى أناث الطيور جميعها فانها ساذجة لازينة لها . لأنها لاحتياجها الى الحضانة تخشى أن ترى وهى تحضن بيضها فيهجم عليها خصمها ويقاتلها أو يأكل بيضها فمن مصلحتها ودواعى بقائها أن تختبئ لا أن تظهر . ولكن الذكر ليس فى حاجة الى ذلك (انظر شكل ٣٠ فى الصفحة التالية)



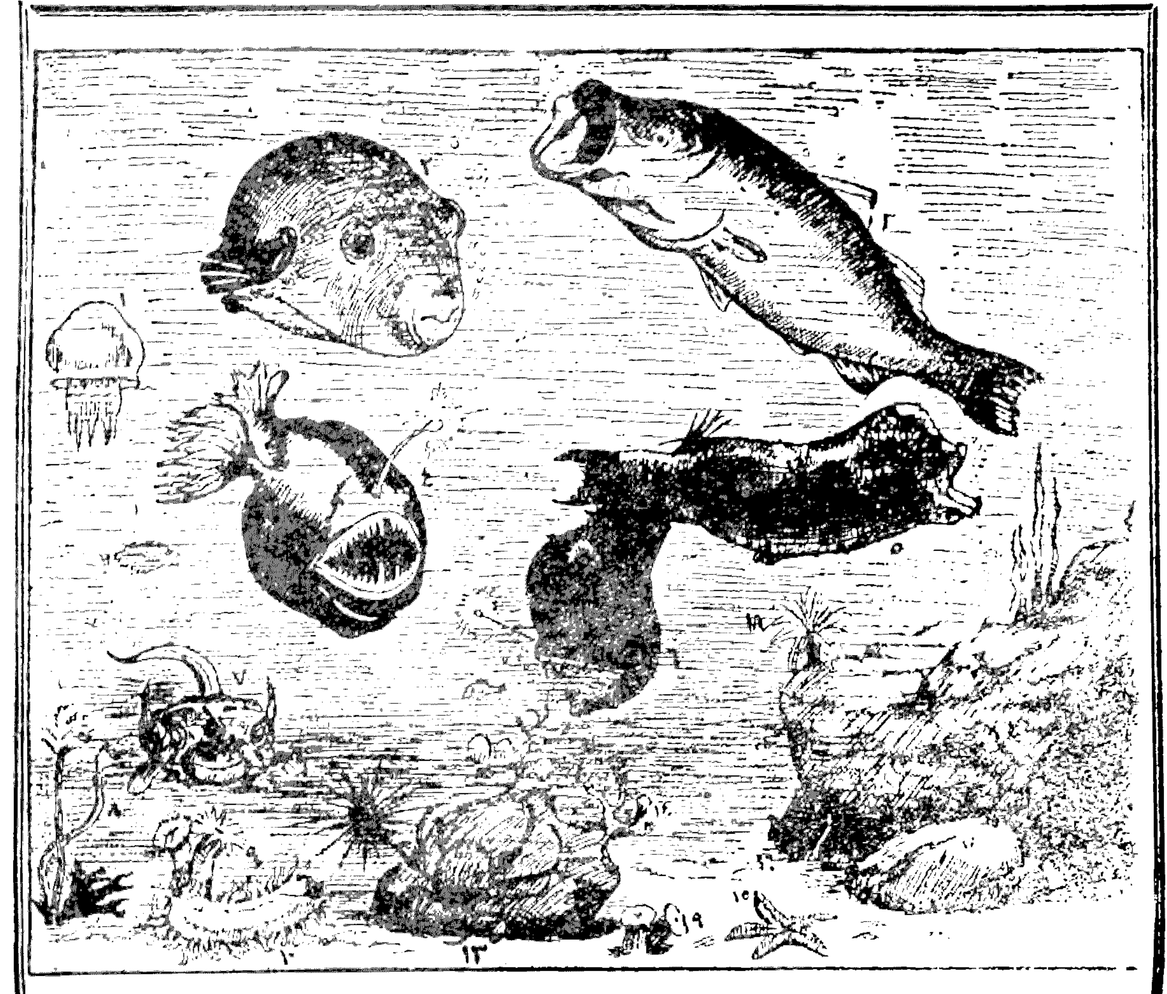
(شكل ٣٠ – رسم ريش الطيور البديع)

الريش عند مختلف الطيور : (١) العقاب (٢) الكاسوار (٣) نوع آخر من الكاسوار (٤) النعامة (٥) اللقلق الهندى (٦) أبو قردان (٧) الطاووس (٨) الطاووس أيضا (٩) و (١٠) و (١١) من ريش الديكة (١٢) الارغوس (١٣) عصفور الجنة (١٤) طائر القيثارة (١٥) الوموت (١٦) العصفور الطنان (١٧) نوع من أبى قردان (١٨) و (١٩) و (٢٠) و (٢١) ريش آخر من أبى قردان أيضا فى بلدان مختلفة (٢٢) الابتريدفور (٢٣) المانوكود (٢٤) الكيفالو بتير

ثالثا – ﴿ حيوانات قاع البحار ﴾

فى قعر البحر أو المحيط حيث يبلغ ارتفاع الماء الذى فوقه نحو ميل أو أكثر تعيش أنواع من الحيوان عجيبة فان أجسامها مؤلفة بحيث تتحمل ضغط الماء الشديد لأنها تعيش وكأنها تحمل مدى حياتها عمودا من الماء ارتفاعه ميل ، ولحمها لذلك لا تستطيع أكله لأنه جاس لا يمضغ ، ثم هى لأنها تعيش فى ظلام دامس كثيرا ما تستغنى عن عيونها ولها بدلا منها حساسات تشبه حساسات القط تتلمس بها الأشياء فتعرف الفريسة وتميز العدو ، وأحيانا يكون لها ضوء يشع ، فاذا كان لها عينان رأته واهتدت به ، ويرى القارئ فى شكل ٣١ طائفة من هذه الحيوانات (انظر شكل ٣١ فى الصفحة التالية)

شكل



(شكل ٣١)

ففى (١) قنديل يشبه المظلة ، وفى (٢) سمكة تسمى البالون لأنها وقت الغضب تنفخ نفسها فيكبر حجمها وفى (٣) سمكة تعد من أشرس الأسماك وأقدرها على القتال ، وفى (٤) و (٦) سمكتان تعيشان فى أعمق مكان فى البحر وفى كل منهما أعضاء منيرة ، وفى (٥) سمكة تسمى الخروف ، وفى (٧) سمكة القنفد ، وفى (٨) و (٩) و (١٠) نباتات بحرية ، وفى (١٢) بيض سمكة تدعى اللوليجة . وفى (١١) حيوان من الشائكة وفى (١٣) سرطان . وفى (١٤) مرجان . وفى (١٥) نجمة البحر . وفى (١٦) و (١٧) و (١٨) حيوانات أخرى من الأنواع الدنيا

رابعا — ﴿ العلاقة الزوجية بين الطيور ﴾

جاء فى مجلة « مصر الحديثة » ما يأتى :

ذكر الدكتور (ولفرد ودسجود) ناظر علم أنواع الحيوان (زوولوجى) أن الطائر الكبير الجميل المعروف باسم (النساف أبى القرن) يحفظ العلاقة الزوجية حفظا يمتاز به على أمثاله من الأطيار . وهذه العادة الجميلة معروضة للفرجة فى متحف التاريخ الطبيعى بواسطة الأوكار التى يعبأ هذا الطير ببنائها . يعيش هذا الطائر فى (جزر سومطرة) و (بورنيو) وفى شبه جزيرة ملقا فى المحيط الهندى . ومتى اختار أنثاه ذهب بها الى شجرة مجوّفة واتخذها مقرا لأنثاه حيث تبيض وتنقف فراخها وتربيها هناك وللحال تشرع الأنثى فى بناء جدران المدخل فى جوف الشجرة بالطين و بمواد أخرى . يساعدها الذكر فى ذلك وهو يظل خارجا و يتردد الى أنثاه من وقت

الى آخر . يحمل اليها ما تحتاج اليه من الغذاء . فتظل الأنثى سجينة الشجرة مدة البيض والحضانة وتربية الفراخ الى أن تطير ولكن الذكر يحفظ عهد الأمانة لها فلا يتركها ولا يهملها بل يخدم حاجاتها . وهذه العادة الراسخة التى يتصف بها النساف تؤدى الى سلامة الفراخ ووقايتها من السنجاب الذى هو أعظم خطر يتهددها . ومن القرود التى تكثر فى غابات المناطق الحارة . وهكذا نرى فى الحيوان من الوفاء والحرص على ذويه ما لا نراه فى كثير من بنى الانسان (انظر شكل ٣٢)



(شكل ٣٢ — ذكر النساف خارج باب العش ومنقار أنثاه ممتد من الداخل يتناول منه الطعام)

﴿ جمال العلم وبهجة الحكمة ﴾

رب إن الهدى هداك وآياتك نور تهدى بها من تشاء . هاهى ذه الآيات اللاتى أوجبت النظر فى الأبيض والأحمر والأسود واختلاف الأوصاف والأحوال . ولما اطلع على هذا ذلك العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التفسير قال : هنا أمران جديران بالذكر . أمر نباتى ، وأمر حيوانى . أما الأمر النباتى فهو الذرة التى أمكن أن يستخرج القوم من عيدانه وورقه ورقا للكتابة . وأما الأمر الثانى فهو الجراد الذى عم البلاد المصرية فى هذه الأيام والسورية والحجازية والنجدية والسودانية وكلاهما داخل فى الآية لأن الآية تشمل الحيوان والنبات . فقلت له : أما كون ورق الكتابة يستخرج من حطب الذرة فقد تقدم فى هذه السورة فى قوله تعالى — مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها — فهذا من الرحمات التى أطلقها الله للناس فلم يمسكها أحد ، فماذا تريد بعد ذلك . قال : أنا أريد أن تميط اللثام عن ثمرات هذا الخبر للامم الاسلامية بأن تجعله موضوعا اقتصاديا كما هو شأنك فى هذا التفسير إذ نراك تنتهز الفرص فى صغيرات الامور وكبيراتها فتتخذ منها سلاحا لقتل الجهل واحياء العلم ، ولكنك لما كتبتها فيما تقدم رأيناك لم تعلق عليها شيأ ولم تحث المسلمين على اقتفاء آثار العاملين النافعين لأممهم . فقلت : لقد أضرمت فى قلبى بهذا السؤال نار الحسرة وأثرت فى نفسى ثائرة الحزن والأسى على أمم مزقت كل ممزق كانت سراجا للعالم مضيئا وشمسا مشرقة فأقبل ليلها وأدبر نهارها وأصبحت فى حلك الظلام ، ذكرتنى بما قاله العلامة (سديو) المؤرخ الفرنسى فى (صحيفة ٢٦٨) فى النسخة المترجمة وهذا نصه : « وقد استعمل العرب بيت الابرة من ابتداء القرن الحادى عشر فى سفر البحر والبر ومحاريب الصلاة وصنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية فى سمرقند وبخارى ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية القطن بالحرير فصار القطن يستخرج منه الورق المسمى (الورق الدمشقى)

الذى

الذى ذكره المؤرخون ، وأنشئ فى أسبانيا معامل من الأقمشة البالية وسابق أهل ولنطيه وقسطالونيه فى هذه الصناعة أهل كزطيوه واستعمل ورق العرب فى القرن الثالث عشر بقسطيله التى شاع منها استعماله فى فرنسا وايطاليا وانكلترا وألمانيا ، ولكن ورق الكتب العربية المكتوبة بخط اليد يفوق ورق الفرنج لطافة ولمعانا كما فاقه بما كان العرب تختاره من تزويقها بأبهج الألوان والأحبار والأزهار . وما أسلفناه هو كيفية ظهور تحكم العرب فى جميع فروع تمدين أوروبا الحديث ومنه يعلم انه من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر كان عند العرب أوسع ماسمح به الدهر من الأدبيات وأن نتائج أفكارهم الغزيرة واختراعاتهم النفسية تشهد أنهم أساتذة أهل أوروبا فى جميع الأشياء كالمواد المختصة بتاريخ القرون المتوسطة وأخبار السياحات والأسفار وقواميس سير الرجال المشهورين والصناعات العديمة المثال والأبنية الدالة على عظمة أفكارهم واستكشافاتهم المهمة ، ولهذا كله وجب الاعتراف برفعة شأن هذه الأمة المحمدية » الخ

وقد قال قبل ذلك بأسطر : « إن اختراع العرب الورق و بيت الابرة و بارود المدافع قد غير الحالة الأدبية والسياسية والعسكرية فى جميع الدنيا » وقال : « ولا عبرة بما زعمه بعض الفرنج من انه سلب من العرب شرف ذلك الاختراع ونسبه للصين مدّعيا انهم عرفوا ذلك منذ زمان قديم ، وأبطل ذلك بأن الطباعة لو كانت معروفة عند أهل الصين لنقلها عنهم العرب ، فأما بيت الابرة فليس من المعقول انهم عرفوه وهم لم يزالوا الى سنة ١٨٥٠ ميلادية يعتقدون أن القطب الجنوبى من الكرة الأرضية سعبر تنلظى (ومعلوم أن الابرة تتجه للقطبين) وهل عرفوا استعمال البارود استعمالا مختلف الأفانين الذى بقى أثره عند العرب المشهود لهم باستعماله أصنافا من القلل فى حصارهم مكة سنة ٦٩٠ ميلادية و باستعمالهم فى مصر فى القرن الثالث عشر البارود المتخذ من ملح السبخات ليرمى به نحو قلل ذات صوت كالرعد ، وذكر استعماله أيضا فى معرض وصف البحرية التى عقدها ملك تونس مع أمير أشبيلية فى القرن الحادى عشر كما استعمل فى حصار جبل طارق سنة ١٣٠٨ ميلادية ، وحصار اسماعيل ملك غرناطه لمدينة (بائظه) سنة ١٣٢٤ وحصار طريفه (سنة ١٣٤٠) وحصار مدينة الجزيرة سنة ١٣٤٢ * وحكى المؤرخ (فراراس) أن الرصاص رمى بالبارود فى تلك الحصارات فابتدأ نصارى اسبانيا من ذلك الوقت باستعماله » اهـ

هذه بعض ذكريات الماضى أيها الذكى التى أثرت أنت ثائرتها فى قلبى . ماذا أقول وقد عمّ الجهل وطمّ ولم يستيقظ كثير من المسلمين للجهالة الفاشية ولم تطلع الأجيال المتأخرة على أمثال هذه الأقوال التى يذكرها الفرنجة ، نعم قد حكم الترك أبناء العرب وتسمى ملوكهم بأسماء خلفاء الاسلام فنعوا العلم منعا باتا فأظلم ليل المسلمين لاسيما العرب قرونا وهذا زمان العزّ والعلم

ها أنا ذا ذكرت لك الورق وانهم أخذوه عن الصين ولم يكن له أصل إلا الحرير فاخترع المسلمون فى زمن الصحابة والتابعين أى فى العصر الأوّل أن يكون من القطن وارتقت الصناعة حتى صار من الخرق البالية فى أسبانيا ، ثم صارت أوروبا كلها تتعلم منهم ولم يصلوا بشهادة المؤرخ الفرنسى لحسن الورق العربى الجليل ، وها هو ذا يقول : « إن أوروبا عالة على الأمم الاسلامية العربية فى صنع البارود و بيت الابرة والورق و بهذه الصناعات قلبت سياسة الأمم وآدابها وعسكريتها

إن الذى أذلّ الأمم الاسلامية عموما والعربية خصوصا ﴿ أمران أوّلهما سبب لثانيهما * الأمر الأوّل ﴾ الجهل ﴿ الثانى ﴾ التفرّق : جهلاء متفرّقون ، جمعهم الدين والعلم وتدنسوهما فنسيهم الله فتفرّقوا ولكن الله عزّ وجل يريد اليوم جمعهم بعد التفرّق ، وهذا التفسير من مقدّمات النهضة الاسلامية ، ومتى وصل علم هذا الكتاب وما فيه الى آذان أمراء العرب وملوكهم و بقية أمراء الاسلام وملوكهم دهشوا و يقولون فى أنفسهم لم يكن ليخطر ببال علماء الدين أن القرن الأوّل النبوى يحتوى على عجائب مثل اختراع صنع الورق

من القطن بدل الحرير . أكثر المسلمين يظنون أن العصور الثلاثة الأولى ليس فيها إلا الحديث والفقه فقد ظهر كذب هذا الرأى وأن الورق والبارود قد استعملا فى أوائل تلك القرون الثلاثة وهذان مع بيت الابرة سبب للرقى الحاضر فى فروع الحياة ، وسيقول ساسة المسلمين حين يقفون على هذا : « إذن نحن لسنا على نهج الصحابة رضوان الله عليهم لأننا حصرنا عقولنا فى صغائر الامور ونسينا ماتسكنه عقولنا من الآراء السديدة والحزم الشديد والحكمة والاختراع ، فلماذا لانفكر فيما لدينا من الزرع والشجر وكيف يكون القوم قد اتخذوا من حطب الذرة ورقا . أوّاه : لقد فعلوا مافعل أجدادنا أيام النبوّة . أجدادنا استغنوا عن الحرير الذى عرفوا من الصين انه منه يصنع الورق بالقطن . وهؤلاء الفرنجة قالوا بل نحن نستخرج الورق من الخشب بدل القطن الذى عرفناه من المسلمين بل نستخرجه أيضا من حطب الذرة . حطب الذرة الذى لاقيمة له أصبحت له قيمة شريفة اذا صار ورقا . إذن فى حقولنا من الثروة مالاحصر له . حطب متروك منبوذ جعل ورقا . وعيدان مبتذلة صارت ورقا . وكم فى الأرض وفى الزرع من منافع جهلناها . فلنقدم على العلم ثم العمل ولنفكر » هذه هى التى يقولها أشراف المسلمين حين يقرؤن هذا القول ويوقنون انهم مقصرون وأن تقصير أممهم انما جاء من الجهل والجهل هو آفة الانسانية الآن . انتهى الكلام على الأمر الأوّل

﴿ الأمر الثانى وهو الجراد ﴾

فقال صاحبى فأفض القول فى الأمر الثانى وهو الجراد . فقلت له : أما الجراد فانى لم أطلع على أحواله كما اطلعت على الكلام فى حطب الذرة . فاذا سمعت منك فيه قولا أمكننى إذن أن أوجه الخطاب لأمم الاسلام ذاكرا مايناسب المقام . فقال :

﴿ غارة الجراد الكبرى على مصر فى شهر ابريل سنة ١٩٣٠ ﴾

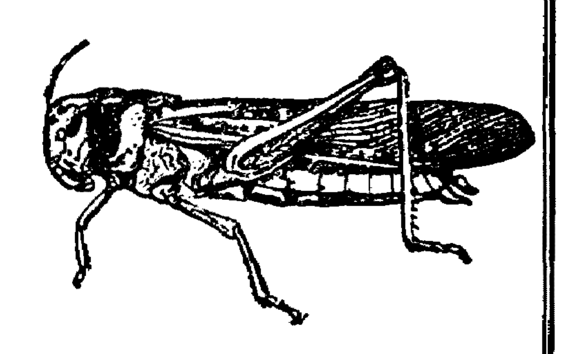
جاء فى مجلة « الدنيا المصوّرة » فى ١٣ ابريل سنة ١٩٣٠ مايأتى :

﴿ غزوات الجراد فى مراكش . انظر شكل ٣٣ ﴾

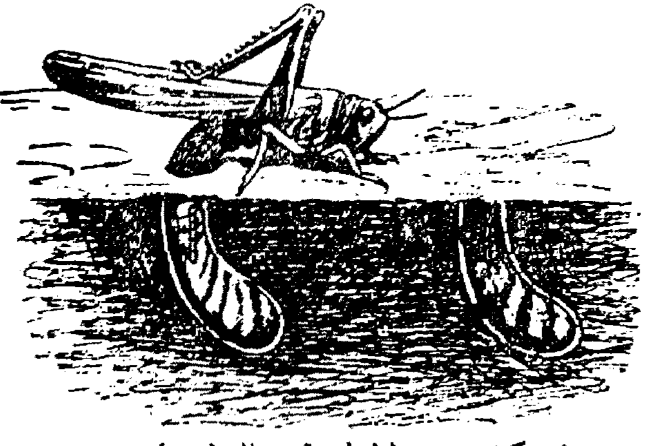
انقضت جيوش الجراد فدهمت المزروعات والحقول فى ممالك جمة . فهى فى مصر والأفغان و بلوخستان والعراق وسورية والحجاز واليمن والسودان والحبش وشمال افريقيا . وقد خرج الفلاحون من مراكش يلتقطون الجراد و يجمعونه فى أكياس . وقد خرجوا أيضا مرة أخرى فى وقت الفجر تحت ارشاد شيوخ القرية لمكافحة الجراد . ثم جاء ماملخصه ان الجراد أنواع ونوع منه يسمى الجراد الراحل هو الذى يهجم على مصر وهو يؤكل فى الهند مقلوا بالزيت و يأكله العرب فى بلادهم وفى السودان يجففونه و يحمصونه و يحفظونه فيكون طعاما . و يعتقدون انه يشفى بعض الأمراض . و يقال انه ينشأ فى السودان والحبشة و بلاد العرب ونجد فيتناسل و يفقس ثم يرحل وفى رحلاته يسير (٦٠) كيلومترا فى الساعة وله مواعيد محدّدة ، فجراد السودان الذى يغير على مصر يأتى لها فى مارس و يرحل بعد أن يكون طاف ببلاد العرب ، وله بين كل عشر سنوات وخمس عشرة سنة غارة كبيرة رهيبة ، وآخر غاراته سنة ١٨٩٠ وسنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٥ ثم هذه السنة ١٩٣٠ م وقد جمع أهل مصر سنة ١٩١٥ م نحو (١٣) مليونا كيلوجراما من الجراد ونصف مليون ، ومن بيضه (٤٢٤) كيلو جراما من البيض وهو ٢٧ ألف مليون بيضة ونصف مليون والأنثى تضع بيضها بأن تمدد بطنها وتحنى طرفه كأنها زاوية قائمة مع الأجنحة وتحفر حفرة تغرز فيها بطنها (انظر شكل ٣٤) وتضع البيض كتلا كل كتلة أشبه بعنقود كل عنقود يكون مابين (٨٠) و (١٢٠) بيضة . وقد تكون كتلها (٥) أو (٦) ثم تسدّ الحفرة وتفرز عليها مادة بيضاء كزلال البيض فتتجمد وتسدّ الثقب وبذلك تحفظ الفقس من الحشرات وغيرها . وطول البيضة (٨ر٨) ملليمترا وعرضها (٨ر١) ملليمترا وطول الكتلة (٤) سنتيمترا . والذكر ينهش الأنثى بعد وضعها فيكسر رأسها فيعض عليها . و بعد مدّة من (٣) الى (٦)

اسابيع

أسابيع يفقس ويخرج الجراد الصغير المائل للخضرة ثم يسودّ بعد ساعات قليلة ويغير جلده خمس مرات كالأفاعى وفى كل مرة تخرج بحجم أكبر ثم تظهر الأجنحة وتكمل فى مدة بين (٤٠) و (١٠٠) يوم فيكون أحمر اللون شديد الخطر ومتى بلغ قلّ خطره ويهتم إذن بالتناسل . فخطره وهو أحمر اللون شديد فاذا كبر كان خطره فى النسل . وقد هجم الجراد على مصر هذه السنة (١٩٣٠ م) من جهة السودان أوّلا ثم من جهة (طورسينا) ثانيا . وقد أرسلت بلادنا المصرية بعثة لتعرف مصدر الجراد فرأت تلك البعثة أنه ينشأ فى جبل علية (بتشديد الياء) وفى وديانه فى السودان . وقد عرفت أن هذا الجبل ووديانه هى أمنع حصون الجراد وهو أعظم منطقة للجراد وتناسله (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤)



(شكل ٣٣ ـ الجرادة)



(شكل ٣٤ ـ الجرادة تضع البيض)

فلما فرغ من كلامه قلت له : فماذا أقول لك ؟ ان هذه مما احتوته هذه الآية فان فيها الأحمر والأخضر والأصفر . فقال أريد أوضح من ذلك . فقلت هى تدخل فى قوله تعالى ـ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ـ . فقال : العموم هنا لا يكفى . فقلت : أليست من آيات الله تعالى ـ فقال : أنا أريد ماهو أوضح . فقلت : هى آيات مفصلات . فقال : مفصلات ! الآيات المفصلات هى آيات القرآن . فقلت : وآيات الأكوان . ألم يقل الله تعالى ـ وكل شئ فصلناه تفصيلا ـ . فقال : ولكن جعلك الجراد وحده آية مفصلة يعوزه دليل خاص . فأوّلا أذكر الدليل الخاص على انه آية مفصلة . وثانيا كيف كان آية مفصلة ومابرهانه ومانتائجه التى ستظهر فى بلاد الاسلام بسبب هذا التفسير . فقلت : أما كون الجراد آية مفصلة فهو ماقاله الله تعالى ـ فأرسلنا عليهم الجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ـ فالجهال يسمعون هذه الآيات وتمر عليهم وهم لايعقلون . وأما حكماء هذه الأمة الذين سيأتون بعدنا فانهم يعلمون أن التفصيل سيظهره العلم الذى يلهمه الله لقلوب واعية اسلامية فى مستقبل الزمان . فان حكماء هذه الامة اذا تدبروا أحوال الجراد الذى يصيب البلاد العربية خصوصا والاسلامية عموما يفهمون أن هذه آيات العلوم

(١) أوّلا للأحوال الاقتصادية

(٢) وثانيا للأحوال السياسية

(٣) وثالثا للاصلاحات الدينية

(٤) ورابعا لعروج النفوس الانسانية الى عالم القدس والجمال والفرح بالحكمة والبهاء والصفاء

فقال : لقد شرحت صدرى بهذا التفسير قبل أن تفصل تلك الآيات فان هذه العنوانات العظيمة لتدلنى على علم وحكمة تؤخذ من هجوم الجراد على مصر فى الأزمان القديمة والحديثة ، فاشرح لى الأمر الأوّل وهو الأحوال الاقتصادية . فقلت : لقد خلق الله هذا الانسان فى الأرض ورباه وعلمه السياسة والاقتصاد ولكنه الى الآن لازال طفلا صغيرا وهذا الطفل تصيبه الكوارث والنوازل والموقظات فهو يرتقى قليلا قليلا ولكنه

بطيء النمو ، هذا الجراد أرسله الله على أهل مصر بلادى فى قصة موسى وفرعون ليكون زجرا لفرعون إذ أذاق بنى اسرائيل عذاب الهون ، ولكن ليس القرآن لأجل بنى اسرائيل وحدهم ولا لموسى وانما هولنا ، فالله يقول لنا : « هذا الجراد أرسلته عقابا للناس على سوء فعلهم » فلنبحث عن سوء أفعالنا فاننا نجده فى أمر واحد وهوالجهل ، وعلينا نحن المسلمين اليوم أن نستيقظ ونفهم . أن الله عزّوجل هوالذى خلق النبات وخلق الحيوان . ومن الحيوان الجراد . وأعظم حصن للجراد جبل علية (بتشديد الياء) فى السودان والوديان التى بجانبه . ففى هذا الجبل يخلق الله الجراد ومنه يصدر الى البلاد الاسلامية كما تقدم . فلنبحث إذن فى هذه . أهى نقمة أم نعمة ؟ إن الله يقول : ـ فأرسلنا عليهم الطوفان ـ فهو بدأ بالطوفان وثنى بالجراد . فأى طوفان فى مصر ؟ هوطوفان النيل . فكلما طغى النيل على مزارعنا فى مصر اتخذنا له جسورا وقناطر فحفظناه فانتفعنا به . إذن الطوفان الذى هوآية مفصلة أرسلها الله على أهل مصر قد عرّفنا حقيقة أمره والانتفاع به فأصبحت بلادنا اليوم عامرة يسكنها (١٤) مليونا بعد أن كانت نحومليونين منذ قرن . ذلك بأننا فهمنا هذه الآية وهى طوفان النيل فحفظناه وانتفعنا بمائه فصار نعمة بعد أن كان نقمة . هذا هو تفصيل آية الطوفان فلنتبع الكلام على الطوفان بالكلام على الجراد وهوالآية الثانية المفصلة فنقول :

كما ان النيل يهلك الحرث والنسل اذا ترك وشأنه وينفع الناس اذا حوفظ عليه . هكذا يكون أمر الجراد . الجراد أمه يخرج من (جبال علية) فى السودان كما يخرج النيل . والنيل قد انتفعنا به . أفلانفعل هكذا فى الجراد . إن الله يقول هوآية مفصلة . أما تفصيلها لفرعون وآله فأمره ظاهر . وأما تفصيله لنا فانه يحتاج الى حكمة وعلم فأقول :

كما ان الماء بحفظه يخرج الزرع ويدرّ الضرع هكذا الجراد فيه منافع عظيمة اذاعرفنا قيمته فهاهوذا إحصاؤه سنة ١٩١٥ ميلادية ببلاد مصر . فهوكان نحو (١٣) مليونا كيلوجراما من نفس الجراد و (٤٢٤) كيلوجراما من البيض . ولما شاع أمر الجراد فى مصرسنة ١٩٣٠ فى أثناء طبع هذا التفسير كتبت للحكومة المصرية فى جريدة الاهرام قائلا : « أيتها الحكومة . لقد قرأت قريبا أن الجراد فى بعض الممالك قد أخذته شركة أوروباوية وعصرته واتخذت منه زيتا وهذا الزيت كان خيرا من كل زيت فى الطيارات (أقول وكأن الله عزّوجل لم يطلع من قبلنا على ذلك الزيت لأنهم لم يستأهلوا لتلك النعمة . أما نحن اليوم فأهل لها) ثم قلت : ومابقى من جسم الجراد بعد العصرجعلوه علفا للبهائم »

هذا ماكتبته للحكومة المصرية . ثم لم تمض أيام على هذه الكتابة حتى جاء من بلادالبلجيك نبأ رسمى فى خطاب للحكومة المصرية يقال فيه : « الى أين تصدرين الجراد ، والى أين تصدرين بيض الجراد ؟ » وهذا الخطاب يراد منه أن تلك الشركة تريد أن تقوم بشراء ذلك الجراد وذلك البيض لتصنع ما صنع بالجراد الذى قرأت عنه فى بلاد جنوب افريقيا ، وقد أدرجته فى هذا التفسير سابقا وكاتبت به الحكومة المصرية كما قلت آنفا

كل هذا حصل فى هذه الأيام وحكومتنا المصرية لم تحرّك ساكنا . والسبب فى ذلك أن البرلمان والحكومة مشغولان بمعاهدة الانجليز وبالاستقلال وبالامور السياسية ، ولوانهم كانوا فى حال أحسن من هذه لقال قائلهم « إن أجسام الجرادالبالغة (١٣) مليونا من الكيلوجرامات لوانا عصرناها زيتا للطيارات واستخرجنا منها (٦) مليونات من الكيلوجرامات زيتا ، فماذا يكون ثمن ذلك كله ، فلوأن الكيلوالواحد بقرش واحد لكان عندنا (٦) ملايين قرش وهى (٦٠٫٠٠٠) جنيه ، وليس من المعقول أن يكون هذا الثمن حقيقيا بعد المصاريف بل يكون أضعافا مضاعفة ، فاذا أضفنا اليه مابقى من جثمان الجراد وهو (٧) ملايين فانه لاينقص عن نصف قيمة الزيت المذكورلأنه يكون علفا للبهائم يغنى عن الفول والبرسيم بل هوأجلّ وأحسن . إذن الجرادفى ظاهره نقمة وفى حقيقته نعمة . فالحكومة المصرية التى صرفت مائة ألف جنيه لاحراق الجراد ومطاردته

واتلافه

واتلافه لو انها عصرته زيتا وجعلت جثمانه علفا لأخذت من ذلك أضعاف ماصرفته

فأنا أذكر هذا إيقاظا للمسلمين بعدنا أن يفكروا فى هذا و يبحثوا حقيقة ماقرأت أنا فى الجرائد ، هل عصيره زيت للطيارات وهوخيرها من كل زيت ، وهل الجثمان الباقى بعد العصرخيرعلف للبهائم ، فليبحثوا وليفكروا وليعملوا هذا فى مثل مصرمن كل أمة لم تعتد أكل الجراد ، أما الأمم التى تأكله كبلادالعرب فالأمر فيه ظاهر ، هو نعمة حقا وصدق ، نعمة ساقها الله لهم وهى ظاهرة واضحة ، فالناس يدفعهم حب حفظ الحياة الى الاتحاد على المقاومة كما يتحدون على حفظ جسور النيل ، وهذا الاتحاد يقوّى عاطفة المودّة بين الناس و يلهب الشعور العام بين الناس فى الوطن الواحد وفى الأوطان المتجاورات . هذه هى الآية الأولى من آياته المفصلات وهى الاقتصادية

﴿ الآية الثانية من آيات الجراد وهى آية الأحوال السياسية ﴾

اعلم أن أبناء العرب فى مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام والعراق والموصل وهكذا فى الصحراء الكبرى والسودان . كل هؤلاء يبلغون عشرات الملايين . فهذه أمة واحدة أصبحت أمما متفرّقة لاراعى لها ولاأمير يجمعها ولاعالم يوقظها بل هوقوم مختلفون وطوائف متشاكسون . فأنا الى الله أشكو واليه أضرع أن يهدى هذه الأمم الى حال سعادتها . و يهديها الى رشدها . هذه الأمم هى أنفسها التى انتشرت فى مبدأ الاسلام من أرض الحجاز ونجد واليمن فكانت فى العراق شرقا والموصل وامتدّت الى تخوم الصين والهند وأيضا بلاد الفرس وسمرقند و بخارى

هذا من جهة ومن جهة أخرى توغلت فى السودان وفى جنوب أوروبا فتوطنت فى الأندلس ثم ذهبت الى جنوب فرنسا فى وقت ما كانت حكومتها واحدة ثم أخذت تمزّق رويدا رويدا حتى انحلت عصبيتها وتفرّقت وجهتها وذلت أعقابها لأنهم جماعات جماعات لاجماعة واحدة وأمة واحدة . علم الله ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض وأن هذه الأمة بما فيها من الفضائل النفسية والنخوة العربية والقوّة الأدبية وانكار الذات والحرص على الكرامة والشرف وحسن الذكر والاباء والشمم والكرم وما أشبه ذلك ستنشر فى الأرض الدين وبها تموج الأمم و يحصل لعملها آثار تظهر فى جميع العالم قديمه وحديثه ، وأن الأمم ستتجه للتعليم العام فى الصين واليابان وأمريكا واستراليا . كل ذلك بما أحدثت هذه الأمّة من الفتوحات فى أوّل نهضتها وما نشرت من صناعة الورق و بيت الابرة والبارود كما تقدّم قريبا فى كلام الاستاذ (سديو الفرنسى) فأحدثت فى الأرض نهجا جديدا فى العسكرية والآداب والنظم

أقول : علم الله ذلك كله فأنزل فى القرآن (الم) فى أوّل سورة آل عمران تذكرة بآية ــ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ــ الخ التى ترجع الى أن اليهود أيام النبوّة قوم اتكلوا على مجد آبائهم وشفاعات آبائهم وناموا فأذلهم الله وجعل ملكهم للعرب كما تقدّم واضحا هناك ، وأن (الم) المذكورة فى أوّل السورة تشير الى (الم) المذكورة فى أوّل هذه القصة التى بها يتذكر أبناء العرب خصوصا والمسلمون عموما أن الاتكال على مجد الآباء وشفاعتهم بلاعمل بلاهة وجهالة ، وهذه الجهالة كما أنها انتزعت ملك اليهود منهم هكذا انتزعت ملك العرب منهم فتفرّقوا ، ومتى قرؤا علوم الأمم المحيطة بهم وعرفوا بالتاريخ انهم أمة واحدة بل انهم هم من خير أمة أخرجت للناس وانهم لايليق بكرامتهم ولا بشرف أصلهم ولا بحقائق دينهم ولا بفضائل الرسول ﷺ أن يكونوا أجهل الأمم ممتازين بالتفرّق والانحلال فلم يساووا أمة ما من أمم الأرض ، فالصين ذات لغة واحدة لها حكومة واحدة ، وهكذا اليابان اتحدت نسبا ولغة فاتحدت سياسة ، ومثلها الانجليز والألمان والفرنسيون والايطاليون ، فكل هؤلاء لهم لغة واحدة فكانوا أمة واحدة فى السياسة ، فالعجب كل العجب أن يكون أبناء العرب مثلا من أقاصى السودان الى بلاد الموصل ومن جبل طارق الى حضرموت والعراق لاتكون لهم

حكومة واحدة مع اتحادهم دينا ونسبا ولغة واتصالهم فى البلاد . كل هذا تقدم مفصلا فى سورة آل عمران

أقول : اذا عرفوا ذلك وأدركوه فى الكتب المنتشرة اليوم وفى هذا التفسير فانهم لاجرم يسعون للاتصال فيكونون أمة واحدة كما فعلت الممالك المتحدة لكل جماعة منهم رئيسهم الذى رضوه إما من سلالة استتب ملكها عندهم وهم بها راضون ، واما بطريق الانتخاب بهيئة رئيس منتخب وهؤلاء الرؤساء ينتخبون من بينهم رئيسا كما فعلت الممالك المتحدة تماما

هذا هو الذى تدعو اليه آية (الم) فى أول (سورة آل عمران) خزنها الله فى القرآن لتظهر آثارها فى زماننا عند الحاجة اليها كما خزن الفحم الحجرى فى الأرض وأبرزه الآن لننتفع به . هذا ولم يقتصر وعظ هذه الأمم على الآيات المسموعة القرآنية بل أنزل لهم آيات نظروها بعيونهم وهى آيات هذا الجراد المفصلات ، إن الجراد كما تقدم من الآيات المفصلات ، فهو آية مفصلة فى الاقتصاد كما تقدم وهو آيات مفصلات فى السياسة ، أرسله الله على هذه الأمم وهو يهاجم مثلا مصر تارة من بلاد السودان وتارة من طريق طورسينا ، و يهاجم العراق والشام وهكذا . فهذه الآية واضحة ظاهرة مبينة فان الجراد بهجومه على بلاد العرب من مراكش الى العراق والموصل يذكر أبناء العرب مثلا ويقول لهم : « أنا الجراد . أمتى أمة واحدة . فاذا هاجمت بلادكم المرة بعد المرة ولكرة بعد الكرة وأنتم تقتلوننى وتحاربوننى وتطاردوننى وتحرقون وتهلكون مئات الملايين وملايين الملايين من جنودى فهل تفرقنا شيعا ؟ وهل اختلت صفوفنا ؟ أفليست الجحافل الجرارة التى هجمت على دياركم سنة ١٩١٥ هى هى مثل الجحافل والجيوش الجرارة التى هجمت على بلادكم فى سنة ١٩٣٠ وهكذا سأرجع لكم الكرة بعد الكرة تذكرة لكم بالاتحاد وستخجلون اذا قرأتم العلوم وتنورتم إذ تقولون ياويلتنا أعجزنا أن نكون مثل هذا الجراد فنتحد مع اخواننا ونكون مملكة واحدة كما اتحدت أمة الجراد كما قال أحد ابنى آدم ـ ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى ـ بل ان سوأة التفرق والتخاذل فى البلاد العربية الاسلامية أعرق فى الفضيحة وأظهر فى الخزى من جسم غراب وقع فوق الأرض » فهذه أمم وأمم ربما تبلغ ثمانين مليونا تفرقت شذر مذر ولم تعقل ماعقله الجراد بغريزته إذ اجتمع وكون مملكة واحدة وقد جعله الله آية يقرؤها المسلمون فى أمثال هذا التفسير فيرجعون مجدهم ويكونون مملكة واحدة . وهذا آت بعد نشر العلوم فى هذه الأقطار

﴿ تذكرة ﴾

آيات الله على ﴿ قسمين ﴾ آيات مسموعة ، وآيات منظورة ، والآيات المسموعة هى الكتب السماوية ، والآيات المنظورة هى هذه العوالم المشاهدة ، وللأول الاشارة بقوله تعالى ـ إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ـ وللثانى الاشارة بقوله تعالى ـ ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون ـ وبقوله ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ـ الخ وهى الآية التى نحن بصدد الكلام عليها . وبقوله ـ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى ـ وبقوله ـ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ـ وبقوله ـ ألم تر أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز ـ الخ فهذه كلها آيات مشاهدة والآيات المشاهدة يحاسب عليها الناس اذا قصروا فيها لأنها فى الحقيقة المقاصد الحقيقية للآيات المسموعة . ألم تر أن الله بعث غرابا يبحث فى الأرض ليرى ابن آدم كيف يوارى سوأة أخيه . فالغراب إذن مبعوث لنا ليرينا . والجراد مبعوث لنا ليرينا ، وكل هذه آيات مفصلات لنا ، إن جميع الأمم فى الأرض وجميع أنواع الحشرات والطيور والكواكب مبعوثات لنا مسخرات لتكون باعثا لنا على الفكر والبحث والنظر فننتفع بها فى الحياة ونذكر به العقول . واذا كان الغراب علمنا صناعة دفن أمواتنا أفليس هذا معناه أن كل ماحولنا يعطينا دروسا من دروس الحياة . وهل أنزلها الله فى القرآن

لمجرّد التلاوة . كلا . ثم كلا . بل ان القرآن كتاب أنزله الله للناس مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب إذن هذا القرآن نزل لفتح أبواب العلم على مصراعيه لأولى الألباب . فذا وجدنا فروض الكفايات قدوجبت بمقتضى آية التوبة ـ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ـ الخ فليزدنا تأكيدا ذلك الوجوب بما نشاهد من آيات الحشرات والحيوانات المنظورة اللاتى تعطينا دروسا ودروسا والله هوالولىّ الحيد . وبهذا تمّ الكلام على الأمر الثانى من آيات الجرادالمفصلات وهى الأحوال السياسية

﴿ الأمر الثالث وهوالكلام على الاصلاحات الدينية ﴾

إن أهل هذه الأرض قد أنزل الله لهم ديانات فى أوقات مختلفات . وهذه الديانات متى تنزلت عليهم تؤول فى آخر أمرها الى أحوال تلك الأمم وأخلاقهم وعوائدهم وهذا دين البوذية والبراهمة . هذا الدين حرم أكل الحيوان شفقة ورحمة : وذلك نظرجزئى سطحى . إن أكل الحيوان هوعين الرحمة . إن من قرأ ماتقدم فى سورة ﴿ سبأ ﴾ من أن الأرضة (تلك الحشرة التى تبنى لها مدنا فوق الأرض وترفعها (٦) أمتار فأكثر وتتسع الى مدى أميال . وهذه المدن لايقدر على هدمها الانسان إلا بالديناميت كما يفعل فى الجبال اذا أراد أن يقطعها بالطرق الحديدية)

أقول : إن هذه الأرضة لها فى كل سنة وقت معلوم تصدرفيه من ذرّيتها ذات الجناح آلاف الملايين تخرج كلها فى ساعة معينة وتطير فى الجوّ طلبا للتناسل ورغبة فى ضوء الشمس ونعيم الهواء بعد الحبس فى تلك المدن المظلمة مع آبائها وأمهاتها العمياء التى تدير مملكة شاسعة لها منافذ ومنافذ عليها حراس أشدّاء أقوياء من تلك الجنود العمى ذوات الأسلحة الفتاكة التى لاتدرك إلا بالمناظير المعظمة . وهذه الذرية ذوات الأجنحة المذكورة الطائرات فى الجوّ الفرحات بأنها ستنعم بالتناسل والزواج وعليها حليتها من الأجنحة البهجة الجميلة الحريرية لاتلبث فى الهواء إلا زمنا قليلا ثم تقع على الأرض ، وهناك تتلقفها الأفاعى والكلاب والهرر وأنواع أخرى من الحيوان حتى الانسان فتصطاد وتؤكل ويحمصها الانسان ويجعلها مع السكرويأكلها

فهذه مخلوقات نظمت بحكمة وصدرت فى زمن معلوم لحيوانات تأكلها . وهكذا نرى الاسود والنمور وسائرالسباع ذوات الأنياب المحددة والجوارح فى السماء ذوات المناقير الملتوية المحدودبة . كل هؤلاء وهؤلاء قد منعت من أكل النبات وأبيح لها أكل الحيوان . وهذه العصافير تأكل الدود وهى مأكولة لغيرها . وهكذا الحيات والعقارب تأكل الحشرات . وكذلك سمك البحر بعضه آكل وبعضه مأكول . بل الانسان والحيوان اذا هلكن خلقت أمم الدود فى أجسامها دلالة على انه لامعطل فى هذا الوجود . هكذا الجراد هنا يخرج من مواطنه فى (جبل علية) ووديانه ومن غيره ويغزوالأمم كرة بعد كرة فيكون غذاء لها ومتاعا الى حين ، فمثله كمثل حشرات الأرضة اللاتى تخرج كل سنة فى وقت معين والحيوانات تنتظرها طعاما شهيا . فهكذا هذا الجراد يخرج فى سنين معلومة كما تقدم وآكلوه منتظروه فلامعطل فى الوجود . إذن أهل الديانات اذا لم يتفطنوا لعلوم هذه الكائنات فانهم يعيشون جاهلين ويموتون غافلين . فليس نظام هذه الدنيا مبنيا على مجرّد الحواس بل هو يجرى بقواعد صادقة ثابتة مبنية على العدل والحساب ـ لاتبديل لكلمات الله ـ والحمد لله رب العالمين . وبهذا تمّ الكلام على الحال الثالثة وهى اصلاح الديانات

﴿ الحال الرابعة . عروج النفس الانسانية الى عالم الجمال ﴾

وهذه منتهى ماترقى اليه النفوس وتعرج اليه الأرواح . فان نفوسنا اذا فكرت فى أمر الانسان والحيوان اعتراها الشك والوسواس وقالت : « هذه الدنيا بأسرها دار وبال وخسران » فأهل الديانات فى شقاق والأمم فى ضلال والحيوان آكل ومأكول وهذا الجراد يغزونا ونغزوه . وماهذه الدنيا إلا الوبال والخبال هذه آراء جميع العقلاء فى هذا العالم الانسانى إلا قليلا منهم وهم المفكرون . أما العامة فهم لاحساب لهم

لأنهم آمنوا بظواهر الديانات وهؤلاء فى طبقة خاصة يدخلون الجنة . فأما المفكرون فأكثرهم يتخبطون فى دياجى الظلمات شاكون متحيرون . وليس يرقى منهم إلا أفراد قلائل . فهؤلاء يدرسون العلوم الرياضية والطبيعية ولهم عقول مفكرة وآراء محمودة وتكون آراؤهم متوجهة الى الكليات لا الى الجزئيات . فى أمثال هذا المقام تكون عقولهم فى جحافل الجراد المنتشرة الطاغية على بلاد مصر والشام غير مقصورة على آلام الناس من الجراد ولا على أكل الناس له بل يكون النظر متجها الى القاعدة العامة وهى ان هذه الأرض أشبه بشجرة والحيوانات والنباتات من فوقها أشبه بأوراق على أغصانها ، وتلك الأوراق تذبل وتحل محلها أوراق أخرى والغصن باق الى أمد معلوم . فهذه هى حال الأرض وأحوال هذا العالم . مادة شكلت بأشكال مختلفة بنظام جميل مدهش . فالمادة كالشجرة والأشكال كالأوراق ووراءها قوة مدبرة منظمة حاسبة لكل مخلوق حسابه ونظامه . فهى تزوّقه وترقشه وتسوقه الى حكمة من الحكم الكونية البديعة النظام . وهذه الطائفة التى لاأشك أن منها قراء هذا التفسير هى التى ترى ربها وتفوز فوزا عظيما بعد الموت وتكون فى أعلى عليين وتفوق العباد (بتشديد الباء) الذين جعلوا جميع حياتهم فيها وهم خالون من هذه العلوم الجليلة فالعباد هم الصالحون ولهم عند الله أجر عظيم . أما المفكرون بهذا المعنى فهم الصدّيقون وهؤلاء مقامهم بعد الأنبياء وهم فى الدنيا هداة لأهل الأرض وفى الآخرة يرون ربهم ويفرحون به وهم مستبشرون . كتب يوم الأحد ١ يونيو سنة ١٩٣٠

﴿ بهجة هذه الآيات ﴾

(من قوله تعالى ـ ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ـ الى قوله تعالى
ـ كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ـ)

كيف يخشى الله من عباده العلماء ؟

اللهم إنا خلقنا فى هذه الأرض ، ولم ندر من أين أقبلنا ، ولا نعرف متى نموت ، واذا متنا لاندرى الى أين ننقل ومع من نعيش ؟ وعلمنا فى هذه الحياة علم ضئيل مع ان الحياة بحر لجىّ واسع الأكناف عظيم عميق فلاندرى أوّله ولا نعرف آخره . وغاية الأمر أننا نسمع فى كتابك الكريم تقول لنا ـ يحبهم ويحبونه ـ وتقول ـ وهو الغفور الودود ـ وتقول ـ إنّ ربكم لرؤف رحيم ـ

فأنت تحبّ وترحم وتغفر وتودّ . هانحن أولاء نظرنا فى هذه العوالم المحيطة بنا فألفيناها بحسب احساسنا جوامد وسوائل وغازا كالحجارة والماء والهواء ، ومن هذه تشكلت عوالم وعوالم انتفعنا بها ، ولكننا اذا أقفلنا أعيننا وفكرنا ونحن فى حال الصفاء فاننا نحسّ أن هذه العوالم كأنها نور فى خيالنا ونحسّ بأن وراءها قوّة عالية تحمل هذه الأنوار المتلألئة التى نتخيلها أمانات توصلها الينا وهى الأرزاق والعواطف والعقول ، فأما الأرزاق فما هى إلا نتائج لأحوال خاصة لتلك الأنوار المتخيلة فى عقولنا وماهى إلا العناصر التى أظهر العلم انها جميعها أنوار متراكمة متحركة أبدا ، فاذا تخيلنا العناصر المادّية نورا فى أنفسنا فهى فى حقائقها نور حقا وان كان نورا متلبدا حتى أصبح مظلما . وهذه الأنوار الحاملات لأمانات الأرزاق الواصلة الينا هى أيضا حاملات لعواطف وأخلاق تؤثر فى حياتنا كلها . وهذه العواطف نراها واضحة ظاهرة مجسمة فى رحمة الأم وفى عشق الفتى والفتاة . رحمة الأم والعشق والحب الشهوانيين فى الشبان هما أشبه بأنوار البترول الذى نجعله سببا فى اضاءة منازلنا وأشبه بالشمع الذى نوقده فيها أيضا . فاذا كان الشمع المتخذ من أقراص عسل النحل والبترول المستخرج من الأرض قد أضاآ لنا منازلنا بعد غروب الشمس . فهكذا نرى الرحمة والحنان والعطف ثم الحب المتنزلات من العالم القدسى السارى فى الأنوار التى عبرنا عنها بالمادة قد ظهرت فى الأم بهيئة

رحمة وفى الذكور والاناث من الانسان وغير الانسان بهيئة عشق ، البترول فى الأرض وشمع العسل أضا آلنا فى منازلنا والشمس أضاءت العوالم كلها . ما أشبه ضوء الشمع ونور البترول برحمة الأم وتحابّ الزوجين الذكر والأنثى . وقد جعلت لنا ضوء الشمس العام وانتشاره كضرب مثل لعموم رحمتك وحبك وودّك . إن البترول والشمع من المواد الأرضية والأرض من الشمس . ورحمة الأم وحب الذكور للاناث فى كل حيوان أثر من آثار الرحمة العامّة التى وضعها الله فى الأرض نبراسا وهدى لنا بها نهتدى الى فهم رحمتك وحبك وودّك حتى اذا درسنا ذلك عشنا سعداء سعادة لاحدّ لها وأمنا أمنا لاخوف بعده

فهاك أيها الذكىّ شذرة من شذرات رحمته تعالى العامّة وموازنتها برحمة الأم وودّه وحبه بمودّات الناس وحبهم فنقول أوّلا : ليس الحب من الله والودّ والرحمة كما نرى فى حبنا نحن ورحمتنا . إن حبنا ورحمتنا حيوانيان وحبه ورحمته هو قدسيان والله مقدّس عن المادة . فحبنا ورحمتنا انفعال فى أنفسنا وحبه ورحمته قدسيان لانعرفهما إلا بآثارهما فى الآفاق وفى أنفسنا . ومن آثارهما حنوّ الأم وحب الذكور للاناث وغرامهم بهنّ و بالعكس . ولاريب أن نتائج رحمة الأم بولدها مواصلة الجدّ والتشمير والسهر على راحة الذرية وجعل جسمها وآرائها وما لها وقفا على تلك الذرية من الشفقة والحنان كما يفعل ذلك نفسه العاشق ولكن على طريق الولوع بالوصال

ومن عجب أن نتائج رحمة الأمّهات وعشق الفتيان للفتيات إن هى إلا حفظ بقاء النوع الانسانى مثلا . فنتائج رحمة الأم الحرص على بقاء ولدها ، ونتائج العشق والغرام من أحد الصنفين للآخر انما هو ايجاد ذكور واناث يخلفان هذين المتعاشقين

الله أكبر : أصبحت نتائج الرحمات ونتائج أنواع الغرام منصبة على بقاء الأشخاص و بقاء الأنواع . فانظر نظرة واعجب من علوم الأشعار التى أذاعها العشاق ، وأنواع المراثى التى يرثى بها الناس موتاهم وأحزان الأمّهات والآباء على أبنائهم فكلها موجهات الى تمنى بقاء هذا النوع الانسانى ، فماذا يريد العاشق ؟ يريد الوصال ، وما نتائج الوصال إلا حصول ذرية ، وعلامَ تسهر المرأة اذا مرض ولدها ؟ تسهر على صحته مؤملة أن يعيش ، إذن الحبّ والرحمة منصبان وموجهان معا لغاية واحدة هى غاية حياة الأشخاص وحياة الأنواع فاذا سمعت جميلا يشبب فى بثينة و يقول :

وأوّل ما قاد المودّة بيننا ☆ بوادى بغيض يابثين سباب
وقلت لها قولا وقالت بمثله ☆ لكل كلام يابثين جواب

وسمعته يقول :

وانى لأرضى من بثينة بالذى ☆ لوأبصره الواشى لقرت بلابله
بلا و بألاأستطيع وبالمنى ☆ وبالأمل المرجوّ قد خاب آمله
و بالنظرة العجلى و بالحول ينقضى ☆ أواخره لانلتقى وأوائله ☆

ثم علمت بعد ذلك أنه كلما كان الحب شريفا طاهرا كان أبعث على الأعمال الشريفة ورفعة الشأن وكبر النفس وارتقائها مراقى عالية فى مدارج الرقىّ فى الحياة و بعكس ذلك اذا تنزّل للشهوات الحيوانية فانه ينطفىء ولايؤدّى مقصوده ، و بالجلة حب الذكر والأنثى إما أن ينتج الذرية وهنالك ينقلب رحمة للذرية فان انتهى بالشهوة نفسها و بمجرد المتعة فانه يكون حقيرا إذ به تسفل النفس وتذل وعاقبته وخيمة ، فأما اذا كان العفاف والشرف فنتائجه تحصل فى نفس العاشق فان همته تعلو . فنتائج الغرام إما علوّ فى نفس العاشق اذا كان عفيفا . واما ذرية ينقلب الغرام الذى كان أوّلا رحمة بها . واما سقوط مروءة مع الدناءة والخسة اذا انتهى بالشهوة البهيمية وحدها فان الذم والعار فى الدنيا يقترنان بالفاسقين

أقول : اذا سمعت ذلك فعلم أن الحب على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ حب أدنى . وحب أوسط . وحب أعلى . وقد علمت مراتب الحب الأدنى وهو الحيوانى فان نتائجه الصحيحة ﴿ اثنتان لاغير ﴾ نتيجة ترفع نفس العاشق الى العلا . ونتيجة توجه لاحداث الذرية . فأما الحب الأوسط فانه أعلى من الحب الأول وهو حب العلوم . وحب العلوم إما أن يكون موجها للعمل بحيث تكون مباحث العلوم لها نتائج راجعة للمجموع الانسانى كالعلوم الرياضية والطبيعية وعلوم الصناعات . فهذا كالعشق المؤدّى الى ايجاد الذرية . واما أن يكون موجها الى المباحث العامة كالتى فى هذا التفسير بحيث تكون العلوم كلها موجهات لرفعة نفس النوع الانسانى من حيث بعث الهمم وارتقاء العزائم واحداث اليقين فى النفوس وتوجيهها الى المحبة العامة والاخوة والترغيب فى حوز المعالى . فهذا أشبه بالعشق مع العفة الذى أورث فى النفس انبعاثا الى المعالى ولكن الفرق بينهما أن ذلك انبعاث شخصى وهذا انبعاث عام لأنك علمت أن حب الذكور للاناث حب أدنى وغاية الامر أن النفس الانسانية بما لها من السلطان والقوّة حوّلته الى منفعة لها فأحدث لها همة وعلوّ نفس . أما حبّ العلوم فهو أوسط . فاذا جعل الانسان حب العلوم وسيلة لجمع المال له خاصة كان حبه أسفل طبقات الحب وكان ذلك أشبه بمن أحبّ ولاعفة عنده وانتهى حبه بالشهوة البهيمية كما انتهى حب صاحب العلم بالشهوة المالية

﴿ مثال حب العلم الذى أثبتنا انه أعلى من سابقه ﴾

ماجاء فى إحدى المجلات المصرية فى شهر مايو سنة ١٩٣٠ من نبأ بعثة علمية دولية تتسلق الجبال من كبار العلماء برآسة الاستاذ (ديرنفورث) إذ أخذت هذه البعثة تتسلق جبال همالايا المسماة (كانش جونجا) وهى الثانية فى الارتفاع بعد (ايفرست) وأهوال هؤلاء المتسلقين أعالى الجبال أشدّ من أهوال روّاد القطب الجنوبى والشمالى لأن الجليد يغطى قمم الجبال بسمك (٨٠٠) قدم ، وهؤلاء المرتادون يعيشون فوق الجليد والرياح العاتية تعصف بهم ، وسلسلة جبال همالايا ارتفاعها ٢٠٠٠ ألفا ميل ، ومن قممها مايرتفع ٢٤٠٠٠ قدم وتزيد ، وعدد القمم المذكورة (٧٥) قمة ، ولقد حاول العلماء الوصول الى أعالى تلك القمم فعجزوا ، وقد ذهب العالم (دوجلاس فرشفيلد) سنة ١٨٩٩ وقضى سبعة أسابيع فى دورته حوله ووصف المناظر التى رآها فقال انه لم ير فى حياته ماهو أجل ولاأبهى من مناظر ذلك الجبل الذى تكسوه قلنسوة من الجليد الأبيض الناصع الذى يشبه القطن النقيّ المنقوش ، ولقد ورد موارد الهلاك أثناء ذلك التسلق مرات كثيرة

ولقد حاولت ثلاث بعثات الوصول الى تلك القمم فلم تصل ومات أكثرهم بالرياح العاصفة وبالثلوج التى تنقضّ عليهم فتهلكهم . أما البعثة الرابعة فهى فى طريقها عند كتابة هذه الأسطر فى هذا التفسير فى شهر مايو سنة ١٩٣٠ م

هذه هى الطبقة الوسطى فى الحب وهو حب العلوم . ياسبحان الله . نسمع مجنون ليلى يقول :

وانى اذا ماجئت ليلى أزورها ☆ أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها ☆ اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

ونرى العاشقين فى الدرجة الدنيا يقدّمون أنفسهم للهلاك ويقدمون على الموت باطمئنان وراحة بال اذا حرموا من الحظوة بالمحبوب . وفى الدرجة الوسطى وهى درجة العلماء نراهم يقدّمون أنفسهم للموت سراعا من أجل قمة جبل أومناظر قطب . ولكن لما كان حب العلم أعلى كان عاما فى الشيوخ والشبان . وأما ماقبله فهو خاص بالشباب أيام حرارة الشهوة فاذا كبر قال :

قضيت سنون بالوصال وبالهنا ☆ فكأنها من قصرها أيام
ثم انقضت أيام هجر بعدها ☆ فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ☆ فكأنها وكأنهم أحلام

هذا كلام الانسان إذ كبرت سنه وتذكر أيام شبابه . أما حبّ العلم فهو لايختص بسنّ معينة بل يزيد بكبر السنّ . أما الدرجة الثالثة فهي العليا وهذه خاصة بطبقة تمتاز عن سابقتيها . فانظر لأهل الدرجة الدنيا فى العشق فانك ترى عشقها محصورا فى محاسن انسان خاص وهذه لم تجعل إلاتوطئة للدرجة الوسطى والوسطى مقدمة للدرجة العليا وهى درجة العلماء الذين يخشون الله . فاذا خشى العاشق فى أدنى الدرجات هجر تلك الفتاة التى افتتن بجمالها . واذا خشى علماء البعثة العلمية فتك الثلج بهم فى (جبال همالايا) وهم يحبون أن يتسلقوها . فالعلماء المفكرون الدارسون لمثل هذا الكتاب الناظرون لهذا العالم أشدّ لله خشية من خشية عاشق امرأة أن تهجره ومن خشية متسلق جبل أن يهلكه . إن خشية العاشق مقدّرة بمقدار جمال المعشوق وعلوّ قدره والناظرون للجبال والشجر والدواب والماء والزرع والثمرات وماأشبه ذلك . المفكرون فى عجائب هذه الدنيا عشقهم وغرامهم لاحدّ له وخشيتهم لمبدع هذا الوجود لاحدّ لها . فهؤلاء ينظرون فيقولون : « إن هذا الجسم الانسانى قد أخذ من الأرض والماء غذاءه وشرابه . ومن الهواء اصلاح نفسه وحروف كلامه ووصول الروائح له ، ومن ضوء الشمس هدايته للسبل وتدفئة جسمه واصلاح أحواله . ومن مناظر السماء ودوران الأفلاك عدد أيامه وشهوره وحساب سنيه . وقد وزعت حواسه على هذه العوالم . فللغذاء والشراب حاسة الذوق . وللموادّ كلها من حيث الحرارة والبرودة والثقل والخفة وهكذا حاسة اللمس وللروائح حاسة الشم وللأضواء حاسة البصر وللهواء حاسة السمع . إذن هو لم يذر مخلوقا حوله إلا وجد فى نفسه استعدادا لتناوله تناولا مادّيا أوتناولا معنويا

يقول الحكيم فى نوع الانسان العوالم كلها متصلات بى فلا كواكب ولاسحاب ولاهواء ولارياح ولاشجر ولاحجر ولانبات ولاحيوان إلا لها اتصال بى . وذلك طبعا يدعوه الى التفكر فيها وهنالك يبحث فى الجمال الذى نقش فيها كما نظر جميل جمال بثينة وتوبة جمال ليلى وكثير جمال عزة فهاموا فى ذلك الجمال الجزئى من العالم المادّى وكما هام العالم (مالرى) والعالم (سومرفيل) والعالم (نورتن) بحب استطلاع جبال همالايا وطلعوا اليها سنة ١٩٢٤ م فلما نصبوا خيامهم ومكثوا أسبوعين على جبل جليدى هناك حتى هبت زوبعة اكتسحتهم واكتسحت خيامهم ، ولكن حب الاستطلاع غلب عليهم فقد رجعوا كرة أخرى وصمموا على أن يصلوا الى مقصودهم أو يموتوا فرجعوا فى ٢٠ مايو من تلك السنة وانضمّ اليهم غيرهم ، ولكن البرد أهلك أربعة منهم فرجع الباقون كرة أخرى وطلع فوق القمة رجلان منهم فالتهمتهما سحابة قضت على حياتهما . كل ذلك نتائج حب العلم ، وحب العلم ضحاياه أكثر عددا من ضحايا حب الذكور للاناث . إن حب الشرف والمجد وهو الحب الأوسط لاتعدّ ضحايا الغرام المعروف بالنسبة لفرائسه شيأمذكورا . وأرقى منه وأشرف وأعلى منزلة حب الجمال العام فى هذه الدنيا . ولهذا الحب طائفة أرقى وأعلى من الطائفتين السابقتين ولذتها وسرورها أعلى من سرور الطائفتين قبلهما بما لاحدّ له ، فلئن أغرم (الدوق ابروزى) عم ملك ايطاليا المعاصر لنا الى ارتقاء جبال همالايا ، وكذلك العلامة (دوجلاس فرشفيلد) و (الدكتور بوير) وغيرهما وقالوا جميعا « إما هلكنا وإماملكنا » وكذلك غرام كثير بعزة وتوبة بليلى ليكونن غرام هذه الطائفة غير محصور فى مناظر الثلج فى أعالى جبال همالايا ولاجمال امرأة خاصة بل غرامها بالنجوم والجمال والشجر والدواب والبحار والأنهار ، فهم يجدون الجمال فى تركيب أجسامهم وتركيب الذرات وخطرات الرياح وهبوب النسمات وتمايل الأشجار ونغمات الحشرات وأصوات الطيور وضوء البرق وبهجة السحاب ورؤية الضباب وسير العلماء وفهم ذرات الكيمياء ونظام الحركات الكوكبية . فالأشجار والأحجار والأنوار والظلمات والنجوم والعلوم وكل دقيق وجليل من هذا الوجود أنواع من الجمال يذكر بمحبوب غائب لم تره عيونهم ولكن أدركته قلوبهم . فهؤلاء اذا سمعوا بالهوى العذرىّ فى الأمة العربية الذى ينتهى بموت العاشقين هنالك قديما

أو الهوى اليابانى الذى بلغنا خبره حديثا . وأن كثيرا من الشبان يرمون أنفسهم من أعلى لحرمانهم من الاتصال بمعشوقاتهم . واذا سمعوا أيضا أن عشاق العلوم والكشف للقطب الشمالى أو الجنوبى قد رضوا بالموت طوعا لما شغف قلوبهم من الغرام الأوسط وهو الغرام بالاطلاع . فهؤلاء إذن يرون أنفسهم فى ساحة من الغرام لاحدّ لها لما يرون من جمال لانهاية له ، واذن يهون عليهم الموت فى سبيل حبهم لذات لم ترها عيونهم هى مصدر جمال عزة و بثينة وليلى وجمال الثلج فى قمم جبال همالايا الذى افتتن العلماء به فهاموا وهلكوا وهم يكشفون عن ذلك المحبوب

إن هذه الطائفة ترجع كرة أخرى فتنظر فى أمر رحمة الأم وحب الشبان فترى نتائجهما بذل كل ماتملك الأم وماتملك العاشق . ولكن الذى صنع العالم بذل مالاحدّ له . فأين المناسبة بين ثياب وطعام وشراب لطفل من أمه و بين هذه العوالم كلها المبذولات للانسان . واذا كان ذلك لايعرفه إلا العلماء ولايعقله إلا هم فان خشية الله عندهم أعلى من خشية العاشق لمعشوقه

وقصارى القول وحاداه أن فى الحيوان لاسيما نوع الانسان مبدأ ونهاية . أما المبدأ فهو العشق والحب وبهذا تكون الذرية . وأما النهاية فهو أن ينقلب الحب الى رحمة تلك الذرية والى الحب النافع الدائم بينهما . إن غرام الذكور بالاناث وحب الاناث للذكور لم يكن إلا لحكمة وهى حصول الولد . وهناك ينقلب غرام كل منهما بالآخر شيأ فشيأ الى حب ورحمة . أما الحب فان كلا منهما يحب الآخر للتعاون على أمر الحياة وهو أشرف من الحب الأوّل وهناك يذبل الجمال إذ لامنزلة له فهو كزهرات الرياض يذبل اذا ظهرت الثمرات . وأما الرحمة فهى أن كلا منهما يعطف على ولده عطفا كليا و يبذل نفسه وماله فى إرضائه وهو فرح به قرير العين ، وهاتان العاطفتان ترتقيان عند الحكماء ، فالعشق والحب الحيوانى ينقلب عند الحكيم الى عشق العوالم كلها من حيث ادراك حقائقها ، فكما نسمع جميل بن معمر يقول :

وما زلتم يا بثن حتى لو انني ☆ من الشوق أستبكى الحمام بكى ليا

ونسمع عمر بن أبى ربيعة المتوفى سنة ٩٣ يقول فى الثريا بنت علىّ بن عبدالله بن الحارث وكان قد تزوّجها رجل اسمه سهيل

أيها المنكح الثريا سهيلا ☆ عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت ☆ وسهيل اذا استقلّ يمانى

ونسمع المخزومىّ يقول فى عائشة بنت طلحة لما تزوّجها مصعب بن الزبير :

ظعن الأمير بأحسن الخلق ☆ وغدا بلبك مطلع الشرق

ونسمع مجنون ليلى كما يقال و ينسب اليه يقول :

وأخرج من بين البيوت لعلنى ☆ أحدّث عنك النفس بالليل خاليا

أقول : كما نسمع هؤلاء يقولون ذلك وأمثالهم كثير نسمع عددا أكثر منهم من الحكماء يؤلفون الكتب و يولعون بالبحث فى العوالم و يعشقون العلم عشقا مفرطا وكثير منهم مات وهو دائب فى بحثه ، ومنهم من يجد لذة فى مبحثه فيزيد فرحه فيموت من شدّة الفرح ، وأكثر الكاشفين للمباحث العلمية لم يكن ذلك الكشف إلا عن غرام وحب كما اتفق لكاشف أمريكا (كريستوف كولمب) فقد خاطر بنفسه و برجاله وحاولوا أن يقذفوه فى البحر ولكن القدر نجاه بظهور أمارات تدل على العمران . إذن عشق العلم عند الحكماء لم يخرج عن كونه عشق الجمال ، فجمال وجه ليلى و بثينة ولبنى عرفه الشاب بنظرات العين وجمال العوالم المحيطة بنا يعرف بالعين و بالعقل و بالسمع . وهناك يزداد العشق والغرام بازدياد المعرفة إذ لاغرام إلا بمعرفة . فهذا هو المبدأ عند الحكماء المقابل للمبدإ عند الشبان كما قدّمنا . أما النهاية فهى ﴿أمران﴾ حب الله

تعالى

تعالى ورحمة المخلوقات . فكما نرى الزوجين انقلب غرامهما الى حب أحدهما للآخر ورحمة للولد . هكذا هنا ينتج حب العلم ﴿أمرين﴾ حب الله تعالى حبا يليق بجماله ، ورحمة النوع الانسانى . إذن قراءة أمثال هذا التفسير تنتج حب العلوم وحب العلوم ينتج ﴿أمرين﴾ حب الله تعالى على مقدار العلم بمصنوعاته ورحمة النوع الانسانى إذن كلما كثر علم العالم بالعجائب فى هذه العوالم ازداد حبا فى ربه ورحمة لعباده وسعد سعادة لاحدّ لها لأنه قد وصل الى اليقين . وهذا كله نتائج هذه الآية ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر ـ الى قوله ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ـ

اذا علمت ذلك وفهمته حقّ معرفتــه فهمت ما يقوله الامام الغزالى فى الجزء الرابع من كتابه المسمى « إحياء علوم الدين » تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ بيان أن أجلّ اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الـكريم ﴾

(وأنه لايتصوّر ان يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة)

اعلم أن اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولـكل قوة وغريزة لذة ولذتها فى نيلها لمقتضى طبعها الذى خلقت له فان هــذه الغرائز ماركبت فى الانسان عبثا بل ركبت كل قوّة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفى والانتقام فلاجرم لذتها فى الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به القوام فلاجرم لذتها فى نيل هذا الغذاء الذى هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشمّ فى الابصار والاستماع والشم فلاتخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك فى القلب غريزة تسمى النور الالهى لقوله تعالى ـ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ـ وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولامعنى للاشتغال بالأسامى فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظنّ أن الاختلاف واقع فى المعانى لأن الضعيف يطلب المعانى من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعانى التى ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل مايدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التى فارق الانسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعزّ الصفات فلا ينبغى أن تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهى لذتها كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى أن فى العلم والمعرفة لذة حتى أن الذى ينسب الى العلم والمعرفة ولو فى شئ خسيس يفرح به والذى ينسب الى الجهل ولو فى شئ حقير يغتمّ به وحتى ان الانسان لايكاد يصبر عن التحدى بالعلم والتمدّح به فى الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لايطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر مايعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهى منتهى الـكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم وسياسة الملك وتدبير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذى يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجد له لذة وان جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه فان علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره فى رياسته كان ذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أوحائك فان اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وماهو عازم عليه فى أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن

أحوال الملك والسلطان الذى هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحبه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فبهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان فى المعلومات ماهو الأجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألذ العلوم لامحالة وأشرفها وأطيبها . وليت شعرى هل فى الوجود شئ أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور أن يكون حضرة فى الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التى لايحيط بمبادى جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين فان كنت لاتشك فى ذلك فلا ينبغى ان تشك فى أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها وأحرى ماتستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر مايعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين أن العلم لذيذ وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره فى مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغى أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعنى لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهى مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر الى مادونه فى الجمال وانما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها ألذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به أن لذة الغلبة فى الشطرنج أقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق فى الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذة الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق . والمعانى الباطنة أغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار اللحم والحلاوة وان كان علىّ الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاختياره الرياسة يدل على أنها ألذ عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذى لم تكمل معانيه الباطنة يعد كالصبى أو كالذى ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لايبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته . فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الأمور الالهية ألذ من الرياسة التى هى أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين وأنه أعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لايعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لامحالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس فى بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم له بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التى لايتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذى لابد من اتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين الى أسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها فى جنة عرضها السموات والارض يرتع فى رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولاممنوعة ثم هى أبدية سرمدية لايقطعها الموت اذ الموت

لايهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذى هو أمر ربانى سماوى وانما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن جنسها فأما أن يعدمها فلا ـ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ـ الآية ولا تظن أن هذا مخصوص بالمقتول فى المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفى الخبر أن الشهيد يتمنى فى الآخرة أن يرد الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم مايراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع أقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى أن يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت فى جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا الا أنهم يتفاوتون فى سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم فى اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولايدخل فى الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهى باطنة أقوى فى ذوى الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لاتكون لبهيمة ولا لصبى ولا لمعتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوى الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولايمكن اثبات ذلك عند من لاقلب له لأن القلب معدن هذه القوة كما أنه لايمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التى بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لايبقى الا أن يقال من ذاق عرف . ولعمرى طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التى قوى حرصهم على طلبها فانها أيضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فأما من طال فكره فى معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشئ اليسير فانه يصادف فى قلبه عند حصول الكشف من الفرح مايكاد يطير به ويتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لايدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء وأنه لالذة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الدارانى ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف الكرخى له أخبرنى ياأبا محفوظ أى شئ هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت وقال ذكر الموت فقال وأى شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأى شئ القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأى شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحببته أنساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا . وفى أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الفتى مشغولا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث فى النوم فقال مافعل أبو نصر التمار وعبدالوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدى الله تعالى يأكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتى فى الأكل والشرب فاعطانى النظر اليه وعن على بن الموفق قال رأيت فى النوم كأنى أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت فى سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لايطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخى عبدالله لاخوفا من ناره ولاشوقا الى جنته بل حبا له فأباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثورى لرابعة ماحقيقة إيمانك قالت ماعبدته خوفا من ناره ولاحبا لجنته فأكون كالاجير السوء بل عبدته حباله

وشوقا اليه وقالت فى معنى المحبة نظما

أحبك حبين حب الهوى ☆ وحبا لأنك أهل لذاكا
فاما الذى هو حب الهوى ☆ فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ☆ فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ☆ ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقد تتعجل بعض هذه اللذات فى الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية . ولذلك قال بعضهم إنى أقول يارب ياالله فأجد ذلك على قلبى أثقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادى جليسه وقال اذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اى يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون مايقوله جنونا أو كفرا فقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهى قرة العين التى لاتعلم نفس ماأخفى لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقى فى النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية وليت شعرى من لم يفهم الاحب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأى معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف ان اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبى أهواء مفرقة ☆ فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده ☆ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم ☆ شغلا بذكرك يادينى ودنيائى

ولذلك قال بعضهم

وهجره أعظم من ناره ☆ ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا الايثار لذة القلب فى معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فأما القلب فلذته فى لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق فى لذاتهم ماأذكره وهو أن الصبى فى أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ماقبلها فى الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهى آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى ـ اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر ـ الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ماقبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب فى سن التمييز وحب النساء والزينة فى سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهى الغاية العليا وكما أن الصبى يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

هذا ما أردت نقله من كتاب الاحياء ، واعلم أيدك الله أن حب الله وحب العلوم المذكورين فى كلام الغزالى المذكور قد مهدت له الطرق فى زماننا تمهيدا أتم من الأزمان السابقة فان المسلمين فى العصور المتأخرة

كانت معارف جمال العالم محصورة عندهم فى كتب قليلة غير موضحة ولا مفصلة وهى كتب التوحيد وكتب الفلسفة . أما فى زماننا فان الله عزّ وجل قد أوسع دائرة المعارف و بذلها للناس قاطبة والمسلمون منهم فعليهم اليوم أن يغترفوا منها ، ولقد أخذ المؤلفون فى ديار الاسلام يتفننون فى فنون الحكمة و يعبدون طرقها وأحمد الله إذ جعل لمن يقرؤن أمثال هذا التفسير مراقى وسلالم يرتقون بها الى الأعمال الشريفة فى الدنيا وفى حب الله تعالى وفرق مابين النابغين فى أمم الاسلام قبل اليوم و بينهم بعد زماننا أن النابغين فى الأمم الاسلامية المتأخرة أكثرهم كان يجعل همه الانقطاع عن الناس كما يفعل البراهمة فى الهند ، أما النابغون بعد الآن القارئون لأمثال هذا التفسير ، فهؤلاء يجدون أن الله يوجب عليهم الجدّ والتشمير فى حوز العلم بجميع أنواعه ، وسينبغ قوم فى الكيمياء فى معاملها ، وآخرون فى رصد الكواكب وحسابها ، وآخرون فى النبات والحيوان والحشرات وهكذا ، وآخرون فى علم طبقات الأرض وتكون العلوم كلها موجهة ﴿ لغرضين اثنين ☆ الغرض الأوّل ﴾ خدمة المجموع بها كما تحنو الأم على ولدها بالعطف والشغف والسهر ﴿ والغرض الثانى ﴾ ازدياد الغرام بالعلم ونظام العالم مع حب الله والغرام بلقائه ، ومن يعش يره ، والحمد لله رب العالمين . كتب ليلة الأحد (١١) مايو سنة ١٩٣٠

﴿ بهجة علمية فى الحب والغرام ﴾

لطالما خطر لى فى هذه الآونة من المعانى الشائقة فى الحب ، انى رأيت أن الأم المحبة لولدها والعالم المحب لأمّته والمحسن المحب لمن أحسن اليهم . كل هؤلاء أكثر حبا للولد وللأمّة ولمن أحسنوا اليهم من الآخرين الى الأوّلين كما هومبرهن عليه . فاذا رأينا الله عزّ وجل إحسانه ورأفته أعمّ وأعظم . أفلا يكون حبه لمخلوقاته أكمل وأعظم من حبهم له لاسيما انه يقول ــ يحبهم ويحبونه ــ مع ملاحظة الفرق بين الحبين إذ حبنا له حب حادث ناقص وحبه منزّه مقدّس له معان غير مانعرفها وعلى هذا يكون كل ألم وكل مرض وكل سوء وكل فقر لم توجه لنا إلا لاسعادنا وتكميلنا حتى نصلح للقائه ونشاهد ذاته ، وأيضا لم نجد أبا ولا أما ولا ملكا ولا أميرا له إحسان يوازى احسان الله لمخلوقاته ، واحسان الله للخلق لم يكن عن كراهة إذن هو عن ذلك الذى سميناه حبا منزّها عن سمة الحوادث

أقول : فهذه المعانى التى كانت تختلج فى نفسى لم أجد لها تعبيرا يليق بها ولا كسوة جميلة تلبسها حتى أظهرها فى هذا التفسير ، أفلا أحمد الله إذ رأت نفسى هذه المعانى بنصها وفصها ظهرت على ألسنة قوم قبلنا فانظر واعجب أيها الذكىّ لما جاء فى الاحياء فى الحب وهذا نصه :

« أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الىّ وتقطعت أوصالهم من محبتى ، ياداود هذه إرادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى فى المقبلين علىّ ! ياداود أحوج مايكون العبد الىّ اذا استغنى عنى ، وأرحم ما أكون بعبدى اذا أدبر عنى ، وأجلّ ما يكون عندى اذا رجع الىّ »

وقال أبوخالد الصفار : « لقى نبىّ من الأنبياء عابدا فقال له : انكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه . أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق »

وقال عبد الله بن محمد : « سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهى باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه . قال فقلت لها أفعلى ثقة أنت من عملك ؟ قالت لا ولكن لحبى إياه وحسن ظنى به . أفتراه يعذبنى وأنا أحبه ؟ »

ومن خطاب الله لداود عليه السلام : « ذكرى للذاكرين . وجنتى للمطيعين . وزيارتى للمشتاقين . وأنا خاصة للمحبين »

ويقال «الشوق نار أشعلها الله فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات» انتهى

﴿ بهجة الجمال ليلة ١٤ من شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية ﴾

أكتب هذا صباح يوم الأربعاء من نفس هذا الشهر. هل لك أيها الذكى أن أحدثك عن الجمال والبهجة فى المزارع النضرات والنخلات الباسقات فى دجنات الظلمات. هل لك أن أريك كيف يكون العلم أثناء الرياضات وتشتق الحكمة من الحقول العطرات والجمال من جوانب الطرقات

ذلك انى كنت يوم الاثنين الماضى وهو آخر أيام التشريق الثلاثة فى مزرعتنا بقرب القاهرة وهى قريبة من بلدة المرج أنظر فى أمر الزرع والحصاد والحساب بينى و بين المستأجرين للأرض، وهكذا كانت هناك هجمات الجراد على البلاد فقابلنى الموكلون بابادته وهم يجمعون الرجال والأطفال ليهلكوا ذلك الجراد من الأرض و يبيدوا صغاره اللاتى خرجن من البيضات اللواتى دفنها الجراد فى الأرض وقضيت معهم زمنا طويلا حتى اذا أرخى الليل سدوله قفلت راجعا الى بلدة المرج لأركب القطر وأتوجه للقاهرة، فما كدت أقرب من بلدة المرج المذكورة حتى شاهدت منظرا بديعا جميلا لم أشعر بنظيره أمد الحياة، وما هو ذلك المنظر؟ هو نفسه الذى أشاهده منذ عشر سنين، نعم هو نفسه ولكن هذا المنظر فى هذه الليلة يمتاز بالظلام الساكن الهادى فوقفت والنخيل حولى من الجهات الأربع فرفعت طرفى الى السماء اذا أمامى ﴿منظران مدهشان﴾ منظر البدر شرقا ومنظر النجوم غربا. نظرت البدر بوجهه المشرق يطل من بين الجريد والخوص وعراجين النخلات وهو يفيض على الأرض أنهارا من الفضة الذائبة كأنه ملاءة تغطى جذوع النخل وعراجينه وتغشى وجه الحقول بالبهجة اللامعة والأنوار الساطعة والجمال الباهر. وهنالك فى جهة الغرب كأن الكواكب قطع من الماس جميلات باهرات تنفذ أشعتها من خلال النخيل. فالبدر شرقا والنجوم غربا. ذهبن بلبى من الجمال والنضرة والرياح عابثات بالغصون والجريد والجذوع والزروع والحشائش ذات الغوير والترنح. وهناك سمعت غناء الحشرات فى تلك الأرجاء. فهى إذن حالة جمعت بين رقص الزروع والأشجار وغناء الحشرات وألحان أعواد النخيل وأوراق الزروع والأغصان. وهنالك خيل الىّ أن البدر (وقد علا فى الأفق فوق تلك النخلات الباسقات) يخاطبنى قائلا: «لقد أعجبك أيها الجوهرى منظرنا الجميل وآنسك ماترى من نور باهر وجمال ساحر. لقد مرّ فى هذا المكان قبلك رجال ورجال فى قرون مضت وأمم خلت أيام الفراعنة القدماء ودولتى اليونان والرومان والأمويين والعباسيين والاخشيديين والطولونيين وهكذا الى أيامكم هذه وقليل منهم المفكرون ها أنت ذا اليوم حبست فى الامور الجزئية والأعمال الزراعية والأحوال الاقتصادية والحيرة فى أمر الجراد. فنظرنا الذى تراه يبشركم بالسعادة والبقاء. ألاترى أن أعمالكم الجزئية المدنية من زراعية وتجارية وصناعية ليس لها مستقر ولا بقاء وحياتكم ذاهبة وأعمالكم كلها ستصبح فى خبر كان. فالجاهل لا يعقل ما فوق ذلك أما الحكيم فانه يتذكر بمنظر الكواكب فى سمائكم. أنكم مخلوقون للدوام كما دمت أنا ودامت النجوم قرونا وقرونا فرآنا أجدادكم الأوّلون وهكذا أنتم لنا الليلة تنظرون. وما أنا أيها الجوهرى وما النجوم إلا ضرب أمثال للدوام الروحى فأرواحكم دائمة كما دامت أنوارى على توالى القرون والسنين وأشرقت فى نفس هذه البقعة رآها من قبلكم وسيراها من بعدكم. نحن تذكرة لكم بأمرين: جمال الله الدائم الباقى وان اعترتكم الحوادث المزعجات المهلكات. و بقاء أرواحكم على مدى الزمان»

إن هذه الخواطر كلها قد استغرقت عقلى وأثرت فى نفسى وكأنى غير واع لما حولى. وكنت أخشى أن يمرّ انسان فيكون سلامه علىّ قاطعا للفكر فكان ذلك وسلم رجل فرددت سلامه ولكن الفكر لم ينقطع بل ازداد وضوحا وكأنى أقرأ فى وجه البدر الذى فهمت من منظره هذه المعانى آيات أخرى. ذلك ان العباد فى

الأمم الاسلامية أشبه بذلك النجم الذى ظهر من خلال النخلات غربا والعالم الحكيم الذى درس العلوم أشبه بنفس هذا البدر والناس بينهما درجات

ياعجبا : إن ذوى العقول الكبيرة فى الاسلام اذا قصروا أنفسهم على علم الفقه أوالعبادة كانوا أشبه بهذا الكوكب يرى صغيرا جدا فاذا درس نظام هذا العالم كان كالبدر بل كحقيقة النجم لأنه كثيرا مايكون أكبر من الشمس . إن المسلم إما قادر على العلم واما قادر على منفعة الناس واما عاجز . فالأول كالبدر اذا درس العلم والثانى ينفعهم فى دولهم وأمورهم العامّة . والثالث العجزه يقتصر على العبادة وحدها . ومن الجهل والبلادة أن تكون العقول الكبيرة محصورة فى العبادة اللفظية بل عليهم التوغل فى العلوم ليكونوا بدورا لأمم الاسلام والا فليكونوا نافعين بالأعمال والا فليكونوا فى المساجد وهذه آخر المنازل التى تشبه النجم وهو صغير فى نظر الانسان . هذا آخر مافهمته من مناظر البدر والنجوم والشجر والزرع والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ـ ﴾

(تذكرتى)

هاأناذا أيها المسلمون قبل أن أفارق هذا العالم أكتب اليكم تذكرى ونذرى . أكثر هذا النوع الانسانى لايعيش فوق الستين ، وقليل منهم من يعيش الى السبعين ، والنادر من يجاوز ذلك الى المائة ، والشاذّ جدا يجاوزها

نظرت فى هذا العمر الانسانى نظرة غير نظرة الأطباء . الأطباء فى عصرنا يقولون « إن الانسان يستحق أن يعيش (٢٠٠) سنة ولكنه بجهله وشرهه وعدم انتظام شهواته قطع حياته فمات قبل ذلك » واستدلوا على ذلك بسكان البادية الذين يعيشون الى (١٥٠) وأكثر وأقل بلامرض ولاعطب وهم أقوياء الأبدان أهل صحة وقوّة وجمال ، ويقولون : « إن الحيوان يعيش ثمانية أمثال مدة نموّه والانسان ينمو الى (٢٥) سنة وهذه بضربها فى (٨) تساوى (٢٠٠) فاذا حافظ الانسان على صحته واستغنى عن العقاقير الطبية واكتفى بالمآكل البسيطة وتعرض للشمس وأكثر من الرياضات الجسمية وعاش عيشة خلوية فانه يعيش الى المائتين كما عاش كل حيوان ضعف مدّة نموّه ثمان مرات

هذا حكم الأطباء وقد ذكرته فى ثنايا هذا التفسير ، وقد أجمعوا على أن ترك الشهوات والتنعم والاكتفاء بأبسط الأطعمة خير مايتبع فى ذلك ، و يستحسنون أكل الفواكه فان أمكن الاقتصار عليها فبها ونعمت والا استعان الانسان بالحبوب والخضر وامتنع عن أكل جميع التوابل ولايشرب قهوة ولاخمرا ولاشاهيا وهو الشاى المعروف ولايدخن التبغ . و يستحسنون أن يستغنى بالفواكه عن السكر و يقلل من الملح ويأكل الخبز بلانخل . اقرأ هذا فى سورة الشعراء عند آية ـ واذامرضت فهو يشفين ـ وفى طه عند ذكر آدم فى آخر السورة وفى أوّل سورة الحجر عند قصة آدم وفى سورة الأعراف عند قوله تعالى ـ ولاتسرفوا ـ وفى سورة البقرة عندآية ـ أتستبدلون الذى هوأدنى بالذى هوخير ـ فستجد فى بعضها ماقرّره ابن خلدون فى مقدّمته من أن الذين اقتصروا على طعام الذرة والزيت لم يقربهم الطاعون ، أما الذين أكلوا أنواع اللحوم والأدهان ونوّعوا الألوان فان الطاعون يبيدهم و يفنيهم إلا قليلا ، وقال ان الأوّلين يتصفون بالصحة والذكاء والجمال والعزم والعبادة وحسن الخلق وصفاء العيش والشجاعة وأن الآخرين يتصفون بالمرض والبلادة وقبح الصورة والجهل وترك العبادة وسوء الخلق وكدر العيش والجبن

هذا كلام الأطباء فارجع اليه . وانما ذكرته هنا لأذكرك بعلم الطب ولترجع فتدرس ذلك قياما بحق

جسمك ورقيا لأمتك واسعادا لك فى حياتك اذا كنت مستعدا لها ومع هذا كله لست الآن فى مقام كلام الأطباء بل أنا فى مقام آخر وهو انى أفسر آية — أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر — فأريد أن أبين لك مايخالج قلبى فى هذه الحياة وما أعرفه من تذرها تذكرة لك وتنشيطا للمسلمين وذكرى لقوم يعلمون

هذه هى تذكرتى فى الحياة ، لقد نظرت فى حياة الناس على الأرض فوجدت أكثر الآجال مناسبة لهذا العالم الأرضى ، فليقل الأطباء ماشاؤا ، وليقولوا إن الناس قد أساؤا فى صحتهم واكثروا ألوان الطعام والشراب والتفانى فى المهلكات واللذات اللاتى ينغصن لذة الحياة ويحطن الانسان بالأسقام والعلل وتنغيص الحياة وقصر العمر فليقولوا ذلك ، ولكن هذا الانسان على مابه من عوج رأيناه يتعلم فى الأمم الراقية و ينتهى تعليمه فيما بين العشرين والثلاثين غالبا فنجده حاز درجات التفوق فى العلم والفنون وأخذ بعد ذلك يفيض من علمه على أمته ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ رأينا مدة النمو التى ذكروها وهى (٢٥) سنة هى المدة التى ينمو فيها علمه فكأن نمو الجسد ونمو العلم فرسا رهان معا يبتدئان ومعا ينتهيان غالبا ، ثم يعقب تلك المدة اننا نراه يأخذ فى الأعمال و يؤلف الكتب و ينشر العلوم بين الناس وليس لنا فى الحياة إلا علم أولا وعمل ثانيا ، فلعلم حصلناه فى سن النمو والعمل متصل به ، إذن هذا العمر مع قصره قد أدى الوظيفتين وظيفة العلم فى سن النمو ووظيفة العمل فى السن التى بعدها ، أما قولهم انه مستعد أن يعيش فوق ذلك فربما يكون بعض ماقالوه حينما يرتقى الانسان عن هذه الحال و يعرف حقا أن سعادة الحياة ليست باللذات الحقيرة بل بالصحة والعافية والعلم والحكمة والمساعدة العامة ، تلك اللذات التى لايعرفها إلا من نالها ، وهيهات أن يقدر على وصفها لغيره من الناس الذين لم ينالوها

هذه تذكرتى فى أمر الحياة اجمالا ، أما تذكرتى فيما أنذر به الانسان فى هذه الحياة فهاأناذا أحدثك عنه فانه أهم مما قبله فأقول :

إنى وجدت هذه الحياة ترجع الى ﴿ أربعة أشياء ﴾ (١) ألم (٢) وأمل (٣) وعمل (٤) وحب وغرام فالثلاثة الأولى مقدمات والرابعة هى نتيجة الحياة

﴿ الألم ﴾

أما الألم فهاك وصفه اجمالا فقد ذكرته فى غير ماموضع ولكن ألخصه لك تلخيصا فأقول :

لا ألم فى هذا الوجود إلا لاسعادنا ، الحياة كماء النهر ولا سبيل لحفظ الماء إلا بالجسور هكذا هذه الحياة لاتمام لها ولا بقاء إلا بالآلام فألم الجوع به طلبنا الطعام فدامت الحياة ، ومثله ألم العطش فنلنا الرى وألم الشبق فكانت الذرية وألم الفقر فنلنا المال وألم الذلة فنلنا العزة وألم الخمول فنلنا الظهور والمجد وألم الذم بوصفنا بالبخل فاتصفنا بالكرم وألم الذم بالخور والجبن فكسبنا الشجاعة وألم المرض فتداوينا فرجعت الصحة

آلامنا كلها خلقت لاسعادنا ولاشقوة فى هذا الوجود إلا لنتيجة نافعة . واذا رضينا أن نقطع عضوا من أعضائنا خيفة أن يصاب بقية الجسم بما أصابه واستعملنا الحية فى أمراضنا طلبا للصحة فان النتيجة لذلك كله منافعنا . فاذا كانت هذه أفعالنا مع قصور علمنا فهكذا نتذكر أن كوارث هذه الدنيا على هذا النمط من قحط وزلازل واهلاك بلاد واغراق سفن . فهذه كلها أشبه بقطع سلعة من الجسم وان كنا ندرك حكمة قطعها من جسمنا ولكننا نعجز عن ادراك الحكمة فى قطعها من الجسم العام كله بل علماء الاقتصاد أدركوا أن الزلازل بها تظهر تربة جديدة فيها خصب لانظير له فى التربة كما تقدم فى أول ﴿ سورة سبأ ﴾ فاقرأه هناك عند آية — يعلم مايلج فى الأرض — الخ

ننظر فى أحوال هذه المخلوقات الحيوانية فنجد أربع لذات وأربعة آلام والآلام سابقات على اللذات

(١) نرى لذة المآكل والمشارب والملابس والمساكن سبقتها آلام العرى أو توهمه وخوف البرد والحر

والفضيحة

والفضيحة بين الناس . فآلام هذا النوع من موارد الحياة سبب لطلب الطعام والشراب والملابس والمساكن فهنا ألم تبعه أمل ثم يكون الجدّ والتشمير فى طلب هـذه المطالب ثم تكون اللذة بها ، فهنا ألم تبعه أمل أوجب العمل لحصول المطالب وقد لازمه الشوق والغرام بالمطلوب

(٢) ثم نرى الناس والحيوان جميعا يسعون لاجتماع الذكر والأنثى ، فهناك ألم يتبعـه أمل فى الاجتماع فيكون العمل لطلب الشريك من ذلك النوع من الانسان أوغـيره والحب هنا قوىّ متين والغرام لازم ، فباجتماع الصـنفين الذكر والأنثى تزول آلام الشبق ، و بظهور الجمال والموافقة والأنس تزداد اللذة كما تزداد السعادة فى أنواع الطعام والشراب بجمال المائدة وحسن الطهى وجمال الرونق و يتبع ذلك مايرى فى الزروع والأشجار من الجمال والبهجة والحسن والاشراق . كل ذلك ترغيب فى المحافظة على النبات ليتم نضجه فالجمال صاحب المطاعم فى حقولها وفى إبان تعاطيها وهذا كله يزيد اللذة والانبساط والأنس

(٣) ثم نرى هنا درجة ثالثة أعلى من السابقتين وهى أن الأبوين اللذين تعاشقا لمنفعتهما الخاصة وفرحا باللذات والجمال فزالت آلام الشبق وحصلا على بهجة وأنس وموافقة فتمتعا الأعين بمحاسن المناظر والاسماع بعذب الألفاظ وحاسة الذوق بما يناسبها كما متعا الأعين بمناظر الزرع و بهجة الانتظام فى موائدهما وما كلهما ومشاربهما ومتعا حاسة الذوق بألوان الطعام

أقول : إن هذين الأبوين اللذين ظنا فى أوّل الاقتران انهما اقترنا لحصول لذتهما الشهوية لاغـير وأن مايتعاطيانه من الطعام والشراب واللباس لم يكن إلا لأجل بقائهما وحدهما ، نراهما بعد ذلك قد أخذا يربيان البنات والبنين وأن الجمال منهما قد ذهب وحلّ محله الضعف والنحول وأخذا يضمحلان وانتقلت القبلات منهما الى أبنائهما و بناتهما و بعد أن كانا يتهاديان أصبحا معا يقدّمان أموالهما ومايملكان الى الذرية فيظهر للحكيم من هذا الكتاب المسطر أمام الناس يرونه بأعينهم ولايفقهونه وهم مسوقون مساكين مسخرون انه لافرق بين أهل الشرق والغرب فى ذلك التسخير ولابين الانسان وأكثر الحيوان فكلهم مسخرون ولا يدرون الى أين يساقون ، يساقون فى الحياة كما يساقون فى الديانات و يساقون فى الحكومات . فأهل هذه الأرض على وتيرة واحدة . تقليد أعمى فى الديانات وأحوال الحياة ولاحياة لأجسامهم إلا بسائق الألم وقائد اللذة للذوق وللعين ولا بقاء لأنواعهم إلا بسائق الشبق وقائد اللذات . فالعين لها نظر الجمال وشهوة الذوق لها لذة الوصال . واذا ولدوا الذرية ساقتهم آلام الرحمة المسلطات على قلوبهم الى الارضاع والتربية وشاقتهم صداقة الأبناء وظهورهم وقيامهم بأمرهم فى الكبر وهنا ظهر عالم جديد عالم أرقى من سابقيه . نرى الحيوان فى الدرجة الوسطى يتغزّل و يهوى الجمال و يموت غراما و ينشد الأشعار و ينصب أشراك الحب لصيد المحبوب وهو فى كل ذلك لايدرى أن هـذا كله وسيلة لاغاية . وما الغاية إلا الدرجة الثالثة التى ظهر فيها رحمة الولد والعطف عليه قاما مقام آلام الشبق هناك فهذا سائق هنا كما ساق الشبق هناك وأن انتظار نبوغ الولد وأن يقوم مقام الأبوين بعد موتهما يقوم مقام الجمال المطلوب والأنس المرغوب وهو شائق . إذن الفرح بمنافع الولد هنا قائم مقام الجمال المطلوب هناك وكلاهما شائق . وآلام القلب والعطف على الولد السائق هنا كالشبق السائق هناك

الله أكبر . وصلنا الى المطلوب فى هـذه الحياة وهو أن خلقنا يدل على أن سعادتنا العظمى لاتحصـل إلا بتوجيه الهمة لاسعاد سوانا

أنا أكتب هذا القول ولاحجة عندى فيه إلا الطبيعة المشاهدة فأنا أكتبها لأهل الشرق ولأهل الغرب فهذا علم قام بالحجة ولامناقض له . فليقل أهل الشرق وليقل أهل الغرب ماشاؤا وليفكر الفلاسفة والحكماء فى هذه الدرجات الثلاث . أليسوا يشاهدونها فى نفوسهم . ومن حق الحكماء بعد ذلك أن يسألوا أنفسهم لم هذه المشاق كلها فى الحياة ؟ ولم نجد النبات لايتعب فى تحصـيل قوته ولا له أعمال كثيرة فى التناسـل فالزهرات

تلقح بواسطة الهواء أوالماء أوالحشرات وهن هادئات . وقوت النبات مما حوله . ثم تنظر فتجد أدنى الحيوان لا يكون ذكرا وأنثى . كلا . فقد تقدم فى ﴿سورة مريم﴾ الكلام على المحار وأن المحارة تلد الالوف وهى هى تقوم مقام الذكر ومقام الأنثى ، فلاغرام ولاعشق ولاهجرلهن ولاحرمان ، وهناك حيوانات دنيئات متى كبرت تفجرت فتقطع الحيوان الواحد الى قطع كل منها يصبح حيوانا آخر وهذه الحيوانات تملأ البرّ والبحر وقد تقدم أن من أدنى الحيوان ما يكون تناسله بالانقسام بحيث يكون (٢) و (٤) و (٨) وهكذا أى ان كل واحد ينقسم الى اثنين وكل منهما ينقسم الى اثنين وهكذا الى مالانهاية له وسموا تلك الحيوانات بالخالدة لأن الحيوان الأصلى موجود ولما انقسم اثنين وهذان انقسما قلنا انه حيوان خالد فأين الموت ! اللهم إلا اذا أحرق أومنع عنه الماء . كل هذا تقدّم فى هذا التفسير . فهنا نقول لم هذه المشاق كلها فى نوع الانسان ؟ ولم أغرم كثير بعزّة وجميل ببثينة وتوبة بليلى . ولم نسمع بالهوى العذرى الذى يستولى على عقل الشاب فيموت فى هوى من أحبها كما نسمع فى هذه الأيام بما يحصل فى اليابان من الهوى العذرىّ كما كان عند قبيلة بنى عذرة

الحكيم اذا سمع ذلك يقول : لامعطل فى الوجود ولابد لهذا النصب من نتيجة فى أخلاق الانسان . وعسى أن تكون النتيجة فى المرتبة الرابعة وهى مرتبة الحكماء . فى هذه الأرض أناس عقولهم أرقى ونفوسهم أصفى جاؤا الى هذه الأرض وهم مفكرون فيها . فهؤلاء يقولون : « إن هذه الانسانية آراؤها كلها محدودة والحياة عندهم تقف أغراضها عند مقاصد جزئية وهم درجات بعضها فوق بعض يكتفى أحدهم بالمال والآخر بالنساء والثالث بالبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث . ويتعالى قوم الى أعلى من ذلك فيكونون محافظين على المجموع كالأمراء والحكام والملوك وهؤلاء يعطفون اذا كانوا صادقين على المجموع عطف الأبوين على الذرية وهم لذات على مقدار مايعملون أرقى من لذات الأبوين بالذرية ولذات المتعاشقين بدليل انا نجد القوّاد إبان الحرب لاتتوجه هممهم إلا الى غلبة العدوّ وأن الملك مقدم عند عقلائهم على معشوقة . فاذا توقف حوز الملك على تركها تركها لأن لذة الملك أعلى لأنها عقلية ولذة الاقتران بالأنثى حسية واللذة العقلية أعلى من الحسية . ثم ينظر هؤلاء الحكماء نظرة عامّة فى حال الناس فيقولون :

(١) نحن عرفنا أن السوائق والقوائد فى المراتب الثلاث المتقدّمة لم نرها إلا فى الحيوانات العليا . أما الدنيئة فلا وكلما ارتقى الحيوان وجدنا فيه هذه الأحوال أشدّ ونرى عطفه على الولد أكمل فلنجعل هذه مقدّمة نبنى عليها نتائجنا فى مستقبلنا مع الناس . ولبسنا وشربنا وذقنا الحلو والمرّ وعاشرنا الأزواج . ويقولون أيضا نحن أكلنا وولدنا كما يلدون فوجدنا أن آخر المراتب نتائج المقدّمات . وهناك أناس تولوا المحافظة على المجموع ولهم لذة على مقدار تلك المحافظة وهى أعلى كما تقدّم

(٢) فأين مزيتنا إذن اذا وقفنا عند هذا الحدّ . نحن نحب أن نتجاوز هذه المراتب الثلاث وملحقاتها فلانكتفى بالذرية ولابالملك لأن هذه كلها لذات محدودة مشوبة بالكدر والحزن والأسى وفى الذرية والعزل وكيد الأعداء فى الملك ولكل من الناس درجة يصل اليها ولايتعدّاها . أما نحن فانا لانقف عند هذه الدرجات بل لننظر نظرة أعلى فنقول :

(٣) اذا ثبت أن هناك عشقا بين الذكر والأنثى وأن هذا العشق أنتج الذرية . فالدرجة الثانية أنتجت الدرجة الثالثة التى هى أعلى منها فنحن نعشق عشقا أعلى وهى مباحث هذا الوجود كله فندرسه ونعقله لأننا أهل له وهذا العشق لانقص فيه وحكمة العشق الحيوانى انه مؤهل للعشق العلمى وهذا العشق لانهاية لمداه فهو نفسه لذة لايشوبها كدر ولايعتريها نقص . واذا كان العشق الحيوانى فى الشباب فالعشق العلمى يكون فى الشباب ويزيد فى المشيب وهناك تضعف اللذة الحسية وتقوى اللذة العقلية . ثم يقولون إنا رأينا أن الدرجة

الثالثة

الثالثة وهي النهاية للحيوان انه يعطف على الولد ويفرح به . فعطفه عليه بسائق آلام الرأفة والرحمة وفرحه به بسائق اللذة بصحته وعلمه ومنافعه ، ويرمز لهذه الدرجات كلها — لتركبوها وزينة — فالركوب لدفع ألم المشي والزينة بحصولها في الملك والتباهي بها فهاتان ساريتان في الدرجات كلها

فها نحن أولاء نعطف على المجموع الانساني كله ونجد في السعادة بما نملك من قدرة ومانستطيع من علم ومانقدر عليه من صناعة . إذن نحن آباء للناس والناس أبناؤنا . فنحن نعشق الوجود كله والعشق يدعو للوصال والوصال صور الموجودات في النفس ، فتى أدركنا جمال العوالم العلوية والسفلية بسورها العلمية الجلية فقد نلنا محبوبنا وحصلناه في نفوسنا وهذا هو الوصال الحقيق لأن المحبين لايطلبان إلا اتحاد النفوس . أما الوصال المشهور الجسمي فهو وصال حسي يعقبه فتور الحب نوعاً مّا . أما تحصيل صور الموجودات من حيث حقائقها فذلك هو اللذة التي نحسّ بها والناس حولنا تائهون جاهلون نائمون لايشعرون ماتحسّ به من الجمال ومستحيل أن يصل الانسان لذلك إلا بدراسة مقدار كاف من العلوم الرياضية والطبيعية والحكمة

فنحن بهذا نلنا أعلى اللذات في مقابلة أخسها التي نلناها ونحن هائمون كبقية الشبان . واذا رأينا أن نهاية هذا الانسان انما هي الذرية والتربية . فها نحن أولاء نسعى لتربية الجميع ، نربي الملوك والسوقة ونعطف على الكبار والصغار والفقراء والأغنياء ونحسّ في ذلك بلذة تقطع دونها الأعناق

ولنا في هذا الوجود نظرة عمّة بعد ذلك فنقول : « ههنا اشراق للشمس وضوء للكواكب وللقمر ، أرسلت هذه لنا من غير عمل منا ، وهذا الضوء لولاه لم تكن لنا حياة وقد أحسسنا في أنفسنا بأعمالنا القليلة واحساسنا بسعادة على مقدار مازاولنا من اسعاد أبناء نوعنا ، ورأينا أن العلماء والحكماء يحبون عموم الناس نظرا لعموم نفعهم وأن الآباء يحبون الأبناء أكثر من حب الأبناء للآباء لأن الدائن يحب بقاء المدين والعالم يحب المتعلم ، والمحسن يحب من أحسن اليه أكثر من حب الآخرين للأولين . فهذه الأنوار المشرقة وأنواع السعادات في الأرض والهواء والماء والأرض والكواكب . كل هذه ليس لنا فيها عمل ، ولقد وجدنا أنفسنا نعيش بينها ونتلقى المنافع من ذات لانراها ، أفلا نقول على سبيل القياس التمثيلي وان لم يكن يقينيا إن هذا الاحسان لم يكن إلا بناء على حب وأن تلك الذات لما أحبت وجود المخلوقات نوّعتها ووضعت كلا في مرتبته وهذه الذات هي التي جعلت بعض الناس فرحين بالبرك والمستنقعات وأفرحت الفيران بالمراحيض كما أفرحت النحل بالبساتين وأفرحت العلماء بادراك ذلك كله وأن استعداد الحكماء أرقى من استعداد جميع المخلوقات في هذه الأرض بعد الأنبياء ، فلذلك كثر إلهامهم وتعليمهم وآثارهم وارشادهم لأهل الأرض اخوانهم وان أعظم الحب من تلك الذات قد اختصّ به أولئك الحكماء بعد الأنبياء بدليل انهم أدركوا الجمال فعلموا وألهموا رحمة العباد فعطفوا عليهم فهم إذن صفوة الله في أرضه بعد الأنبياء بهذا البرهان ولذّاتهم الحقيقية أعلى من لذات الناس بعد الأنبياء أيضا ، ثم يقولون : واذا كنا نعلم أن تلك الذات المقدّسة المحجوبة عنا تحبنا حبا أكثر من حبنا لها بدليل هذه النعم وأن المحسن أوفر حبا لمن أحسن اليهم منهم له وأن كل جمال وبهاء وحسن وانعام فانما هي مظاهر ذاته المقدّسة . أفلا يكون ذلك يحفزنا الى حبه والغرام به والشوق للقائه ثم نجعل كل حياتنا وقفا على رضائه باسعاد عباده وباقتفاء آثاره فنفكر في سعادة هذا الانسان المسكين فنجد انه لا يزل في الجهالة مغمورا . ذلك انه في الشرق والغرب عاش مقطع الأوصال لارابطة تربطه ولاجامعة تجمعه إذ جعل اختلاف الأوطان والقبائل والممالك أسبابا للقتال . كل ذلك منه جهل وغباوة . ذلك انه لم يدرس جسمه ولو درس جسمه لوجد أن جميع الجسم متصل بالأعصاب ومتى اختلّ منها عضو أسرع الطبيب باحضار الدواء وتتوارد الحيوانات التي في الدم من الكرات الحمراء والكرات البيضاء فتجتمع على ذلك المرض ويساعدها الدواء من الخارج فيبرأ المريض . فهكذا فليكن هذا النوع الانساني بعد ما اتصلت الأمم بالمواصلات في

زماننا . فذا حصل لاحداها ضيق أوكرب فلتقم الأمم كلها لها بالمساعدة والاتصال اليوم سهل . فأما اذا كانت تلك الأمة لاتصلح للمساعدة وزاد توحشها ولم تنجع الوسائل فى تعليمها واسعادها فلتقطع من جسم الانسانية العامة كما يقطع العضو المريض اذا لم يفد فيه الدواء

هذه هى نهاية آراء الحكماء فى مستقبل الزمان ، فهم سيقولون للأمم : « لتكن أيتها الأمم مساعدات بعضكن بعضا ومن لم يكن عندها استعداد لمساعدة المجموع وغلبت عليها عقائدها الموروثة فلتحتل الأمم كلها فى تعليمها . فاذا فشلت جميع الطرق فلتنبذ تلك الأمة ولتتركها جميع الأمم مهملة . وآخر الطب الكى » وهناك يسود السلام وتتم سعادة الانسان

فهؤلاء الحكماء الذين هذه آراؤهم يفرحون من الآن بالسعادة . وهؤلاء هم الذين يفهمون آية ـ سلام قولا من رب رحيم ـ لأن المربى الرحيم الذى عرفوه قد ألهمهم السلام من الآن . ذلك انهم أيقنوا بأن الأمراض ماهى إلا منذرات تقود للاصلاح والموت خلاص من أسر هذه الطبيعة ورجوع الى الكمال المطلق وأى سلام بعد هذا . فهؤلاء ـ لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ـ

بل هذه البشائر عندهم وهم فى هذه الحياة والملائكة المذكورون هم معهم الآن يلهمونهم العلوم والمعارف لعلمهم أنهم يبثونها لأممهم . فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب يوم القيامة ويلهمونهم هذه العلوم الموجبات للسلام وللأمان فيلقون العلوم للناس وهم بها مطمئنون ولايبالون بالأعداء ولابالخصوم والحاسدين فهؤلاء لاخوف عليهم فى المستقبل ولاهم يحزنون على مامضى والملائكة تنزل عليهم وتلهمهم ذلك فى الحياة وان لم يروهم و بعد الموت وهم اليهم ينظرون

هذا ما تذكرته عند تفسير هذه الآية وهى قوله تعالى ـ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ـ . الله عمرنى فى الأرض سنين وسنين وهذه تذكرتى لمن بعدى من المسلمين والناس أجمعين والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير ﴿ سورة فاطر ﴾ يوم الجمعة ٢٣ مايو سنة ١٩٣٠ م و٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية

﴿ تفسير سورة يس ﴾

(هى مكية)

(إلا قوله تعالى ـ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ـ فمدنية)

(آياتها ٨٣ ـ نزلت بعد الجن)

والكلام على هذه السورة فى ﴿ أربع فصول ﴾ الفصل الأول ﴾ فى تفسير البسملة ﴿ الفصل الثانى ﴾ فى تفسير الألفاظ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى ذكر ما كنت فسرتها به منذ سنين لتكون ماثلة معانيها أمام القارئ ملخصة مجتمعة ﴿ الفصل الرابع ﴾ فى العجائب العلمية من سائر العلوم لاسيما علم الكيمياء وكيف كانت لفظة (يس) التى ابتدئت بها السورة تشير الى التحليل وقد ظهر ذلك فى قوله تعالى ـ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ـ مما يبعث فى الأفئدة شوقا الى الحكمة وميلا الى التعلم وحبا فى استطلاع العجائب والحكم الكونية وغرائب العلم

﴿ الفصل الأول فى تفسير البسملة ﴾

(مقدمة)

اعلم أن العوالم التى نعيش فيها تجرى على وتيرة واحدة وأسلوب خاص لايتغير ، وذلك انك ترى اليوم يولد بشروق الشمس ، ويظهر ضحى ، ويشتد وقت الزوال ، ويضعف وقت العصر ، وينتهى وقت الغروب . هكذا السنة فلها ولادة اذا حل فصل الربيع ونزلت الشمس برج الحمل وأخذت الحياة تدب فى الأرض وذاب الثلج ، ودبت الحشرات وانبعثت من مراقدها ، وقامت الزواحف من نومتها ، وسعت الحيات لحياتها ، وأورقت الأشجار وأزهرت الأغصان وأثمرت الحدائق وأخذت الأرض زخرفها وازينت ، فاذا حلت الشمس برج السرطان هنالك يأخذ النهار فى القصر والليل فى الطول وتنضج الثمار وتكون الدنيا أشبه بامرأة كاملة تكلأ أبناءها وتحفظ صغارها وتعطف عليهم وهم مبتهجون ، فاذا جاء فصل الخريف وحلت الشمس فى برج الميزان فهناك يعتدل الليل والنهار ثم يأخذ النهار فى القصر والليل فى الطول وتكون الدنيا أشبه بامرأة هرمة ولى شبابها وأدبرت أيامها وساءت حالها ، فاذا جاء فصل الشتاء وحلت الشمس برج الجدى هنالك تدخل الحيات فى أوكارها وتتوارى الحشرات فى بيوتها وتقف الحركات ويخيم السكون على أرجائها وتكون الدنيا أشبه بجثة هامدة لاحراك لها وهكذا تبقى حتى اذا جاء فصل الربيع وحلت الشمس برج الحمل وهكذا دواليك كما قال تعالى ـ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء ـ

فهذا نفسه هو حكم الانسان ، فهو فى أول حياته كاليوم اذا أشرقت الشمس ، وهو فى شبابه كالشمس فى ضحاها نهارا ، وفى استوائه رجلا كاملا كالشمس اذا توسطت كبد السماء وكان الزوال ، فاذا ولت أيامه وأدبر شبابه وأقبل هرمه كان كالشمس اذا آذنت بالمغيب وفارقت أهل الأرض وهم لها وامقون ، وهكذا صباه أشبه بفصل الربيع وفتوته واستواؤه رجلا أشبه بوقت الزوال . فاذا ولى زمانه وشابت مفارقه وانحلت مفاصله واصفر لونه كان أشبه بالسنة اذا حل فصل الخريف وأخذت تنحل عراها وتضعف قواها فاذا ماحل فى الرمس وودعوه كالأمس كان كفصل الشتاء وهكذا دواليك . ومثل ذلك كله الأمم :

(١) فلها ولادة كولادة الانسان تبدأ فيها بقراءة تواريخ الأمم ودراسة الآثار وتضرب الأمثال كالطفل اذا ابتدأ يفتح عينيه فانه إذ ذاك يأخذ يبحث فيما حوله ليتخذ مثالا يقتدى به ومنوالا ينسج عليه وسبيلا

ينهجه ومهيعا معبدا (بتشديد الباء) يسالكه

(٢) ولها أيام فتوة وقوة وعظمة اذا اشتد كاهلها وعظمت مسرتها وقويت شكيمتها كالانسان أيام فتوته وتمام رجوليته وكالسنة فى فصل الصيف

(٣) ولها أيام انحطاط وضعف كما تنحط الشمس ذاهبة الى الغروب كل يوم وكالشمس تدخل فى برج الميزان ويأخذ النهار فى القصر والليل فى الزيادة

(٤) وأيام موت كموت الانسان واقبال الليل وحلول فصل الشتاء

اذا عرفت هذا أيها الذكى فلتعلم أن الأمم الأرضية كانت أيام النبوة قد اعتراها خمول وضعف كخمول السنين وموتها أيام الشتاء ، فلما أن ظهر الاسلام ثارت العزائم وانتشر العمران وهاجت الأرض وماجت وانبعثت المدنية فيها كرة أخرى إذ تدهورت المدنيات القديمة فى الفرس والروم وحلت محلها مدنيات حديثة وأخذ العرب الذين كانوا مبعثرين فى الصحراء لاجامعة لهم يستخرجون العلوم من مكامنها ويدرسون تواريخ أمم الفرس والروم ويقرؤن علوم الأمم شأن الصبى أيام طفوليته والحيوانات فى فصل الربيع إذ تخرج من أوكارها وتقوم من أجحارها كأنها مبعوثة من أجداثها منتشرة فى الأرض تسعى حثيثا للحياة ، فلما أن استقر قرار الأمم الاسلامية فى أواخر القرن الثانى وقد استتب لهم الملك وعظم شأنهم أخذوا يستثمرون ما زرعوا ويحصدون ما أنبتت لهم مدنيتهم أيام الدولة الأموية فوقفوا الفتوحات قرونا وقرونا حتى اذا كانت أيام الشيخوخة وأيام الضعف كالشمس وقت العصر والسنة فى فصل الخريف أخذت أمم التتار تكتسح هذه الأمم فرجع المسلمون أشبه بفصل الشتاء فى السنة وبالانسان اذا مات وبالنهار اذا أدبر والليل اذا أقبل

وهاهى ذه الأمم الاسلامية اليوم قد أقبلت أيام شبابها وحلت شمسها فى برج الحمل ، وهاهم أولاء يبحثون فى كتب الأمم ويقرؤن تاريخها شأن الطفل أيام طفوليته إذ يقلد ماحوله والحيوانات المنتشرات فى فصل الربيع وشأن المسلمين فى القرون الأولى أيام ظهور النبوة . وهذا التفسير قد ظهر اليوم فى إبان صبا الاسلام بعد نوم الأمم الاسلامية فى شتاء دهرهم وخمودهم ونومهم العميق ويريد الله أن يوقظهم من كهفهم ويحيى مجدهم بعد موتهم . فماذا يفعلون ؟ يقرؤن أمثال هذه السورة (سورة يس) . فماذا يقابلهم فى أولها ؟ فأول مايسمعون منها قسما بالقرآن على صحة الرسالة كالقسم بالنجم اذا هوى على انه ﷺ ماضل وماغوى . فهذه تقرع أسماع المسلمين اليوم فيقول حكماؤهم : حقا إن النجم هو الذى يهدى الضالين السارين فى ظلمات الليالى الحائرين فى الصحارى والقفار لايهتدون سبيلا ولايجدون دليلا وهكذا سفن البحار تضل فى أمواجها وتصطدم فى شعابها فلاتجد لها واقيا يقيها ولاهاديا يهديها إلا بيت الابرة (البوصلة البحرية) فهى التى تنير لهم السبل وتهديهم الى سواء الصراط فى لجج البحار . فالنجم فى الصحراء هداية لمسالك الجبال وهو فى البحر هدى للربان . وقوام الهداية تلك البوصلة التى تتجه بالمغناطيسية شمالا وجنوبا منحرفة انحرافا قليلا بقوانين لها علوم خاصة تعرف الربان الشرق والغرب والشمال والجنوب وهنالك يدرس النجوم وأماكنها فيهتدى بها فى ظلمات البحر . فهذا هو النجم الذى أقسم الله به حين هوى على أن النبى ﷺ ماضل وماغوى . ولاريب أن النجم اذا كان فى وسط السماء لايهدى وانما هدايته إذ هوى والقرآن الحكيم فى (سورة يس) هنا يهدى كما يهدى النجم لذلك أقسم به على انه من المرسلين على صراط مستقيم لأن هدايته كهداية النجم وكما أن للنجم علوما تعرف أماكنه فى السماء وبوصلة تهدينا الى طرقه هكذا هذا القرآن لاتتم الهداية به إلا بعلوم وعلوم . فهداية النجم تفتقر معها الى علوم هكذا هداية القرآن لابد معها من علوم والعلوم التى فى هذه السورة وطرق الهداية فيها الى الصراط المستقيم لاتعدو سنة مسير الشمس فى اليوم وفى السنة ونظام الدول فى أول ظهورها . ألا ترى رعاك الله أن السورة مبدوءة بضرب المثل بأصحاب القرية التى جاءها المرسلون وكان

لهؤلاء المرسلين أنصار وأعداء وانتهى أمرهم بأن غلب الحق الباطل . فهذا سبيل الأمم فى أوّل ظهورها تقرأ التاريخ وتعتبر به كالطفل يحبو ويدرس ماحوله والحيوانات خارجات من مخابئها منتشرات فى فصل الربيع وكالأمم العربية إذ بزغت شمسها أيام النبوّة ، فهاهى ذه أمم الاسلام تعيد سيرتها الأولى إذ أخذت تدرس تواريخ الأمم العربية السابقة أيام النبوّة وقبل النبوّة وتدرس تاريخ الأمم التى حدثت بعد ذلك جيلا فجيلا وتستخرج خلاصتها وتقوم من نومتها وتستيقظ من رقدتها وتخرج من كهفها

لم يقصّ الله علينا قصص أصحاب القرية لنقتصر عليهم . كلا . والله . ألم يقل ـ واضرب لهم مثلا ـ فهذا مجرد مثل والمثل به تكون الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين . لحياة الأمم شباب ثم قوّة وتمام ثم انحطاط وضعف ، فهى فى أيام الشباب تقرأ علوم لغاتها وتاريخ أجدادها وتدرس الأمم المحيطة بها ، فاذا أدركت ذلك كله عرفت أنه لامناص لها من ادارة شؤن هذه الأرض ، فهنالك تغرس الأشجار وتحفر الأنهار وتقرأ العلوم وهذا هوقوله تعالى ـ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا ـ وههنا أخذ يذكر الجنات والزروع والثمار والشمس والقمر والسفن . فههنا فى هذه السورة ﴿ ثلاث درجات ﴾

(١) درجة الاستيقاظ بدراسة الآثار البائدة والأمم الخامدة والأيام الخالية والبحث عن آثارهم فى أحجارهم وكتاباتهم فى قبورهم وأخبارهم فى تواريخهم وهنالك يسمعون ـ ياحسرة على العباد مايأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ـ بعد ماسمعوا أن صيحة واحدة أخذتهم فاذاهم خامدون . فخمود الأمم أعقبها الحسرة عليهم . فتواريخ الأمم للاعتبار بحوادثها وللاهتداء بعلومها وهنالك يقول الشاعر :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ✲ غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
وأنزلوا بعد عزّ من مراتبهم ✲ وأودعوا حفرا يابئسما نزلوا
أين الوجوه التى كانت منعمة ✲ من دونها تضرب الأستار والكلل
أجاب سائلهم فى القبر قائلهم ✲ تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
فطالما أكلوا يوما وما شربوا ✲ فأصبحوا بعد طول الأكل قدأُكلوا

فهؤلاء أحق بالحسرة وبهم يكون الاعتبار فهم مضروبون لنا مثلا . فاذا سمعنا الله يضرب لنا مثلا بأصحاب القرية فلنقل نحن ماأكثر الأمثال . هذه الأمم الاسلامية التى خلفت تلك الأمم البائدة لما أعرضت وقعت مشمخرّة وذهبت كأمس الدابر ، فهذه دولة العرب فى الشرق ذهبت ريحها وخرّ عليها السقف من فوقها إذ أبادها التتار وكذلك لما تخاذلوا فى بلاد الأندلس سطت عليهم الجيوش الجرارة من أمم الافرنجة وهم غافلون فأخرجوهم من أوروبا وهؤلاء أبناؤهم مشتتون فى طول الأرض وعرضها وسيجمع الله شملهم كاجمع شمل آبائهم بظهور الاسلام فى ثوبه القشيب كرة أخرى

تخاذل المسلمون فى الأندلس وكانت لهم (٢٠) دولة وهم جاهلون بمن حولهم وقد انغمسوا فى النعيم ، وذاقوا سوء المصير . وهاهى ذه قارّة استراليا دخلها الفاتحون فانقرض العنصر الأصلى فى البلاد إلاقليلا وهكذا أهل أمريكا الأصليون وهم الحمر المتوحشون . هاهم أولاء أخذوا ينقرضون أمام المحتلين

هذه نبذة يسيرة ذكرتها هنا اقتداء بالكتاب العزيز إذ ضرب لنا مثلا فاتبعناه بأمثال تبيينا للقرآن وتذكيرا بالفرقان لأن الله يقول ـ لتبين للناس مانزّل اليهم ولعلهم يتفكرون ـ فبمثل هذا يكون التفكر وبمثل هذا يكون التبيان . فهذه هى الدرجة الأولى درجة الاستيقاظ

(٢) أما الدرجة الثانية فانها آتية بعد عدّة سنين فى الأمم الاسلامية وقد ظهرت بوادرها وفيها يكون تمام أمرهم واليها الاشارة بقوله ـ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ـ الخ . فهذه الدرجة أشبه بالتحلية بعد التخلية . فالأمة تتخلى أوّلا عن الجهالة وتنبذ الكسل وتعتبر بالأمم الخالية ويعقب هذا الدور دور العمل . إذن

الأمم الاسلامية اليوم أشبه بآبائنا أيام ظهور النبوّة فنحن اليوم كآبائنا أيام الصحابة وأيام النبوّة ابتدأنا حياة جديدة نراها آخذة فى النموّ والاستيقاظ فى مصر والشام والعراق والفرس والهند و بلاد جاوه والملايو ، وهذه كتلك تماما ، فهاهم أولاء أخذوا يقرؤن تاريخ أسلافهم وتاريخ الأمم ولامحيص لهم من تولى زعامة الأمم وقيادتها كما قادها آباؤهم وكانوا نبراسا للأمم كأيام الدولة العباسية

(٣) أما الدرجة الثالثة فهى أيام الفناء والزوال وهى المذكورة فى هذه السورة من النفخ فى الصور وانقسام الناس فريقين : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير

ومن عجب أن الرحمة المذكورة فى آية البسملة أحاطت بهذه الأقسام الثلاثة فبينما تجد الاعتبار بالأمم فى أوّل السورة بقوله تعالى – تنزيل العزيز الرحيم – اذا أنت ترى دخول الجنة مشمولا بها إذ يقال لهم – سلام قولا من رب رحيم – فالرحمة فى الاعتبار بالأمم البائدة المضروبة لنا أمثالا كالرحمة فى اقتطاف ثمرات الأعمال فى الجنان وشرب الرحيق المختوم ختامه مسك هناك فاذا قرأنا تاريخ البائدين فذلك من رحمة الرحمن الرحيم وهى الدرجة الأولى

واذا غرسنا الأشجار ونظمنا الحقول وقطفنا الأزهار وجنينا الثمار فذلك من رحماته واذا دخلنا الجنان وشربنا شراب الحب من كأس كان مزاجها زنجبيلا فذلك من الرحمات . إذن الرحمة فى الاعتبار بالأمم وفى السعادة فى الحياة وفى سعادة الجنات واحدة ، لذلك ابتدأ السورة بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم »
وبهذا تمّ الكلام على الفصل الأوّل فى تفسير البسملة

الفصل الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

يٰس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ * وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ

أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ * ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ *
إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ
السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ
لَا يَرْجِعُونَ * وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا
مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا
مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ *
وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ
الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ *
وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ
نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا
مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا
عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ
لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *
مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ
مَرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا
مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ
وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ * وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ *

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ * وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ * وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ * فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(يس) قد اطلعت على ما كتبته على الحروف التي في أوائل السور في أول ﴿آل عمران﴾ من عددها ومناسبتها للأوضاع الفلكية والفقرات التشريحية الانسانية والعجائب الطبيعية والاستدلال بها على بقاء اللغة العربية بعد فناء اللغات الاوروبية كما أوضحه علماء الألمان بالاستنتاج الموافق لرمز القرآن . ولعلك أيضا قرأت ماجاء في ﴿سورة العنكبوت والروم﴾ وما بعدهما من اشارة الحروف في أوائلها وفوق ذلك الى استكناه العلوم الحكمية ونظام العناصر الأرضية وعجائبها الحكمية والالماع هناك الى أن ﴿الم﴾ في أول سورة البقرة تزيد على ذلك بالاشارة الى الاستفهام التقريري في مسألة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ومسألة ابراهيم والطير والعزير . فهناك قد جاء القول بلفظ ﴿الم﴾ في أوله . ولكن هذا المقام أبدع بيانا وأعجب نظاما وأعدل ميزانا وأحسن صنعا وأبدع وضعا وذلك من ناحية الآراء الاستنتاجية التي فهمتها والعلوم الحكمية التي منها عرفتها لامن حيث نفس الآيات القرآنية فانها كلها منظمة موزونة هي آيات الكتاب وسترى ايضاح هذا المقام في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى و يسرك منظره من جمال الصنع و بدائع الحكمة ونظام الجمال والجلال (والقرآن الحكيم) أي أقسم بالقرآن ذي الحكمة (إنك لمن المرسلين) الذين هم (على صراط مستقيم) أي على طريقة مستقيمة نزل القرآن (تنزيل العزيز) في ملكه (الرحيم) بخلقه .

أرسلت (لتنذرقوما ما أنذر آباؤهم) أى غيرمنذرآباؤهم قبلك (فهم غافلون) أى فبقوا غافلين (لقد حق القول) لقد وجب القول بالسخط والعذاب (على أكثرهم فهم لايؤمنون) ذلك لأن الله جعل استعدادهم كذلك فقلوبهم طبع عليها وهذا يفيده قوله (إناجعلنا فى أعناقهم أغلالا) جمع غلّ (فهى) أى الأغلال واصلة (الى الأذقان) ملزوقة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم . ذلك لأن طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلايمكنه من أن يطأطئ رأسه فلايزال مقمحا ، وهذا كله تمثيل أى منعناهم بموانع عن الايمان تشبه ماذكر (وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لايبصرون) شبههم بمن أحاط بهم سدّان فغطيت أبصارهم بحيث لايرون ما أمامهم وماخلفهم فهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات وتكون نتيجة ذلك مابعده وهو (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) لأن من يرد الله اضلاله لاينفع تخويفه (إنما تنذرمن اتبع الذكر) أى لاينفع انذارك إلا من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وهو لايراه (فبشره بمغفرة) لذنوبه (وأجركريم ✡ إنا نحن نحيى) للبعث (ونكتب ماقدموا) من خير وشرّ (وآثارهم) أى ماسنوا من سنة حسنة أوسيئة (وكل شئ) من أعمالهم وغيرها (أحصيناه فى إمام مبين) كتبناه فى اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) أى اجعل لهم صفة أصحاب القرية صفة ، ثم أبدل من أصحاب القرية إذ من قوله (إذ جاءها المرسلون) وهم رسل عيسى عليه السلام الى أهل القرية وهى انطاكية (إذ) بدل من إذ الأولى (أرسلنا اليهم اثنين) أى أرسل عيسى بأمرنا اثنين وهما ﴿ يوحنا ﴾ و﴿ بولس ﴾ فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسألهما عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن وشفى ابنه المريض إذ مساه فآمن وفشا الخبر فى المدينة بأن الأبرص والأكمه يشفيان على أيديهما فشكاهما الناس الى الملك فحبسهما ، ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاش مع حاشية الملك وصارمن أصحابه واحتال فى ذكر قصة الرسولين أمام الملك وقال له اسمع مايقولانه فدعاهما الملك حضرا فسألهما شمعون فوصفا الله بالتوحيد والقدرة ، ثم أتى بغلام مطموس العينين فدعوا الله له فشق له البصر . فأما الملك فاعترف بأن إلهه لايسمع ولايبصر وهكذا حى ميت مضى له سبعة أيام بدعائهما فآمن قوم وكفرقوم وصاح جبريل بمن لم يؤمن فهلكوا وهذا قوله تعالى (فكذّبوهما) أى يوحنا و بولس (فعززنا بثالث) فقوّينا بثالث وهو شمعون (فقالوا إنا اليكم مرسلون ✡ قالوا ما أنتم إلا بشرمثلنا) أى لامزية لكم علينا (وما أنزل الرحمن من شئ) وحى (إن أنتم إلا تكذبون) فى دعوى رسالته فاقتضت الحال زيادة التأكيد لزيادة الانكار (قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون) هذا استشهاد بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم (وما علينا إلا البلاغ المبين) الظاهرالبين بالآيات الشاهدة لصحته (قالوا إنا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم (لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ✡ قالوا طائركم معكم) أى سبب شؤمكم معكم وهوسوء عقيدتكم وأعمالكم (أئن ذكرتم) أى أتشاءمتم بأن ذكرناكم وخوّفناكم بالله (بل أنتم قوم مسرفون) أى فى ضلالكم وشرككم متمادون فى غيكم (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وهوحبيب النجار (قال ياقوم اتبعوا المرسلين ✡ اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون) فأنتم لاتخسرون شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خيرالدنيا والآخرة فقالوا له أتبرأت من ديننا ودخلت فى دين عدوّنا فقال لهم (ومالىَ لاأعبد الذى فطرنى) خلقنى (واليه ترجعون) بعد الموت (أأتخذ) أأعبد (من دونه) من دون الله بأمركم (آلهة) أصناما (إن يردن الرحمن بضرّ) إن يصبن الرحمن بشدّة عذاب (لاتغن عنى شفاعتهم شيأ) أى لاتدفع عنى (ولاينقذون) من المكروه (إنى اذا) إن عبدت من دون الله شيأ (لفى ضلال مبين) خطأ بين (إنى آمنت بربكم فاسمعون) أى

فاشهدوا لى بذلك ، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، فلما لقى الله (قيل) له (ادخل الجنة) فلما دخلها ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون ☆ بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه . وقيل انهم لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن فقال ماتقدّم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد اهلاكه أورفعه (من جند من السماء) وهم الملائكة لإهلاكهم (وماكنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا ، ذلك لأن اهلاكهم أيسر مما يظنون (إن كانت العقوبة (إلا صيحة واحدة) صاحها جبريل (فاذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار (ياحسرة على العباد) أى تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك حقك أن تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسول (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ☆ ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن المفعولين بكم فى قوله (كم أهلكنا قبلهم من القرون) وقوله (أنهم اليهم لايرجعون) بدل من كم ، والمعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين الينا (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) أى وما كل إلا مجموعون محضرون عندنا للحساب وهذا على قراءة ـ لما ـ بالتشديد ، فأما المخففة فالمعنى ان كلهم محشورون مجموعون الخ (وآية لهم الأرض الميتة) بالتخفيف والتشديد (أحييناها) بالمطر (وأخرجنا منها) من الأرض (حبا) جنس الحب (فمنه) من الحب (يأكلون ☆ وجعلنا فيها) فى الأرض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ☆ ليأكلوا من ثمره) أى ثمر ماذكر وهو الجنات (وماعملته ايديهم) أى ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم (أفلايشكرون) نعمة الله تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج) الأصناف والأنواع (كلها مما تنبت الأرض) من النبات والشجر (ومن أنفسهم) الذكر والأنثى (ومما لا يعلمون) وأزواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته (وآية لهم) تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) ننزع ونكشط (منه النهار فاذا هم مظلمون) داخلون فى الظلام (و) آية لهم (الشمس تجرى لمستقرّ لها) لحدّ لها مؤقت تنتهى اليه من فلكها وهى نهاية العالم أونهاية ارتفاعها فى زمن الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء ، وهذا لاينافى قراءة ابن مسعود لامستقرّ لها أى لاقرار لها ولاوقوف فهى جارية أبدا الى يوم القيامة تنتهى كل يوم فى مرأى العيون الى المغرب وتنتهى مدة السنة وتنتهى مدة ارتفاعها ومدة انحطاطها (ذلك) الجرى المنتظم العجيب (تقدير العزيز العليم) الغالب المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) أى قدرنا سيره (منازل) أى جعلنا له منازل كما جعلنا للشمس وهى ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة فى واحدة منها ثم يستتر ليلتين أوليلة اذا نقص الشهر ، فاذا كان فى آخر منازله رقّ وتقوّس وهذا قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذى عليه الشماريخ اذا أتى عليه الحول فتقوّس واصفرّ ودقّ ، وهذه الصفات الثلاث تكون للقمر عند انتهاء المنازل (لا الشمس ينبغى لها) أى لايصح لها ولايتسهل (أن تدرك القمر) فى سرعة سيره أولايتسهل لها أن تجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فتطمس نوره لأن لكل منهما سلطانا فى وقت خاص فسلطانه بالليل وسلطانها بالنهار (ولا الليل سابق النهار) أى ولايسبق الليل أى آيته وهو القمر آية النهار فيحل سلطانه محلها . كلا. لأنهما يجريان بحساب منظم (وكل) من الأرض والشموس والأقمار (فى فلك يسبحون) كما يسبح السمك فى الماء . فالشمس فى مدارها حول كوكب من كواكب الجاثى على ركبتيه ولايدرى مدة دورتها والأرض تجرى حول الشمس فى سنة وحول نفسها فى يوم وليلة والقمر يجرى حول الأرض كل شهر . ولما كانت مسألة الأرض صعبة الفهم على النوع البشرى قديما قدّمها فى الذكر وفصل بينها و بين الشمس والقمر بجمل حتى لايقال انها داخلة فى الكلية فينافى ماعرفه الناس إذ ذاك وأتى بلفظ ـ كلّ ـ للدلالة على دخولها ليتفطن لها الناس فى هذه الأعصر وليعلموا أن الله خبأ لهم الحكمة فى القرآن ليستخرجوها مطبقة على الكشف لئلا تقف عقول المسلمين عن السير فى العلوم خيفة أن تنافى كلام ربهم ، وليعلم الذكىّ أن هذه الرموز وضعت فى القرآن

لنبشر بها المسلمين أن هذا زمان رقيهم وليسوا كالأمم المسيحية الذين ارتطموا أمدا طويلا فى الجهالة وهم أذلاء جهلاء متوحشون فلم يخرجهم من وحشيتهم وجهالتهم إلا نهضة المسلمين وحروبهم المتوالية معهم فى الشرق بالحروب الصليبية وفى الغرب بالحروب الأندلسية والحروب فى القسطنطينية ، انه لم يخرجهم من ما رزقهم إلا احتكاكهم بأمم الاسلام لأن دينهم ليس فيه مابه يخرجون من الجهالة من الاشارات للعلوم ، أما المسلمون أيام تأليف هذا الكتاب فهم على بينة من ربهم فقد ظهر فى هذا التفسير أن القرآن كتاب حكمة وعلم تصريحا وتلويحا ، واذا جاءت شبهة ففى القرآن حلها حتى لايقف المسلمون زمنا مّا عن الرقىّ مثل مانحن بصدده ، وأقول : سيقرأ هذا التفسير المسلمون ويصعدون بمدنيتهم الى العلا فى أقرب زمن ، هكذا قضى الله وهكذا سيتم وهو الحكيم العليم . انظر كيف يقول ـ يسبحون ـ ومعلوم أن السبح للسمك أليق مع ان الفلك القديم قد جعل الكواكب مركوزة فى الفلك أوفى تدوير الفلك على ماتراه فى اصطلاحات القدماء فليس للكوكب أن يسبح من تلقاء نفسه بل لابد له من حامل يحمله وذلك الحامل هو الذى يدور به ، فالكوكب مستحيل عليه السباحة ، وكيف يسبح مالاحرية له ولاقدرة له على الاستقلال فى السير بل هو محمول هكذا كان فى الفلك القديم ، ولست أطيل لك فيه لأنه معقد ولايفيدك انما الذى يهمنا أن جميع الكواكب تسير على الرأى الحديث فى مدارات وتلك المدارات فى عالم الأثير ، فهى إذن كأنها سمك فى بحر

هذه حقيقة مدارات الكواكب فى العلم الحديث . وهذا هو الذى نطق به القرآن . انظر انظر الى كلام المفسرين رحمهم الله كيف تراهم يقولون فى ـ يسبحون ـ يسيرون ، وذلك لأن الفلك القديم المشهور إذ ذاك لم يكن فيه للكواكب سبح ، فعجب للقرآن كيف أتى بالكشف الذى يسميه الناس حديثا وقد شرحناه بعض الشرح فى ﴿سورة يونس﴾ وهو مشروح ببسط فى كتابى « جواهر العلوم » وانظر كيف أعقب ذلك بذكر السفن السابحة فى البحار للمناسبة بينهما وأن كلا له طرق لو تركها اختلّ فى جريه وكل سابح فى مداره ليؤكد للمسلمين بهذا التناسب أن الكشف الحديث يناسب القرآن أشدّ المناسبة ويشيرلهم من طرف خفىّ أن يجدّوا فى المعقولات والبحث ، فالقرآن أمامكم لاينفر من المعقولات ولايأنف إلامن الخرافات والجهالات فقال (وآية لهم أنا حملنا ذريّتهم) أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم (فى الفلك المشحون) أى الموقرة أو المجهزة المملوءة التى فرغ من جهازها (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (مايركبون) من الإبل فانها سفائن البرّ ، وقد حمل بعضهم السفينة على سفينة نوح والذرية على الآباء لأنهما من الأضداد وما يركبون مثله هى السفن والزوارق . وربما كانت اشارة الى الطيارات اليوم فهى فى الهواء كالفلك فى البحر (وان نشأ نغرقهم) فى البحر (فلاصريخ لهم) فلامغيث ، أو فلا اغاثة (ولاهم ينقذون) لاينجون أى لاينقذون إلارحمة منا ولتمتيع بالحياة الى انقضاء الأجل فقوله (إلارحمة منا ومتاعا الى حين) منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وماخلفكم) أى ماتقدم من ذنوبكم وماتأخر مما أنتم تعملون من بعد ، أو من مثل الوقائع التى ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وماخلفكم من أمر الساعة (لعلكم ترحمون) أى لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب الشرط محذوف أى أعرضوا وانما جاز حذفه لأن الجملة التى بعده تدل عليه وهى قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) معناه أن دأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة ولافرق عندهم فى الاعراض بين العقائد وبين الأعمال ولذلك أتبعه بقوله (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) على الفقراء (قال الذين كفروا) بالصانع وهم المعطلون (للذين آمنوا) تهكما بهم من اقرارهم وتعليقهم الامور بمشيئته (أنطعم من لويشاء الله أطعمه) على زعمكم (إن أنتم إلافى ضلال مبين) فى خطأ بين (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ماينظرون) ماينتظرون (إلاصيحة واحدة) وهى النفخة الأولى (وهم يخصمون) يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم أمرها وأصلها يختصمون فسكنت التاء وأدغمت ثم كسرت الخاء (فلايستطيعون توصية) فى شئ من أمورهم (ولاالى أهلهم

يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة (ونفخ فى الصور) مرة ثانية (فاذا هم من الأجداث) من القبور جمع جدث (الى ربهم ينسلون) يسرعون (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) أى من أنشرنا من مضجعنا وقوله (هذا) مبتدأ (ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) خبر أى تقول الملائكة أو بعضهم لبعض أو بعض المؤمنين لبعض هـذا الذى وعده الرحمن والذى صدق فيه المرسلون (إن كانت) النفخة الأخيرة (إلاصيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ، ثم يقال لهم فى ذلك اليوم (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون إلاما كنتم تعملون ٭ إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل) كضيافة الله والنظر الى وجهه الكريم حتى ينسوا كل نعيم سواه ، وكزيارة بعضهم بعضا ، وسماع الأوتار وما أشبه ذلك ، وكل منهم يستلذ بما كان أهله فى الدنيا رفعة وضعة ، وقوله (فاكهون) أى متلذذون فى النعمة من الفكاهة (هم وأزواجهم فى ظلال) جمع ظل كشعاب أوظلة كقباب (على الأرائك) على السرر المزينة (متكؤن ٭ لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) مايدعون به لأنفسهم من الدعاء أو يتمنونه تقول ادع على ماشئت أى تمنه ولهم (سلام) يقوله الله (قولا من رب رحيم) أو يقال لهم قولا كائنا من جهته أى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة ، ومن جملة مايقال لهم تقريعا (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) العهد الوصية إذ عهدالله اليهم بما ركز فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع ألايعبدوا الشيطان بالاصغاء الى وسوسته وتزيينه كما جاء فى الحديث فى تفسير قوله تعالى ــ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ــ إذ فسر ذلك بأنهم يشرعون لهم الشرائع ويسنون لهم السنن ، فهنا اصغاء للوسوسة وهناك اتباع للشرائع المزيفة (وأن اعبدونى) عطف على ــ أن لاتعبدوا ــ (هـذا) الذى عهـدت اليك (صراط مستقيم) بليغ فى استقامته (ولقد أضل منكم جبلا) بضمتين أوكسرتين واللام مشددة فيهما أوكرسل أوقفل لغات ومعناه الخلق فى الجميع (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون ٭ هذه جهنم التى كنتم توعدون) فى الدنيا (اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) تجحدون بها وبالكتاب وبالرسل (اليوم نختم على أفواههم) نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) ٭ يروى أنهم يجحدون يوم القيامة ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وعشائرهم فيحلفون ماكانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث «يقول العبد يوم القيامة إنى لاأجيز علىّ إلا شاهدا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكنّ وسحقا فعنكنّ كنت أناضل»

واعلم أن هـذا القول هوالذى يطابق العقل وعلم الحقيقة على التحقيق ، ألاترى رعاك الله أن الانسان فى الدنيا وهو فى هـذه الدار المملوءة أكاذيب وشرورا ونفاقا يخجل فتظهر فى وجهه الحمرة ويوجل فيصفر ويتخذ القضاة من ذلك أدلة على ادانة المتهم ، وترى بعض الناس يقصون أثر الجناة ويتبعونهم فى السهل والجبل حتى يصلوا اليهم فيقدمون للقضاء ، وهكذا أيدى المجرمين يختم بها على الورق فلاتشابه يد يدا ، واذا كان هذا فى عالمنا الجسمانى فما بالك بالنفوس التى هى من عالم الأرواح فان لكل ذنب أوعمل حسن أثرا فى النفوس بحيث يترقى فيها الخير والشر ، فاذا انفصلت الأرواح من الأجساد ظهرت بهيئتها التى كانت عليها من شرّ وخير وهذا قوله تعالى ــ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ــ ، فالنفس إذن هى الكتاب المكنون الذى لاغش فيه ولاكذب ، فاذا صمت اللسان نطقت الجوارح كما نطقت فى الآثار اليوم فى الدنيا ولكن هناك نطقها أفصح وعملها أكمل وعلاماتها أتم ٭ وفى حديث مسلم انه ﷺ قال : هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا يارسول الله وهكذا قال وقالوا فى القمر ليلة البدر قال فوالذى نفسى بيده لاتضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ثم شرح فى الحديث لقاء العبد

ربه إذ ذاك إذ يقول له : ألم أكرمك وأسودك وأزوّجك وأسخرلك الخيل والإبل فيقول العبد بلى و يقرّ بأنه ما كان يظن لقاء الله وهكذا الآخر . ثم يقول آخر : « يارب آمنت بكتابك الخ فيختم على فيه » الى آخر ماتقدم . انتهى ملخصا

ثم قال تعالى (ولونشاء لطمسنا على أعينهم) لمسخنا أعينهم حتى تصير ممسوخة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وهومنصوب بنزع الخافض (فأنى يبصرون) أى فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولونشاء لمسخناهم) قردة أوخنازير (على مكانتهم) أى فى مكانهم ، وقرئ ـ مكاناتهم ـ أى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم والكفر (فما استطاعوا مضيا ولايرجعون) فلم يقدروا على ذهاب ولامجىء أومضيا أمامهم ولايرجعون خلفهم (ومن نعمره) نطل عمره (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فلايزال يتزايد ضعفه حتى نردّه الى أرذل العمر (أفلايعقلون) أن من قدرعلى ذلك تدريجا قدر على الطمس والمسخ فجأة (وماعلمناه الشعر) ردّ لقولهم ان محمدا شاعر فلالفظه موزون ومقفى كالشعر ولامعناه مما يتخيله الشعراء كما تقدم بيانه فى سورة الفاتحة من الموازنة بينه و بين القرآن (وماينبغى له) وما يصح له الشعر ولايتأتى له ان أراد قرضه لأن الشعر سجية فى النفس وهبة على الانسان مالم يوهب ، فليس كل الناس شاعرا ولاكل من أراد الشعر يتيسر له ، كيف لا وما كان ينبغ من العرب فى كل قبيلة إلا شاعر أوشاعران وتصنع له الولائم متى ظهر ، فهوكالجمال لايخلقه الانسان فى نفسه فكيف يتأتى لمحمد (إن هو إلاذكر) عظة وارشاد (وقرآن مبين) كتاب سماوى يتلى فى المعابد وظاهرأنه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز (لينذر) القرآن (من كان حيا) عاقلا فهما (ويحقّ القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) قابلهم بالاحياء اعلانا بأن الجهل والكفر موت كما ان العقل والعلم حياة (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) مما تولينا إحداثه وحدنا (أنعاما فهم لهامالكون) متملكون متمكنون من ضبطها (وذللناها لهم) صيرناها منقادة لهم (فمنها ركوبهم) مركوبهم أو ركوبتهم فى قراءة أخرى وهى بنفس المعنى كالحلوب والحلوبة (ومنها يأكلون) أى ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الصوف والوبر والشعر والجلد (ومشارب) من اللبن جمع مشرب بمعنى المصدر (أفلايشكرون) نعم الله فى ذلك ، فلولا خلقه لها أوّلا وتذليله لها ثانيا ما أمكن تحصيل هذه المنافع (واتخذوا من دون الله آلهة) أشركوها به فى العبادة بعد علمهم بتلك النعم الظاهرة (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروهم فيما نابهم من الامور مع أن الأمر ليس كذلك لأنهم (لايستطيعون نصرهم وهم لهم) لآلهتهم (جند محضرون) أى الكفارجندالأصنام يغضبون لها و يحضرونها فى الدنيا وهى لاتنصرهم وهم جندها أيضا فى الآخرة إذ يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كأنهم جند محضرون فى النار . واعلم أن هذا هومقتضى علم هذه الدنيا فانك ترى أن الهواء لايكون موضع الماء والماء لا يكون موضع الهواء والأرض لاتكون موضع واحد منهما وترى العلينة اذاوضعت قطعا منها فى الماء تتجاذب و يجذب الأكبرالأصغرأكثرمما يجذب الأصغرالأكبر هكذا القلوب تتجاذب وتصير كل طائفة مع بعضها كما ترى الطيور والوحوش فى الفلوات والحشرات فى الحقول والغابات ☆ وفى الحديث « أنت مع من أحببت » فالعالم كله سائر بالعشق فى المادة وفى الروح والقلوب شواهد (فلايحزنك قولهم) فى الله بالإلحاد والشرك (إنا نعلم مايسرّون ومايعلنون) فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به (أولم يرَ الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هوخصيم مبين) أى جدل بالباطل بين الخصومة كأنه قيل : العجب من جهل الانسان كيف يخاصم ربه ولايتفكر فى بدء خلقه ومهانة أصله وانه من نطفة قذرة ، نزلت فى أبىّ بن خلف خاصم النبى ﷺ فى انكار البعث وأتاه بعظم قد رمّ و بلى ففتته بيده وقال : أترى يحيى الله هذا بعدمارمّ ، فقال ﷺ نعم و يبعثك و يدخلك النار وهذا قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) بدء أمره (قال

من يحيي العظام وهي رميم) بالية أي وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله يحييه ونسي أوّل خلقه وانه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة) أي ابتدأ خلقها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات وأجزاء الأشخاص المفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) كالمرخ والعفار فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى ، تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثرمنها وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا (فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ، ثم ذكر ماهو أعظم من خلق الانسان فقال (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) أي وهو القادر على ذلك (بلى وهو الخلاق) يخلق خلقا بعد خلق (العليم) بجميع ماخلق (إنما أمره) أي إنما شأنه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) أي تكوّن (فيكون) أي فهو يكون أي يحدث وهذا تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة (فسبحان) أي تنزيها مما وصفه به المشركون وتعجب من أن يقولوا فيه ماقالوا (الذي بيده ملكوت) ملك (كل شيء) وزيادة الواو والتاء للمبالغة (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت . انتهى التفسير اللفظي وهو الفصل الثاني من السورة

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في ذكر ما كنت فسرتها به منذ سنين لتكون مائلة معانيها أمام القارئ ملخصة مجتمعة)

﴿ مقاصد سورة يس ﴾

(١) ذكر أن النبيّ ﷺ حقّ ما أرسل به وانه نذير للأمّيين وغيرهم
(٢) بيان أن المنذرين صنفان : صنف يئس من صلاحه ، وآخر سعى لفلاحه
(٣) تبيان أن أعمالهم تحصى عليهم ولهم فتكتب آثارهم وتحصى أخبارهم
(٤) ايضاح المقصدين السابقين بقصص حبيب النجار وقومه بانطاكية إذ حكم عليهم بالكفر وله بالايمان فقتل فدخل الجنة بما قدّم من الايمان والارشاد وهلك قومه
(٥) الدليل الطبيعي العقلي على البعث بعد النار يخي من العوالم السفلية وجناتها والعوالم العلوية وكواكبها وتبيان لقدرة الله ووحدانيته وعلمه ورحمته الشاملة
(٦) جزاء الفريقين في الآخرة وهو ﴿ فصلان ۞ الأوّل ﴾ بيان كفران الجاحدين هذه الأنعم وسرعة أخذهم أخذ عزيز مقتدر وندمهم عند معاينة العذاب ﴿ الثاني ﴾ الجنة ونعيمها وماأعدّ للمؤمنين فيها
(٧) توبيخ الكافرين على ما ارتطموا فيه من الجهل واتباعهم الشياطين
(٨) ثلاثة فصول لثلاثة أغراض سبق في السورة شرحها بأسلوب آخر وذلك ليستدلوا بما يعلمون من أنفسهم أعمالهم الخاصة بهم ﴿ الفصل الأوّل ﴾ قدرته على مسخهم في الدنيا وطمس أعينهم وأبرز لذلك دليلا من الأنفس وهو تنكيس خلق المعمر من الناس ، وهذه تقابل قصص حديث أهل انطاكية فذاك في الآفاق وهذا في النفس ﴿ الفصل الثاني ﴾ الانتفاع بالأنعام من مأكل ومشرب وملبس ، وهذه نعم راجعة لأنفسهم في مقابلة ما أنعم من نعم عمّة من الأرض وجناتها والشمس وأضوائها والكواكب ودوراتها والسفن وغيرها من النعم العمّة فمن لم يشكر على النعم العمّة فما باله لايفقه مايزاوله منها بنفسه ﴿ الفصل الثالث ﴾ اثبات البعث بما يعانون لخاصة أنفسهم من الزناد

إذ يقدحونها فيستخرجون نارها ، أفلا يستطيعون السبيل للهداية مما يزاولون لما يعود على أنفسهم بالمنافع ان جهلوا ما كان مشتركا نفعه من الأرض والسموات

ثم ختم السورة بجوهرتين زهراوين و ياقوتين حمراوين من اتقانه النظام وإصلاحه العام ومن تدمير الناس وإفسادهم فى الأرض ، فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاءه فى الأرض وما أجدرهم أن يتخلقوا بأخلاقه و يسيروا على الصراط المستقيم ، وإيضاح الأولى انه عزّوجل نظم جواهر النجوم المزْهرّات والكواكب السيارات وربطها بأسباب فدارت وأرسل لها من لدنه رحمة فأمسكتها ومحبة فحفظتها فدارت فى مداراتها وجرت فى أماكنها واجتذبها جذبا لطيفا بمواسك من التعاشق يسميها (علماء المحسوسات جاذبية) تمسكهم لئلا تزول عن مداراتها وتختل فى نظامها ، ولولا ذلك لتفرّقت أيدى سبأ وطاحت شذرمذر فباد الوجود وهلك الموجود ، وذلك قوله تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض - الى قوله - حليما غفورا -

وإيضاح الجوهرة الثانية أن الناس أفسدوا وما أصلحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام و بدائع الاتقان فاتخذوا لله أندادا وعبدوا أوثانا فباؤا بالغضب صاغرين ورجعوا بالمقت محرومين واذا عاهدوا عهدا نبذوه وان حلفوا أن يتبعوا رسولا ان جاءهم لم يتبعوه ، وطباعهم الكبرياء وشأنهم الإباء فهلا ساروا فى الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة ألا ان عاقبة البغى لهم ودائرة السوء تدور عليهم ، ولولا رحمة واسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة ولكننا نؤخرهم الى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعمّ فليتمتعوا أياما فى ساحات رحمتنا ولنوردهم موارد الهلاك بعدلنا جريا على ناموسنا العام وعدلا فى النظام . وذلك قوله تعالى فى ﴿ سورة فاطر ﴾ - هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره - الى قوله تعالى - إلا غرورا - وقوله - وأقسموا بالله جهد أيمانهم - الى آخر السورة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعزّ نفرا طحنهم الثرى بكلكله ومزّقهم بطوله . فتلك بيوتهم خاوية وجماعاتهم فانية للأقدار جاثية

﴿ المقصد الأول ﴾

(يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم)

ابتدأ الله عزّوجل السورة باثبات رسالته ﷺ وتوثيق عرى نبوّته وتأييد دعوته وتبيان أن القرآن أنزل عليه من ذى العزّة والقهر والرحمة والفضل توطئة لما ستسمع من قصص الظالمين وتفصيل بدائع الخلقة الشاملة آثارها الفائضة أنوارها

﴿ المقصد الثانى ﴾

(- لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون - الى - وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين -)

لما أثبت الرسالة والمرسل به شرع يشرح حال المرسل اليهم من أهل الدعوة اذا هم فريقان . فأما أحدهما فأحاطت به خطيئته وأرهقته زلاته وفقد إيمانه وأوثقه طغيانه فذلك كمثل من ضمّ الغل يديه الى ذقنه فلا يستطيع حراكا أو كمثل الذى سدّت عليه المسالك وأحاط به السدّان من خلفه وأمامه ثم غشى على عينه فسدّت عليه الطرق فى نفسه بالعمى وفى الآفاق بالسدّين . ومن التعذيب تهذيب الذيب . وأما الآخرون فهم الذين اتبعوا الذكر وخشوا الرحمن فى خلواتهم فأولئك لهم البشارة والرزق الحسن . ولاجرم أن الفريقين يرتقيان جزاء وفاقا وذلك فى المقصد الثالث

﴿ المقصد الثالث ﴾

(- إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم - الى قوله - إمام مبين -)

ولاجرم أن للمقدمات نتائج . وللأسباب مسببات . وللشجرات ثمرات . وللمبادئ نهايات . والقمان

المذكوران تحصى أعمالهما وتسطر أحوالهما ويحييان بعد موتهما وتعرض عليهما ماعملا من خير قدّماه ومن شرّ جنياه ، ولما أن سجل ماذكر عليهم أخذ يشرح ذلك بالقصص وهو المقصد الرابع

﴿ المقصد الرابع ﴾

(ـ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ـ الى قوله ـ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لايرجعون ☆ وان كل لما جميع لدينا محضرون ـ)

لما تبين أن لكل حظا مما جناه ، وقسطا مما اقترفه ، من خير وشرّ ، وأن الكتاب أحصى أعمالهم وأظهر أخبارهم ، أخذ يوضح ذلك بالقصص ، ويبينه بالتاريخ ، ويثبته بالشواهد ، كشفا للمقام وتثبيتا للبرهان فذكر خبر أصحاب المسيح عليه السلام من الحوار يين إذ جاء اثنان منهم الى أهل انطاكية ودعوهم للايمان فجلدوهما مائة جلدة وسجنوهما فجاء الثالث (شمعون) واحتال على أرباب الدولة وعظماء الأمّة والملك المطاع وأرباب الضياع أن يستنطقوهما ولايؤذوهما فأخرجوهما منه وظهرت الخوارق على أيديهما من إحياء الميت وإبراء الأكمه ثم نكسوا على رؤسهم وآذوهم فجاء حبيب النجار الذى كان أسلم من قبل لما شفى ابنه بدعائهما فقتلوهم أجمعين ورموهم فى الرسّ ميتين . فهؤلاء هم أصحاب الرسّ . فهلك حبيب النجار ودخل الجنة وهلك قومه وادخلوا النار . فهذا القصص يدعو للاعتبار بالأمم البائدة والأجسام الهامدة إذ كفروا فبادوا وكتبت آثارهم ووعيت أحوالهم وحفظت فى كتاب ليوم المآب . فما أجدر العباد بالحسرة ! جهلوا الرسل . ومصير الدول . إن كل إلا لدينا لمحضرون . والئن لم يؤمنوا بما يسمعون . ولم يعقلوا مايقرؤن . فى الكتب السماوية . والأخبار المروية . والكلمات اللفظية . والجمل الحكمية . فهلادرسوا الكلمات العالية . والعلوم الشافية مما كتبناه بأيدينا فى طروس السموات وألواح الفلوات وفوق الجبال الراسيات وتحت البحار الجاريات وهو المقصد الخامس وهو حكمة الحكماء ودرس الكبراء وأدب العلماء

﴿ المقصد الخامس ﴾

(ـ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ـ الى قوله ـ وكل فى فلك يسبحون ـ)

ألم ترَ الى الأرض اليابسة أنزل الله عليها الماء فنبت زرعا وشجرا فكان الحبّ والثمر والجنات والأعناب وتفجرت الأرض عيونا . وفى الأرض أزواج النبات والحيوان والانسان فمنها الذكران والاناث وما من نبات إلا وفيه ذكر وأنثى كما يرى فى الذرة والقمح كما تقدم فى الفاتحة . ومن عجب تفجير العيون من الجبال . ألم تر كيف برد الماء فى الجبال فصار ثلجا فكبر حجما فضغط الحجارة فانفجر ماء . ذلك ان الجبال مخازن للماء والعين بزبازها وصبورها والوادى مجراها والأشجار والنبات منتهاها . وانظر الشمس والقمر والليل والنهار كيف نظم الميقات وحفظ الحساب . واذا سلخنا النهار عن الليل بدا عاريا وظهر أسود قاتما . وترى الشمس جارية الى مدارى السرطان والجدى وهما منتهاها . والقمر يجرى فى ثمان وعشرين منزلة لايتقدم عن وقته ولايتأخر عما رسم له فهو أبدا مسخر مطيع بجريه السريع وكيف غفل الانسان عن الحساب وسها عن درس الميقات

حكم نسجت بيد حكمت ☆ ثم انتسجت بالمنتسج

ما للناس يعيشون ولاينظرون وان نظروا لايذكرون وان اذكروا لايدرسون وان درسوا لايحسبون وان حسبوا لايتغلغلون فى باحات العوالم العلوية والسفلية . الشمس طالعة غاربة . والقمر فى ذهاب وإياب . فهلادرسوا علم الفلك وفهموه واطلعوا فى الأرصاد فكشفوه . إذن يعلمون أن الشمس لاتدرك القمر فى دورانه ولايسبق الليل أوانه . فالليل والنهار بحسبان . والشمس والقمر يسجدان . ألاترى أن الشمس فى جريها دائبة على قانون لاتتعداه . وسارة على صراط لاتتخطاه

انظر وفكر . أنت تعلم أن الفصول أربعة : الخريف والشتاء والربيع والصيف . وأول فصل الخريف في نصف شهر توت في برج الميزان إذ يستوى الليل والنهار في المقدار وهناك يزيد الليل أبدا نصف درجة وهودقيقتان حتى اذا حلت ركائبها بساحة العقرب وزفت بموكبها الى باحات القوس والأول في نصف بابه والثاني في نصف هاتور فهنالك يزيد الليل كل يوم في الأول ثلث درجة وفي الثاني سدس درجة فتكون الزيادة إذ ذاك ثلاثين درجة وهي ساعتان : ساعة في الميزان ، وساعة في العقرب والقوس وتنتهي الشمس إذذاك الى أول فصل الشتاء زمن يكون فيه الليل أربع عشرة ساعة والنهار عشر ساعات ، وهناك يبتدئ فصل الشتاء في منتصف كيهك فيتدرج الليل في النقص والنهار في الزيادة ، فسدس درجة كل يوم الى منتصف طوبه وثلث الى منتصف أمشير ونصف الى منتصف برمهات وقد تنقلت في هذه الأبراج على التوالي وهي الجدي والدلو والحوت . وهناك يتساوى الليل والنهار وتحل الشمس ساحة برج الحمل وهناك تسمى الشمس الكبيرة ، واذا نزلت البرج قبله وهو الحوت سموها الشمس الصغيرة إذ يكون الليل ثلاث عشرة ساعة ، وبحلول الشمس في الحمل يبتدئ فصل الربيع ويزيد النهار نصفا فثلثا فسدس درجة على التوالي في البروج الحمل والثور والجوزاء من نصف برمهات الى نصف برموده الى نصف بشنس الى نصف بؤنه . وهناك تكون الشمس في مدار السرطان ويبتدئ فصل الصيف ويأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة بسدس فثلث فنصف درجة من نصف بؤنه الى نصف أبيب الى نصف مسرى الى نصف توت في الأبراج الآتية وهي السرطان والأسد والسنبلة ـ ذلك تقدير العزيز العليم ـ وهذا الحساب تقريبي في القطر المصري

فالشمس لاتفتأ تسير على هذا النمط لاتتعداه من يوم خلق الله السموات والأرض الى الأبد وهذا معنى سجودها لله . فالشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان . ألا تعجب كيف سارت الشمس على هذا النظام فلا يتغير سيرها ولم تستأخر لحظة ولم تستقدم دقيقة بل جرت جريها المعروف أبدا وأمدا الى يوم يبعثون أليس الذي حسب نظامها وقدر جريها محيط بأعمال العباد ؟

وذلك قوله تعالى هنا ـ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ـ الى قوله ـ ومتاعا الى حين ـ واذا لم تقو بصائركم على الاعتبار بكواكب السماء وسياراتها وشموسها وأقمارها ، فها كم دلائل مما تعملون لتكون أقرب لأفهامكم وأسرع لعقولكم ، فانظروا الى السفن كيف أقدرناكم على صنعها ، وجرت كما يجري السمك في البحر ، وعلمناكم كيف وزنتموها بالخيزرانه (الدفة) فقامت مقام ذيل السمكة حتى تسير يمينا وشمالا ، وكيف عرفتم قاعدة (أرشميدس) التي بها تحملون السفينة ماتطيق حتى لايزيد جرمها وحملها عما أزاحت من الماء في جريها ، ولولا ذلك لغرقتم ولكنا نجيناكم في أسفاركم كما نجينا آباءكم الأولين من الغرق مع الظالمين وهكذا فعلنا معكم في طياراتكم أفلا تعقلون

﴿ المقصد السادس ﴾

(ـ واذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم ـ الى قوله ـ ألم أعهد اليكم يابني آدم ـ) .

يقول بعد أن عدد النعم التي خلقها . والحكم التي أودعها . والعجائب التي أبدعها . انهم معرضون لايسمعون الناصحين . ومهما رغبوا في الانفاق على ذوي الاملاق احتجوا بالقضاء وقالوا أليس ربكم أقدر على الاطعام وأرحم بالأنام . وجهلوا أن الحياة اختبار والدنيا امتحان وابتلاء فنحضرهم للحساب ونأخذهم بغتة وهم في شقاق وسباب متخاصمين فتأتيهم الساعة بغتة وتحل بهم الحسرة فلا يودعون حبيبا ولايوصون بمال ولايرجعون الى أهلهم بحال . ثم يقومون وهم من كل حدب ينسلون وآخرون في الجنة ناعمون فلهم فيها مايشتهون من الثمرات والملذات وما تسر به أفئدتهم من اللذائذ المعنوية من سلامة وسلام . وهنا آن توبيخ الكافرين على التقصير وهو :

﴿ المقصد السابع ﴾

إذ قال ـ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ✲ ألم أعهد إليكم يابنى آدم ـ . فى هذا المقام امتاز المؤمنون من المجرمين وفرّع سبحانه الكافرعلى أن نبذ المعهود وكيف أضل الشيطان جبلهم (بتشديد اللام) فهلاعقلوا اضلاله ، هذه جهنم التى أغريتم بتكذيبها ، فاليوم صمت الناطق وهو اللسان ونطق الصامت وهى اليدان والرجلان ، ولما كانت عناية الله بالناس شاملة ، ولطفه بهم أعمّ ، أخذ يتلطف بهم فى الافهام ، ليدخل فى قلوبهم الايمان ، من طرق أقرب ، ومسالك أقصر ، مما يعملون و يشاهدون

فتعجب كيف قدّم فى أوائل السورة قصص أهل انطاكية إذ حاق بهم العذاب فى الدنيا ثم أتبعه بتبيان مبين من نظرة فى العوالم العلوية والسفلية ليعلم الانسان بالعقل بعد ازدجاره وازعاجه بالعذاب ، فهكذا ههنا أخذ يعيد الكرة بمنهج أقرب ومعنى أدق ، ذلك انه قابل أوّل المعنيين بأنه أقدر على طمس الأعين حتى لايبصروا ومسخ الصورفلايعقلوا ـ ولونشاء لطمسنا أعينهم ـ الخ

يقول : ليس العذاب قاصرا على إهلاك أمة وابادة قبيلة . كلا. بل يتناول تشويه الأعضاء وطمس العيون ومسخ الصور ومحوالعقول كما نرى فى الأمم التى عمّ جهلها فقلّ خيرها وزاد شرّها فانهم ذووصور مشوّهة الباطن وان كانت حسنة الظاهر . ولما كان تصوّر ذلك عسرا على العامّة صعبا على الجهلة قرّبه بعد ذلك بماهوأوضح محجة وأبين حجة فقال : ـ ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلايعقلون ـ إنا قادرون أن نمسخ صورهم كما غيرنا صورالمعمرين ونعكس صورالعقول فتذل الأمّة وتعيش فى خزى فلاتموت فى الدنيا ولاتحيا وهذا هلاك أدنى كالهلاك الأبدى الجسمى فى أهل انطاكية . ولاجرم أن فى هذا القول تصويرا للمعقول بوصف المحسوس وايضاحا وارشادا فلذلك نفى أن يكون القول شعرا والنبىّ ﷺ شاعرا ، فالشعر فى الأكثر لم يكن لمثل هذه الأغراض الشريفة ـ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ـ يفهمه العاقلون الأحياء ويجهله الغافلون الأموات ، ثم قابل ثانيهما بذكر الأنعام وملكها وصوفها ولبنها وركوبها وتذليلها . فمن لم يعقل النظام العام من شمس وقمر وأرض ونهر مما لايعقل نظامه العالى إلا الأذكياء . فلينظرفيما يزاوله من دابة يركبها وبهيمة يحلبها . أفليس ذلك يكفى دليلا على وحدانيته وبرهانا على قدرته . فأين الأصنام الميتة والأوثان الجامدة ؟ تالله لايستطيعون نصرهم ولايملكون نفعهم

ولم يبق إلا أدق الأدلة على الميعاد ويوم الجزاء فضرب له ﴿ مثلين دقيقين ﴾ مثلا من الأنفس الانسانية ومثلا من أعمالها اليومية . فالأوّل أن التراب صار رجلا والطين صوّرعقلا . أليس ذلك عجبا ! والثانى ترتب عليه فكان نتيجة ذلك أن الأجسام الانسانية كالأشجار النباتية لها صورظاهرة وأنوار باطنة . ولكم قدحتم الزندة والزند من الأشجار لاسيما المرخ والعفار فأدرتم غصنا من المرخ فى نقرة نقرتموها فى غصن من العفار حتى أحدثت الحركة حرارة فاتقد شرارة فأنتم منه توقدون . وهل يعسرأن تتصوّروا أن فى أبنيتكم الجثمانية نفوسا نورية يكون لها شؤن وأى شؤن كما انقدت النار من شرر العفار ونفعت أمما وكانت متاعا للمسافرين ونضجا للمجين . واصطلاء للمشتين . وتسخينا للماء . وزجرا للقطار والسفن فى البحار . واذا كانت الأشجار كالمرخ والعفار والزناد من الأحجار قد فعلت عظيما و بقيت أجسامها بعدذلك كثيرا فمابالكم بالانسان ؟ أفلايرى أن له نفسا باقية وروحا خالدة ستلقى جزاءها . على أن الذى خلق الأرض والسموات قادرعلى أن يحيى الأموات فمالكم لاتعقلون ! إن كانت القدرة على الاحياء يعوزها كثرة الأعمال وضخامتها فهذه السموات والأرض أودقتها فهذه النار فى الأشجار أومزاولتها من قبل . فهاهى أجسامكم كانت مخلوقة من قبل وهو على إعادتها قادر فلم يبق إلا الاجلال والاعظام والاتصاف بالاعتراف ـ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون ـ

﴿ آيات العلوم فى هذه السورة ٢٤ آية ﴾

من قوله تعالى ـ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ـ الى قوله ـ ومتاعا الى حين ـ وقوله ـ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما ـ الى قوله ـ واليه ترجعون ـ آخر السورة

هذه الآيات (٢٤) تشير الى هذه العلوم : (علم الزراعة . النبات . البساتين) وفى قوله ـ مما لا يعلمون ـ الحث على البحث فى العالم عما لم يعلم من الحيوانات المكروبية والنباتات الخفية ، وهكذا الكرات البيضاء والحمراء فى دم الجسم وغير ذلك وعلم النفس وعلم التشريح ـ ومن أنفسهم ـ وعلم الهيئة وعلم التقويم وبناء السفن والخطوط البحرية ومعرفة الجهات لسير السفن والنجوم والتيارات البحرية وخطوط البحار وكل آلات السير من الآلات الجارية كالقطرات الجارية بالبخار والكهرباء ، وذلك فى قوله ـ من مثله ما يركبون ـ وعلم الأنعام وتربيتها

﴿ آيات الأخلاق ﴾

ليس فيها آيات خاصة بالأخلاق إلا بطريق الاشارة والتلويح

﴿ آيات الأحكام ﴾

من قوله تعالى ـ أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ـ الى قوله ـ واليه ترجعون ـ

هذه آيات احتج بها الله تعالى على منكرى البعث فدحض دعواهم وأثبت أن من قدر على الابتداء فهو على الاعادة أقدر ، وهذا دليل على أن رد الشبهة مشروع فان القرآن بالحجج كالبحر الزاخر لا يذر اعتراضا لملحد ولا نكرانا لجاهل ، بل يصدع بالحجة ويدحض الباطل ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فلا جرم أن حرب اللسان والقلم أقوى من وخز السنان ، وطعن الصارم ، وفتك المدفع ، وحصد الديناميت ، يطيع بها العاصى ، ويدنو بها القاصى ، وتخبت لها القلوب ، وتخضع لها النفوس

فعلى قادة الأمة نشر الفضائل ودحض النقائص واذاعة أخبار الخير والشرف عن هذه الأمة ودينها واقامة الحجج على فضلها ، فعلى كل امرئ أن لا يذر فرصة حتى يلهج بمحاسن الدين ويذب عنه فى شرق الكرة الأرضية وغربها ، وليعلم الصغار وهم فى حداثة سنهم كى ينشروه وهم مستبشرون . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع ﴾

(فى عجائب العلوم التى تشير لها هذه السورة)

﴿ معنى ـ يس ـ ﴾

اعلم أن (يس) حرفان ذهب العلماء فيهما كل مذهب . فقال ابن عباس رضى الله عنهما : « معناه يا انسان فى لغة طيئ » ويقول غيره يا محمد ، وقد علمت فى سورة آل عمران أن هذه الحروف جاءت فى القرآن لتذهب العقول فيها كل مذهب لا تختص بطائفة دون طائفة . ولقد ذكرت لك آنفا أن هذه الحروف تحليل الكلمات ، وليس فى العالم المشاهد إلا اثنان العناصر والحروف . فالعناصر منها تكون المركبات من حيوان ونبات وشمس وقمر والحروف منها تكون الكلمات والجمل والخطب والنثر والنظم

هذا ملخص علوم الانسان على هذه الأرض . فهذه الحروف المذكورة فى أوائل السور تبلغ ١٤ حرفا وهى نصف الحروف الثمانية والعشرين وقد تقدم هناك ايضاح حكمتها . والذى يهم فى هذه السورة بيان أن ذلك اشارة الى أن الحروف قد حللت اليها الكلمات كما تحلل المركبات الى عناصر . وكأن الله يقول لنا تأملوا الجمل والآيات أليست من حروف ؟ وهل تعرف الجمل إلا بتحليلها الى كلمات ؟ وهل تعرف الكلمات صرفا واشتقاقا وكتابة إلا بمعرفة حروفها

هذا فى علوم اللغات . أما فى علوم الآفاق المشاهدة فكذلك إذ لا يعرف علم إلا بمعرفة حقائقه وارجاع مركباته الى أصولها كما ترى فى هذه السورة فان خروج النار من الشجر الأخضر يرجع الى علم الكيمياء وهو من العلوم الطبيعية . وتقدير القمر منازل يرجع الى علم الفلك وهو من العلوم الرياضية . يقول الله لنا لا علم للناس إلا اذا حللوا المركبات فى كل شئ . فيحللون المسائل الحسابية والهندسية والفلكية وكذلك المركبات الطبيعية

﴿ الكلام على قوله تعالى ـ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ـ ﴾

انظر فى هذه الآية وتأمل كيف يقول الله للناس وهم لا يزالون فى بداوتهم وأول تطورهم . انظروا واعرفوا ما تزاولونه من أعمالكم

أيها الناس : تأملوا فى العجائب البارزة أى التى سبقت فى خواصها بحيث تلتفت اليها الأنظار . انظروا شجر المرخ والعفار كيف يكون الغصنان منهما يقطران ماء فاذا حك أحدهما فى نقرة من الآخر اشتعل نارا . أليس هذا من العجب أن تروا النار والماء معا ، وكيف يجتمع الضدان الماء والنار . إن هذا الاجتماع يدعو الى الفكر فان التعجب أول العلم ومن تعجب من شئ فهو مشتاق اليه ومن اشتاق طلب ومن طاب نال ونظير هذا الأحجار فاذا حك حجر على آخر انقدحت منهما نار وظهر شرر . أمر الله الناس بالنظر فى هذا استدلالا على سعة قدرته وحث الناس قبل ذلك على الاعتبار بما ينتفعون به من دواب للركوب وأخرى لمنافع ومشارب وأمر بالشكر عليها ووبخ من لم يشكر

﴿ البدو والحضارة ﴾

كل ذلك والقرآن يقرأ فى بادية العرب عند قوم أميين فى حال البداوة . يأمرهم أن يستخرجوا البراهين من العجائب التى يرونها و يشكروا على كل ما انتفعوا به . هذا هو شأن القرآن . يخاطب الأميين . انظر ماذا حصل بعد ذلك . تطورت الأمة العربية خصوصا والاسلامية عموما . فماذا جرى ؟ انتقلوا من البدو الى الحضارة

كان الافتاء أولا من صدور الرجال وفهم القرآن . كثر الناس . سكنوا المدن . نظموا الممالك والبرد والقضاء فاضطروا الى التأليف والتصنيف ودونوا الدواوين واختلفت طرق الاجتهاد فكانت مذاهب متشعبة كأغصان شجرة فيها الورق والزهر . ذلك كله فى علم الفقه المستمد من آيات لا تزيد على مائة وخمسين آية فقد ألف فيه مؤلفات ملأت خزائن وخزائن فى بغداد وقرطبة ومصر وحلب . لماذا ؟ لأن الفقه اضطر له الناس ليحفظ أحوالهم الاجتماعية . فهو فى دين الاسلام كجسم والجسم مقدم النظر فيه على النظر فى الروح . وروح بجسم ضعيف ضعيفة وأمة بلا قانون مشتتة . تمادى الناس فى الفقه واختص بالبحث فى العالم وعجائبه أناس ودونوا الكتب ولكنهم لم يكونوا فى الكثرة ولا فى نظر العامة كالفقهاء

نبغت الأمة الاسلامية فى الفقه تبعا لنمو الحضارة حتى أمكن أن يستنتجوا من آية واحدة وهى قوله تعالى ـ فاعتبروا يا أولى الأبصار ـ ربع علم الفقه وهو القياس . جل الله وجل العلم هذا شأن آياتنا فى علم الدين ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ سياج علم الدين وجسمه

أما روح الدين الاسلامى فهى الأخلاق والعلوم الكونية . والدليل على ذلك أن الأخلاق نحو (٧٥٠) آية وكذلك العلوم بل ان القسمين الأخيرين يشملان أكثر القرآن . فالقصص كلها أخلاق من حيث نتائجها وعلوم . لم يحث أكثر العلماء فى القرون الأخيرة على علوم الأخلاق ولا علوم الآفاق . عرف آباؤنا الصوف والشعر والوبر والزناد وكلهم الله فقال انظروا . تحضر آباؤنا . نظموا المدن . فتحوا مصر والشام وشمال بلاد افريقيا . ولما فعلوا ذلك كله ملكوا الأندلس . ملكوا الهند والفرس . واتسع الفقه باتساع الملك فكان مقتضى القياس أن يتسع علم الكائنات و ينتقل من لبن البقر وصوف الغنم ووبر الابل وزناد المرخ والعفار الى جميع العلوم الكيمائية والطبيعية كما اتسع علم الفقه من القضايا الأولى المذكورة فى القرآن كآية المواريث

وآية

وآية الدين وآية الوضوء والصلاة والزكاة الى كتب ضخمة هائلة وعلماء خصصوا لذلك كان القياس أن يكون للعلوم الكونية من طبيعة وفلك ورياضة وسياسة رجال أكثر عددا من علماء الفقه ، ذلك لأن هذه العلوم بها يكون الغذاء والدواء والحياة ، فأما علم الفقه فهو ضابط لما هو موجود ، فعلم الفقه لحفظ ماتملك ولكن لاتملك شيأ إلا بهذه العلوم ، ومامثل الأمة التى تدرس الفقه وتنسى العلوم الأخرى إلا كمثل من يتغذى بالدواء . إن الدواء ليس غذاء ، فذلك يعيش مريضا ، لذلك ولغيره اضمحلت الممالك الاسلامية فى أقطار الأرض ، ولكن الله عز وجل لم يخلها من علماء قاموا بالأمر لاسيما المسيحيين والفارسيين فقد نبغ كثير منهم فى تلك العلوم ، ولما آذنت شمس المسلمين بالغروب انتقل علم آبائنا فى ذلك الى أوروبا والذى نقله هو الله ، نقل البذرة فنمت هناك وأزهرت وأثمرت ، فعل الله ذلك لأنه هو المهيمن على أهل الأرض وكلهم عباده وهو الذى يعلمهم فلما انحطت دولنا فى الشرق نقل علمنا الى الغرب فلما تم العلم هناك أخذ الغرب يطغى علينا وجار بنا بثمرات علوم آبائنا والله هو الذى سلطهم علينا رحمة منه بنا لأننا ان كنا أهلا للحياة اشتقنا فقرأنا فنبغنا وهو المقصود ، وان كانت الأمة لم تستعد لذلك فانها تهلك والعياذ بالله تعالى ، فموت البليد راحة له ولأهل الأرض ، وحياة الذكى نفع له ولأهل الأرض . فمن هذا ترى أن شكوى الشرق من الغرب خطأ لأن الله هو الذى سلطهم وانما سلطهم لرحمتنا إما بحياة علمية واما بموت على شهادة . فأما اذا كان غير ذلك فيكون الناس فى الأرض أشبه بمن فى جهنم لايموت فيها ولايحيا

﴿ علوم الآفاق فى مستقبل الزمان فى بلاد الاسلام ﴾

علمت أن أهل البادية من آبائنا كفاهم نظرهم العلمى فيما كان بأيديهم من منافع وآمنوا ووحدوا وجاهدوا وملكوا الأقطار . لماذا ؟ لأن الفطر السليمة فى البادية أقرب الى الكمال لم تدنسها الفطر المدنية فلذلك قنعوا بما حولهم من علوم المادة فكان العلم بما حولهم كافيا لايمانهم كما كانت حاجاتهم المعيشية البسيطة كافية لأغذيتهم الجسمية . ولاجرم انه على مقدار انتشار المدنية واتساع المدن يحصل ﴿ أمران ۞ الأول ﴾ كثرة الحاجات فتنشأ الصناعات الكثيرة والعلوم العظيمة ﴿ والثانى ﴾ أغشية العقول والشهوات والرذائل وأمراض الأخلاق التى تتكاثر بكثرة المدنية . فهذان أمران متناميان معا : كثرة الحاجات الجسمية فى المعيشة . وتطلب العقول لحل المعضلات وازالة الشكوك التى يولدها الترف والنعم وانتشار الآراء المضلة التى لايعرفها أهل البداوة . واذن ترى أهل المدن مضطرين للعلوم الآفاقية لترقية المدنية والحاجة لها ولتنمية العقول وارتقائها . ولما مال الميزان فى الأمم الاسلامية ولم تتزن القوى العقلية والقوى الجسمية فيها انحطت كلها إلا قليلا . فترى المسلم أينما حللت فى الشرق أوالغرب موصوفا بالظرافة لما اشتهر فى علم الفقه من الوضوء والصلاة ولكنه مشتهر بأنه جاهل . ولذلك لما رحل العلم الى أوروبا رجعت الينا تعاقبنا على جهلنا . العقاب من الله . فأوروبا تغار بنا وتحتل بلادنا لمنافعها وهى لاتعلم أن الله أرسلها رحمة منه لنا لنستيقظ لهذا الكتاب الذى نؤمن به ولندرسه حق دراسته . ومن دراسته دراسة هذه السورة وفيها أن النار تتقد من المرخ والعفار ومن هذه مع حرفى الياء والسين وأمور أخرى سيرجع للاسلام كرة أخرى مجده وعلومه . وسيكون فى هذه الأمة من يقرؤن هذه العلوم على أنها دين بل هى روحه وهى أصل التوحيد

﴿ محاورات بين المؤلف و بين أحد العلماء ﴾

حضر اليوم وأنا أكتب هذا صديق حميم من أهل العلم . فقال : لقد أطلت فى مسألة الشجر واتقاده نارا وأدخلت كل شئ فى شئ واحد وهذا بعيد المنال ليس مما يعتاد احتماله ولايقبل أمثاله . قلت : إن اتقاد النار فى الأشجار رطبة أوغير رطبة من الظواهر الكيماوية . فقال مامعنى كيماوية ومامعنى طبيعية . فقلت : اذا تنوعت صفات الأجسام بتأثير مؤثر ما كالحرارة والكهربائية أو بتأثير بعض الأجسام . فهذا التنوع يسمونه

(ظاهرة) فان غيرهذا التنوّع طبيعة الجسم وحوّله من حال الى حال سميت الظاهرة كيمائية . وان لم يغير طبيعته سميت ظاهرة طبيعية

فاذا أخذت قطعة من السكر ووضعتها فى الماء فانها تذوب فيه وتصير سائلة بعد الصلابة ، فاستحالة قطعة السكر من الصلابة الى السيولة ظاهرة طبيعية لأن طبيعة السكر لم تتغير لأنك اذا وضعت الماء الذى ذابت فيه قطعة السكر على النار رأيت الماء يتصاعد ويبقى السكر كما كان قبل ذوبانه ، واذا وضع السكر على الجمر المتقد مباشرة فانه يحمر وتشم منه رائحة الخبز المحرق . فهذا التنوّع يسمى ظاهرة كيمائية لأنه غير طبيعة السكر واذا حلّ السكر فى الماء المضاف اليه عصير الليمون وسخن المحلول فانه يصير مادّة طعمها حلو سكرى تركيبها يخالف السكر المعتاد وهذه المادة تسمى (جليكوز) وهى تكون فى جميع الثمار السكرية الحضية . فاذن استحالة السكر المعتاد الى (جليكوز) بتأثير عصير الليمون يسمى أيضا ظاهرة كيمائية . فمعرفة الظواهر الطبيعية فى علم الطبيعة ومعرفة الظواهر الكيمائية فى علم الكيمياء

فقال صديقى : فمن أيهما مسألة النار فى الشجر . قلت من الظواهر الكيمائية . قال : إذن تريد أن تستمر فى شرح الامور الكيمائية . قلت : نعم مايناسب منها المقام . قال : ولكن المعلوم أن علم الكيمياء علم غير لذيذ وليس للطالب إلا أن يحفظه عن ظهر قلب ففائدته غير موجودة ونحن الآن فى تفسير القرآن . واذا كانت المسائل الكيمائية تصعب على طلابها فما بالك بطلاب التفسير . فقلت : اعلم أيدك الله أن الكيمياء وغيرها اذا درست فى التفسير فانها لاتدرس إلا بطريق مشوّق لجاهلها محبب للاطلاع عليها . ألاترى الى المثل « ليست النائحة كالثكلى » فذكر مسائل من هذا العلم هنا على سبيل عرض مناظر الجمال العلمى والنور الالهى والحكمة العالية فما أشوق الطالب حين يطلع على ماسأورده الآن من جمال وبهاء ونور وعرفان

﴿ نظرتى لهذا العالم وأنا طالب بالجامع الأزهر ﴾

إنى أتذكر اليوم ما كان يجيش بخلدى ويهجس فى نفسى إذ كنت طالبا بالجامع الأزهر ، فلقد كنت أقف على شاطئ نهر يسمى (أبا الأخضر) بالشرقية قرب قريتنا وأتأمل الأوراق والنسمات تهبّ بهنّ مترنحات ذات اليمين وذات الشمال

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ✲ ذهب الأصيل على لجين الماء

فلقد كان يخيل الىّ أن فى تلك الأوراق أسرارا ويخيل الىّ انها تكاد تتحلل أمامى وكأنها مملوءة حكمة محجوبة عنى وكأن قلبى يتقد نارا من الشوق الى معرفة عجائبها وهو يحسّ كأنها تتوهج وتضىء وكأنها تنطق بلسان الحال بأنها ذات أسرار لايعرفها الا العالمون . كذلك كنت أنظر الى النجم وأقول :

النجم أخبرنا بأن وراءه ✲ حكما تجلّ عن العقول وتعظم

بعد ذلك دخلت مدرسة دار العلوم . فلما اطلعت فيها على أثارة من هذا العلم انشرح صدرى وكأنى أعطيت ملكا وكان ذلك أعظم بهجة لنفسى وسرورا وحبورا

﴿ ايضاح المقام وتفصيله بالمثال ﴾

فهذه العلوم ان درست مجرّدة من الحكمة النظامية كانت صعبة المنال وان درست على انها جمال وحكمة وبهاء فان العقل يألفها ويعشقها ويراها سعادته . فلأذكر لك الآن من عجائب الكيمياء مابه تقرّ عينك ويثلج صدرك فأقول :

لقد قرأت فى السورة أن الله يأمر بالنظر فى الأنعام وأصوافها وألبانها وفى الأشجار ونارها ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يقول انظروا فى كل ماحولكم فى السماء والأرض . فهل ذكر الله ذلك للاقتصار عليه ؟ كلا . ذكر ماهو موجود عندهم . فلننظر نحن الى كل مانعلم مما حولنا . يذكر الله أن الشجر اتقد فصار نارا . وماهى النار

إن هى إلا اتحاد عناصر الخشب والفحم وغاز الاستصباح والبترول والزيت وغيرها بالمادة التى فى الهواء المسماة (الاكسوجين) فهذا هو الاحتراق ، فاذا رأيت مصباحا متقدا بالبترول أو بالزيت أو رأيت نارا متقدة فى خشب أو فحم فمعنى ذلك أن أكسوجين الهواء قد اتحد مع تلك المواد فحصل تفاعل وهذا التفاعل أنتج الحرارة والضوء ، فالنار إذن من التفاعل الكيمائى وهى ظاهرة كيمائية ، وما الاكسوجين ؟ الاكسوجين غاز عديم اللون والطعم والرائحة يسيل بضغطه ضغطا عظيما وتبريده تبريدا شديدا ، وهو أثقل من الهواء قليل الذوبان فى الماء ، واذا وضعت قطعة من الخشب متقدا طرفها فى غاز الاكسوجين النقى فانها تلتهب حالا وكذا الفحم فانه يحترق بلمعان شديد ويزول بسرعة ، فهذا الذى رأيته يسمى احتراقا حادا فما ذكره الله فى الآية من الاحتراق الحاد

﴿ الاحتراق البطىء ﴾

اذا وضعت الحديد فى الهواء الرطب اتحد بالاكسوجين المذكور فاستحال شيأ فشيأ الى صدإ أى الى مركب أكسوجينى للحديد ، فاذن الحديد الذى ركبه الصدأ مركب من حديد وأكسوجين ولم تظهر حرارة ولا ضوء لأن الحديد بطىء الاحتراق بخلاف الخشب والفحم والزيت ، فرجال الكيمياء يرون أن الخشب الملتهب والحديد الذى ركبه الصدأ كلاهما فى احتراق ، أما الأوّل فهو حادّ ، وأما الثانى فهو بطىء

﴿ تنفس الحيوان من الاحتراق ﴾

لقد علمت أن الحديد الذى صدئ يحترق واحتراقه بطىء هكذا قل فى نفس الحيوان ، إن الحيوان يأخذ بالشهيق الهواء فيدخل فى الرئتين ويترك هناك الاكسوجين وتأخذه الكرات الدموية وتنقله الى الأوعية الشعرية ، وهذا الاكسوجين يتحد بالكربون والايدروجين اللذين فى الأنسجة فيتكوّن من هذا الاحتراق جسمان لا يصلحان للبقاء فى الجسم فينقلهما الدم الوريدى الى الرئة ويخرجان منها بحركة الزفير فكأن جسم الانسان أرض سقيت بماء النيل ومابقى من الماء الذى يضرّ الأرض يصفى من جهة أخرى وهذا هو الذى تمّ فى الاكسوجين ، يتحد بالمادة الكربونية وبالمادة الايدروجينية فتكون الحرارة فى الجسم مستديمة بهذا الاتحاد ، ومانشأ من مادة فاسدة يكون أشبه بالفحم بعد احتراق الخشب ، فذلك يلفظه الجسم بواسطة الدم الوريدى ويخرج فى النفس على هيئة موادّ تقع على المرآة اذا تنفس فيها الانسان فيغطيها بطبقة تحجب المناظر عن العيون ، ذلك هو ماتخلف من الاحتراق من الموادّ الكربونية مع غيرها كما نرى فى أعمالنا اليومية

فانظر أيها الذكىّ كيف كان الاكسوجين قوام الاحتراق فى مسألة الشجر والنار ، وكيف كان العلم لا يفرق بين الشجر المتقد نارا فى الآية والحديد الذى صدئ وجسم الانسان والحيوان وهو دائما يتنفس . فاذا كان الشجر يتقد نارا فالجسم الانسانى اليوم يتقد نارا بطيئة والحديد الذى صدئ كذلك وهذا كله لم يعرف إلا بتحليل المادة الى عناصرها وفهمها كما فهمنا اللغة بتحليلها الى حروفها . كل هذا يؤخذ من هذين الحرفين (ياء وسين) . فذكر هذين الحرفين فى أوّل هذه السورة يتضمن هذه العلوم . يتضمن أن يدرس المسلمون الكيمياء وجميع العلوم . لا درس لعلم إلا بتحليله كما ستراه . فانظر كيف ظهرت الخواص بالتحليل كما عرفت الكلمات بالتهجية

فلما سمع صاحبى ذلك . قال : ان هذا العلم لذيذ وشهى وانى سمعتك تقول الآن انه كان يخيل لك أن أوراق الشجر كانت تكاد تتحاتّ أمامك وكأن فيها أنوارا . فهل عرفت من هذا شيأ ؟ فان كان كذلك فأرجو الاسهاب فى هذا المقام . قلت : انظر شعر القطن وحب القمح وحب الشعير وحب الذرة وحبّ الفول والبطاطس والقصب والبرسيم والصابون اللين وملح البارود والنطرون والزجاج . انظر الى هذه المواد وهى ثلاثة عشر وتأمل فى عجب من عجائبها . ان البوتاسا تدخل فى القطن (٥ر٥) من المائة وفى حب القمح ٥ر٣١

وفى حب الشعير ٢١ وفى الذرة ٣٧ وفى الفول ٤٢ وفى البطاطس ٦١ وفى القصب ٢١ وفى البرسيم ٣٤ وترى الصودا تدخل فيما تقدم بنسب تختلف عن هذه ، مثلا تدخل فى شعر القطن (٥ر٣) تقريبا وفى حب القمح (٢٦ر٢) فى المائة وفى حب الذرة (٣) وفى حب الفول (٣ر٣) من المائة ، فاذن كل هذه المواد دخل فيها البوتاسا والصودا ، ثم ان الصودا تستعمل فى الصنائع لتحضير الزجاج والصابون وبها تبيض الأقمشة القطنية وتستعمل فى المنازل لغسل الأوانى وتنظيفها

فقال صاحبى : أنا لا أدرى ماهى الصودا ، هذا كلام معمى علينا فكيف تقوله فى تفسير القرآن والقرآن سهل ومثل هذا صعب لا يعرف إلا فى الأجزاخانات (الصيدليات) . فقلت له : الصودا هى النطرون وهو يوجد فى بلاد المجر وفى القطر المصرى . وترى فى بلادنا المصرية بركا يتبلور فيها النطرون فى الصيف . وقديما كان يستخرج من النباتات البحرية والآن يحضر من الملح المعتاد الذى يسمى كلورور الصوديوم والصودا المذكورة أو ملح الصودا الذى منه النطرون عبارة عن كربون وأكسوجين وصوديوم أعنى انه من المادة الفحمية والصوديوم والاكسوجين المعروف اتحدت فكونت هذا الملح . قال : وما الصوديوم وما صفاته ؟ فقلت : الصوديوم فلز لين ذولمعان فضى يصهر فى الهواء من غير أن يلتهب . واذا ألقى فى الماء اصطهر وتحرك بعضه على بعض فوق سطح الماء وهذا التفاعل يحصل نظيره فى البوتاسيوم كما سيأتى وهو يكون فى الحبوب التى نأكلها المذكورة ودخل فى القطن الذى نلبسه . كل ذلك فيه بوتاسيوم وفيه صوديوم . أما الصوديوم فهو من الأجزاء المركبة للصودا المذكورة . وأما البوتاسيوم فهو من الأجزاء التى تركبت منها البوتاسا المذكورة سابقا فان البوتاسا المذكورة أى الداخلة فى الحب والشعر وغيرها عبارة عن بوتاسيوم قد اتحد مع اكسوجين وايدروجين وتسمى (البوتاسا الكاويه) والبوتاسا جسم كاو شديد اذا لامس الأنسجة أحدث فيها استرخاء وأتلفها . ومن مركبات البوتاسا ملح البارود . إنك مهما قلبت نظرك فى المواضع الرطبة والحيطان الرطبة فى أراضى القطر المصرى والهند والعجم واسبانيا فانك تجد ملح البارود ظاهرا لاسيما فى المحال الخربة . فهذا الملح الذى فى تلك الأماكن مركب من الاوزوت والاكسوجين والبوتاسيوم المذكور . فهو إذن من مركباته

فالبوتاسيوم إذن داخل فى البارود وفى ملابسنا وفى ما كلنا واذا أردت أن تعرف صفاته قلنا انه جسم من الفلزات لونه أبيض فضى لماع لين كشمع العسل و يصهر على درجة (٥ر٦٢) و يتطاير على درجة دون الاحمرار ولون بخاره أخضر جيل وهو أخف من الماء و يتغير لونه بملابسة الهواء و يحلل الماء على الدرجة المعتادة فيحصل تفاعل بشدة . فاذا ألقيت قطعة من البوتاسيوم فى الماء فان كرات البوتاسيوم تحمر بسبب شدة ارتفاع الحرارة الناتجة عن التفاعل و يحصل التهاب . وترى بعينك كرات من البوتاسيوم يدور بعضها على بعض سابحة جميعها على سطح الماء . وهذه العملية يحصل بها استحالة البوتاسيوم الى بوتاسا وحينئذ ينقطع التصاعد فتسقط قطعة البوتاسا على الماء فيظهر بخار فجأة بسبب الحرارة وتحصل فرقعة

هذه ملخص أوصاف البوتاسيوم . انظر وتعجب . لقد عرفت البوتاسيوم الذى هو من أجزاء البوتاسا تلك البوتاسا التى تدخل فى تركيب الصابون و يدخل البوتاسيوم أيضا فى ملح البارود الذى هو مركب من البوتاسيوم ومن الاكسوجين ومن الاوزوت

انظر الى الصابون الطرى والى ملح البارود الذى تراه على الحيطان الرطبة والأماكن الخربة . وانظر الى ثوبك الذى تلبسه من القطن والى حب القمح وحب الفول والشعير والبرسيم . انظر هل يدور بخلدك أنها قد دخل فيها عنصر لو وضعناه على الماء اتقد نارا . هل كان يدور بخلد أحد أننا نلبس ثيابا محتوية على مادتين لو وضعتا على الماء اتقد نارا . الله أكبر . جل العلم وجلت الحكمة . نسمع أن البارود يهلك البلاد والعباد والبارود مركب من ملح البارود الذى فيه البوتاسيوم ومن الكبريت والفحم . البارود مركب من الفحم

الذى نوقده فى بيوتنا ومن الكبريت ومن ملح البارود وقد اختلفت الدول فى المقادير كما تقدم . ففرنسا تدخل من ملح البارود (٧٥) فى المائة وألمانيا (٧٤) فى المائة وانجلترا (٧٦) فى المائة فى تركيب البارود . البارود الذى فازت به أوروبا علينا وأتت وحاربتنا به ودخل فى تركيبه البوتاسيوم ، ذلك البوتاسيوم الذى اذا ألقى على الماء التهب الماء ، ذلك البوتاسيوم الذى هو من جملة الأجزاء المكونة لملابسنا القطنية والقمح والشعير والفول والبرسيم . جل الله . ما أجل العلم . انظر الى علم الكيمياء . لا لا . بل انظر الى سورة يس كيف ظهر من سرها هذا الجمال وهو التحليل تحليل الحروف فى أولها وتحليل الكيمياء فى آخرها . انظر كيف دخل البوتاسيوم ودخل الصوديوم هذان الجسمان اللذان يلتهبان فى الماء ، يلتهبان أشد من التهاب الشجر الأخضر ، أكثر من التهاب المرخ اذا حك بالعفار . جل الله وجل العلم . ما أبهج نور العلم وما أجل الحكمة . إن العلم ملأ السهل والجبل وعرفه الغربيون أما المسلمون فهم نائمون

أيها المسلمون : يقول الله سبحانه ــ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ــ ولعلكم سمعتم أن الله خلق ملكا نصفه ثلج ونصفه نار ، فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ، ذلك اشارة الى آثار صنعة الملائكة بأمر الله . ألم تروا كيف اجتمع فى ملابسنا جسمان ناريان مصحوبان بالماء

العجب فى هذين الأمرين : الأول ان البوتاسيوم والصوديوم يلتهبان فى الماء على الدرجة المعتادة وهذا عجب عجاب . هذا أعجب من اتقاد النار فى شجر أخضر . فهذا اتقاد فى ماء واتقاد الماء نارا أغرب . فاذا ذكر الله سبحانه الشجر والنار المتقدة فيه فههنا اتقاد فى الماء وهو أبدع وأعجب فى الحكمة الالهية كما قال ــ ويخلق مالا تعلمون ــ وكما قال فى هذه السورة ــ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ــ

أما الأمر الثانى فهذان الجسمان المحرقان . نحن الآن نلبسهما ونأكلهما لأنهما دخلا فى تركيب القطن والحب ونحن نغسل ثيابنا بأحدهما لأن البوتاسيوم الذى هو من أجزاء البوتاسا داخل فى الصابون الذى نغسل به أجسامنا وثيابنا وانما أكلناهما ولبسناهما لأنهما دخلا بمقادير قليلة فى الحب والقطن . دخلا بحساب بديع ونظام متقن فى أرزاقنا . أدخلهما الله بحسابه وترك لنا الحرية فى ادخال البوتاسيوم والمركب منه وهو ملح البارود فأدخلته الأمم مع الكبريت والفحم . ولكن ادخال الأمم له ليس كادخال الله له فى النبات . إن الناس أدخلوه بكثرة بحيث صار ثلاثة أرباع البارود . أما الله فانه أدخله بقلة . فاذن البوتاسيوم حياة لنا اذا قل وموت لنا اذا كثر والله جعله لنا حياة والناس تصرفوا فيه فجعلوه آلة للموت . وهذا هو السر فى هذه السورة

جعل الله الحروف مجزأة فى أولها وفى أول غيرها من السور لتعليمنا علم التحليل . فلم يبق للمسلمين عذر بعد هذا البيان . استدل الله بالنار فى الشجر على بديع حكمته واتقان صنعته مشيرا الى التحليل الكيماوى فى العالم . ثم رأينا المواد المحرقة من البوتاسيوم ومن الصوديوم منتشرة فى أكثر النبات ورأيناها مستعملة عند الأمم فى البارود . فهى مهلكة تارة ومحيية أخرى ووجدنا هذا كله لا يكون إلا بمعرفة العناصر الكيمائية وسرها وهذا هو سر (سورة يس) ✡ وقد ورد « قلب القرآن يس »

لقد ظهر أن فيها قلب العلوم وأسها وهو التحليل بالحروف فى أولها وبالعلوم الطبيعية والرياضية فى وسطها وآخرها . واياك أن تظن انها قلب القرآن بسبب هذا وحده بل هذا من جملة علومها فثبت مما تقدم ما يأتى :

(١) الصوديوم والبوتاسيوم باتصالهما بالماء تتقد نار كما اتقدت من احتكاك المرخ مع العفار

(٢) هما عنصران داخلان فى أغذيتنا وملابسنا بمقادير قليلة فكانت من أسباب حياتنا ومنفعتنا

(٣) هما داخلان فى البارود بمقادير كثيرة يستعملان لازالة الحياة

(٣) سورة يس أشار الله فيها الى ذلك التحليل بالحرفين الهجائيين فى أولها وبذكر اتقاد النار فى المرخ

والعقار انقادا كيمائيا فى آخرها أى ان العلوم كلها ترجع إما الى عناصر ان كانت طبيعية وإما الى حروف ان كانت لغوية ، وكلاهما لايعرف إلا بالتحليل واللغة مقدّمة وتليها العلوم

(٥) اذا زادت الكلمة حرفا أونقصت حرفا تغير المعنى وتغير الأثر فى العقول ، هكذا اذا زاد المركب عنصرا أوذرّة من عنصر أونقص عنصرا أوذرّة من عنصر تغيرت خواص المركبات ، وهذا مقصود لفظة (يس)

﴿ فائدة ﴾

(١) من مركبات البوتاسيوم السواريخ التى تظهر على هيئة مطر وتسمى سواريخ المطر فهى مكوّنة من البارود الناعم ومن الفحم الخفيف ومن عنصرين آخرين وهما الخارصين والانتيمون

(٢) ومن مركباته أيضا النيران البيضاء

(٣) والنيران الخضراء

(٤) والنيران البنفسجية

(٥) والنيران الحمراء

فمن البوتاسيوم حياتنا بالأغذية . وحفظ أجسامنا بالملابس ، وهلاك الأعداء بالمدافع والبارود وانشراح الصدور فى المواسم والأعياد بالألوان المختلفة للأمة . فجلّ الله الذى جعل ذلك كله فى معنى لفظ يس . بهذا يعرف المسلمون بعض سر هذين الحرفين ياء وسين

﴿ فائدة ثانية . ملح الطعام ﴾

الناس يأكلون ملح الطعام ويعيشون ويموتون وهم لايعلمون من أى شئ ركب . يعيش الانسان وهو يأكل الملح فى طعامه ولايدرى انه يأكل فى الملح جسمين متحدين : أحدهما نارى اذا ألقى فى الماء اضطرب وتحرك بعضه على بعض فوق سطح الماء كما يحصل فى البوتاسيوم . وذلك الجسم هوالصوديوم . فالصوديوم يلتهب فى الماء وينتهى بفرقعة

هذا أحد الجسمين . أما الجسم الآخر فهو الكلور وهوغازلونه الصفرة مخضر يؤثر بقوّة فى أعضاء التنفس فيحدث سعالا وتهيجا فى الأغشية المخاطية . واذا استمرّ تأثيره أحدث الموت والكلور يزيل المواد الملوّنة ويتلف الجراثيم المعدية والروائح العفنة التى تتكوّن فى التخمر العفن ويستعمل فى تبييض الأنسجة التى من القطن والكتان والتيل لاتلاف المواد الملونة . ويستعمل فى تبخير السجون والمستشفيات والمحال العفنة لاتلاف الجراثيم فيها والموادّ المسببة للعفونة . ولايستعمل الكلور لتبييض الصوف أوالحرير لأنه يتلفهما وهو يبيض عجينة الورق لأنه يزيل لون الخرق المستعملة فى العجينة . إن الذهب والبلاتين لاتؤثرفيهما الحوامض ولكن يؤثرفيهما الكلور فيتحد معهما ويسميان كلورورالذهب وكلورور البلاتين

﴿ الماء الملكى ﴾

الكلور يدخل فى التركيب الذى يسمى الماء الملكى وهوسائل أصفر يذيب البلاتين والذهب فيتكوّن كلورورالبلاتين وكلورورالذهب . وانما سمى ماء ملكيا لأنه يذيب الذهب الذى هوملك المعادن . فجلّ الله وجلت الحكمة وجلّ العلم . ملح نأكله فى هذه الحياة ولاندرى اننا نأكل جسمين : أحدهما نارى يتقد نارا مع الماء وهوالصوديوم . وثانيهما جسم غازى مخضر اللون محدث للسعال مميت يميت الانسان اذا طال استعماله ويميت الجراثيم حالا ويؤثر فى الذهب ملك المعادن ويضر الصوف وينظف القطن

إن الملح نافع لنا والجسمان اللذان تركب منهما أحدهما مهلك تارة ونافع أخرى . كل ذلك لايعرف إلا بصناعة التحليل فى علم الكيمياء وذلك كله فى معنى (يس)

ياليت شعرى هل يدرى المسلم وهو يأكل الملح أن هذا الملح سر (سورة يس) وعلومها تحتوى على بسائط ضارّة ونافعة وقاتلة . عرفت أوروبا ذلك . عرفت سرّ التحليل فعلمتنا كيف نزيل العفونات ، وكيف نقتل الجراثيم ، ولم ندر نحن أن القرآن يطالبنا بذلك فى لفظة يس . جاءت أوروبا بالغازات الخانقة والمحدثة للسعال ونحن نتعجب ونقول عجبا عجبا ! ما أعلمهم ونحن فى الوقت نفسه نأكل الملح المحتوى على الكلور والكلور يحدث السعال ويحدث الموت ، ونقرأ يس صباحا ومساء لقضاء الحاجات من رب الكائنات ولانعلم أن فى لفظة (يس) هذا السرّ المصون وهوسرّ التحليل وبه نعرف الموادّ المهلكة والموادّ النافعة وبه نحارب من يحاربنا . لما جهلنا ذلك أرسل الله أوروبا لحاربتنا وغابتنا فانتبهنا فلذلك ظهر بعض سرّ (يس) فى هذا التفسير . لولا فضل أوروبا علينا وحربها لنا لم يظهر بعض سر (يس) الذى اطلعت عليه الآن

نأكل الملح ولاندرى أن أحد جسميه وهو الكلور هوالذى ينظف الخرق المستعملة لعجينة الورق . أنا أكتب الآن على هذا الورق الذى لولا الكلور لم يكن ورقا أى لولا أحد جسمى ملح الطعام لم يكن ورقا . لم يكن ورقا إلا بازالة الكلور الذى هو أصفر اللون مع اخضرار لألوان الخرق . لولاه لم يكن الورق أبيض بل كان كثير الألوان فلاينفع فيه كتابة . إن ملح الطعام منتشر فى الدنيا فهو فى الجبال وفى أغوار الأرض وفى مياه البحار بنسبة (٣١) جراما فى اللتر فى المحيط الاطلانطيقى والهادى الباسفيكى و ١٨ جراما فى البحر الاسود وفى بحر الخزر (٦) جرامات فى اللتر وفى البحر الأبيض (٣١) جراما فى اللتر ويحضر فى ملاحات الاسكندرية ورشيد ودمياط . وقد تقدّم ذلك فى هذا التفسير فى آخر ﴿ آل عمران ﴾

هذا هو الملح الذى نأكله . هذا هو الملح الذى ملأ البحر وهو فى الجبل حلل الى جسمين نارى وقاتل أو ممرض ونافع وسر (يس) لاستخراج منافعه . فالناس يقرؤن (يس) ويتعاطون الملح وهم لايعلمون . ذلك من سرّ قوله تعالى ــ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ــ وأكثر الشجر فيه الصوديوم والبوتاسيوم والصوديوم فى الملح . فهذا كله من سر سورة يس فلأكتف بهذا القدر والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى الكلام على علم الكيمياء

﴿ الكلام على بعض العلوم ﴾

لقد علمت بعض مارمز اليه الحروف التى فى أوائل السور ومنها سورة يس . ولعلك تقول : أترى أن ياء وسين تفيد هذه المعانى كلها ؟ أقول نعم إن الله لما أنزل القرآن أراد هذه المعانى التى كتبتها والتى سيقولها من بعدنا . فالعقول الانسانية اليوم وبعد اليوم مستمدّة من الله وهى تفهم من الوحى فهما يؤدّى الى الثمرات المطلوبة فى زمانها فما كان حقا بقى وما كان باطلا اضمحل . واذا كان القرآن نفسه محفوظا بالنص فهكذا ما كان حقا من تفسيره أوتأويله أورمزه

ولعلك تقول أوضح فأقول : إن الحروف التى فى أوائل السورلم تعرفها العرب . لم نقرأ فى المعلقات التى هى أشرف ماقيل فى زمن الجاهلية ولافى غير المعلقات أن الشاعر قال طس ولاحم ولاالمر ولاالر ولاالم وانما ينطق بقوله : ✩ قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ✩ أو بقوله : ✩ لمية أطلال ببرقة ثهمد ✩ أو بقوله : ✩ آذنتنا ببينها أسماء ✩ أو بقوله : ✩ ألاهبى بصحنك فاصبحينا ✩ ولم نسمع شاعرا يوما ولاخطيبا يقول : الم قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل الخ وانما هذه الحروف اختصّ بها القرآن والنبيّ ﷺ قرأها ولم يفسرها ولوفسرها لوقفت العقول عند تفسيره . فمعنى هذا انه تعالى يقول لنا فكروا فى هذا . لم أنزل ولم اختصّ القرآن به مع ان القرآن ليس مدرسة لتعليم الهجاء وانما هو ذكر وقرآن مبين فأين الذكر هنا . ولقد فكر من قبلنا كل بحسب ماوصل اليه فهمه وقد تقدّم فى أوائل سورة آل عمران . أما نحن فنقول ان هذه أشبه بخزائن علم أبقيت ليتدبر الناس فيها والخزائن لاتبرز إلا عند

الاقتضاء ووجدنا المسلمين مقصرين فى جميع العلوم التى فيها التحليل فقلنا إذن الله يريد أن يذكرنا بما نسيناه وهوارجاع الامورالى أصولها ويقول لنا أمرا سهلا (الم . ى س) وهكذا يقول ادرسوا أصول الأشياء فلما سمعناه يقول ذلك فكرنا فوجدنا أن أوروبا نبغت فى علم الكيمياء وغيرها وعرفت العناصر واستخدمتها فى الحرب والتجارة وجميع فروع الحياة فقلنا أيها المسلمون ادرسوا هذا العلم ، انظروا النبات وحللوه كما حلل الشجر واحترق نارا

هذا ماقرأته أنت فى القول السابق ونقول الآن إن ذلك سار فى أكثر العلوم ، ألاترى الى علم الحساب أليس هو راجعا الى تحليل وتركيب . أليس الجمع والضرب يرجعان الى التركيب والطرح والقسمة يرجعان الى التحليل ، كذلك الهندسة وفروعها ترجع جميع نظرياتها الى الاصول التى قبلها وكل نظرية ترجع الى ماقبلها حتى نصل الى الأوائل العقلية مثل الكل أعظم من الجزء والشيآن المساويان لشئ واحد متساويان ، كذلك علم المنطق ، ان علم المنطق يرجع الى أربعة أصول وهى التحليل والتقسيم والحد والبرهان ، وأنت ترى أن المنطق اليوم فى بلاد الاسلام قد خلا من التحليل فأصبح علما ناقصا لاينفع ، وكيف ينتفع الناس بعلم ينقصه أهم أصوله ، فالتحليل للأشخاص كقولك هذا الانسان وهذه الشجرة وهذا البناء وهذه المدينة وهذه الأمة . فكل هذه من حيث انها أشخاص لاتعرف إلا بالتحليل وعلم الكيمياء المتقدم كله تحليل . فكل مركب فى المنطق لايعرف إلا بمعرفة أجزائه أعنى تحليلها وهذا مفقود فى المنطق اليوم وقد ذكرته فى كتاب الفلسفة الذى ألفته حديثا

فأما التقسيم فيكون لمعرفة الكليات وتمييز بعضها من بعض . وأما الحدود فللأنواع وأما البراهين فانها تكون للأجناس . فاذا رأينا المسلمين على هذا النحو من النوم العميق . ورأينا هذه الحروف فاننا نقول إن الله أراد ايقاظ الأمة لهذا النوع من العلوم وحقا هوأراده حين أنزله على سيدنا محمد ﷺ وأنا أقول الآن أيها المسلمون جهلتم أهم مافى المنطق وجهلتم علم الكيمياء والله يناديكم أن هلموا والا فأنتم هالكون

﴿ لطيفة ﴾

حضر صديقى العالم واطلع على ما تقدم فقال : إن هذا منك هجوم على القرآن ، كيف تدعى أن هذه المعانى قصدها الله ، وهل أنت اطلعت على علم الله ان هذا غلو فى الدين ؟ فقلت : لقد جاء فى سورة البقرة (الم) للاشارة الى قوله ـ ألم تر الى الذين خرجوا ـ الخ وفى ﴿آل عمران﴾ لمسألة اليهود الخ وهنا لم تجئ (الم) بل جاء ياء وسين المذكوران فى أهم أدلة السورة من نار الشجر المشير للكيمياء ومن خلق ماهو أكبر من الانسان ومن خلق ما ابتدأه أوّلا . فقال : أين ذلك ؟ قلت فى قوله ـ ونسى ـ وفى قوله ـ أوليس ـ فتأمل

إن الله أراده حقا . ألم تر أن علم الكيمياء من الواجبات والفروض الكفائية . قال بلى . قلت : إذن هذا يحرم تركه هكذا التحليل فى المنطق ، أليس جزأ من علم وهوفرض كفاية . قال بلى . قلت إذن هو من الدين ويحرم تركه . قال : ولكن كيف تقول أراده من هذه الحروف . قلت : اذا وجدنا أن هذه الحروف قد انطبقت على مانحن فى حاجة اليه وفهمناها بطريق الرمز . وفوق ذلك جاءت ياء وسين فيما ذكرته لك فنقول إن الله أراد هذا المعنى لأن الله لايستحيي من الحق وهذا حق . ولقد قال علماء التفسير إن المعانى الرمزية المعقولة النافعة أرادها الله من القرآن مهما كثرت . إن القرآن أنزل لأجلنا . فاذا وقف قوم بسبب فهمهم فهما أدّى الى الانحطاط فليكن اليوم هوالذى نفهم فيه مايؤدّى الى السداد والنجاح

على أنى لا أكتمك أيها الذكى الحديث أن وجدانى يملى علىّ ذلك وأجده فى النفس بدافع قوىّ شديد بحيث لا أقدر على مدافعته والله عليم بذات الصدور

وقد قال علماؤنا رحمهم الله : « إن الخاطر اذا كان موافقا للشرع فهو إما من الله أومن الملك » وأقرب

شاهد لذلك أنى منذ ليلتين حين ابتدأت فى تفسير هذه السورة كنت أتعاطى طعام السحور فقام فى نفسى بدافع شديد قوىّ أن الدورة الغـذائية فى الأجسام الانسانية تدخل فى سرّ لفظ (يس) فأردت أن أدافع هذا الخاطر فلم أقو على دفعه

﴿ الدورة الغذائية فى الأجسام الانسانية والحيوانية ﴾

لما خطر هـذا الخاطر وجدت أمرا عجبا ، وجدت أن الغذاء تقطعه القواطع وتمزّقه الأنياب وتطحنه الأضراس . فقلت : ياعجبا . هذا كالتحليل ، هذاخبز وخضر ولحم وفاكهة للانسان وأبّ وورق ولحم وحب للحيوان تقطع وتمزّق وتطحن ، إن ذلك تحليل الجسم الى دقائقه ، ثم ينبع (٦) أنهر من تحت اللسان لتعين الآكل على عجن اللقمة فيمكن بلعها وهـذا الريق لتحويل ذلك الطعام حتى ينهضم ويقابله البنكرياس فيزيده هضما ، كل ذلك تحويل للطعام ليصير كقوام اللبن وهو الكيموس ويدخـل الى الامعاء فيصير كيلوسا ويتجه فى الشرايين فتمتصه ثم يطبخ فيصير دما وهناك تفرز منـه المواد اللطيفة فتذهب الى الصفراء والمواد الغليظة فتذهب الى الطحال والمواد المائية فتذهب الى الكليتين وتبقى الموادالدموية الخالصة فتذهب الى الشرايين وهذه تمرّ على سائر الأعضاء البدنية ظاهرها وباطنها فتعطى كلا منها ماينا سبه والصفراء لاتذهب سدى بل هى تنبه الشهوة من جهة ومن جهة أخرى تسهل انزلاق الطعام فى الامعاء حتى يبرز الى الخارج ، وأما الماء فانه يذهب الى الحالبين فالمثانة فيكون البول ، وأما الفضلة الغليظة فتذهب فى المستقيم ، وأما السوداء فانها تساعد كما تساعد الصفراء فى أعمـال الغذاء ونظامه

﴿ الدورة التنفسية ﴾

وهكذا الدورة التنفسية ، إن الهواء فى دخوله الى الرئتين يحلل فيكون الاكسوجين ذاهبا مع الدم الى داخل الجسم ويرجع مابقى من عناصره متحملا بالمادّة الكربونية الراجعـة مع الزفيرالى الهواء الجوّى ، هكذا الدائرة العقلية قد قسمت أعمـالها على الحواس الخمس الظاهرة فكل حاسة لها عمل لاتتعدّاه ، هكذا الحواس الخمس الباطنة مثل الحس المشترك والخيال والقوّة المفكرة والحافظة والواهمة فكل واحدة منها لها عمل ، إن الله عزّوجل يوقظ المسلمين الى التحليل الذى أغفلوه وأظهره الله فى الحواس وفى أعمـال الهضم فى حروف أوائل السور لاسيما (يس) وقوله تعالى ــ الذى جعل لكم من الشجرالأخضرنارا فاذا أنتم منه توقدون ــ والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

(اللطيفة الأولى) فى قوله تعالى ــ قال ياليت قومى يعلمون ــ وفى قوله تعالى ــ ياحسرة على العباد ــ

(اللطيفة الثانية) فى قوله تعالى ــ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ــ وذلك فى ﴿ أمرين ☆ الأوّل ﴾ كم عمرالأرض فى رأى بعض العلماء ﴿ الثانى ﴾ فى نقصها المستمر

(اللطيفة الثالثة) فى قوله تعالى ــ والشمس تجرى ــ الخ

(اللطيفة الرابعة) فى ضوء الشمس وحرارتها

(اللطيفة الخامسة) فى قوله تعالى ــ سبحان الذى خلق الأزواج كلها ــ الخ

(اللطيفة السادسة) فى قوله تعالى ــ وتكلمنا أيديهم ــ

(اللطيفة السابعة) فى قوله تعالى ــ الذى جعل لكم من الشجرالأخضرنارا ــ

(اللطيفة الثامنة) فى قوله تعالى ــ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ ــ

﴿ اللطيفة الأولى فيها فصلان ﴾

(الفصل الأوّل فى قوله تعالى ـ قال ياليت قومى يعلمون ـ)

نذكر فى هذا الفصل ماجاء فى كتاب « اخوان الصفاء » تحت العنوان التالى وهذا نصه :

﴿ فصل ينبغى أن نبين كيف يكون تواصل اخوان الصفاوكيف يكون معاونة بعضهم بعضا فى طلب معيشة الدنيا وماذا كيف يكون حال من سبقته المنية قبل صاحبه وكيف يكون عيش الباقى منهم بعد صاحبه ﴾

ذكر ان مدينة كانت على رأس جبل فى جزيرة من جزائر البحر مخصبة كثيرة النعم رخية البال طيبة الهواء عذبة المياه حسنة التربة كثيرة الأشجار لذيذة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات على حسب ماتقتضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياهها وكان أهلها اخوة و بنوعم بعضهم لبعض من نسل رجل واحد وكان عيشهم أهنى عيش يكون بتودد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلاتنغيص من الحسد والبغى والعداوة وأنواع الشر كما يكون بين أهل المدن الجائرة المتضادة الطباع المتنافرة القوى المتشتة الأراء القبيحة الاعمال السيئة الأخلاق ثم ان طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسر بهم المركب ورمى بهم الموج الى جزيرة أخرى فيها جبل وعرفيه أشجار عالية وعليها ثمار قذرة فيها عيون غائرة ومياهها كدرة وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضارية واذاعامة أهل تلك الجزيرة قردة وكان فى بعض جزائر البحر طيرعظيم الخلقة شديد القوّة قدسلط عليها فى كل يوم وليلة يكر عليهم و يختطف من تلك القردة عدة ثم ان هؤلاء النفر الذين نجوا من الغرق تفرقوا فى الجزيرة وفى أودية ذلك الجبل يطلبون مايتقوتون من ثمارها لما لحقهم من الجوع و يشربون من تلك العيون و يستترون بأوراق تلك الأشجار و يأوون بالليل الى تلك المغارات و يعتصمون بها من الحر والبرد فأنست بهم تلك القرود وأنسوا بها اذ كانت أقرب أجناس السباع شبها لصورة الناس فولعت بهم أناث القردة وولع بها من كان به شبق فخبلت منهم وتوالدت وتناسلوا وكثروا وتمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وألفوا تلك الحال ونسوا بلدهم ونعيمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بديا ثم جعلوا يبنون من حجارة ذلك الجبل بنيانا و يتخذون منها منازل و يحرصون فى جمع تلك الثمار و يدخرونها من كان منهم شرها وصاروا يتنافسون على اناث تلك القرود و يغبطون من كان منهم أكثر حظا من تلك الحالات وتمنوا الخلود هناك وانتشبت بينهم العداوة والبغضاء وتوقدت نيران الحرب ثم ان رجلا منهم رأى فيما يرى النائم كأنه قد رجع الى بلده الذى خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بمجيئه استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة اقرباؤه فرأوه قد غيره السفر والغربة فكرهوا أن يدخل المدينة على تلك الحال وكان على باب المدينة عين من الماء فغسلوه وحلقوا شعره وقصوا أظافيره وألبسوه الجدد و بخروه وز ينوه وحملوه على دابة وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وسفرهم ومافعل الدهر بهم وأجلسوه فى صدر المجلس فى المدينة واجتمعوا حواليه يتعجبون منه ومن رجوعه بعد اليأس منه وهو فرحان بهم و بما نجاه الله عز وجل من تلك الغربة وذلك الغرق ومن صحبته تلك القرود وتلك العيشة النكدة وهو يظن أن ذلك كله يراه فى اليقظة فلما انتبه اذا هو فى ذلك المكان بين أولئك القرود فاصبح حزينا منكسر البال زاهدا فى ذلك المكان مغتما متفكرا راغبا فى الرجوع الى بلده فقص رؤياه على أخ له فتذكر ذلك الأخ ماأنساه الدهر من حال بلدهما وأقاربهما وأهاليهما والنعيم الذى كانوا فيه فتشاورا فيما بينهما وأجالا الرأى وقالا كيف السبيل الى الرجوع وكيف النجاة من هنا فوقع فى فكرهما وجه الحيلة بانهما يتعاونان و يجمعان من خشب تلك الجزيرة و يبنيان مركبا فى البحر و يرجعان الى بلدهما فتعاقدا على ذلك بينهما عهدا وميثاقا أن لايتخاذلا ولايتكاسلا

بل يجتهدا اجتهاد رجل واحد فيا عزما عليه ثم فكرا أنه لوكان رجل آخر معهما لكان أعون لهما على ذلك وكلما زاد فى عددهما يكون أبلغ فى الوصول الى مطلبهم ومقصدهم فجعلوا يذكرون اخوانهم أمر بلدهم ويرغبونهم فى الرجوع ويزهدونهم فى السكون هناك حتى التأموا جماعة من أولئك القوم على أن يبنوا سفينة ويركبوا فيها ويرجعوا الى بلدهم فبيناهم فى ذلك دائبون فى قطع الأشجار ونشر الخشب لبناء تلك السفينة اذ جاء ذلك الطير الذى كان يختطف القرود فاختطف منهم رجلا وطار به فى الهواء ليأكله فلما أمعن فى طيرانه تأمله فاذا هو ليس من القرود التى اعتاد أكلها فمر به طائرا حتى مر به على رأس مدينته التى خرج منها فألقاه على سطح بيته وخلاه فلما تأمل ذلك الرجل اذا هو فى بلده ومنزله وأهله وأقربائه فجعل يتمنى لو أن ذلك الطير يمر فى كل يوم ويختطف منهم واحدا ويلقيه الى بلده كما فعل به وأما اولئك القوم بعد ما اختطفه الطير من بينهم جعلوا يبكون عليه محزونين على فراقه لأنهم لا يدرون مافعل به الطير ولو أنهم علموا بحاله وما صار اليه لتمنوا ماتمنى لهم أخوهم فهكذا ينبغى أن يكون اعتقاد اخوان الصفا فيمن قد سبقته المنية قبل صاحبه لأن الدنيا تشبه تلك الجزيرة وأهلها يشبهون تلك القردة ومثل الموت كمثل ذلك الطير ومثل اولياء الله كمثل القوم الذين كسر بهم المركب ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التى خرجوا منها فهذا اعتقاد اخواننا الكرام فى معاونتهم فى الدنيا ومايعتقدون فيمن سبقته المنية قبل اخوانه فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فان الدنيا دار غرور ونحن لا يرغب العاقل الخلود فى دار الحزن والبلاء وفقك الله وايانا وجميع اخواننا السداد وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى من اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ـ ياحسرة على العباد ـ ﴾

اعلم أن هذه الجملة سجلت على النوع الانسانى التعمق فى الجهالة ، واذا أردت شرح هذا المقام فارجع اليه فى ﴿ سورة التوبة ﴾ فانك تجد هناك كيف كان تقصير المسلمين اليوم فى علومهم وأعمالهم منطبقا على الاستهزاء من حيث العمل لا الاعتقاد ، وستطلع هناك على عجائب العلم وأن المسلمين قد أبرز الله لهم ولغيرهم الكواكب والجبال وغيرها فأعرضوا فأبرز لهم أمرا آخر وهى الطيارات القاذفات المهلكات كأنه يقول لهم : « أنتم أعرضتم عن جمال العوالم . فها أنا ذا أرسل عليكم شواظا من نار حامية تقذف من المدافع والطيارات » وتجد الموازنة هناك بين استهزاء الأمم المحكومة بجنود الأمم الحاكمة ومقاطعة حكامهم أو الخضوع و بين آيات الله التى قصها للناس ، فلما أعرضوا فعل معهم ماتفعله الأمم القوية مع الضعيفة ـ ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ـ . انتهى الفصل الثانى

﴿ اللطيفة الثانية فى عمر الأرض ونقصها المستمر ﴾

(كم عمر الأرض ؟)

بعد اكتشاف الراديوم أصبح تقدير علماء طبقات الأرض وهو مائتا مليون سنة أول تقدير حديث مع انه كان يظن انه مبالغ فيه والبحث الآن ليس فى حسم النزاع بين علماء طبقات الأرض والفلك بل بين علماء طبقات الأرض وأنصار نظرية إشعاع الراديوم ، ثم لو حسم هذا النزاع الجديد وقر الرأى على عدد معين من ملايين السنين . فهل يعتبر هذا العدد مبدأ لخلق الأرض أو مبدأ الحياة فيها أى هل للأرض أول ولها آخر ؟

يقول اللورد كلفن : « لا يمكن غير ذلك أى لابد أن يكون لأرضنا مبدأ وسوف تكون لها نهاية وأن هناك فكرة أو تدبيرا يعمل فى الكون وهو الخالق الأحد » هذا هو رأى اللورد الطبيعى وهو رأى يتفق وتعاليم الأديان ، وفى النهاية فان أقل تقدير لعمر الأرض الآن هو مائتا مليون سنة ، وقد يظهر غدا أنه أكثر من ذلك بكثير إذ أن أدنجون يعطى حدا أقصى لعمر الأرض بعشرة آلاف مليون سنة . انتهى من

واعلم أن مسألة « حزام الأرض » هي مقتضى قوله تعالى ـ ننقصها من أطرافها ـ فقد جاء فى بعض المجلات العلمية تحت العنوان التالى مانصه :

﴿ الأرض تشدّ حزامها ﴾

يقرّر الدكتور (ميرمان الألمانى) أن طول خط الاستواء قد نقص ميلا عن طوله منذ ١٠٠ سنة نظرا لانكماش الأرض اهـ

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى ـ والشمس تجرى لمستقرّ لها ـ الخ ﴾

الله قدّر سرعة الشمس وكل سرعة فى العالم ، فهو عزيز أى غالب عليم بما يقدّره . وهنا فتح لنا باب السرعة فى العالم الذى نعيش فيه . إن أسرع حركة فى عالمنا هذا سرعة الخاطر . إن خواطرنا تنتقل من الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب . ومن العرش الى الفرش فى جزء من آلاف من الثانية . إن الجاهل لايعبأ بهذه السرعة ولابهذا التقلب ويقول هذا وهم ونحن نقول : أليس هذا التقلب أمرا موجودا بدليل أن هذه الحركات فى النفس لها آثار فى شعورنا وكل ماله أثر فهو موجود . فهذه السرعة موجودة وهى أعجب مافى هذا الوجود ، ويلى هذه السرعة سرعة النور فانه فى الثانية الواحدة يمكنه أن يجرى حول الأرض فوق (٧) مرات ، ومعلوم أن محيط الأرض (٤٠) ألف كيلو والضوء يجرى بسرعة (١٨٦٠٠٠) ميل فى الثانية أونحو (٣٠٠٫٠٠٠) ثلثمائة ألف كيلو . ثم سرعة القنبلة فى الثانية (٢٠٠٠) ميل . وسرعة الأرض حول الشمس (٦٥٫٥٣٣) ميلا فى الساعة . وسرعة الطيارة الفرنسية (٣٠٢٫٣) ميل فى الساعة ثم الطيارة الأمريكية (٣٠٠) ميلا فى الساعة . ثم الطيارة المائية (٢٤٥٫٧١) ، ثم الاتوموبيل (١٥٦) ميلا (انظر شكل ٣٥) و (شكل ٣٦) الآتيان قريبا

وهكذا حتى تصل قوّة الاسراع فى الانحطاط الى سرعة الرجل إذ يسير بسرعة (٩) أميال فى الساعة ، ثم تهبط السرعة شيأ فشيأ حتى تصل الى سرعة الحلزون إذ يجرى (١٥) من (١٠٫٠٠٠) من اليارده فى الثانية ثم تهبط الى درجة نحو شجر الغاب إذ يصل الى (٢٧) جزأ من عشرة آلاف مليون جزء من اليارده فى الثانية الواحدة . فياسبحان الله . يقول الله ـ والشمس تجرى لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم ـ هذه الحركة الشمسية التى ذكرناها هنا هى الحركة الأرضية ولكنها منسوبة للشمس باعتبار مايظهر للرائى وهناك حركة أخرى للشمس هى ومجموعتها حول كوكب آخر . فالشمس تجرى والأرض تجرى وجرى الأرض حول الشمس بحسب الظاهر لايختلف عن جرى الأرض حول الشمس كما هو مبرهن عليه فى ذكر الموازنة بين الحركات . الله تعالى قدّر الحركات كلها ، فقدّر حركات الأشجار فى نموّها حتى بلغت جزأ ضئيلا جدا من اليارده فى الثانية ومعلوم أن اليارده أقلّ من المتر قليلا كما قدّر حركة النور الذى يجرى حول الأرض قريبا من ثمان مرات فى الثانية وقدّر مابينهما من حركات الانسان وسياراته وسيارات السموات . فالله قدّر هذه الحركات وأعطى كل مخلوق مايستحقه ، فلوأعطى الغاب فى نموّه حركات النور أولوأعطى النور حركات الغاب فى نموّ أشجاره لاختل نظام العوالم ، فاذا جرى جريا ضعيفا كجرى العربات لم يعش حيوان على الأرض ، ولوأسرع نموّ الأشجار اسراع الأضواء فى جريانها لم ينتفع الناس بشئ فى الأرض لأن سرعة النموّ يتبعها سرعة الذبول فلا يكون هناك ثبات لشئ ولابقاء ولاانتفاع . فهذا من معنى قوله ـ ذلك تقدير العزيز العليم ـ فهو قدّر حركات الأجرام السماوية بمقادير تناسبها . ولم يعط القطارات على الأرض ولا الطيارات سرعة النور ولا الكواكب لأنها اذا أسرعت هذا الاسراع أهلكت من عليها حالا بسرعة حركتها . فمن تأمّل هذا التقدير والابداع أدهشه حسن التقدير

ونظم

ونظم المسير - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

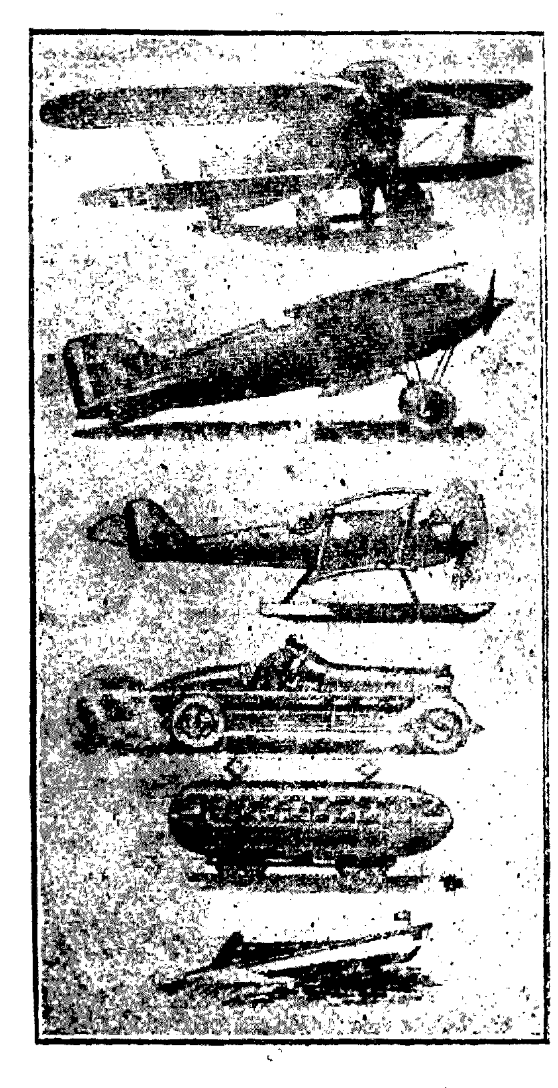
﴿ ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال فى الدقيقة ﴾

جاء فى مجلة ﴿كل شئ﴾ مانصه

كان القدماء لايعرفون مركوبا أسرع من الجواد والبختى (وهو الجمل ذوالسنامين) وكانوا يقولون فى وصف أحدهما أنه «ينهب الارض نهبا» ولكننا نحتاج الآن الى تعابير أقوى من هذه الجملة لكى نصف طيران الطيارات التى تطوى بساط الريح وتشق الفضاء . ومن يقرن الطيارات الى الخيول كمن يقرن المصباح الكهربائى الحديث الى مصباح الزيت القديم الذى كان القدماء يضربون المثل بجماله وصفاء زيته . وقد كان الناس قديما يعجبون لقطار الاكسبريس وسرعته التى تبلغ أحيانا ٦٠ ميلا فى الساعة . وكان بعضهم من المتعاقلين يهز رأسه ويقول بضرر هذه السرعة العظيمة على الركاب . ولكن أسرع الاكسبريسات الآن سلحفاة الى جانب الطيارات . فقد ذكرت الصحف من مدة قريبة أن مهندسا فرنسيا استطاع أن يطير ٣٠٢،٣ من الأميال فى ساعة واحدة وهذا أبعد مدى بلغه طيار للآن . ولكن الطيارين يؤملون أن يطيروا قريبا نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ ميل فى الساعة بحيث يستطيع الانسان أن يتغدى فى لندن أو باريس ويتعشى فى القاهرة . وقد كانت هذه الاقوال تعتبر قبل سنوات خيالا سخيفا لايتحقق ولكنها الآن فقدت غرابتها وباتت المسألة محصورة فى تحسين محركات الطيارة من وجوه الاتقان ومتانة المواد . أما الاختراعات الجديدة فليس الطيارون فى حاجة اليها

. وأقرب سرعة بلغها طيار بعد هذا الفرنسى هى سرعة طيار أميركى فى خدمة حكومة الولايات المتحدة . قطع ٣٠٠ ميل فى الساعة تلى ذلك سرعة ضابط أميركى بلغت ٢٤٨،٧١ فى الساعة ثم سرعة طيارة بحرية بلغت ٢٤٥،٧١ فى الساعة ثم سرعة أتوموبيل بلغت ١٥٦ ميلا فى الساعة ثم القطار الكهربائى وسرعته ١٣٠ ميلا فى الساعة وأخيرا زروق يدفعه محرك سرعته ٨٠،٢٥ ميلا فى الساعة (انظر شكل ٣٥ وشكل ٣٦ فى الصفحات التالية)





(طيارة فرنسية)
٣٠٢٠٣ ميل في الساعة

(طيارة أميركية)
٣٠٠ ميل

(طيارة مائية)
٢٤٥٫٧١ ميلا

(أتوموبيل)
١٥٦ ميلا

(قطار كهربائي)
١٣٠ ميلا

(زورق)
٨٠٠٥ ميلا

(شكل ٣٥ – أسرع العجلات في العالم)



(شكل ٣٦ — بيان تصويرى لأسرع الأشياء فى العالم وأبطئها)

﴿ هل بلغ الانسان أقصى سرعته فى البر والبحر والهواء ﴾

أسرع قطار فى العالم يجرى بسرعة نحو ٦٨ ميلا فى الساعة . وفى السنة الماضية أجرى المسابق جارووده قاربه بسرعة ٩٣ ميلا وساق سيجرايف سيارته بسرعة نحو ٢٣٢ ميلا فى الساعة . وطار اورلبار فى الصيف الماضى بسرعة ٦٩٣ ميلا فى الساعة . و بلغ متوسط سرعته فى سباق ٣ كيلو مترات ٣٥٨ ميلا . ولايزال الانسان يطلب المزيد والعلماء مختلفون فمنهم من يقول إن سرعة الانسان قد تجاوز ٥٠٠ ميل الى ألف فى الساعة ومنهم من ينكر ذلك ومسألة السير على مبدإ انطلاق الأسهم النارية تجعل الخبيرين حائرين لايدرون أتبلغ هذه السرعة أم لا . والسرعة عند الانسان لايريد بها مجرد التظاهر وانما هى خلة كانت لأسلافه واليوم تظهر فيه على مبدإ

الرجعية . فعلى سرعة عدو الانسان الاول توقف فراره من أعدائه ومطارديه . ولم يكن على جانب عظيم من سعة الحيلة لينجو منها . ولايزال يعمد الى السرعة حتى الآن فى بعض مواقفه إما دفاعا عن نفسه وإما مماشاة لسائر الأشياء التى حوله . وهو يعلم بخبرته أن كثيرا من الوقت الثمين يقتصد بهـذه السرعة . ففى امريكا مثلا اقتصد بالطيران ثلاثة أيام فى قطع أميركا من الشرق الى الغرب أو العكس . اكتشف العلماء ذبابة اسمها ذبابة الغزال تطير فى مسافات قصيرة بسرعة لا تصدق أى بسرعة ٨١٥ ميلا فى الساعة أو نحو ٣٦٠ مترا فى الثانية . وسرعة مثل هـذه مستحيلة على اليابسة وقد تكون ممكنة على الماء فى طيارة تستخدم الهواء والماء معا من نوع الهيدرو بلاين ولكنها ليست مرجحة . والصعوبة العظمى فى بلوغ هـذه السرعة فسيولوجية أكثر منها ميكانيكية . و بعبارة أخرى اذا تمكن الانسان من اختراع سيارة أو طيارة تحتمل هذه السرعة فهل يحتملها هو ؟ والجواب لا . ثم لا . واذا احتملها فالرجح أنه لا يستطيع أن يدير مركبة تجرى بهذه السرعة من غير أن يلاقى الحتف الأكيد . واذا كانت السيارة تسير بسرعة ٢٣٠ ميلا فقط لا ٨١٥ ولا ١٠٠٠ فانها لا تستطيع أن تسير فى خط دائرى منحرف إلا وتتعرض لآفات وصدمات هائلة . بل يشك فى هـل يستطيع انسان أن يقود سيارة تسير بسرعة ٣٠٠ ميل لأن أعصابه لا تحتمل هـذه السرعة . وقد قس هيهولتز الالمانى سرعة انتقال الانفعالات على أعصاب الجسم بين الدماغ والأطراف فوجد أنها ١٠٨ أقدام فى الثانية . وسيجراف سار فى سيارته بسرعة ٢٣٢ ميلا فى الساعة أو ٣٣٩ قدما فى الثانية أى ثلاثة أضعاف سرعة أعصابه . ومعنى هـذا أن السيارة ليست فى قياده وأن أقل ميل أو تردد يجر أعظم الأخطار . وأن كل خطر يحسب حسابه عرقبلما يشعر السائق به فضلا عن أن يحول دون وقوعه . وقد وجد الماجور سيجرايف أن مصاعب ادارة السيارة كانت عظيمة فلذلك استخدم فى إدارتها وسائل مختلفة . وقد سئل عن شعوره فى أثناء مسيره هذا فقال : «لا أعلم وليس عندى أقل صورة فى ذهنى لأن كل شئ يتم بسرعة عظيمة لا مجال فيها للشعور ولا لتقديره وتسجيله . ولما لم يرض سائلوه بهذا الجواب ألحوا عليه فقال : «ان كل شئ مضى بسرعة حتى أن شعورى ان كان جيلا فقد كان قصيرا . فعلى جانب رأيت سدا أسود هائلا من المشاهدين وعلى الآخر الاعلام المنصوبة للسباق متصلة كأنها خط مستقيم مرسوم على ورقة الآلة الكاتبة» . وفى وقت من الأوقات مرت السيارة فوق شبه قناة احتفرها المد فى الرمل فانكسر شئ فيها . ثم صدمت حفرة ماء كالبركة فظن أن الدولاب الذى تدار به السيارة اقتلع من يديه . فاختباره يدلنا على أن سرعة السيارة لا يمكن أن تزيد على هـذه السرعة وتكون سرعة نافعة يعمل بها . ومن رأى الخبيرين أن حد احتمال الانسان هو ٤٠٠ ميل فى الساعة لأنه اذا كانت السرعة ٥٠٠ ميل فما بعد تصبح قوة الدفع عن المركز عظيمة الى حد أن دورة الى هذه الجهة أو حركة الى فوق أو الى تحت تفرغ الدم من دماغ الراكب أو تدفعه بقوة اليه فأما أن يغمى عليه أو يقتل فى مكانه . و يقال اجمالا عن سرعة الطيران إن الانسان قد يبلغ على التدريج سرعة ألف ميل فى الساعة فيدور حول الارض فوق خط الاستواء فى يوم كامل . ولما كانت هـذه السرعة هى سرعة دوران الارض على محورها فاذا خرج طيار بطيارته من القاهرة ظهر يوم ما على نية الدوران حول الارض فان الوقت يبقى عنده الظهر على الدوام حتى يعود الى القاهرة بعد ٢٤ ساعة أى ظهر اليوم التالى فيها وتبقى الشمس فوق رأسه لا تشرق عليه ولا تغرب عنه : انتهى من مجلة كل شئ

﴿ علم الفلك ودراسة الكواكب فيما وراء البحار ﴾

(مقدمة)

إن من يدرس هـذه الدنيا قديمها وحديثها علويها وسفليها يدهشه نظام محكم وتشابه مبين . نظر العلماء أيامنا هذه فى أصل العالم فوجدوا عناصر الشمس وعناصر الأرض متحدات . فالشمس المشرقة الباهرة الجليلة

اذا أرسلت أشعتها فلم تكن هذه الأنوار إلا فيضا من أنوارعناصرها اللواتى تمت عناصر أرضنا اليها بنسب ويربطها بها سبب . فاذا كان عندنا الاكسوجين والاودروجين والنيتروجين (وهوالآزوت) وهكذا غيرهنّ كالكربون والحديد والنحاس والذهب والرصاص وما أشبهها من العناصر التى تبلغ نحوالثمانين عدّا

أقول : اذا كان ذلك كله فى أرضنا فانهم وجدوه فى شمسنا . وجدوه بمعونة النور إذ حللوه فظهرلهم الاختلاف بعلامات واضحات فى ثنايا الأشعة النورية وهى خطوط سود تتخلل سبعة الألوان وهذه الأشعة السود المتخللات تختلف أحوالها باختلاف العناصر . فالحديد والنحاس والاكسوجين والفسفورمثلا كلهنّ اذا ظهرت أنوارهنّ فى حال خاصة تبينت تلك الخطوط السود فى ثنايا سبعة الألوان بهيآت مختلفات كما اختلفت أجسام الناس لونا وشكلا وكبرا وصغرا . وكما اختلف النبات فى تنوّع لون خضرته وبهجة زهرته ورونق ورقه وبديع ثمره كما يذكر فى ثنايا هذا التفسير . وكما رأوا ذلك فى الشمس رأوه فى غيرها من الكواكب بواسطة النور . إذن الحال تجرى على نسق واحد لأن أصل العالم صادق البناء أساسه فهو الواحدة على طريقتها يجرى اقرأ ماتقدّم فى ﴿سورة السجدة﴾ عند ذكر الانسان فى المجلد الخامس عشر . انظر فيه هناك وتأمّل تجد نظام الانسان يحاذى نظام العالم كله . أظنك الآن تسمعنى قوله تعالى — ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ٭ ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهوحسير —

انك أيها الذكىّ بعد هذا البيان توافقنى على ماقلته لك وهو أن العالم متشابه النظام فترجع الى ﴿سورة البقرة﴾ فتسمع فيها قوله تعالى — كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها — فاقرأ هذا الموضوع هناك ثم ارجع هنا واسمع ماأقوله لك ، ألم تقرأ ماقلته عن أكابر العلماء هناك من أن الجنة الحسية لاتكفى الحكماء وانما نعيمهم وسعادتهم فى جنة المعارف والعلوم ، فاذا تشابهت الثمرات المأكولة لأهل الجنة الحسية فما أقرب التشابه والمشاكلة فى الجنة العقلية وهى العلوم والمعارف ، فترى دراسة الجسم الانسانى تمتدّ بنسب الى دراسة النظام الشمسى والكوكبى . وكلما درس الانسان عالما من العوالم ووجد المشابهة واضحة رجع الى أصلها ومبدئها فوجده واحدا . إذن تشابه العوالم يرجع المفكر الى منبعها وهو التوحيد ، إن الوحدة ظاهرة فى النظام

اذا عرفت هذه المقدّمة فهل لك أن أحدّثك فى علوم عوالمنا الأرضية . وهل كان يدور بخلدك قبل ماستسمعه أن علم الفلك أوحساب سيرالشمس والقمر والكتابة بالقلم ونظام الأبنية له نظير فى الأمم التى لاصلة بينها و بين أممنا فى آسيا وافريقيا وأوروبا ﴿و بعبارة أخرى﴾ هل كان يخطر لك أوتحدّثك نفسك أن أهل أمريكا الأصليين الذين عرفهم الأسبان منذ (٤٠٠) سنة وكشف بلادهم (كرستون كاومب) كان لهم علم فلك وحساب للسنين والأشهر مثل ماعندنا الآن . أما أنا فأقول :

إن الاطلاع على ذلك والوقوف عليه ودراسته اذا كان له وجود يكون سارا لذيذا وشارحا للصدر وموافقا كل الموافقة لما ظهر من تناسب العناصر فى الأرض والشمس واتحادها ذاتا وصفات وذلك يؤيد صدق قاعدة هذا الوجود وهى المشابهة إذ متى أطلعتك على هذا الآن كما جاء فى الكشف الحديث فى هذه الأيام عند طبع هذه السورة فانك تقول بطريق القياس التمثيلى إن هذه الكواكب التى نراها مسكونة كما سكنت أرضنا . نعم هذا ليس باليقين ولكن ذلك هوماوصل لنا وعقولنا لاقدرة لها على أكثر من ذلك

لقد تقدّم رسم صورة للتقويم فى المكسيك فى آخر ﴿سورة الفرقان﴾ فاسمع إذن ما جاء فى ﴿مجلة المقتطف﴾ فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ الحضارة القديمة فى العالم الجديد ﴾

« مصر » القارة الاميركية

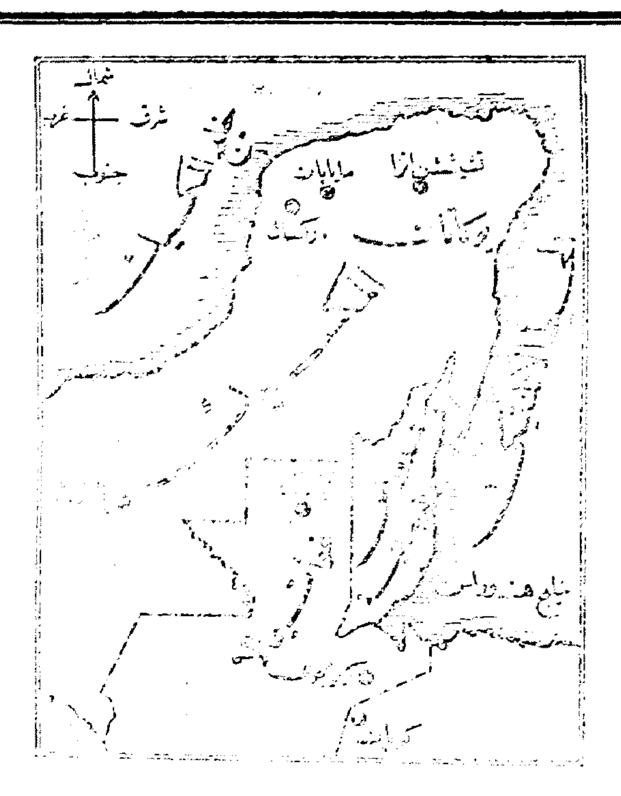
كتابتها . علمها . مبانيها . نقوشها . تاريخها

لقد أطلق الكتاب على بلاد المايا فى غواتيمالا بامريكا المتوسطة وما يجاورها من البلدان كيوكاتان وجنوب المكسيك وسافادور وشمال هندوراس لقب «مصر» القارة الاميركية لما عثر عليه العلماء من وجوه الشبه بين عمارة المايا وكتابتهم وعمارة المصريين وكتابتهم . وازداد هذا اللقب تمكنا وتأيدا لما ثبت للباحثين أن حضارة المايا هى أقدم الحضارات الاميركية الراقية ومصدر الثقافة التى امتدت عناصرها الى البلدان المجاورة ولأن أنصابها أعلام تقاس بها مراحل الحضارات الاميركية القديمة وتؤرخ كسلات المصريين القدماء ومدافنهم

واذا نظرنا الى الاحوال التى نشأت فيها أمة «المايا» وجدنا أن منشآتها العمرانية تضاهى أرقى المنشآت العمرانية فى أرقى الأمم القديمة . فاقليم البلاد التى نشأت فيها حار يضعف القوى ويخمد النشاط وهو فى الوقت نفسه يؤتى الزرع مما جعل الزراعة هناك نزاعا دائما بين الانسان والطبيعة فى غاباتها وحراجها الغضة التى كانت لخصب الارض وجودة الاقليم تسطو على المناطق التى يزرعها الانسان وتكسوها . ومع ذلك نشأ فى تلك البلاد وفى ذلك الاقليم حضارة راقية من أرقى الحضارات القديمة مع أنها لم تتصل (على ما نعلم) بالعالم القديم

وشعب المايا هو الشعب الوحيد الذى استنبط فى أميركا طريقة للكتابة واستعملها فى تدوين مدوّناته وهذه الطريقة الكتابية الهيروغليفية تحسب أعظم ما أتى أميركا العقلية فى العصور الغابرة . أما العلماء فلم يفوزوا حتى الآن بحل كل هذه الرموز الهيروغليفية ولكنهم عثروا فيما حلوه منها على أركان التاريخ (المايا) وأصول تقويمهم وعلومهم الفلكية والرياضية . وقد يكون الباقى منها منطويا على وصف الحوادث العظيمة التى حدثت لهم أما الرموز نفسها فرسوم للاشياء أو للافكار فيها ظل من الأثر الصوتى ولكن ليس لها أبجدية

أما تاريخ هذه الكتابة ومنشئها فتغلغل فى القدم تحيط به سحب الريبة والخرافة . ولم يعثر حتى الآن على أثر يحتوى على اسم المستنبط أو تاريخ الاستنباط أو غير ذلك من دقائق الموضوع . ومع ان أقدم المدوّنات المؤرخة يرجع تاريخها الى سنة ٩٦ قبل المسيح نجد فى آثار الاتقان البادية فى الاشارات الهيروغليفية دليلا مقنعا على أنها ليست بنت ساعتها وان قرونا انقضت عليها قبلما بلغت هذه الدرجة فى الاتقان . وما فى هذه الاشارات من الخطوط المنحنية يدل على انها كانت ترسم على سطح مستو أملس قبل استنباط فن النحت فى الحجر الذى مكن أصحابها بعدئذ من نقشها فى الحجر الصلب لحفظها مقاومة لأنياب الدهر وعلاوة على هذه الكتابات المنقوشة فى الصخور كان لشعب (المايا) كتب مكتوبة بالطريقة الهيروغليفية . وقد تلف منها معظم الكتب التى كانت تحتوى على كل علوم المايا وحكمتهم أتلفها الاسبان حين افتتحوا البلاد وحكموها . فقد كتب مطران لندا يقول : ولقد جمعت أربعة آلاف من هذه الكتب والتصاوير الشريرة وحرقتها كلها فى الميدان العام ببلدة تيكال رغم حزن الوطنيين وبكائهم . على أن الوطنيين فى حزنهم وبكائهم على فقد هذه الكنوز العقلية الثمينة لا يبلغون شأو العلماء فى هذا العصر الذى لا يرون بين أيديهم إلا ثلاثة من هذه الكتب يحاولون أن يستخرجوا منها أصول حضارة المايا ومآثرها والكتب الثلاثة التى لم تعبث بها أيدى الأسبان محفوظة الآن فى خزائن أوروبا وهى فى الغالب تدور على جداول فلكية ورياضية وبعض التهاويل السحرية . والظاهر أن انحصار هذه المعارف فى طبقة كهنة (المايا) كان الباعث على اتلاف الكتب التى دوّنت فيها لان الكهنة الاسبان كانوا ينظرون الى كهنة المايا نظرهم الى الشياطين فحملوا القوّاد على الفتك بهم واتلاف كتبهم (انظر شكل ٣٧) فى الصحيفة التالية



(شكل ٣٧ – خريطة البلاد التى نشأت فيها حضارة (المايا) وازدهرت)

﴿ معارفهم الفلكية والرياضية ﴾

وقبلما نلمّ بتاريخ (المايا) لننظر نظرة عجلى فى معارفهم الفلكية والرياضية لان الباحثين مجمعون على أن عملهم فى هذه الناحية من نواحى الثقافة لايفوقه عمل أية أمة أخرى فى اقليم كاقليمهم و بيئة كبيئتهم . فهو كاستنباطهم للكتابة الهيروغليفية أعظم المآتى العقلية فى أمريكا القديمة

﴿ التقويم ﴾

كل تقويم يجب أن يبنى على قياس دقيق لطول السنة . وهذا القياس عمل صعب ان لم يكن متعذرا فى أمة لاتملك أدوات فلكية دقيقة . فالسنة على ماتعلم يتعذر تقسيمها الى عدد كامل من الايام والشهور لانها مؤلفة من ٣٦٥ر٢٤٢٢ يوما أو ١٢ شهرا قريبا و٣٧ فى المائة من الشهر كلٌّ منها مؤلف من ٢٩ يوما و٥٣ فى المائة من اليوم . وهذه الكسور فى الايام والشهور كانت ولا تزال العقبة الكأداء فى سبيل واضعى التقاويم على اختلافها . فالسنة حسب التقويم اليوليانى الذى كان مستعملا فى جنوب اوروبا الى سنة ١٥٣٢ وفى شمال اوربا الى سنة ١٧٠٠ وفى روسيا الى بعيد الحرب كانت أطول من السنة الحقيقية ١٢ دقيقة فكانت النتيجة أنه لما عزمت روسيا أن تجرى على التقويم الجريجورى كان الخطأ فى اليوليانى قد بلغ نحو أسبوعين . على أن أمة (المايا) تمكنت من غير أدوات الرصد أن تضع تقويما من نحو ألفى سنة لايبلغ الخطأ فيه أكثر من يوم فى ٢١٤٨ سنة . أما التقويم الذى نجرى عليه اليوم فلايفوق تقويم المايا كثيرا . فالخطأ فيه يبلغ يوما واحدا فى ٣٣٢٣ سنة . كذلك تمكن علماء المايا أن يضعوا تقويما قريبا لايزيد فيه الخطأ عن يوم واحد فى ٣٠٠ سنة

﴿ علم الهيئة ﴾

وعلاوة على ذلك تمكن رصد (المايا) من أن يعرفوا مدى دوران الزهرة والمرجح أنهم قرروا مدى دوران المريخ ويحتمل أنهم عرفوا مدى دورة المشترى وزحل وعطارد . و بنوا على دورة الزهرة تقويما كانوا يستعملونه فى ضبط التقويم الشمسى والتقويم القمرى . فقد كانوا يعرفون مثلا أن ثمانى سنوات شمسية

تعادل تقريبا خمس سنوات من سني الزهرة وان ٦٥ سنة من سني الزهرة تعادل مائة سنة وأربع سنوات من سني الشمس . وكانوا يستعملون التقاويم الثلاثة لتقدير أزمنة طويلة وقد وجد مايدل على أنهم تنبأوا بحدوث حوادث فلكية تمتد الى أكثر من ٣٤ ألف سنة . وكانوا يتنبأون بالكسوف

﴿ الصفر ﴾

أما الجداول الرياضية التي وضعوها فكان يلزم لها قبل وضعها استنباط فكرة (الصفر) وهذا الاستنباط من مفاخر حضارة (المايا) . فالصفر أمر تعودناه في الجداول الحسابية الآن حتى أصبحنا نراه غير ذي خطر فنقول عنه انه رمز للعدم . ولكن لولا هذا الرمز لتعذر القيام بالعمليات الحسابية قياما سريعا ولما تمهدت الطريقة للحساب العشري واظلت العلوم الرياضية تجرّ ذيولها على الارض . فالصفر هو الذي يمكننا من ترتيب الارقام حتى يكون لكل رقم منها قيمة خاصة بحسب الرتبة التي يكون فيها . ومع ذلك لم يستنبط الصفر الا في القرن السادس أوالسابع بعد المسيح استنبطه الهنود ونقله العرب الى اوروبا فانتشر في بلدانها. على أن أمة المايا استنبطته على حدة قبلما استنبطه الهنود بألف سنة اه

هذا ماجاء في ﴿ المقتطف ﴾ ولم أرد أن أذكر نار بخهم السياسي كما ذكر لأنه لا يعنينا وانما أقول لك إن هذه الأمم التي ارتقى علمها الى هذه الدرجة قد أصابهم داء التخاذل وفشت المجاعة فيهم وجاء على أثر ذلك فتوح الاسبان . هاأنت ذا أيها الذكي رأيت الأمم الأمريكية القديمة وكيف استنبطوا حروفا كما استنبط أسلافنا ودرسوا الفلك كما درسوه و بنوا أبنية شامخة كما بنوا مع أنه لاصلة بينهم فاعجب لنظام واحد في نصفي الكرة الأرضية كنظام واحد في الشمس وفي الأرض ونظام واحد في المجرّات

إن هذه هي الموسيقى الجميلة . إن الموسيقى والنقش والتصوير وجميع العلوم الجميلة ترجع الى التناسب ، فكلما كثر التناسب تضاعف الجمال ولانهاية للجمال وهذه العوالم كلما عثرنا على ازدياد تناسبها وارتباطها ازدادت بهجتنا وفرحنا واذا رأيت هنا في الأرض مشابهة الحساب السنوي والشمسي والقمري في نصفي الكرة الأرضية فأبهجنا الاتفاق والتناسب وتعجبنا كيف اتفقت العقول المختلفة المتباعدة على وضع واحد ومنهج قليل الاختلاف فكيف يكون فرحنا حينما نخلع هذا الجسم ونسير في المجرّات والعوالم وتشابه مدنيات ونظم تربو وتعظم على مدنيات أهل الأرض ونظمها ، أليس ذلك يورثنا سعادة لانهاية لها وغراما لاحدّ له لبهجة الجمال والحسن والاشراق . انتهى صباح يوم الجمعة (٢٣) مايو سنة ١٩٣٠

﴿ تذكرة لأمم الاسلام ﴾

هذا هو الذي ظهر للناس اليوم من العلوم الفلكية في القارّة الأمريكية ، تلك البلاد التي لم تكتشف إلا منذ (٤٠٠) سنة كشفها (كرستون كلومب) بأمر الملك (فرديناند) وزوجته (إيزابلا) ذلك الذي أزال ملك الأمم العربية الاسلامية من بلاد الأندلس وشردهم شرمشرد ، إذن ظهر بهذا أن الأمم كلها متحدات على النظر في هذه العوالم العلوية ، ولقد تقدّم في ﴿ سورة يونس ﴾ نبذة من علم الفلك مصوّرة بالتصوير الشمسي بهجة المنظر عجيبة ، وذلك في ﴿ موضوعين * الأوّل ﴾ عند آية ـ هو الذي جعل الشمس ضياء ـ ﴿ والثاني ﴾ عند آية ـ فاليوم ننجيك ببدنك ـ وقد ذكرت هناك أن بين المقامين تناسبا عجيبا فان المقام الأوّل فيه ذم الغفلة عن هذه الآيات وأن هذه الغفلة تورث نار جهنم ، والمقام الثاني فيه ذم الغفلة أيضا عن آيات الله ، فترى الصور الفلكية العلمية واضحة في المقام الأوّل هناك بحيث تجد صور كثير من السدم وصورة المجرّة وهكذا ، وفي المقام الثاني تجد من أعجب ماأنتج العقل الانساني بمصر من صور البروج الاثني عشر مرسومة بحسب ماتخيلته الأمم و بقيت أسماؤها الى الآن وهذا عجب ، وهنالك ترى عجائب الاهرام ونظام حسابها المبني

على أساس الدائرة السنوية للأرض حول الشمس ولارتفاعه نسبة الى بعد الأرض عن الشمس وهذا الهرم هو أسُّ القنطار والرطل والوقية وهكذا من الموازين ، وأس الفدّان والقيراط والحبة والدانق والسهم والذراع البلدى والنيلى والمعمارى والهنـداسة فى المساحات . وأيضا هو أسّ الأردب والويبة والـكيلة والربع والملوه والقدح ونصف القدح فى المـكيلات فـكل هذه منسوبة للهرم المنسوب لنظام الفلك . كل ذلك تقدّم هناك فارجع اليه إن شئت

وان تعجب فعجب أن ترى صور البروج المرسومة هناك قد استخرجها القوم فى زماننا من صناديق الموتى وصوّروها بالتصوير الشمسى فنحن المصريين الآن نعجب أن نرى الأمم الذين كانوا قبـل آلاف السنين فى ديارنا يحظى موتاهم فى قبورهم بعلم الفلك مرسوما على الصناديق التى تضم أجسامهم بعد موتهم ونحن الآن وأكثر المسلمين أجهل الأمم بعلم الفلك الذى أقسم الله ببعضه فقال ــ والشمس وضحاها ۞ والقمر اذا تلاها ۞ والنهار اذا جلاها ۞ والليل اذا يغشاها ۞ والسماء ومابناها ۞ والأرض وماطحاها ــ وقال ــ فلا أقسم بمواقع النجوم ــ وأعظم قدره فقال ــ وانه لقسم لوتعلمون عظيم ــ وأكثر من ذكر الشمس والقمر وانهما آيتان من آيات الله تعالى وهكذا هنا يذكر الأرض والشمس والقمر والليل والنهار ، إذن المسلمون أقل علما من الأمم الحاضرة كلها ومن قدماء المصريين وقدماء أهل أمريكا الذين انقرضوا إلا قليلا ، فأين الأمم الاسلامية الحقيقية واذا سمعنا الله يقول ــ كنتم خير أمة أخرجت للناس ــ ثم نظرنا فوجدنا الأمم البائدة تعلم من جمال الله فى كواكبه مالانعلم ووجـدنا الأمم النصرانيـة كلها عالة به ونحن عالة عليهم ، فأين نحن من هذه الخيرية التى لاتوجه إلا الى أمم علمت وارتقت ورقت أهل الأرض كما تمّ فعلا لأسلافنا ، فهم حقا ــ خـير أمة أخرجت للناس ــ ولايلزم من أفضلية الأب ونفعه للناس أفضلية الابن ونفعه لهم ، فتأمّل ماجاء فى كتاب الاستاذ سديو الفرنسى فى صحيفة (٢١٢) ومابعدها المطبوعة فى الترجمة العربية إذ يقول ماملخصه : « إن نار الحرب المشتعلة فى القرن الحادى عشر فى الشرق بعـد الميلاد (فـكان فتح محمود الغزنوى وكانت غارة السلجوقيين وكانت حروب الصليبيين مع المسلمين واعدام صلاح الدين الخلافة الفاطمية سنة ١١٧١ من مصر واعدام هولاكو الخلافة العباسية ببغداد سنة ١٢٥٨) قد غيرت معالم السياسة فى آسيا ومع ذلك مازال تقدّم العلم كما كان قبلا وظهر هناك علماء مثـل البيرونى فى الفلك إذ أحضره محمود الغزنوى سـنة ٩٩٧ فى ديوانه ، وأحضر هولاكو خان المغولى الى ديوانه بعد تغلبه على الملك سنة ١٢٥٩ نصير الدين الطوسى وهكذا نقل جمال الدين الفلكى مع الخان كوبلاى علوم العرب الى مملكة الصين وهكذا الخ وقد ذكرت هذا مطوّلا فى مواضع أخرى من هذا التفسير . إذن هؤلاء هم الذين كانوا ــ خير أمة أخرجت للناس ــ بنص الآية لأننا وجـدنا الفرنجة شهدوا بأن علمهم فى الفلك الذى نحن بصدد الـكلام عليه قد امتدّ الى الصين وبقى بعد ذهاب دولهم ونفع الدول التى جاءت بعدهم فى الشرق

(١) ألم تر الى مايقوله العلامة الفرنسى المذكور من أن أبا ريحان محمد بن أحمد البيرونى المتقدّم ذكره (الذى كسب علومه من المدرسة البغدادية حين أحضره الغزنوى المتقدّم ذكره الى ديوانه) أخذ يستفيد العلوم الفلـكية من الروايات الهندية التى عندهم قديمة وحديثة ويفيدهم علوم قومه فى الفلك أيضا ويبنها لهم فى كل جهة مرّبها ، وألف ملخصات عربية وهندية ، وكان مشيرا وصديقا للغزنوى المذكور فى ديوانه ، وأصلح الغلطات الباقية فى حساب الروم والسند وماوراء النهر ووضع قانونا جغرافيا كان أساسا لأكثر القسموغرافيات المشرقية ونفذ كلامه فى البلاد المشرقية واعتمد على كلامه سائر المشرقيين فى الفلـكيات . ومنه استمدّ أبو الفـداء الجغرافى العروض والأطوال الأرضية وكذا أبو الحسن المراكشى

(٢) ويقول : « إن الهند لم يكن فيها قبل الاسكندر المقدونى علم الفلك تاما بدليل أن أرسطاطاليس أستاذه لم ينقله عنهم لليونانيين . ولذلك تجد ﴿ كتاب السند هند ﴾ المترجم فى خلافة المنصور الى العربية لم تكن فيه إلا مسائل ابتدائية فى علم الفلك

(٣) ويقول : « إن العرب أتوا فى الفلك بالعجب العجاب وأتقنوا الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيكا وطبقوا الجبر على الهندسة

(٤) ويقول : « ليس للعرب مجرّد نقل كتب اليونان فقد اخترع (البتانى) استبدال أوتار الأقواس التى استعملها اليونان فى حساب المثلث بانصاف الأوتار لا قواس المضاعفة وهى جيوب الأقواس المصوّرة قالوا إن بطليموس لم يكن يستعمل الأوتار الكاملة إلا لتسهيل الاثباتات والتوضيحات وأما نحن فقد استصوبنا استعمال أنصاف الأقواس المضاعفة وهكذا »

وقد أطال فى ذلك ولا أريد أن أطيل فيه لئلا يكون الملل . وإنما أريد الآن اظهار الحقيقة واضحة وهى اننا نحن الآن فى مصر والشام والعراق و بلاد الفرس وجاوه و بلاد الملايو و بلاد شمال افريقيا قوم جهلاء فى علم الفلك الذى حضّ القرآن عليه ولم نساو أمة من الأمم . فلا نحن وصلنا لقيمة قدماء المصريين الذين صوّروا هذا العلم على صناديق الموتى تبركا به . ولا لقيمة قدماء الأمريكيين قبل فتح بلادهم . ولا لقيمة الهند القديمة . ولا لقيمة آبائنا القدماء فى الاسلام أيام صولتهم و بعد ذهاب دولتهم . ولا لقيمة أمم أوروبا واليابان والصين الآن فنحن اليوم بهذا البرهان أجهل الأمم بالعلوم الرياضية ومنها الفلك . والسبب فى ذلك ما انتاب أمتنا قديما من الاضطهاد والاذلال . فلقد كانت الأمم الاسلامية المتأخرة لاتريد إلا العلوّ كما فعل الترك إذ هم لما دخلوا مصر أزالوا منها الصناعات بمجرد دخولهم وأخذوا مئات ومئات من رجال الصناعات فسافروا فى البحر ثم أغرقوا فأما المدارس المنتشرة فانهم نقصوها تدريجا حتى خلت البلاد من رائحة العلم ولم يبق إلا قشور ضئيلة والامشايخ التصوّف الذين كان أكثرهم جهلاء . فلما أن جاءت أيام محمد على باشا حوالى سنة ١٢٢٠ هجرية واستتب له الملك أدخل جميع العلوم فى البلاد ومنها الفلك . ولما دخل الانجليز بلادنا فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى أخذوا يقللون العلوم تدريجا كما فعل الترك . ولما أدخلنا نحن (دار العلوم) سنة ١٨٩٠ م أى فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى بعد الحرب العرابية بقليل قرأنا هذا العلم مع الرياضيات إذ كان ذلك بقايا علوم تلك الدولة المصرية التى أسسها المغفور له محمد على باشا ، و بعد ذلك بسنين معدودة وجدنا هذا العلم قد محى من البلاد ومحيت معه علوم المعدن والنبات والحيوان والتشريح علما من الفاتحين للبلاد بأن تلك العلوم مرقيات للأمم وهم لايريدون ذلك ، فلما أن أخذت بلادنا استقلالا اسميا سنة ١٩٢٢ ميلادية دخلت بعض تلك العلوم ، وهاهى ذه علوم التاريخ الطبيعى تدرس كالحيوان والنبات الخ ولكن الى الآن لم يدخل علم الفلك مع توفر علم الرياضيات ، وذلك بعد أن أرسلت خطابا لمجلس النوّاب وللوزارة المصرية ، تجده مكتوبا فى هذا التفسير فى ﴿ سورة يونس ﴾ تحت عنوان « مذكرة لاصلاح التعليم الثانوى بالمملكة المصرية » عند الكلام على آية ـ هو الذى جعل الشمس ضياء ـ

إن الأمم الاسلامية كما منيت بالملوك الظالمين الجاهلين من الأمم الاسلامية وغير الاسلامية فغيروا وجهتها منيت أيضا بكثير من رؤساء الدين الجهلاء الذين يفعلون معهم فعل الملوك الفاتحين فيذمّون لهم العلم و يزينون لهم الجهل . ولقد تقدّم هذا فى غيرما موضع من هذا التفسير ، وتجد بعضه فى ﴿ سورة ابراهيم ﴾ فى أواخرها و بعضه فى ﴿ سورة الكهف ﴾ عند الكلام على آية ـ وما كنت متخذ المضلين عضدا ـ و بعضه فى ﴿ سورة سبأ ﴾ ووالله انه ليؤلمنى أن يسود الجهل فى بلاد الاسلام ، تلك الأمم التى كان أسلافها ـ خير أمة أخرجت للناس ـ فهم هم الذين بعلم الفلك والجغرافيا أيقظوا العمران ، وأناموا الجهل ، ونفعوا عباد الله . ألم ترالى

ما

ماذكره العالم المذكور الفرنسى فى صحيفة (٢٢٧) ومابعدها أنهم أنشأوا أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينتى قادس وطنجه الى أقصى آسيا ﴿إحداها﴾ تخترق اسبانيا وأوروبا و بلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ و بلاد تجزجز ﴿والثانية﴾ تخترق بلاد المغرب ووادى مصر ودمشق والكوفة و بغداد و بصره والأهواز وكرمان والسند هند ﴿والثالثة والرابعة﴾ تعبران البحر الأبيض المتوسط وتتجه إحداهما من الشام والخليج الفارسى والأخرى من الاسكندرية والبحر الأحمر لتوصل الى بحر الهند ، فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى أقصى البلاد ماعند العرب من الأفكار والتمدن واستفاضت الأخبار الجليلة الخ

هذا ما أردت ذكره الآن ولقد سبق بأوسع من هذا فى غير هذا الموضع ، فهؤلاء هم أسلافنا فى العلوم الفلكية والجغرافية ، فهم كانوا نورا أضاء بلاد المشرق والمغرب بشهادة الاوروبيين الذين نقلوا العلم عنهم كما رأيته . إذن الآيات المذكورات هنا فى الشمس والقمر والأرض والليل والنهار لايعمل بها المسلمون الآن لاهى ولاغيرها إلا قليلا منهم كأمة الترك الآن

فاذا ثبت هذا فهل نحن ــ خير أمة أخرجت للناس ــ الآن . لا لا . نعم ان انتشار هذا التفسير وأمثاله سيحدث فى أمم الاسلام انقلابا عظيما وسيكون وطيد البنيان ثابت الأركان لأن المدنية المستقبلة ستبنى على تجارب ماحلّ بآبائنا المتأخرين ودراسة تاريخهم تجعل أبناءنا يقظين ويكونون ــ خير أمة أخرجت للناس ــ لأنهم يرون الضعف الذى حلّ بآبائهم فيجدّون ليقوّوا أنفسهم و يداووا هذا المرض الذى حلّ بهذه الأمة . إذن الأمم الاسلامية ــ خير أمة أخرجت للناس ــ ولكن أصابها الوهن والضعف والمرض نخفيت خيراتها وبانت عوراتها . ومتى حصل التداوى بنشر أمثال هذا التفسير يصح جسم الأمة وترجع المجد الذاهب والعزّ الزائل ويكون أبناؤنا ــ خير أمة أخرجت للناس ــ عملا بالفعل لا بالقوّة ، وان يكون ذلك إلا اذا قرؤا جميع علوم الأمم شرقا وغربا وفاقوهم فى ذلك وكانوا لهم نافعين كما كان آباؤهم الأوّلون والحمد لله رب العالمين

كتب يوم الاثنين (٢٦) مايو سنة ١٩٣٠

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

﴿ عجائب الكواكب فى الكشف الحديث وبدائع الحرارة والضوء فى قوله تعالى ــ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون ــ الى آخر الآيات ﴾

الله يقول انه سلخ النهار من الليل فأظلم الناس . إن هذا فتح باب للتحليل . فههنا ضوء وههنا ظلمة يقول الله انه سلخ الأوّل من الثانى . أما الظلمة فهى عرض قائم بالأثير وكذلك النور الذى هو تموّج وهذه الموجات المتتابعات الواقعات فى الأثير اذا كثرت بحيث يكون فى الثانية الواحدة منها مئات آلاف الملايين فانها تكون حينئذ ضوأ أحمر وأصفر و برتقاليا و بنفسجيا وقد تقدّم ذكرها فى غير هذا المكان أعنى أن ضوء الشمس ركب من سبعة ألوان وهذه الألوان تختلف بحسب عدد الموجات فى الثانية الواحدة أى نحو أربعمائة ألف ألف مليون الى نحو (٧٠٠) ألف ألف مليون ، فهذه الأضواء المرسلة من الشمس باتحادها صار هذا اللون الذى نشاهده على الأرض ، فهذا كله يسلخه الله فيبقى الجوّ مظلما ، ولاجرم أن الظلمة عرض والعرض يقوم بجوهر ، إذن هناك جوهر مظلم ألبس نورا فلما خلعنا لباسه أظلم كأصله

هذا هو الذى عرفه الناس فى الأرض من حال هذه العوالم ظلاما و إضاءة . وهذا السلخ له نظير تقدّم فى هذا التفسير فى الهواء وفى الماء . الماء يسلخ أكسوجينه من أودروجينه . وهذا يسمى فى علم الكيمياء تحليلا فتى حللناه اليهما صارا جسمين غازيين أى كالهواء . ومعلوم أن الاكسوجين يفيدنا الحياة فى تنفسنا وينقى دم كل حيوان وينفع كل نبات . أما الاودروجين فاننا اذا أحرقناه فى الجوّ كما تقدّم فى ﴿سورة

النمل﴾ اتحد حالا بالأكسوجين الذى فى الهواء لأن الهواء ركب منه ومن النيتروجين وحينئذ ينفرد النيتروجين المذكور أى الاوزوت . وهذا الاوزوت يدخل فى النوشادر لأنه يمكن اتحاده بالاودروجين أيضا بعمل خاص وهـذا النوشادر نافع فى ﴿أمرين﴾ أمر السماد . وأمر الآلات المهلكة فى الحرب . إذن التحليل فى الماء والتحليل فى الهواء أعطيانا منافع جمة ورأينا حكما تحيط بنا من كل جانب

سلخت يا ألله النهار من الليل فأظلمنا وأنت جعلت البخار الطائر فى الجو ماء . فنحن بالهامك كشفنا جزأ من الهواء فجعلناه سمادا وآلات مهلكات إذ جعلناه كالثلج . فمأؤنا حللناه وهواؤنا حللناه وأنت سلخت ضياء من الظلام

﴿ فصل فى الحرارة والنور ﴾

سبحانك اللهم : أنت أنعمت علينا بالعلم . وكسوتنا حللا من الحكمة . وأريتنا الجمال والبهاء والحسن والنور والاشراق والبهجة

سبحانك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . إن ماظهر من جمالك قد استغرق أيامنا وملأ قلوبنا بهجة . فكيف بنا اذا اطلعنا على ماهنالك من جمال وبهاء وحسن واشراق ؛ إن الانسان اذا جلس فى حجرته ونظر نور القنديل فيها وجده متحدا بالحرارة . فلانور فى أرضنا إلا وقد اتحد بالحرارة . نوقد النار فى الفرن فنحس بالحرارة أوّلا ثم نرى النور آخرا . إذن الحرارة مقدّمة على النور وهما ممتزجان متحدان اتحاد القوّة الغضبية فى الانسان بالقوّة العقلية . إن أهل الأرض خلقوا من نور ونار . من حرارة وضوء . من شرّ وخير . نور الشمس فيه الحرارة وفيه الضوء . ولما كانت هى الأصل كانت جميع الأنوار منها على هذا النمط . فمامن نور إلا ومعه حرارة ولم نعرف قبل أيامنا هذه النور ينفصل عن الحرارة . لانور بلاحرارة ولكن ظهر فى النوع الانسانى من الأذكياء من قالوا : « إن الحرارة يمكن فصلها عن النور » وهم الآن يجدّون ليجعلوا القوّة التى صارت حرارة تنقلب الى ضوء . فالشمعة التى أبرزت حرارة وضوأ بحسب العادة اذا حوّلت حرارتها الى ضوء تضاعف الضوء البارد وزاد نفعه وقلت نفقاته

هذه هى آراء الناس الآن وهم فيها مجدّون . إذن الناس اليوم يريدون أن يصنعوا من الحرارة والضوء ماصنعوه مع أجزاء الهواء وأجزاء الماء أى يحللون الأعراض هنا كما يحللون العناصر هناك . يشير لذلك كله ـ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ـ فذلك كله انسلاخ

﴿ انسلاخ الحرارة من الضوء كما انسلخ النهار من الليل ﴾

وهل كان يدور بخلدنا (ونحن فى هذه الأرض التى اتحدت الحرارة عليها بالضوء وأخذ العلماء يفصلونهما) أن الله فى سمواته قد فصل الحرارة من الضوء فجعل شموسا مضيئة لاحرارة فيها ، أوليس هذا من الابداع العجيب أن نجد فى السموات تلك العجائب . عجائب الشموس المضيئة التى لاحرارة فيها

اللهم إن فعلك عجيب . خلقت نفوسنا وجعلت عقولها مرتبطة بغضبها أى ان أنوار العقول جعلتها فى أنفسنا مصاحبة للقوّة الغضبية . فلما كان ضوء الشمس مصحوبا بالحرارة كانت أنوار عقولنا مصحوبة بالقوّة الغضبية التى هى فى الحقيقة قوّة ذات حرارة . ففينا قوّة ملكية هى قوّة العقل مصاحبة لقوّة سبعية هى قوّة الغضب

فهل هذه الشمس التى رآها الناس اليوم مضيئة غير حارة قد خلقت يا ألله فيها أناسا مثلنا فيهم عقل ولا غضب لهم . إذن أنت كما جعلت الذكورة والأنوثة ليستا شرطا فى ايجاد المواليد كما تقدّم فى ﴿سورة مريم﴾ لأن بعض الحيوان لايحتاج الأنثى منه الى ذكر بل هى تلد ولاملقح لها . هكذا خلقت شمسا فيها ضوء لاحرارة لها . إذن أنت تخلق أناسا مثلنا ذوى أجسام كالحيوان ولكن لاغضب لهم ويكونون أرقى منا مع أنهم ليسوا ملائكة

ـ إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ـ

﴿ الكشف الحديث فى الحرارة والضوء ﴾

(وعظمة الأجرام السماوية)

جاء فى بعض المجلات العلمية مانصه :

﴿ تيليسكوب جديد يرينا ملايين من النجوم ﴾

كلما أعجبنا باختراع وحسبناه فى منتهى درجات الكمال راح العلماء المفكرون والمخترعون المجددون يزيدون فيه ويحسنون وينتقلون به من حسن الى أحسن فاذن الاختراع الأول شئ بسيط لوقارناه بالثانى

حينما نصب التيليسكوب الذى قطرعدسته (١٠٠ إنش) على جبل ولسن بكاليفورنيا قلنا إن العلم قد انتهى الى كشف أسرار الكواكب والنجوم وأن المراصد الفلكية وصلت الى حد الكمال . وكأن العلماء لم تكفهم الحقائق الغريبة التى توصلوا اليها ولم يجدوا فى تيليسكوب قطرعدسته (١٠٠ إنش) مايطفئ شهوتهم للعلم والبحث فاستقر رأيهم على صنع تيليسكوب قطرعدسته (٢٠٠ إنش) • واذا كانت الآلة الحالية التى فى مرصد جبل ولسن قد أبرزت (١٥٠٠) مليون نجم فان العدسة الجديدة التى سيتم صنعها بعد خمس سنوات ستكشف أمام الأنظار مئات الملايين من النجوم والسدم التى لم تر بعد . وستكون العدسة الجديدة أقوى من الأولى بنحو عشر مرات . ومنذ بدأ مرصد جبل ولسن بحوثه بالتيليسكوب البديع أضاف الى معلوماتنا (على قصر عهده) أشياء كثيرة عن السماء ونجومها . ولقد ذكر الدكتور جيانس سكرتير الجمعية الفلكية الملكية وعضو مرصد (مونت ولسن) حقائق غريبة يقف العقل أمامها مدهوشا حائرا

وقد جاء فى كتيب أصدره أخيرا : ان بعض النجوم بعيدة عنا جدا . ولوعلمت أن ضوءها يصلنا بعد (١٤٠) مليون سنة وأن سرعة الضوء (١٨٦٫٠٠٠) ميل فى الثانية الواحدة لاستطعت أن تتصور مبلغ البعد الشاسع الذى بيننا وبينها . ويتكهن الدكتور أنه بمعونة عدسات قوية يستطاع رؤية أضواء غادرت كواكبها منذ (١٠٠٫٠٠٠) مليون سنة . إن شمسنا أكبر من الأرض بمليون مرة وماهى إلا إحدى الشموس العديدة ذوات الأجرام التى هى أكبر من الشمس . وقد تبلغ تلك المجموعة الشمسية آلاف الملايين وهذه المجموعة بدورها إحدى المجاميع الهائلة التى يتكون منها شموس وكواكب

ويقول الدكتور جيانز : ان هناك شموسا باردة واننا لواعتمدنا على أشعتها مثلا لجمدت بحارنا على الفور ولتحول جونا الى هواء سائل ، وأن هناك شموسا يبلغ من شدة حرارتها أنها لوسلطت على الأرض لصيرتها بخارا ، ولو وضعت قطعة فى حجم الحمصة من تلك الشموس الشديدة الحرارة على بعد ألف ميل ووقف تحتها انسان لشوته وكوته . وبعد فأى غرائب وعجائب سيطلعنا عليها تيليسكوب (٢٠٠) إنش ؟ انتهى ماجاء فى المجلة المذكورة

هذا هو الكشف الذى عرفه الناس الآن ، ثم ماهذه الشمس المحرقة التى تكون نصف الحمصة منها تشوى الانسان وتكويه على بعد ألف ميل ، هل هذه دار من دور جهنم ؟ ومن ذا كان يظن اننا نعرف ونحن فى هذه الأرض أن لله شمسا مضيئة باردة وأن له شمسا أخرى محرقة وصفها كوصف جهنم بل هذا وصف لم يكن ليخطر بالبال معرفته . إذن القرآن أتى لنا بشذرات من العلم وقل لنا ـ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ـ اللهم إنك أنعمت علينا بقراءة هذا التفسير بنعمة العلم وبنعمة الحكمة ، أريتنا العجب العجاب ، اللهم اننا اذا انطلقنا الى ساحات الجمال وشاهدنا مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر قلب بشر . هنالك نكون فى جنة العرفان والعلم التى هى أقصى مايشرئب اليه المجدون وأعلى مايبغيه المحققون

وهل من عجب بعد هذا كله اذا سمعنا الله تعالى يقول ـ ونزعنا مافى صدورهم من غلّ اخوانا على سرر متقابلين ـ . إن الناس فى الأرض قد مزجت عقولهم بأهوائهم وشهواتهم . وهذا المزج والاتحاد لايساعدهم على دخول الجنة لأنها للجمال المجرّد لاحظّ للشيطان الشهوانى الغضبى فيها . فاذا رأينا الله قد سلخ الحرارة من الضوء فى بعض الكواكب . ورأيناه علمنا طرقا بها نباعد مابين الاكسوجين فى الماء والاودروجين ومابين الاكسوجين والاوزوت فى الهواء . ورأيناه هوسلخ النهار من الليل . فهل من عجب اذا نزع مافى الصدور من الغلّ كما نزع مافى الضوء من حرارة ؟ ـ ان ذلك على الله يسير ـ

ألا وان هذه الأبعاد الكوكبية التى ذكرت هنا يقف العقل أمامها حائرا باهتا . فماهذا الكون الواسع ؟ ضوء الشمس يصل لنا فى (٨) دقائق و ١٨ ثانية مع أن المسافة بيننا و بينها بسير القطار المعتاد نحو (٣٥٠) سنة و بسير قلة المدفع نحو (١٢) سنة . هذا الضوء الذى هذه صفته يسير (١٤٠) مليون سنة حتى يصل لنا من بعض الكواكب البعيدة عنا . ثم ان الدكتور (جيانس) المذكور يقول : « إن الناس سيشاهدون كواكب لايصل ضوءها الى الأرض فى أقل من مائة ألف مليون سنة . هذه أحوال تدهش وعجائب يحار العقل فيها . إن هذا العالم عجب والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم فى المبصرات والمسموعات من حيث الفلك والموسيقى والشعر وغناء الأطيار
وسرّ قوله تعالى ـ والشمس تجرى ـ الى قوله ـ ذلك تقدير العزيز العليم ـ ﴾

(عملى فى الحقل وعواطفى فيه)

فى ليلة الثلاثاء (١٠) يونيو سنة ١٩٣٠ بينما أنا جالس بمنزلنا بالقاهرة وكان معى ذلك الصديق العالم ونحن نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث إذ سمعت نغمة فى الطريق وتوقيعا صادرين من بعض المارّين فى الشارع فكان لذلك وقع فى نفسى فصمت قليلا فأدرك صديقى مايخالج نفسى . فقال : إن للعواطف لآثارا وان للآثار لنتائج . أنغمات العامّة فى الشارع تبهجك أم توقيع المارّة يطربك ؟ وعهدى بك لاترنو إلا الى ما كان بالقواعد مرسوما وعلى شرائط العلم موزونا . وهؤلاء لاهم بالموسيقى عارفون ولا بفنون الأنغام عازفون

على أننى أقول : ولعلك استرسلت مع عواطفك وسرت مع عادات سرائرك . واذا كنت اسجع الطيور على الغصون ولغو ير الأعشاب فى الحقول تهتزّ طربا وتبتهج عجبا فليس بدعا إذن طربك الساعة بتوقيع العامّة فى الطرقات ولا بغريب اصغاؤك لهم فى حنادس الظلمات والنجوم مشرقات فى هذه الدجنات . فهل لك أن تفيض القول فى بعض آثار الأنفس الانسانية وعجائبها الحكمية اذا أبصرت بهجة الجمال أوسمعت بديع النغمات . فقلت : لقد أثرت أيها الصديق فى نفسى ثائرة الذكرى وهجت من فؤادى ما كمن أيام الشباب ، فكم كانت الذكرى تعاودنى لأدنى سبب ولواعج الشوق تبعث فى النفس بواعث الطرب . فقال : إن الحديث يحلو لاسيما فى أوقات الخلوات وصفاء الأوقات وقد خشعت الأصوات وسكنت الحركات . فقلت : لأذكر لك ﴿حديثين ☆ الأوّل﴾ انى كنت وأنا مجاور بالجامع الأزهر اذا حلّ فصل الصيف قفلنا راجعين الى قرانا فكنت أنا أزاول الأعمال الزراعية مع والدى بقريتنا وكنت أحسّ بنشاط ومسرّة لاحدّلهما بعد تمام الأعمال فى حقلنا ، وكان العمل فيه يكسبنى سبع خصال :

(١) استنشاق الهواء الطلق فى الحقول
(٢) وملاحظة النبات وأوراقه وأزهاره
(٣) وقوّة العضلات بالعمل
(٤) و يتبعه نشاط العقل للعلم
(٥) وتدريب النفس على ملاحظة دقائق الامور إذ يصطفى الانسان مازرع فيحفظه و يبيد الحشائش

الضارة به

(٦) وتحسين الخلق لأنه يتبع صحة الجسم والعقل

(٧) وانى تعاطيت أفضل أنواع الرياضة لأنه يليها رياضة المشى وآخر الدرجات رياضة التمرينات العضلية فى المدارس (جناستك)

فهذه هى الفوائد العوائد على من يتعاطى الأعمال الزراعية من أهل العلم فى هذه الكرة الأرضية وفوق ذلك يشارك أهل بلدته فى عواطفهم فيكون ذلك أدعى للعلم بأحوالهم وذلك يوسع نطاق المعارف العامة للكتاب ، فأما من لم يعرف من العلم إلا ماسطره المؤلفون فذلك فى العلم غير مأمون

﴿ المسرة فى السموات أعلى من مسرات الأرض ﴾

و بينما أنا فى الحقل أعمل مع والدى إذ أخذ يحدثنى عن أيام أسرتنا الأولى وما كان لهم من مجد باذخ وعز كامل وانهم كانوا قد نصروا على أعدائهم وأن جدى لأمى مع أسرتنا كلها كانوا يبتهجون بالولائم العظيمة التى كانوا يصنعونها فرحا بالنصر وابتهاجا بالثروة . وأخذ يصف الطبل وأنواع النغمات التى كانوا بها فرحين فأطر بنى حديثه ولكننى أحسست فى نفسى بدافع قوى ووجدان داخلى لم أقدر على مدافعته فقلت ياوالدى هذه النغمات المطربات والطبول وأنواع الآلات التى فرحتم بها أحس فى نفسى بأنها قطرة من بحر وقل من كل من طرب العوالم السماوية فوق الكواكب لأنى أحس فى نفسى بأن تلك العوالم أوفر طربا وأعظم بهجة من كل مايعرفه الآدميون . فرأيته سر بهذا القول وظهر عليه هيئة التعجب من هذه المفاجأة التى لم تكن منتظرة . انتهى الحديث الأول

﴿ الحديث الثانى ﴾

(غناء المغنيات الفرحات زاد فى شوقا للعلم)

إنى كنت يوما متوجها الى الجامع الأزهر (وربما تقدمت الاشارة الى هذا الحديث فى هذا الكتاب) و بينما أنا سائر فى الطريق المؤدى الى (بلدة بوردين) إذ رأيت ركبا سائرين فوق سكة الحديد . وهناك نسوة على الجمال يغنين طربات وأمامهن شبان يسوقون و يقودون الجمال وهم جميعا فرحون وكان ذلك ضحى والجو جميل وهم سائرون الى زيارة (الشيخ أبى مسلم) على عادة أهل بلادنا . هنالك خيل لى أن أشجار السنط التى كانت تحف بالجسر من الجانبين والحشائش النابتة حولها والنهر الجارى بجانبها وزروع الحقول حولها كأنهن جميعا رواقص مغنيات بهجات وخيلت لى هذه الدنيا كلها كأنها حفلة طرب و بهجة أنس ونسيت أن هؤلاء فرحون بزيارة شيخ الضريح وأنهم لا يعلمون عنى شيأ وصرت أشعر أن هذه الحفلات وأنواع الطرب والمسرات انما تجات لى أنا ، أنا ذاهب الى المجد الباذخ والسعادة العظمى ، فسعادتى دائمة وسعادتهم مؤقتة ، ألا ترى أن عادتهم أنهم يرجعون من هذه الزيارة بعد ثلاثة أيام . فهذه حال نفسى فى ذلك اليوم ، فانها حولت طرب العامة الى طربها وأخذت تتجلبب جلابيب الأنس والسعادة التى استابتها مما يحيط بها وتجاهلت أنها لم تكن مرادة بهذه المناظر البهجات ولا النغمات المطربات ولا المظاهر الفرحات كأنها كانت تحس إذ ذاك أن للعلم دولة سوف تتبوأ منها مكانا شريفا وأنها لابد واصلة الى ما أحبت من الحكمة والعرفان

فهاتان الحادثتان كانتا أيام الدراسة الأزهرية فى أيام الشباب

﴿ صدحت الموسيقى فكانت من أهم المبشرات لى ﴾

وهناك حادثة ثالثة أيام أن شرعت فى تدريس العلوم بالمدارس المصرية ، فبينما أنا ليلة جالس ببلدة الجيزه مع المدرسين فى ليلة احتفال بزفاف عروس إذ فاجأتنا نغمات الموسيقى فما أن سمعتها حتى أغشى على وأنا أكتم حالى عمن حولى ، ذلك انى كما تقدم فى ثنايا هذا التفسير كنت عاهدت الله انى اذا عرفت أن هذا العالم منظم وأدركت حقائقه بقدر طاقتى البشرية فانى أؤلف كتبا لمن بعدى من المسلمين حتى لا يقعوا فى

حيرة كما وقعت ولايشكوا فى أمر هذا الوجود كما شككت واتفق انى كنت إذ ذاك فى أوائل أيام عهدى بالقيام بمهنة التدريس وانى فكرت فيما عاهدت الله عليه لأنى إذ ذاك أخذت من العلوم بحظ يكفى أن أؤلف للمسلمين وانى لذلك أخذت أراجع الفلسفة القديمة كما أقرأ شذرات من الحديثة مع ضيق الوقت وكثرة أعمال الدراسة . فلما سمعت نغمات تلك الموسيقى وهى تصدح خيل الىّ أن هذا الطرب انما هو لتمام أمرى وانى لابدّ واصل الى ماطلبت وأن آمالى صادقة وأعمالى تامّة ، فهذه الخواطر كلها هى التى فهمتها من تلك الموسيقى واخوانى حولى لايشعرون بما يجول بخاطرى وأنا أجتهد أن لايبدو على وجهى علامات الآثار النفسية . ثم قلت : فهذه الوقائع الثلاث ضربتها أيها الأخ مثلا لما يتردّد فى نفسى من العواطف التى لايدلى فى تحصيلها ولاقوّة لى على دفعها . فقال صديقى : فحدّثنى ما الذى أثارته فى نفسك هذه النغمات التى سمعتها الليلة فى الشارع . فقلت : أنا لا أكتمك الحديث . يظهر لى أن هذه العوالم المحيطة بنا موقظات لنفوسنا مشجعات لها على أعمالها . أتدرى ما الذى خيل لى وأنا معك ؟ خيل لى أن هذه السموات كلها حفلات طرب وأن النجوم فى آفاقها راقصات تخليت بجلابيب الجمال وتسربلت بسرابيل البهاء وأن نغمات الأشجار والزروع والطيور وخرير المياه فى هذه الحفلة الرائعة بعض الموسيقى الصادحة فى هذا العرس العظيم وكأن أسماعنا وأبصارنا هى المرادة من هذا الجمال ، نعم نحن لنا حاسة اللمس وان هى إلا منذرة لنا ومبشرة للاحتراس مما يؤلمنا من نار محرقة مثلا وللاقبال على مايوافقنا من كل مالنا به انتفاع وسرور ، ولنا حاسة الذوق فبها نذر مايضرّنا ونصطفى مايوافقنا من المطعوم والمشروب ، فهاتان الحاستان خاصتان ببقاء أجسامنا وايجاد نسلنا بالتقاء الصنفين الذكر والأنثى ، فأما حاستا السمع والبصر فلهما شأن أعلى وان شاركتا تينك الحاستين ، ألم ترأن سماع الموسيقى ونظر الوجوه الجميلة يدعوان أكثر نوع الانسان الى ماتدعواليه تانك الحاستان فكأن السمع والبصر كأنهما متممان لشهوتى البطن والفرج عند الحيوان هكذا هما كذلك عند أكثر نوع الانسان ، وهما وان كان ذلك دأبهما عند العامّة والجهال و بعض صغار العلماء لهما القدح المعلى فى استخراج طائفة من الجمهور الانسانى وفى بذر بذور السعادة والبهجة العلمية . ألم تر الى ماتقدّم عن طيماوس الحكيم الذى يقول فى محاورته مع سقراط « ان الله خلق لنا البصر لندرك به النجوم وندرسها . ومن هذا الباب نلج باب الفلسفة » وهكذا تسمع الفلاسفة يقولون : « إن الموسيقى المسموعة باب من أبواب الموسيقى المعقولة التى لاتعرف إلابادراك هذا النظام العام » ولاسبيل لذلك السماع العقلى إلا بدراسة سائر العلوم من الرياضيات والطبيعيات وأساسها والنظام العام لهذه الكائنات . هنالك مؤازرة واتحاد فى النتائج بين حاستى السمع والبصر . فالصور الجميلة تذكر بالنغمات والأخيرة تذكر بالأولى . ومن عرف هذا أدرك معنى قوله تعالى فى ﴿ سورة الملك ﴾ ـ قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاماتشكرون ـ وأدرك ـ وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولاأبصارهم ولاأفئدتهم من شئ ـ الخ ومعنى قوله تعالى ـ إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ـ إذن السمع والبصر هما البابان المفتوحان فى الانسان ليوصلا المعارف والعجائب الى الأفئدة المستيقظة كما أنهما يوصلان طرق استبقاء الشهوات الحيوانية للنفوس الضعيفة فى هذه الحياة . فقال : أريد ايضاحا أتمّ للالتئام مابين حاستى السمع والبصر يكون أكثر ايضاحا وأتمّ شرحا . فقلت :

﴿ حزن الباكيات على الميت حوّلته نفسى فجعلته بكاء على جهلها بعلم النجوم ونظام العالم ﴾

أنا أذكر حادثة رابعة وقعت لى أيضا أيام كنت مجاورا بالجامع الأزهر وربما مرّ ذكرها فى هذا التفسير ذلك أنى توجهت الى بلدنا بالشرقية وقد مات رأس أسرتنا وعظيمها ، وكانت عادات أهل البلاد أن يقيموا مأتم مثله (٤٠) يوما فكنت كل ليلة أنتبذ من القوم مكانا قصيا وأجلس فى ناحية وأنا ناظر الى النجوم استمع النغمات المحزنات (اللاتى تتخلل أشجار النخيل المحيطة بالقرية فى ظلمات الليالى الحالكات) من أفواه نساء

القرية اللاتى يندبن ذلك العظيم و يرتلن ذلك الندب بهيئة منتظمة موسيقية على مقدار ماتعلمن من أسلافهن بالمحاكاة والممارسة والتدريب فكانت هذه الأصوات أتخليها كأنها ترتفع فى جوّ السماء من خلال الأشجار وتسارع الى النجوم وكأنهنّ لايندبن عظيم أسرتنا الميت بل هنّ يندبنني لأنى جاهل بهذه العلوم التى يسارع الصوت فى الصعود اليهنّ من خلال النخيل ، فهذه كانت حالى فى تلك الليالى ، أسمع غناء النادبات فتصل رنات الحزن الى قلبى وهنّ يبكين علىّ لجهلى بهذه العوالم

هـذه هى العواطف التى كانت تتسابق الى قلبى إذ ذاك وهى من أعظم المشوّقات الى تلك العلوم التى لم يكن ليخطر لى أنى أعرف بعـد ذلك منها شيأ اللهم إلا الأمانى والآمال والتلهف عليها والحسرة والحزن على موت النفس بالجهل العظيم ، فهاهوذا الصوت المسموع ذكرنى بعلوم النجوم وسيرها أى ان المسموع ذكر بالمنظور . فقال : أريد أن تذكر لى بعض ما تتخيله الآن فى هـذه السنّ لأوازن بالحقّ ما بين خيالك فى الشباب وخيالك فى المشيب . فقلت : لقد قدّمت لك فى ﴿ سورة فاطر ﴾ عند آية ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ـ الخ ما يكفيك وأزيدك عليه الآن ماتخيلته من مخاطبة القمر المذكورة هناك

﴿ بهجة البدر ﴾

(فى الموقف المتقدّم ذكره فى « سورة فاطر » عند آية ـ ألم تر أن الله أنزل ـ الخ)

كأنه أخذ يقول لى : « سيقف موقفك هـذا قوم من الأمم الاسلامية وغير الاسلامية و يفكرون فى أنفسهم . وقد أحاطت بهم الأشجار والزروع ، هل يتجاذبون فى خواطرهم الحديث معى ؟ وهل يخيل اليهم انهم فى بهجة وجمال و ينظرون هل أحسوا فى أنفسهم أن الأرض أشرقت بنور ربها وأن هذه الدنيا فيها مبادىء جناتهم ومسرات نعيمهم ، وسيذكر المصطفون منهم أن الأرض التى هم عليها فى مثل هذا الموقف إن هى إلا ذرة من الوجود ، وما الشمس وتوابعها التى لاتزيد فى المجموعات الكوكبية (المجرّات والسدم) البالغات (٣٠) ألف مليون إلا كحبة رمل فى فلاة واسعة ، واذا صغر العالم كله على هيئة خاصة بحيث تصبح الأرض فيه جوهرا فردا فان جميع شموسه ومجراته وسدمه تبلغ ألف مليون أرض ، وهنالك تدهشهم عظمة الكون وتدهشهم كما أدهشتك و يرون كما ترى أنت الآن أن علومهم نسبتها الى حقائق هـذا الكون كنسبة ضآلة أجسامهم وحقارة أرضهم الى سعة هذه العوالم ، واذن يحقرون أكثر مايسمعون من علوم أهل الأرض الجاهلين الذين ورثوا عن آبائهم مخازى من العلم وأضاليل من الجهل وهم يدرسونها ولايعقلونها وكيف يكون لله ولد وهذا الولد لايولد إلا فى هـذه الذرّة المنبوذة من الوجود ، ومعلوم أن الشمس لاتزيد عن جزء من (٢٥) مليون جزء ومن كوكب الجوزاء ، وما الجوزاء إلا كوكب واحد من مئات الملايين من مجرّة واحدة والمجرّة معها مجرّات وسدم لاتنقص عن ثلاثين ألف مليون مجرّة وسديم وأن هذه العوالم كلها اذا جرى النور حولها لايتم دورته فى أقل من مائة ألف مليون سنة (كما تقدّم فى آخر سورة الكهف عند قوله تعالى ـ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى ـ الخ فراجعه) هناك تبدل العقول غير العقول و يقولون اذا كان الضوء يسير فى الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أو ٣٠٠ ألف كيلو ، و بهذه النسبة يصل نور الشمس الى الأرض فى (٨) دقائق و (١٨) ثانية مع أن القطر لايصل منها الى الأرض فرضا إلا فى (٣٥٠) سنة وقلة المدفع لاتصل فى أقلّ من (١٢) سنة

فاذا كانت هذه حال الكون فعلوم أهل الأرض أكثرها ضلال وجهالة . فكيف اختصت أرضنا بأن الله له ولد فيها وحـدها بل كانت الأولى به نحو الجوزاء . وهذه ترهات سيزيلها العلم من هـذه الدنيا . وهؤلاء يرون أن أكثر ماعرفه الناس انما هو حثالة العلم ، وكما أن الذباب والحشرات تعيش على المواد العفنة

القدرة إذ لامعطل فى الوجود . هكذا أهل الأرض اليوم تعيش بعض عقولهم على أقاصيص وأكاذيب وخرافات تعافها النفس ولكنها كافية لحياتهم كما تكفى الرمم لأكل الدود والعفونات والرطوبات لحياة الذباب والناموس والله واسع الفضل على الفاضل والمفضول وعلى الناس والذباب وستخاص الأجيال المقبلة من كثير من الأضاليل والأكاذيب و يسعدون بالعلم سعادة لايحس بها أهل الأرض الآن »

هذا ماجال بخاطرى فى ذلك الموقف : ثم بعد ليال وقفت بعد ذلك المكان قليلا بعد الغروب وقد قفلت راجعا من حقلنا كالمرة الأولى . فهنالك تجلت لى الدنيا بهيئة بهجة جميلة وكأنها ازّينت لى وأخذت أشجار النخيل تترنح على نغمات النسمات وهنّ يبلغن مئات ومئات مصطفات صفوفا متقاربات بحيث يتصافح الجريد و يلتئم . هنالك وقفت دقائق ودقائق والنخلات راقصات رقصا مفرحا وهنّ يدرن دورة تامة بسبب اهتياج الريح وهبوب العواصف . فلو رأيت ثم رأيت قصرا مقاما على أعمدة جميلة من جذوع النخل تعلوه قبب متناسقات خضر ناضرات من الجريد والخوص وسقفه وأعمدته تترنح ذات اليمين وذات الشمال وهنّ شامخات الذرى بهجات المناظر وتسمع مابين آن وآخر هبات النسمات تجعل هذا القصر كله فى هيئة راقصة على نغمات تأخذ بالألباب ومناظر تزيد الاعجاب

ولو رأيت أيها الذكىّ مارأيت أنا من نجوم أخذت تهوى جهة الغرب وقد نظرن لى ولهذه الجوقات الموسيقية وهنّ باسمات تشير بطرف ساحر خفىّ وتقول : « هيا ياحكماء الأرض . إياكم أن تشغلكم عوالم أرضكم عن جمال العوالم . ما أشد فرح أحدكم اذا لمح ابتسامة من حبيب جميل أوأمير نبيل أوملك جليل . أفليس يطير بتلك الابتسامة فرحا و يهتز لها طربا ! فاذا كان العاشق يفرح لابتسامة المعشوق والسوقة لابتسام الملوك فلكم يطير الحكماء فرحا و يهتزّون طربا فى أرضكم اذا أدركوا أن عناية الحكمة العامّة الإلهية اختصتهم وحدهم فى هذه الحياة بوجوه باسمات مشرقات لاعدد لهن من كواكب السماء . فابتسامة واحدة من جميل واحد أوملك تنسى العاشق والصعلوك أشجانه ويتيه على خلانه فكيف بآلاف البسمات المشرقات كل ليلة من مئات ألوف الملايين فى السماء . إن نسبة سعادة النفوس الناقصة فى أرضكم هذه الى سعادة النفوس الكاملة كنسبة بهجة انبساط معشوق واحد لعاشقه الى بهجة ابتسام النجوم السماوية الى الحكماء المفكرين . إن جمال هذه النجوم مغناطيس بها تجذب النفوس الصغيرة الى مجاراة العقول الكبيرة فيرتقون الى أشرف الأعمال وأرفع العلوم و يستعدّون لزيارة تلك العوالم — وأن الى ربك المنتهى —

ومما لمحته فى نظرات النجوم إذ ذاك خواطر أخرى وذكريات وكأنى أخاطب بما فى نفسى من تلك الذكرى لبهجة المقام

وذلك انى بعد أن قطعت زمان الشباب وحلّ بساحتى المشيب وأنا أزاول مهنة التعليم فى المدارس وتأليف الكتب وجاوزت الستين رأيت شباب نفسى لطلب العلم وحبه لايزال غضا طرى الاهاب قويا فأخذت أكتب هذا التفسير ، فأكببت على العمل نحو سنتين كاملتين أو يزيد . وكنت أكتب فى اليوم نحو ٤٠ أو ٥٠ صفحة ومتى كتبت العدد الذى أقرّره فى نفسى أقوم للرياضة فى الحقول حول القاهرة وأمشى نحو (٦) كيلومترات فلما أتممته أحسست فى نفسى بضعف شديد وانهاك فى القوى وضعف فى الأعصاب ولكن فرحت فرحا وسررت سرورا كثيرا لأنى اعتقدت أنى أكملت واجبا . والذى سقت الكلام لأجله أنى بعد تمام التفسير كما قدّمت أخذت أروض نفسى خارج القاهرة فكنت فى بعض الأوقات أجلس عند بلدة المرج وأجلس هناك فى الهواء الطلق وأنا ضعيف فسمعت إذ ذاك الآلة الحاكية المسماة (الفونوغراف) إذ يحكى بالصوت الجميل واللغة العامّية مامعناه « يابابا وأعمل له الواجب ، وأنا أمشى له وأتعاجب ، وأغمز بالعين والحاجب »

هذا ماكنت أميزه من أصوات الفونوغراف المذكور الذى يعبرعن شعور الفتاة البكر وقد حضر خطيبها

وهى

وهى توصى أباها أن يكرم مثواه فى الضيافة وهى تتولى اظهار المحاسن له وتكون معجبة بجمالها ، فاكرامه موزع بينها و بين أبيها فعليه الاكرام المالى كما يكرم أعز الضيوف وعليها هى اظهار المحاسن ليزيد غرامه بها فتزوّجه . هذا ماخطر لى ولكن هذه النفس حوّلته الى سعادتها هى كما حوّلت غناء النساء على الجمال الى نفسها فى جهة (بردين) بالشرقية و بيانه أنى لما سمعت ذلك الغناء أحسست كأن نفسى فى عالم أجل من هذا وكأنى لست فى هذه الدنيا ، وكأن هذه الفتاة هى الحكمة ، وكأن الذى تخاطبه هو الله عزّوجل ، وكأن الخاطب لها أنا ، وكأن الحكمة التى أعشقها وأنا أخطبها تخاطب الله عزّوجل وتقول له : « يارب انظر فى أحواله المنزلية ، وأموره المعاشية ، حتى يتفرّغ لى وأنا سأتزين له وأظهر له محاسنى فيعشقنى و يحبنى و يكتب ماينفع للناس

ولما رجعت الى المنزل بالقاهرة بقى أثر تلك المعانى أياما وأياما ولكنى كنت أقول : لقد أتممت التفسير فماهى الحكمة إذن التى سيظهر جمالها لى ؟ ولقد ظهر بعد ذلك مالم أكن أحلم به فان التفسير الذى كتبته لم يكن ليتجاوز نحو (١١) مجلدا فما كاد عمال المطبعة يشرعون فى طبعه حتى بدرت لى بوادر وسنحت لى سوانح لم تكن لتخطر لى ومنها جميع المسائل العلمية التى ازدانت بالصور الشمسية فتضاعف الكتاب بما أضعه فيه من تلك العجائب الحكمية التى ازدان بها فعرفت إذ ذاك معنى مافهمت من صوت الفونوغراف وأن فهمى كان حقا وأن هذه تنبيهات و إشارات تقتبسها النفس من الأحوال المحيطة بها ، إذن نفوسنا مستعدّة أن تحوّل جميع ماحولها الى جنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمفكرين .فاذا نظرت القمر هذه الليالى فى هذا الشهر والنجوم والنخل والزرع وتصورت المعانى المتقدّمة فذلك أن نفوسنا لها حال أخرى فوق هذه الحال وهى أن ترى العوالم كلها سعادة لها وحبورا وجنات ونعيما وتحظى بذلك فى الحياة فى سنحات وأو يقات . فاذا خلعت هذا العالم لبست أثواب السعادة فى عوالم أخرى . انتهى صباح يوم الاثنين (١٩) من شهر مايو سنة ١٩٣٠ م

فلما أتممت ذلك . قال : إن الذى قصصته علىّ الآن انما هو خيالك الخاص بك . وهل لهذا الخيال رابطة بالحقائق العلمية ؟ وهل المسموع والمبصر من واد واحد فى العلوم الحكمية كما كان فى خيالك الطارئ لك فى أوقات مختلفات . فقلت : إن أمثال هذا المقام يعوزه شرح طويل ولكن لأختصره لك اختصارا فأقول :

﴿ علاقة النظام السياسى بالنجوم والحساب والهندسة والتمرين العضلى والموسيقى ﴾

هاهى ذه أمامى جمهورية أفلاطون التى ألفها لاحداث نظام سياسى ثابت . وقد تعرّض فيها لكل فروع الحياة وشرحها شرحا وافيا . والجمهورية مقسمة الى عشرة كتب والكتاب السابع هاهوذا بين يدى وهو يبحث فى الرجل الحكيم الذى يقود أمّته الى الصلاح والفلاح فوصفه بأنه هو الذى لايقف عند الحواس بل يرتقى الى ماهو اليقين وقال لاسبيل للوصول الى اليقين إلا باجتذاب العقل من المحسوس الى المعقول الثابت ومتى وصل العقل الى اليقين وهو ﴿ صورة الخير الجوهرية ﴾ أيقن أنه سبب لكل ماهو جميل فى المحسوسات كالأنوار ولكل ماهو باه وكامل فى المعقولات وهو الحق والعقل . وكل من أراد أن يتصرّف بحكمة يجب عليه أن يضع صورة الخير الجوهرية بين عينيه . أقول ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ يجب أن يجعل الحكام والحكماء صانع العالم دائما فى قلوبهم

﴿ العقبتان فى طريق الفيلسوف فى حال تعلمه وفى حال قيامه بواجبه ﴾

ثم أخذ يبين مايعترى الفيلسوف من المشاق إبان تعلم الفلسفة . ثم مايعتريه من النصب والتعب بعد كمال نفسه إذ يرى عقله الذى وصل الى درجة الكمال ومعرفة الجمال ومبدإ النظام وهو الله تعالى قد رجع كرة أخرى

يقاسي مشاق السياسة ونظام المدن فيكون إذن أشبه بمن مشى فى النور طويلا ثم فجأه الظلام ، ثم بعد الممارسة يكون أقوى وأكمل فى نظام المدن من أولئك الجهلاء

﴿ الرياضة البدنية والموسيقى ﴾

وههنا أخذ يبين الدروس التى يتعلمها أولئك الحكام الفلاسفة وقدّم لذلك مقدمة فقال : « يجب أن يحكم الدولة الأغنياء الحقيقيون ، أغنياء لابالذهب ولابالفضة بل بثروة الانسان السعيد وهى حياة البر والحكمة فاذا تسلط الفقراء أى المتهافتون على المنافع المادّية كانت المدينة فى غاية الانحطاط . وهنا أخذ يبحث فى العلوم التى تنقل الانسان من الفانى الى الباقى وتجعله مقبلا على الخير المحض وهو الله تعالى فقال : « هل تكفى الرياضة البدنية التى تقوّى الأبدان وعلاقتها لاتكون إلا بالجسد الفانى . كلا . وهل الموسيقى التى لاعمل لها إلا أن تمرّن النفس على نوع من الاتزان والاتساق كافية فى ذلك ؟ كلا . فالجناستك لصحة الأبدان والموسيقى لها نوع من التهذيب فى النفس بالاتساق »

﴿ علم الحساب ﴾

وهنا أخذ يذكر علم الحساب فقال : « انه هو العلم الذى منه تستمد كل الفنون والعلوم وجودها ، وهو أوّل مايجب على المرء حوزه من العلوم ، ولاجرم أن فن الحرب أحدها وهو يكون نافعا للتاجر واضابط الجيش وللفيلسوف ، وعلى الجملة أن المنصبين على الحساب سريعو الخواطر أذكياء إلا النادر منهم وهو دواء لبطء الفهم فوق منافعه الأخرى ، وأعظم فائدة لدرس الحساب انه يقودنا الى درس الوحدة والتفكر فى الوجود الحقيقى إن الواحد فى كل موجود له ﴿ صفتان ﴾ صفة الوحدة من جهة . وصفة الكثرة من جهة أخرى . أقول : أى كبدن الانسان فهو واحد من وجه كثير من وجه آخر باعتبار أجزائه . وهكذا كل مدينة وقرية وكرة أرضية وأمة وهكذا

يقول إن البحث فى الوحدة يعرّفنا الوجود الحقيقى الذى لا كثرة فيه بوجه من الوجوه بل هو واحد من كل وجه ، أما العوالم فوحدتها من جهة واحدة فقط بالملاحظة لاغير

ولما أتمّ الكلام على الحساب أخذ يذكر الهندسة السطحية كالمثلث والمربع وكثير الأضلاع وسطح الكرة وما أشبه ذلك . ثم علم الهندسة الفراغية كالكرة والمكعب ونحوها . ثم عطف على هذه الثلاثة علم الفلك وأبان انه يحمل النفس على النظر الى الامور الثابتة وفضح علماء الفلك فى زمانه قائلا : « انهم يزاولونه فينزل بهم الى أسفل سافلين إذ لافرق بين من نظر الى جلد منقط منقوش و بين من نظر الى هذا السقف المرفوع المزين بالنجوم . وأىّ فرق بين منظر ذلك الجلد وهذا السقف من حيث شكلهما ؟ فكلاهما من المحسوسات والمحسوسات أخس المخلوقات . إن المثقف فى علم الهندسة اذا رأى رسما عرف حالا اتقانه ودرجته فى الجمال والكمال فلم يكن له ذلك غرضا مقصودا وانما هو واسطة لما فيه من المعادلات والمضاعفات والنسب أما نفس الرسم فليس مقصودا من حيث ذاته بل الابداع هو المقصود . هكذا علم الفلك فليكن مقصد الفلكى أن ينظر الى حركات النجوم بهذا الاعتبار نفسه . إن الحركات تعطينا علمين : علم تؤدّيه لنا العيون . وعلم تؤدّيه لنا الآذان . فالعلم الذى تؤديه لنا العيون هو علم الفلك . والعلم الذى تؤدّيه لنا الآذان هو علم الموسيقى . فآذاننا لضبط الحركات المتسقة بالموسيقى وعيوننا خلقت لتناول حركات الأجرام الفلكية وهذان يؤلفان علمين شقيقين كما يقوله الفيثاغوريون . وههنا أخذ يشنع على طائفة من علماء الموسيقى وعلماء الفلك إذ يقصرون بحثهم فى الموسيقى على أن يتلقفوا الصوت و يتنصتوا و يبحثوا على الفرق بين هذا الصوت وذاك وأن هذا أخفض وذاك أعلى ، إذن هم يخضعون عقولهم للمحسوسات ، فهم لايبرعون إلا فى شدّ الأوتار ولفها على الأشظة فهم بذلك يجعلون أنفسهم سخرية لغيرهم

ان

إن الانسان لايفك من أغلال هـذه الطبيعة التي سخرها إلا اذا بحث في نظام هذه الأنغام وحسابها ونسبها وأدرك بدائعها الموزونات وزنا حسابيا كما ينظر عجائب الحيوان والنبات وتشريح الانسان ، ثم ينظر في الشمس والنجوم وهذه المباحث كلها عقلية لاحسية منطقية لالفظية . قال : ولا يكف حتى يدرك ﴿ الخير ﴾ والحقيقة فحينئذ يبلغ آخر مدى العالم العقلي ، فاذا وقف العقل على كنه هذه الحقائق العقلية وأشرف على معرفة الذات العلية تمتع بالسعادة الخاصة به كما تتمتع الأعضاء الأخرى بالسعادة بما يلائمها ، فهذا هو النشيد وهذه هي النغمات وماهي إلا نغمات عقلية دائمة في مقابلة النغمات الحسية الفانية

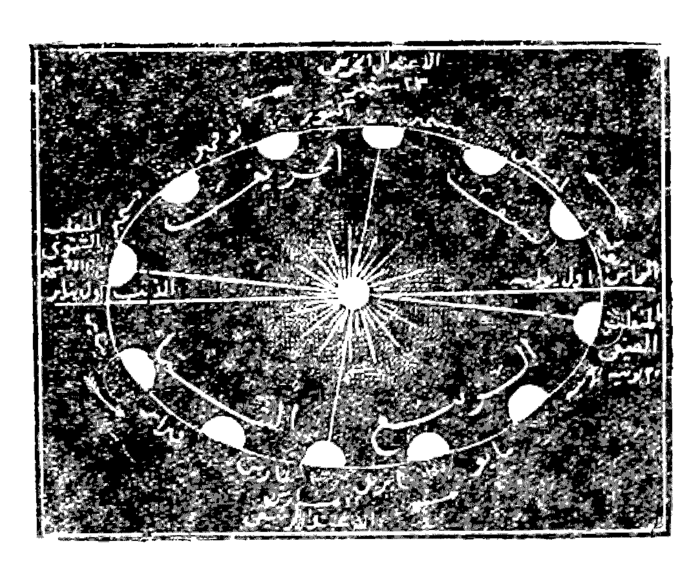
فلما سمع صاحبي ذلك قال : ياسبحان الله ، أنا اطلعت على هذه القطعة من كتاب جمهورية أفلاطون وهو الكتاب السابع ولكن لم أفهم منها ما كتبته أنت الآن ، إن المحاورات هناك فيها صعبة بين سقراط و بين غلاوكون ولكن يظهر لي انك لخصت المعاني وأوضحتها بعبارتك أنت وأثبت المفهوم مع المنطوق حتى أسمعتها لي واضحة ظاهرة بينة ، و يظهر لي ان صناعة التدريس في المدارس النظامية تجعل في نفس المدرس ملكة بها يوضح كل ما يكتبه ، ألاترى انك ذكرت الكرة والمكعبات وما أشبه ذلك وضربت الأمثال في الهندسة وسقراط لم يوضح ذلك . فقلت : انني أراعي فيما أكتب أحوال أذكياء القراء في هذا التفسير ، ولايقنعني فهم ما أكتبه إلا بهذه الطرق فالايضاح واجب متى وجدنا اليه سبيلا . فقال : ولكن أريد أن أبحث معك في مسألة واحدة مما ذكرته . ذلك انك قلت في تلخيص كلام سقراط ﴿ قولين متناقضين ﴾ فتارة نسمعه يقول إن علماء الموسيقى الخاضعين للأصوات الذين يوازنون مابين النغمات وأن علماء الفلك الذين لاهمة لهم إلا صور النجوم والحساب من حيث نتائجه الأرضية ، فهؤلاء وهؤلاء لاحظ لهم من الكمال ، وتارة يقول إن الموسيقى ملطفة للأخلاق مهذبة منعشة وأن التمرين العضلي اذا قوى الأبدان فان سماع الموسيقى يلطف الوجدان فكأن القول فيه تناقض . فقلت : أنا الآن أبين لك حقيقة مايقول بحسب مايذهب اليه ثم آتي لك بما هو الحق في نفسه : إن هؤلاء القوم ينظرون الى الفلك والى الموسيقى من وجهين مختلفين . فالموسيقى تلطف الوجدان وتحسن الأخلاق لأن الاتزان والاتساق يعطيان النفس صفة تشابه ماجاورها فيكون صاحبها موزونا في معاملاته وهذه النغمات تطرد من نفسه تلك الخشونة التي أودعتها في النفس التمرينات العضلية وهذه هي الطريقة العملية . أما الطريقة العلمية فهي أن يفكر في أصل وضع الأنغام ونظام حسابها ونسبها الهندسية ونظام سير النجوم والشمس والقمر ، فهنالك يجد ثباتا ونظاما كاملا ، ولاجرم أن نظام الحساب والهندسة وثباتهما يعرف النفس أن هناك ثباتا في هـذا الوجود بخلاف نفس الكواكب ونفس النغمات فانها فانيات متجددات ، أما حساب ذلك كله فهو ثابت ، فاذا رأيته يذم الفلكي وعالم الموسيقى فذلك اذا اقتصر كل منهما على ظواهر الكواكب ونتائج حسابها من الشهور والسنين وهو لايفكر في ثبات القواعد الحسابية وعلى ظواهر النغمات والتلذذ بها ، إذن ظواهر النغمات انما تكون منفعتها في تنظيم النفس لاغير . فأما اذا عدل بها عن ذلك فانها تصبح ضارة ولافرق عند هؤلاء بين الطعام والشراب و بين النغمات فكما أن اكثار ألوان الطعام ضارة بالآكلين هكذا التفنن في الموسيقى ضار بالسامعين لأن هذا التفنن يفتح أبواب الفجور فتحتاج الأمة الى القضاة وأكثرهم كما يقول شهوانيون وكثرة المآكل في الأمة والتفنن فيها يدعوان الى كثرة الأمراض وهذه تدعو الى الأطباء . وعار على رؤساء الجمهورية أن يدعوا رعاياهم يتفننون فيما يضرهم من المسموعات والمأكولات فيحتاجون الى القضاة والى الأطباء . فلتكن الموسيقى في حال خاصة و يجب أن تكون بسيطة غير موجبة لاثارة الشهوات بكثرة التفنن فيها فالسماع والطعام أخوان والبسائط فيهما أهدى سبيلا وأقوم قيلا وهو يقول فوق ذلك : « إن الأطباء يختص عملهم بالأحوال الطارئة والامور العارضة ، أما اعطاء العقاقير وطول التمريض فذلك يوجبه الشره في المآكل والمشارب ومتى امتنع ذلك خلصت الجمهورية من الأمراض

فقال : وهل أنت ترى هذا كله . فقلت : إن بعض هذه الآراء قد عدّل فى وقتنا الحاضر ، إن التمارين العضلية والألعاب التى جعلها عمدة فى صحة الأبدان قد أصبحت اليوم فى الدرجة الثالثة ، ذلك ان أرقى الرياضات ما كان من اتعاب البدن فى أعمال الحقول والبساتين ويليه المشى على القدم ، وآخر درجات التمرين الرياضى هو (الجمباستك) أى التمرينات المعروفة ، وقد قال علماء أوروبا وأمريكا بالاختبار إن الذين يكثرون تلك التمرينات هم أقل الناس علما وأضعفهم تفكيرا وأظلمهم بصيرة ، ولست أقول ان التمرينات العسكرية داخلة فى ذلك . كلا . بل هى صناعة من الصناعات لابد من الحذق فيها واتقانها . وهذه التمرينات أهم ركن فيها وأكثر كلام الجمهورية فى العسكرية

والخلاصة أن الانسان لا يكون رجلا كاملا إلا اذا أحبّ الجمال . وحب الجمال يشمل بهجة النجوم والمزارع النضرة وحسن نسق الثياب والنظافة وتنسيق المنازل . وبالجملة كل جمال فى برّ أو بحر ، ومتى عشق الناس الجمال فتحت بصائرهم للحقائق وحسنت معاشرتهم والرياضة البدنية حافظة للصحة وهى مع حبّ الجمال صنوان لا يفترقان فى سعادة الانسان

فقال صاحبى : هل هذا آخر رأى ؟ فقلت : إن هذه عليها نظام المدارس والتعليم فى العالم الانسانى اليوم ولكن جاء الاسلام فأحدث مدنية وجعل أركانها أركان الاسلام ومنها الصلاة ، وهذه الصلاة بنظامها الجميل ونظافتها قد أبدعت أمة واسعة النطاق فى الشرق والغرب ، ولما كسلوا عنها تمزّق شملهم وضلّ سعيهم ومدنية الجمهورية وحدها لم تقم بها أمّة من الأمم ، أما المدنية التى قامت باقامة الصلوات فى خمسة أوقات التى هى نوع من النظام يهيج النفس الى عالم قدسى فقد نجحت أمم وأمم بها . ولما تركها ملوك الاسلام وأمراؤه ذهبت ريحهم وضلّ سعيهم وتمسكوا بما لديهم من الموسيقى وأكثروا منها فشربوا الخمر فكانوا من الخاسرين

فقال صاحبى : لقد أطلنا فى هذا المقام وخرجنا عن المطلوب . فقلت : كلا . الآية فيها نظام الشمس والقمر وفيها — ذلك تقدير العزيز العليم — وتقدير العزيز العليم كما رأيناه فى سير النجوم رأيناه أيضا فى علم الألحان وانتهى الأمر بنا الى أن ما جاء من النظام محسن لأخلاقنا وما ثبت من الحساب ونظام الهندسة يعطينا ثباتا فى عقولنا ودلالة على مبدع للعالم ترجع النفس اليه (شكل ٣٨)



(شكل ٣٨ — شكل تستبين فيه الفصول الأربعة)

فقال : أرجو الآن أن تشبع القول فى نظام الحساب فى الفلك والموسيقى وغناء الأطيار كما وعدت وكيف كانت من «واد» واحد . فقلت أوّلا انظر الى الفصول الأربعة

فهذه الدائرة المرسومة أمامك تحاكى الدائرة التى تقطعها الأرض فى حركتها حول الشمس فهو نظام ثابت بحساب لاتغيير له ، وههنا يتجلى للعقل الكمال الحقيق وتهيج نفسه بما وراءه من منظم للكون حكيم

﴿ ثانيا ﴾ انظر الى أشكال القمر الآتية قريبا وفيها وجوه القمر وصوره المختلفات فهذه الوجوه القمرية هى التى تظهر فى القمر كل شهر ، فثباتها الظاهرى راجع لحساب لحساب سير الشمس فى الصورة التى قبلها

﴿ ثالثا ﴾ تفكر فى جدول الخسوف والكسوف وهو انه يكون (٧٠) خسوفا وكسوفا فى مدة (١٨) سنة و (١١) يوما ، منها (٢٩) خسوفا و (٤١) كسوفا والخسوف والكسوف فى كل مدة فى نفس المواعيد والساعات والدقائق فى المدة التى قبلها

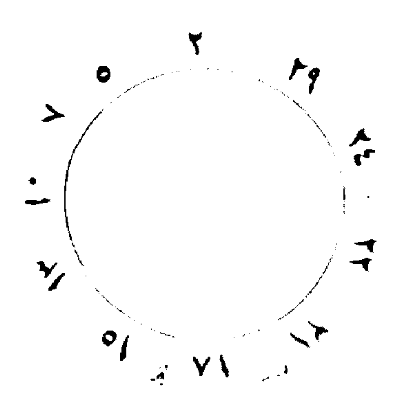
﴿ رابعا ﴾ الكلام على السنين البسيطة والكبيسة . ان الدورة السنوية القمرية (٢١٠) وهذه دورة كبيرة . والدورات الصغيرة (٧) كل دورة (٣٠) سنة . والسنة القمرية تكون مابين (٣٥٤) يوما و (٣٥٥) يوما ، فالأولى بسيطة والثانية كبيسة ، فى الثلاثين الأولى من (٢١٠) من الأعوام الهجرية تكون الكبيسة على حسب الحروف المعجمة فى هذا البيت فالحرف المعجم للكبيسة والمهمل للبسيطة

٢ ٥ ٧ ١٠ ١٣ ١٥ ١٨ ٢١ ٢٤ ٢٦ ٢٩

إن رمت مجدا فلا ترقد دجا أبدا ☆ خوف الفوات لما ترجو من الشرف

انظر الدائرة الأولى

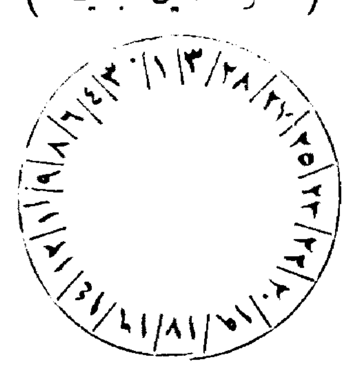
(مبدأ السنين الكبيسة)



(دائرة السنين الكبيسة)

فالكبيسة فى كل سنة (١١) يوما والبسيطة (١٩) يوما (انظر الدائرة الثانية)

(دائرة السنين البسيطة)



فهذه الدائرة تحتوى على (١٩) عددا لامحيص للسنة من أن تجرى على مقتضاها ، فالدور الأول من (٢١٠) من التاريخ الهجرى هذا شأنه والدور الثانى على مقتضاه وهكذا تتم (٧) أدوار وهنا ينتهى الدور

الكبير الأول ، و ينحو نحوه فى ذلك كله الدور الثانى والثالث والرابع وهكذا بالغا ما بلغ ونحن الآن فى سنة ١٣٤٩ هـ وقد مضى (٦) أدوار لها مدة (١٢٦٠) ومن هذا الدور السابع قد مضى (٨٩) سنة منها دوران صغيران هما (٦٠) ونحن فى الدور الثالث ، وهاتان الدائرتان قد تكررتا منذ الهجرة الى الآن (٩٠) مرة

أليست هاتان الدائرتان اللتان رأيتهما أمامك أشبه بدوائر الموسيقى والشعر وغناء الطيور ، انها مثلها حذو القذة بالقذة . فقال : كيف يكون ذلك ؟ فقلت : اعلم أن الموسيقى والشعر وغناء الطيور كلها من واد واحد فهى دوائر كدوائر علم الفلك . فقال أوضح فان الأمر عجب . فقلت : إن أصول الشعر ثلاثة وهى : السبب والوتد والفاصلة . فالسبب مثل هل ومن وعن والوتد مثل نعم و بلى ونحن وأنت ، والفاصلة فهمت وعلمت وغلبت . وترجع هذه الثلاثة الى حرف ساكن وحرف متحرك ، وهذه الاصول الثلاثة فى الشعر هى أصول الغناء مثل (تن . تنن . تننن) فمن هذه الثلاثة تتركب جميع الألحان والنغمات كما ان اللاتى قبلها تتركب منها جميع أنواع الشعر عند العرب وغير العرب وأنواع الغناء عند العرب ﴿ ثمانية أنواع ﴾ وهى : الثقيل الأول وخفيفه ، والثقيل الثانى وخفيفه ، والرمل وخفيفه ، والهزج وخفيفه . وكلها مركبات من هذه الثلاثة كما يتركب أنواع النبات والحيوان من العناصر وكما تتركب أنواع الشعر العربى من الوتد والسبب والفاصلة ، ومقاطع الشعر العربى ثمانية وهى فعولن مفاعيلن متفاعلن مستفعلن فاعلاتن فاعلن مفعولات مفاعلتن ، فهذه منها تتركب البحور العربية الشعرية ، ومن الثمانية قبلها تتركب سائر الألحان فى الموسيقى

فلما سمع ذلك قال : اننا الآن فى تفسير آية الشمس والقمر وتقدير العزيز العليم ، ولا جرم أن هذا دعا الى علم الفلك وعلم الشعر وعلم الألحان لأن ذلك كله تقدير العزيز العليم . وسمعنا الفلاسفة يقولون انها من واحد . فأريد الآن الهجوم على نفس الموضوع خيفة أن يتشعب علينا بما نستوفيه من تلك العلوم فأرجو أن تأتى بمثال واحد به نعرف أن علم الشعر على مثال علم الموسيقى ونغمات الطيور . فاذا كنا رأينا للقمر وللشمس وللسنة الكبيسة وللسنة البسيطة دوائر قرأناها فأريد الساعة أن أدرس دوائر تشبهها فى الشعر والموسيقى حتى تستبين الحقيقة . فقلت : اعلم أن الخليل بن أحمد لما اطلع على أشعار العرب وجدها ترجع كلها الى خمس دوائر وهذه الدائرة منها وهى التى تدل على بحر الطويل والمديد والبسيط وسماها المختلفة (الدائرة الثالثة)

﴿ الدائرة المختلفة ﴾

مبدأ البسيط — مبدأ المديد — مبدأ الطويل

فهذه الدائرة فيها سبعة حروف متحركات وخمسة حروف سواكن أى (١٢) حرفا سواكن ومتحركات أغنتنا فى ثلاثة بحور فما عليك إلا أن تكرر هذه الحروف أربع مرات فتبلغ (٤٨) حرفا فبحر الطويل اذا ابتدأ من المبدأ الذى أمامك فى الدائرة له يكون فعولن مفاعيلن (٤) مرات وفاعلاتن فاعلن أربع مرات فى المديد ومستفعلن فاعلن (٤) مرات فى البسيط

فانظم أيها الذكى من الأشعار ماشئت فى الطويل والمديد والبسيط ولكنك لن تخرج عن هذه الأوزان المتقدمة فى الدائرة ولا تخرج عن المتحركات والسواكن بعينها إلا فى أمور عارضة يسمونها الزحافات والعلل لا محل لذكرها لأنها تخرج بنا عن المقصود كما هو رأيك ورأى أذكياء القراء فى هذا التفسير

واعلم

واعلم أن هذه الأوزان هى الأصل ولكن الشعر علم له قواعد تقتضى معرفة علله وزحافاته وما الأبيات إلا كالحيوان يصح ويمرض ، فحذف حرف أو تسكينه يعتبر كأنه علة وأغلب الشعر لا يخلو من ذلك ، فاذا أتينا بشواهد على هذه البحور فانها من هذا القبيل ، فاذا سمعت هذا البيت وهو الشاهد لبحر الطويل وهو :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ✲ يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

فاعلم أن ماحذف منه تقتضيه الصناعة لأن آخر صدر البيت بوزن مفاعل وكذلك عجزه وهكذا قل فيما يأتى

﴿ شاهد المديد ﴾

يالبكر انشروا لى كليبا ✲ يالبكر أين أين الفرار

﴿ شاهد البسيط ﴾

لولا المشقة ساد الناس كلهم ✲ الجود يفقر والاقدام قتال

وبهذا تمّ الكلام على الدائرة الأولى

ومن عجب أن بحر الطويل الذى هو أحد البحور الثلاثة فى الدائرة المختلفة المتقدّمة له نظير فى علم الموسيقى قال : وماهو ؟ قلت : أذكرك بما تقدّم وهو أن ألحان الغناء العربية لها ثمانية قوانين فلنترك الكلام على الثقيل الأوّل والثقيل الثانى ولنحصره فى الكلام على خفيف الثقيل الأوّل فنجده على هذا الوزن فعولن مفاعيلن (تنن تن ، تنن تن تن) ويسمون هذا (اللحن الماخورى) وهو يماثل صياح الفاختة (ككوه كوه ككو كوكو)

إذن عندنا هذا الوزن فى الشعر وفى الموسيقى وعند الطير ، فانرجع الى الدائرة المختلفة المتقدّمة فماذا نجد نجد أن من ينظم بحر الطويل يتم البيت بالسير على هذه الدائرة أربع مرات فعولن مفاعيلن أى انه يأتى بخمس سواكن وسبع متحركات ويعيدها أربع مرات ، ولا فرق فى ذلك بين المغنى وبين من يقول :

أبا منذر كانت غرورا صحيفتى ✲ ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضى

ياسبحان الله : إذن قول الفاختة ككوه كوه الخ يجرى على هذه الدائرة ، إذن المغنى والطير والشاعر كلها تجرى على هذه الدائرة فى هذا المقام ، وياعجبا . أليس هذا بعينه هو مارأيناه الآن فى سير الشمس والقمر ووجوهه والسنين الكبيسة والبسيطة ، أفليست الدوائر الصغرى التى تبلغ نحو (٩٠) دائرة من أيام الهجرة الى الآن سارت كلها على نمط واحد ، فأىّ فرق لعمرك بين دائرة الخليل التى سماها المختلفة وقد جاء فيها بحر الطويل المماثل للماخورى فى الشعر ولصياح الفاختة وبين دائرة السنين الكبيسة والبسيطة

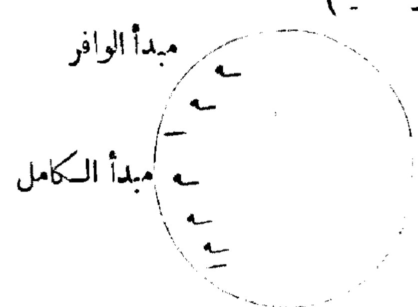
كل هذه أدوار منتظمات . أليس هذا هو الذى كنا نسعى لفهمه ونعرف مايقوله أفلاطون ان علم الألحان هو من قبيل علم الفلك لافرق بينهما ، وأن الانسان اذا أدرك عجائب الوحدة والحساب أغرم بمبدع الكون وأن أسماعنا مخلوقة لمعرفة نظام النغمات كما ان أبصارنا مستعدّة لمعرفة نظام الحركات وبهذا عرفنا أن النغمات وحركات الأفلاك كلها واحدة منظمة

وبهذا عرفت أيها الذكى ماجال بخاطرى وأنا شاب فى الحكاية السابقة فى أوّل هذا المقام إذا ذكرنى بحركات الأفلاك نغمات النادبات وفهمت نفسى أن ذلك بكاء على موتها . ههنا الفطرة من غير تعليم انتقلت من حركات النغمات الى حركات الأفلاك . وهذا الذى حرك وجدانى بطريق الوجدان والغريزة هو الذى أجله (سقراط) فيما تقدّم وهو الذى فصلناه فيما قرأته الآن

فلما سمع صاحبى ذلك . قال : لقد شرحت صدرى وشرحت الموضوع شرحا وافيا وعرفنا بهذا أن تقدير العزيز العليم كما سرى فى الأفلاك سرى فى نغمات الطيور وأشعار العرب وألحان الغناء . ولكن هل الفطرة الصادقة خاصة بالعرب . قلت : كلا . اعلم أن الأمم كلها حكمها حكم أمة العرب ، واذا وجدنا الطيور لها موسيقى

ونغمات هكذا نوع الانسان كله له اصطلاحات وأوزان لاتخرج عن الاصول التى بيناها ، وليست بحور الشعر التى عددها (١٦) فى اللغــة العربية بشرط فى النظم بل الفطرة الانسانيــة فيها من الأوزان ما لاحصر له وهكذا المعانى

فقال : هاأناذا عرفت الدائرة المختلفة فى علم الشعر فأريد أن أعرف بقية الدوائر . فقلت له : إن هــذا يخرج بنا عن المقام . فقال : ولـكن أريد الايجاز . فقلت : الدائرة الثانية تسمى المؤتلفة وفيها الوافر والـكامل والبيت يتم فيها بست مرات (انظر الدائرة الآتية)



فالوافر مفاعلتن ست مرات والـكامل متفاعلن ست مرات وهذا واضح

﴿ شاهد الوافر ﴾

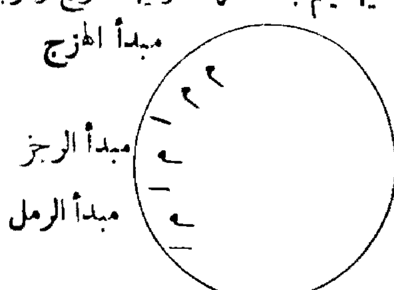
ونشرب ان وردنا الماء صفوا ✡ ويشرب غيرنا كدرا وطينا

﴿ شاهد الـكامل ﴾

واذا صحوت فما أقصر عن ندا ✡ وكما علمت شمائلى وتـكرّمى

وبهذا تمت الدائرة الثانية وشواهدها

والدائرة الثالثة تسمى المجتلبة والبيت فيها يتم بست مرات وفيها الهزج والرجز والرمل (انظر الدائرة الآتية)



فهذه الأبحر الثلاثة من واد واحد كالوافر والـكامل فى الدائرة الثانية ، فلافرق بين مفاعيلن ست مرات فى الهزج ولامستفعلن ست مرات فى الرجز كذلك ولافاعلاتن ست مرات فى الرمل فـكلها كأنها شئ واحد

﴿ شاهد الهزج وهو مجزوّ ﴾

وماظهرى لباغى الضـيم بالظهر الذلول

مفاعيلن ثلاث مرات و بعدها فعولن

﴿ شاهد الرجز ﴾

القلب منها مستريح سالم ✡ والقلب منى جاهد مجهود

فهذا صارت مستفعلن فى آخره بوزن مفعول

﴿ الرّمل ﴾

قلت الخنساء لما جئتها ✡ شاب بعدى رأس هذا واشتهب

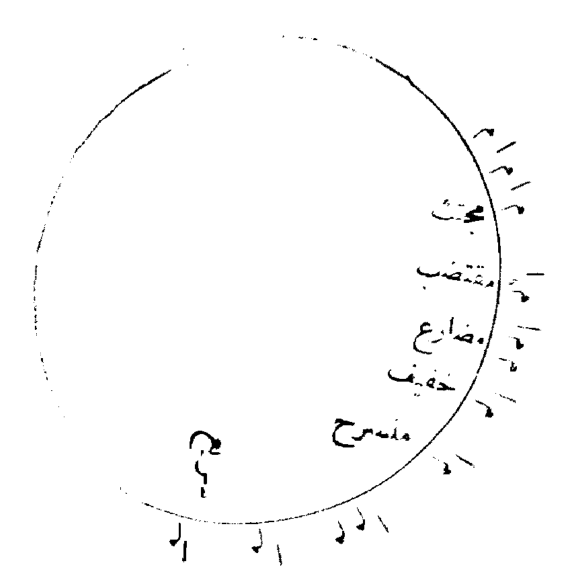
هو فاعلاتن فاعلاتن فاعلن مرّتين ، وبهذا تمّ الـكلام على الدائرة الثالثة وشواهدها

والدائرة

والدائرة الرابعة فيها السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث . والدائرة الخامسة فيها المتقارب و يتلو ذلك كله بحر الخبب الذى يشبه خبب الخيل (انظر الدائرة الآتية)

﴿ فائدة ﴾

(م) للحرف المتحرك و (ا) للساكن فى هذه الدوائر الخمس



إن السريع بحسب أصله مستفعلن مستفعلن مفعولات ، والمنسرح مستفعلن مفعولات مستفعلن ، والخفيف فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ، والمضارع مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن والمقتضب مفعولات مستفعلن ، والمجتث مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن ﴿ شاهد السريع ﴾

أزمان سلمى لايرى مثلها الـراؤن فى شام ولافى عراق

﴿ شاهد المنسرح ﴾

إن ابن زيد لازال مستعملا ☆ للخير يفشى فى مصره العرفا

﴿ شاهد الخفيف ﴾

خفف الوطء ما أظن أديم الـ ☆ أرض إلا من هذه الأجساد

﴿ شاهد المضارع وهو مجزوّ ﴾

دعانى الى سعاد ☆ دواعى هوى سعاد

﴿ شاهد المقتضب وهو مجزوّ ايضا ﴾

أعرضت فلاح لها ☆ عارضان كالبرد

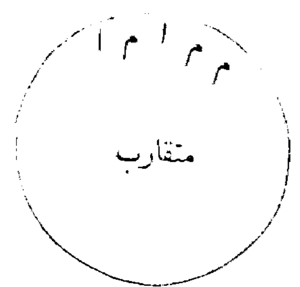
﴿ شاهد المجتث وهو مجزوّ أيضا ﴾

لم لايعى ما اقول ☆ ذا السيد المأمول

﴿ الكلام على الدائرة السابعة ــ شاهد المتقارب ﴾

فعولن ثمان مرات وأروى من الشعر شعرا عويصا ☆ ينسى الرواة الذى قد رووا

هى الشمس مسكنها فى السما ☆ فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعودا ☆ ولن تستطيع اليـه النزولا



وبهذا تم الكلام على بعض الدوائر الفلكية ثم جميع الدوائر الشعرية التى أبدعها الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى

وبهذا ظهر لك أيها الذكى كيف أصبح علم الشعر وعلم الموسيقى وعلم الفلك من واد واحد فهى على مقتضى حساب منظم . ولما كان ظهور هـذا التفسير موافقا لظهور كوكب جديد وراء نبتون وجب أن أبينه هنا ثم أتبعه بأشكال القمر وما يتبع ذلك إيفاء لحق المقام فأقول :

﴿ الكوكب السيار الجديد ﴾

جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ يوم الأحد (٣٠) مارس سنة ١٩٣٠ م مانصه :

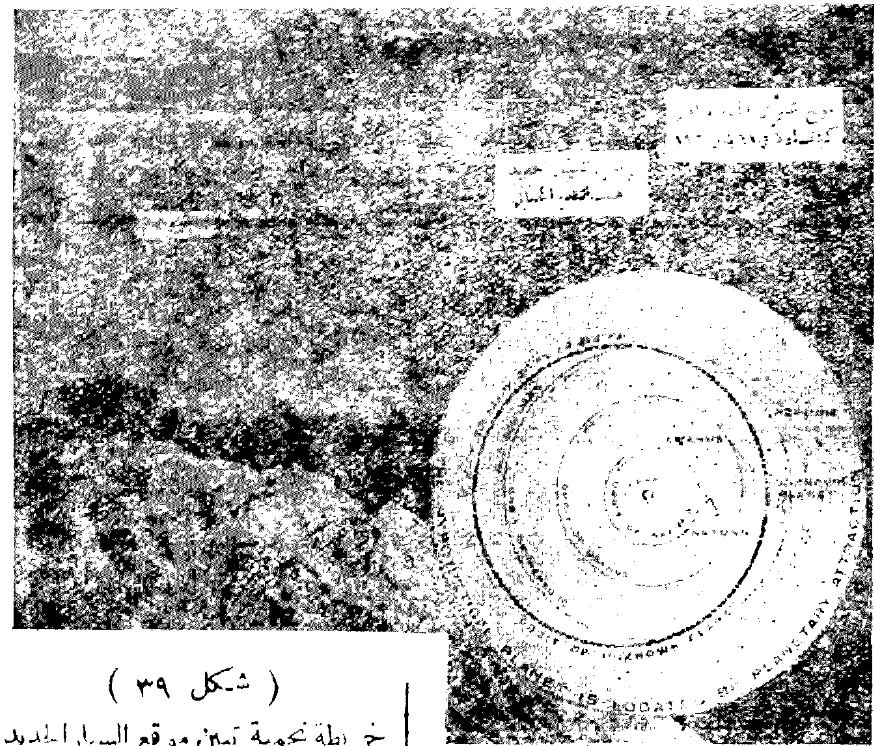
(بلاغ من مرصد حلوان)

فى ١٢ مارس الحالى اكتشف مرصد لول بمدينة فلاجستاف فى الاريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية كوكبا سيارا علويا جديدا وراء نبتون ، ولهذا الاكتشاف أهمية عظيمة جدا للعلوم الفلكية ، فقد زاد عدد الكواكب السيارة بما فى ذلك الأرض حيث يبلغ الآن عددها تسعة ، وقد اكتشف الكوكب الثامن نبتون فى سنة ١٨٤٦ والكوكب السابع أورانوس فى سنة ١٧٨١

وعندوصول هذا النبأ قد أخذ الدكتور محمد رضا مدوّر الفلكى المقيم بمرصد حلوان عدّة ألواح فتوغرافية بواسطة نظارة رينولدز العاكسة البالغ قطرها (٣٠) بوصة وقد ثبت جليا وجود الكوكب الجديد فى الألواح المعرضة لموقع الكوكب مدة ساعة من الزمن فى الليالى الآتية (١٨ و ٢٤ و ٢٧ مارس)

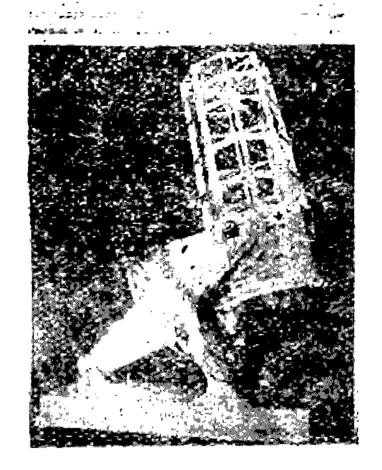
وهذا الكوكب ضئيل اللمعان حيث يبلغ قدره الفلكى نحو (١٥٫٠) فهو بذلك ألف مرّة أقل لمعانا من الكوكب نبتون وهو يقع فى برج التوأمين بالقرب من النجم اللامع ولكنه لايمكن أن يرى بالعين حتى ولواستعمل أكبر منظار ، ولابد أن يمضى بعض الزمن حتى يمكن حساب حجمه وكتلته ولكن المقادير الابتدائية تثبت انه أكبر من الأرض وأصغر من أورانوس . و يبلغ بعده عن الشمس نحو (٤٥) مرة بعد الشمس عن الأرض . وقد دلت الفروق الصغيرة فى حركات الكوكب أورانوس أنه لابد من وجود كوكب تاسع بسبب هذه الاختلافات . وقد عمل الدكتور لول مؤسس المرصد المذكور آنفا حسابا لموقعه فى السماء . غير أن هذا الاكتشاف يرجع الى البحث المنظم بواسطة المنظارات الفوتوغرافية منذ (٢٥) سنة تقريبا . انتهى

وسترى فى الصحيفة الآتية رسم خريطة نجمية تبين موقع السيار الجديد فى صورة التوأمين وموقعه المقدر بالحساب قبل اكتشافه فى برج السرطان وموقع السيار نبتون فى صورة الأسد وفى الدائرة رسم مصغر للنظام الشمسى تظهر فيه الشمس فى المركز الى آخر ماذكر هناك . وكذلك صورة للتلسكوب الكبير الذى اخترع حديثا . وسترى أيضا فى الصفحات الآتية بعد ذلك صور أشكال أوجه القمر المختلفة



(شكل ٣٩)

خريطة نجمية تبين موقع السيار الجديد في صورة التوأمين وموقعه المقدر بالحساب قبل اكتشافه في برج السرطان وموقع السيار نبتون في صورة الاسد وفي الدائرة رسم مصغر للنظام الشمسي تظهر فيه الشمس في المركز ولا تظهر أفلاك عطارد والزهرة والارض والمريخ والنجيمات والمشتري لأنها على هذا القياس قريبة جدا من الشمس فيتعذر رسمها وتلي ذلك فلك زحل ثم فلك اورانوس ثم فلك نبتون الذي كان الى أوائل هذه السنة حد النظام الشمسي المعروف ثم يظهر فلك السيار الجديد بخط ثخين



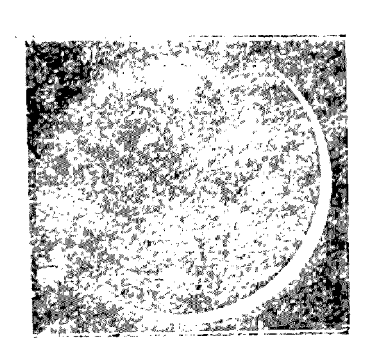
صورة للتلسكوب الكبير الذي أشرنا اليه غير مرة في المقتطف وسيكون له مرآة من الكوارتز المصهور قطرها مائتا بوصة اى مضاعف قطر المرآة في أكبر تلسكوب بني حتى الآن . و ينتظر أن تبلغ نفقاته ستة ملايين ريال أو مليون جنيه ومائتي ألف جنيه

في ٢١ ينايرسنة ١٩٣٠ كشف المستر كليد تمبو وهو مساعد حديث السن انضم من عهد قريب الى مرصد لول بارزونا . في صورة فوتغرافية عن شبح ضئيل لجسم سموي متحرك . وكان موقعه في صورة التوأمين على نحو خمس درجات من الموقع الذي عينه الاستاذ برسفال لول بالحساب الرياضي للسيار المجهول خارج فلك نبتون . فاحتفظ علماء مرصد لول بسر هذا الاكتشاف سبعة أسابيع والوا في أثنائها البحث والتحقيق للتثبت من أن هذا السيار يدور حقيقة في فلك خارج فلك نبتون اذ ليس ما يمنع أن يكون احدى النجيمات العديدة التي تدور بين المريخ والمشتري . وأخيرا ثبت لهم أنه سيار جديد وراء نبتون وأن فلكه يتفق تقريبا مع الفلك الذي تنبأ به لول . أما بعده

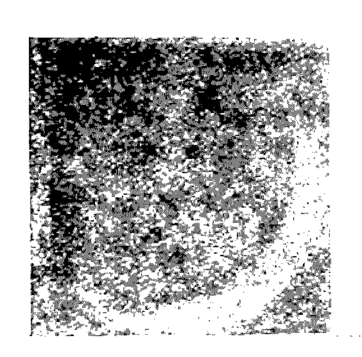
عن الشمس فنحو ٤٥ ضعف بعد الأرض عنها أى نحو ٤٢٠٠ مليون ميل . وعلى هذه المسافة لا يصله من نور الشمس وحرارتها الاجزء من ألفى جزء مما يصلنا منهما انتهى من مقتطف مايو ــ ١٩٣٠

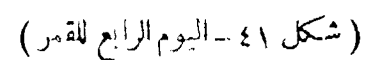
﴿ أشكال القمر ﴾

فى مدة دورة اقترانية يأخذ البعد الزاوى لمركز القمر عن مركز الشمس مقدرا على الطول جميع المقادير من °٠ الى °٣٦٠ وفى هذه المدة يكون على وجه العموم قرصه المستدير مكونا من جزأين : أحدهما مستنير والآخر مظلم ، وشكل هذين الجزأين ومقدارهما النسبى متغير دائما ومنهما تتكون الظواهر المعروفة باسم أشكال القمر ، و بيان ذلك انه متى لم يكن القمر منظورا لا ليلا ولا نهارا يقال له فى حالة المحاق أو الاقتران أو الاجتماع أو التوليد . وسبب عدم رؤيته أن وضعه مجاور جدا فى الظاهر للمحل الذى تشغله الشمس فى السماء فيوجه نحو الأرض نصف كرته المظلم المحجوب عن الأشعة الشمسية ويمكث خفاء القمر يومين أو ثلاثة أيام ، لكن لحظة الاقتران المضبوطة التى يستدل عليها من السنويات الفلكية تحصل متى كان للشمس والقمر طول واحد ، وفى اليوم الثانى أو الثالث بعد تلك اللحظة (١) يظهر القمر ليلا بعد غروب الشمس بمدة قليلة على شكل هلال رفيع (شكل ٤٠) تحدبه نحو القطعة التى يوجد فيها الشمس تحت الأفق و بسبب الحركة اليومية يغرب القمر بعد قليل فى الأفق الغربى ، وفى اليوم التالى تحصل الحالة بعينها ، غير أن الجزء المستنير يكون أعظم وحيث ان القمر يكون بعيدا عن الشمس أكثر من بعده عنها فى اليوم السابق يتأخر غروب القمر عن اليوم السابق ، وفى اليوم الرابع (شكل ٤١) بعد الاقتران يغرب بعد الشمس بثلاث ساعات وشكله بعد اليوم الرابع من الاجتماع يسمى التربيع الأول (انظر شكل ٤٠ و ٤١)



(شكل ٤٠ ــ الوجه الأول للقمر)



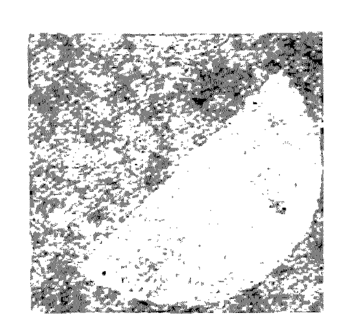


(شكل ٤١ ــ اليوم الرابع للقمر)

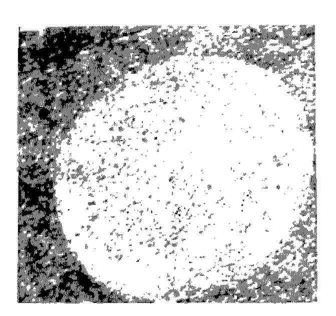
ثم ينمو الهلال شيأ فشيأ ، و بين اليوم السابع والثامن من لحظة الاجتماع يظهر لنا القمر على شكل نصف دائرة ويرى مدة فى النهار (شكل ٤٢) والحركة اليومية لا تأتى به فى مستوى الزوال إلا بعد مرور الشمس به بست ساعات تقريبا

و بين التربيع الأول والبدر تمضى سبعة أيام أخر فى غضونها يقرب الجزء المستنير شيأ فشيأ من أن يصير دائرة تامة (انظر شكل ٤٣) ويتأخر شروق وغروب القمر شيأ فشيأ فى مسافة هذه المدة مع كونه موجها

(١) هيفليوس يقول انه لم ير القمر إلا بعد ٤٠ ساعة من الاقتران و ٢٧ ساعة قبله بحيث ان النهاية العظمى لمدة خفائه تكون ٦٧ ساعة وهذه المدة تختلف على حسب الأقاليم وعلى حسب عرض القمر

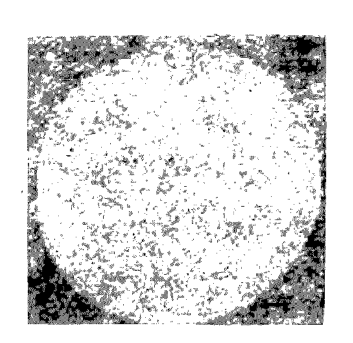


(شكل ٤٢ ـ القمر فى التربيع الأول)

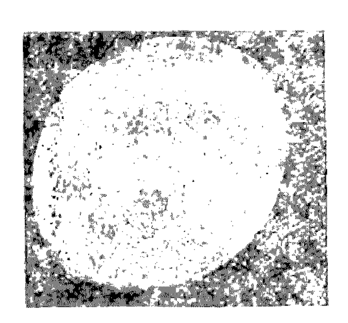


(شكل ٤٣ ـ القمر بين التربيع الأول والبدر)

دائما نحو الغرب الجزء العلوى من قرصه وبعد الاقتران بخمسة عشر يوما تقريبا يظهر لنا قرصه مستنيرا بأكمله (شكل ٤٤) وحينئذ تكون لحظة شروقه هى تقريبا لحظة غروب الشمس التى تشرق عند غروبه ومتى ارتقى القمر الى أعلى نقطة من سيره أعنى مرّ بمستوى الزوال يكون نصف الليل ووقتئذ تمرّ الشمس تحت الأفق بمستوى الزوال الأسفل بحيث يكون القمر مقابلا للشمس بالضبط بالنسبة للأرض

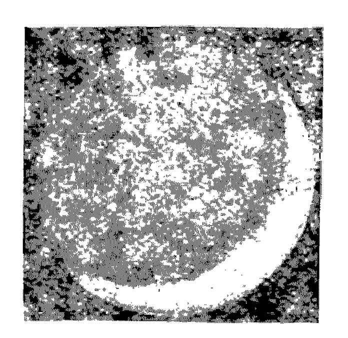


(شكل ٤٤ ـ البدر)

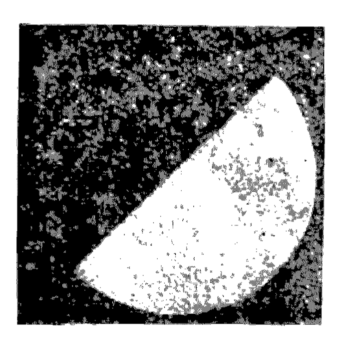


(شكل ٤٥ ـ القمر بين البدر والتربيع الأخير)

وبعد ذلك يتناقص على التوالى الشكل المستدير المستنير للقرص وينتهى بأن يظهر كما كان فى أول الأمر على شكل هلال رفيع جدا تحدّبه جهة الشرق بحيث يكون نصف الدائرة المحدّد للجزء المستنير موجها دائما نحو الشمس . وفى وسط المسافة التى تفصل البدر عن الزمن التالى له يكون للقمر شكل كالذى كان له فى التربيع الأول غير أنه موضوع بعكسه ويسمى التربيع الثانى أو الأخير وفى هذا الجزء الثانى من الزمن القمرى يقرب الوضع الظاهرى للقمر فى السماء شيأ فشيأ من موضع الشمس وقريبا من الأيام الأخيرة يسبق شروقها بمدة قليلة جدا حتى يدخل من جديد فى أشعتها ويختفى ليعود قمرا جديدا (انظر شكل ٤٥ و٤٦ و٤٧)



(شكل ٤٦ ـ التربيع الأخير)



(شكل ٤٧ ـ القمر بين التربيع الأخير والهلال)

﴿ الضوء الرمادى ﴾

قد قلنا إن الجزء المستضيء من القمر الذى تنيره الشمس مباشرة يتغير شكله فى مدة الدورة الكاملة للقمر من ابتداء الهلال الرفيع المضيء والشكل الأخير لغاية الدائرة الكاملة التى يظهرها الكوكب فى مستويه وأما الجزء المظلم من هذا القرص فيظهر فى بعض أشكاله ضوء ضعيف جدا يسمى الضوء الرمادى (شكل ٤٠) ويسهل رؤيته بالعين العارية وجميع العالم يمكنهم أن يروه قبل أو بعد المحاق ببعض أيام حيث يكون القمر وقتئذ هلالا وجميع جزء نصف الكرة الموجه نحونا والذى لم يتأثر بالأشعة الشمسية يرى مع ذلك متميزا بحيث يحدد الدائرة الكاملة للقرص . والضوء الرمادى يرى مادام الهلال ولايختفى مطلقا قبل التربيع الأول ويرى بعد التربيع الأخير بقليل ولايختفى إلا باختفاء القمر وشدة الضوء الرمادى ربما تكفى فى تمييز كلف القمر بالعين العارية

﴿ أسباب الضوء الرمادى ﴾

قد كان الأقدمون من الفلكيين يعتبرون أن هذا الضوء ناتج من نوع تفصفر [1] لسطح مادة القمر لكن ذلك قد بطل اليوم وعلم أن الضوء الرمادى هو ضوء الأرض منعكسا على القمر من الأجزاء المستضيئة منها وذلك أن الأرض يجب أن ترى من القمر بالأشكال التى يرى بها القمر من الأرض بالضبط لكن هذه الأشكال تكون بعكس أشكال القمر لأن وقت المحاق توجه الأرض جزءها المستنير بأكمله نحو نصف الكرة المظلم من القمر بحيث أن نصف الكرة المذكور يتلقى بواسطة الانعكاس جميع الضوء الذى ترسله الشمس الى الكرة الأرضية وحيث أن السطح الظاهرى للكرة الأرضية منظورا من القمر هو أكبر من قرص القمر بنحو ثلاثة عشر مرة تقريبا فيعلم أن ضوء الأرض يجب أن يعطى لليالى القمر ضوءا أعظم مما يصل الينا من ضوء القمر وأجزاء نصف كرة الأرض المستنير منظورة من القمر تكون مع ذلك قليلة كلما كان القمر بعيدا عن الوضع الذى يشغله فى وقت الاجتماع . ومن ذا يعلم سبب عدم ظهور الضوء الرمادى بين التربيع الأول والأخير . وحينئذ فالضوء الرمادى ليس شيأ آخر سوى انعكاس ضوء الشمس المنبعث مرة أولى من الأرض على القمر ثم مرة ثانية من القمر على الأرض . انتهى ماأردته من كتاب الفلك لحسنى بك

﴿ المنازل والبروج ﴾

وكيف كان سير الشمس والقمر فهما بحساب لاخلل فيه على مقتضى الشهور الرومية مثل يناير فبراير وهكذا أو الشهور السريانية مثل ايلول تشرين الأول تشرين الثانى وهكذا والموازنة بينهما وبين الشهور القبطية مثل توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير وهكذا . وبيان أن أسلافنا منذ قرون جعلوا بينها جميعا موازنة بحيث اذا عرف الانسان حساب الشهر القبطى كأهل مصر أو الرومى كأهل أوروبا أو السريانى كغيرهما أمكنه أن يستخرج بكل سهولة نظائرها من الشهور الشمسية وكذلك الشهور القمرية عند العرب واليهود وهكذا يعرف أين تنزل الشمس من منازلها البالغة (٢٨) منزلة وهى السرطان والبطين والثريا الخ . وأين هى فى بروجها البالغة ١٢ برجا . ثم كيف نظم الناس أعمالهم على مقتضى ذلك النظام كأن يبذروا البرسيم ونحوه فى شهر بابه ويحصدوا الأرز ويجنوا الرمان ويستخرجوا دهن الآس والليلنوفر وهكذا فى شهر توت قبله يعرفون أن أوله يسمى النيروز وهو رأس السنة القبطية . وفى (٧) منه يلقطون الزيتون . وفى (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر . وفى (١٨) منه يبتدئ فصل الخريف . وفى (١٩) منه تهيج السوداء فى البدن . وفى (٢١)

(١) التفصفر كناية عن مادة فصفورية فى القمر

منه

منه يبتدئ بيض النعام . وفى (٢٨) منه يذهب الحر . وفى (٢٩) منه يكون أول رعى الكراكى . وفى (٣٠) منه يزرع الهليون . وهكذا بقية الشهور قد وزعت عليها أعمال الحياة الانسانية والحيوانية والنباتية . ولما كان هذا المقام لايسع ذلك أرجأته لأكتبه مفصلا موضحا فى ﴿ سورة الزمر ﴾ فى آية ـ خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ـ الخ مع آية ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ـ الخ وهذا هو السر فى أن آيات الزرع متصلة بآيات سير الشمس والقمر فى كثير من الآيات . ألاترى الى قوله هنا فى (يس) ـ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ـ الخ ثم أتبع ذلك بالشمس والقمر والليل والنهار والى قوله تعالى فى ﴿ سورة ق ﴾ ـ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم ـ الخ ثم يتبع ذلك بقوله ـ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى ـ الخ وهكذا فى ﴿ سورة الرحمن ﴾ ـ الشمس والقمر بحسبان ✡ والنجم والشجر يسجدان ـ والنجم هو ما لاساق له من الزرع والشجر ماله ساق فسجود هذين النوعين مبنى على حساب الشمس والقمر قبلهما كزرع البرسيم فى شهر بابه وحصد الأرز وجنى الرمان ولقط الزيتون فى شهر توت قبله وزرع الهليون فى آخره وهكذا ماتقدم وماسيأتى فى ﴿ سورة الزمر ﴾ قريبا إن شاء الله تعالى

﴿ الكلام على حساب الشهور القمرية إيفاء لبعض ماتقتضيه هذه الآيات ﴾

جاء فى كتاب صبح الأعشى ما نصه

إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلا فتعد من أول المحرم إلى شعبان وتدخل شعبان فى العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة إلى الثمانية تكون اثنى عشر ، ثم تبتدئ من يوم الأحد الذى هو أول المحرم فتعد الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ، ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثنى عشر فى يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس . ومثاله فى المكسور النصف إذا أردت أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتعد مامضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفا فتكملها بنصف تصير خمسة فتضيفها إلى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر ، ثم تبتدئ عددالأيام من أول المحرم ، وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر فى يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت

ومن الطرق المعتبرة فى ذلك أن تنظر فى الثالث من أيام النسئ من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربى فما كان جعلته أصلا لتلك السنة ، فاذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذى أنت فيه ، فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة ، وانظر كم مضى من السنة القبطية شهرا فخذ لكل شهر يومين ، فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا ، وزد على ذلك يومين أصلا أبدا ، ثم انظر كم يوما مضى من الشهر القبطى الذى أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك ، وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فما بقى فهو عدد مامضى من الشهر العربى ، ومنه يعرف أوله .

ومثال ذلك نظرت فى الثالث من أيام النسئ فوجدت الماضى من الشهر العربى ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت فى الشهور القبطية فوجدت الشهر الذى أنت فيه أمشير مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية : (وهو توت) إلى أمشير يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهر يومين تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذى معك من أيام النسئ : وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية ، ثم تنظر فى الشهر القبطى الذى أنت فيه : (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفها على المجموع يكون عشرة ، وهو الماضى من الشهر

العربي الذى أنت فيه ومنه يعرف أوله . اهـ

﴿ حساب الشهور القمرية أيضا ﴾

جاء فى كتاب « العقد الفريد » مانصه :

لقد قرأت الجدول الآتى فى كتاب العقد الفريد للملك السعيد وحسبت بمقتضاه أول شهر رمضان المعظم فى السنة الماضية سنة ١٣٤٨ هـ فكان موافقا لما جرى عليه العمل فأدرت اثباته هنا

فاذا أردت العمل به تأخذ جميع سنى الهجرة من أولها مع السنة التى تريد معرفة أول شهرها ومواسمها فتسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة الى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة فتنظر فى جدول الاعداد فى بيوت العشرات وفى بيوت الآحاد لجانب الجدول عن يمينه طولا فيه العشرات وأعلى الجدول فيه الآحاد فالآحاد من الواحد الى العشرة والعشرات من العشرة الى المائتين وعشرة فتنظر الى المقدار الباقى بعد اسقاط عشراته فى العشرات وآحاده فى الآحاد فتوضع أصبع على البيت الذى فيه تلك العشرات وأصبع على البيت الذى فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمر الاصبع فى السطر الذى بازاء تلك العشرة عرضا وتنزل الاصبع فى السطر الذى تحت ذلك العدد من الآحاد طولا فحيث التقت الأصبعان فى بيت واحد ينظر مافى ذلك البيت من الأسماء والصفات السلطانية فيحفظ ثم ينظر فى الجدول المعمول للشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فاذا ظهر فى أعلى الجدول فتوضع الأصبع عليه ثم ينزل فى السطر الذى تحته الى محاذاة الموسم أو الشهر المطلوب معرفة أوله ان كان شهرا أى يوم هو أو ان كان موسما فما كان فى محاذاته فهو المطلوب واعتبار ذلك انه اذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع وأربعين وستمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فتسقط سنوات الهجرة مائتين وعشرة مائتين وعشرة فتسقط ستمائة وثلاثون ويبقى أربعة عشر فى الآحاد أربعة وفى العشرات عشرة واحدة فاذا وضعت أصبعا على العشرة الواحدة ثم مررت فى الوسط الموازى لها ووضعت أصبعا على الاربعة ثم نزلت الى محاذاة العشرة الواحدة التقت الاصبعان فى بيت واحد فيه الاسم الكريم السلطانى نصره الله وهو يوسف فيحفظ لازال فى حفظ الله جل وعلا ثم ينظر فى جدول الأشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ فى الطرف الأيسر من السطر الأعلى منه فتوضع الاصبع بازائه وتنزل الى محاذاة شهر شعبان فيوجد فى محاذاته اسم أوله وهو يوم الاربعاء ومحاذاة نصفه تحته يوم الاربعاء ومحاذاة أول رمضان تحته يوم الخميس ومحاذاة أول شوال تحته وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق العمل به دائما (انظر الجدول المذكور فى الصفحة الآتية)

الاعداد أحاد وعشرات	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
عشرة	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر
عشرين	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]
ثلاثين	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	الملك	خدمة
أربعين	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	السلطان
خمسين	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	الناصر	لسلطان	يوسف	الناصر
ستين	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]
سبعين	السلطان	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	لسلطان	خدمة
ثمانين	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	يوسف	السلطان	خدمة	الناصر	السلطان
تسعين	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك
مائة	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]
مائة وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]	الملك	خدمة
مائة وعشرين	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى
مائة وثلاثين	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	الملك
مائة وأربعين	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	[illegible]
مائة وخمسين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	[illegible]	السلطان	يوسف
مائة وستين	الناصر	المولى	[illegible]	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى
مائة وسبعين	[illegible]	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	الملك
مائة وثمانين	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر
مائة وتسعين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف
مائتين	الملك	المولى	يوسف	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	المولى
مائتين وعشرة	[illegible]	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	المولى	[illegible]	السلطان

اسماء الشهور	خدمة	المولى	السلطان	الملك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
المحرم	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
عاشوراء	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ربيع اول	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
ربيع آخر	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
جمادى لاولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة
جمادى لاخرة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
رجب	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
النصف	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
رمضان	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
ذوالقعدة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ذوالحجة	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
الوقفة	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
عيد الاضحى	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس



﴿ العلم هو أعلى السعادات لنوع الانسان ﴾

هوالعلم الذى أرانا أن :

(١) السنين الكبيسة والسنين البسيطة دوائرمنتظمات متعاقبات كدوائرالشعروالموسيقى ونغمات الطيور وأن نغمات الطيور تسير على دوائركما تقدم فى الدائرة الأولى من دوائرالخليل

(٢) التى فيها بحرالطويل المماثل

(٣) لصياح الفاختة

(٤) ولنظيره من الذى يسمونه الماخورى فى علم الموسيقى

(٥) ومن دوائرالكسوف والخسوف من حيث مواعيد وقوعها كالتى قبلها

(٦) ويتبع ذلك أن للقمر وجوها تتكرّر كل شهرفهى إذن أشبه ببحرمن الشعرذى أوزان تتكرر فى كل سنة (٩٦) مرّة

(٧) وهكذا دوائر الكواكب المعروفة ومنها « الكوكب الجديد السيار » فكلها تتم دائرتها ثم تعود كما يفعل الشاعر فى شعره والمغنى فى غنائه ، إن الله عزّوجل يفعل فى فلكه من سير الكوكب وحسابه مايفعله الشاعروالموسيقى ، وفعل الله فى نظام العناصر وفعل الانسان والطير فى نظام الحروف والنتيجة تتبع المقدمات اهـ

﴿ بهجة العلوم فى هذا المقام ﴾

(كتب قبيل الفجر ليلة الخميس ٢٦ يونيو سنة ١٩٣٠)

اعلم أن النعم فى هذه الحياة الدنيا إما مادّية واما معنوية ، فالمادّية كالمآكل والملابس وكل ما يملكه الانسان ، والمعنوية كالعلوم والمعارف ، ومنها علم الفلك و بقية الرياضيات والطبيعيات وهكذا ، ولاتخلو حال المنعم عليه من واحدة من ﴿ ثلاث خصال ﴾ إما أن يكون من العامّة ، واما أن يكون من الخاصة ، واما أن يكون من خاصة الخاصة . فان كان من العامّة فهذا تكون سعادته بالنعمة وقتية وفرحه بها فرح زائل فيكتفى من المآكل بمناظرها والاستلذاذ بطعمها والافتخار بحوزالفاكهة والحلوى ومفاخر الأطعمة وأن يذكر الناس انه غنىّ ذومال كثير وهكذا فى ملابسه وكل مايملكه من عقار وانضار وخيل وأنعام وصيت وذكر ودولة وان كان من الخاصة فهذا لايعنيه من المآكل إلا مابه يصح جسمه ولامن الملابس إلا مايليق له وهكذا فهذا ينظر للمنافع فى حدّ ذاتها و يضرب بظواهراللذات عرض الحائط وهكذا فى كل مايملك فهولايبالى إلابحفظ نفسه واسعاد أمّته والتعاون والتحاب بالهدايا والتحف للأهل والاخوان . ولايكتفى من علم الفلك بحساب السنين والشهور من حيث ظواهرها كالفريق الأوّل . ولافى علم الموسيقى بظواهر النغمات التى يتسلى بها العامّة والجهلاء كذلك بل يتعمق فى النظر و ينتقل من النغمات المسموعات ومن ظواهر حساب السنين والشهور الى أسباب ذلك من تلك النسب البديعة وأنواع الحساب الدقيقة و يعجب من دقتها ونظامها ونظام كل حساب فى علم الكيمياء والطبيعة ونظام الأجسام الحيوانية وحسن اتساقها . فهناك يرى نظاما واحدا ثابتا لاخلل فيه فهذه موسيقى علمية يطرب بها طربا لانهاية له ، فان فكر فى الأفلاك أوفى الأجسام الحيوانية أوتركيب الهواء والماء رأى نظاما واحدا يرجع كله الى النسبة والتناسب ، وهذه النسب كلها متشابهات لافرق فيها بين نغمات الطيور وأشعار الشعراء وسير النجوم وحساب سنيها ، ولن يعرف ذلك حق معرفته أحد إلا من درس جميع هذه العلوم بجدّ وشوق أواطلع على هذا التفسير أوأ كثره فهو مشحون بهذه العجائب ، مثلا بحر المتقارب فى علم الشعر الذى تقدّم وزنه فعول ثمان مرات . ومعنى هذا أنه هكذا : ثلاث متحركات وساكنان ثمان

مرات ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ نسبة (٣) الى (٢) كنسبة (٦) الى (٤) كنسبة (٩) الى (٦) كنسبة (١٢) الى (٨) كنسبة (١٥) الى (١٠) الى آخره ، وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين ، فاذا نسبت ثمن البيت الى البيت كله كان هكذا : نسبة (٣) الى (٢) كنسبة (٢٤) الى (١٦) وضرب (٣) فى (١٦) يساوى (٤٨) وضرب (٢) فى (٢٤) يساوى (٤٨) وعلى هـذا أبدا فقس ، هكذا اذا أتيت ببحر الطويل وهو فى الدائرة الأولى ونسبت ربع البيت الى البيت كله كان هكذا : نسبة (٧) متحركات الى (٥) سواكن وهى (فعولن مفاعيلن) كنسبة (٢٨) الى (٢٠) وضرب (٥) فى (٢٨) يساوى ضرب (٧) فى (٢٠) ولاجرم أن نفس هذا البحر كما تقدّم هو ضرب من ضروب الموسيقى وهو المسمى الماخورى فالحساب واحد وهو نفسه صوت الفاختة . إذن أصبح الشعر والموسيقى ونغمات الطيور علما واحدا و بضـمها الى علم الفلك تصبح كلها نسبا متحدة وهـذا لايصعب عليك بعد ماقدّمناه لأنك اذا نسبت السنين الكبيسة الى السنين البسيطة فى الأدوار الصغيرة المتقدّمة ترجع فى نهاياتها الى مارأيت من الشعر والموسيقى ونغمات الطيور فانك تقول نسـبة (١١) الى (١٩) كنسبة (٢٢) الى (٣٨) وهكذا الى مالانهاية له ، ولاجرم أن حاصـل ضرب (١٩) فى (٢٢) يساوى حاصل ضرب (١١) فى (٣٨) وعلى هذا فقس فى جميع العلوم . واذا نظر الحكيم الى علوم الطبيعة ولواحقها يجد أمورا عجيبة طبيعية فانه يجد الحديد مثلا والمغنسيوم والجير والكبريت هذه الأربعة كلها لها منافع فى جسم الانسان ، فالحديد يجعـل الدم أحمر و يمنع فقر الدم والمغنسيوم يقوّى العضـل و يمنع الفتق والجير يغذى العظم و يشفى الجروح والكبريت ينظف الدم و يمنع الروماتيزم . ثم يجد أن النباتات قد فرّقت هذه العناصر عليها . و يجد أمثال السبانخ والطماطم التى تؤكل غـير مطبوخة قد جمعت ذلك كله . ففيها جميع هذه العناصر ومنافعها . وتزيد السبانخ بأن فيها الفسفور الذى يغذى المخ كما يغذيه سمك البحر وفيها الكلورين الذى يعين على الهضم و ينظف المعدة كما ينظفها الصابون وذلك بشرط ألا تطبخ أكثر من خمس دقائق كما تراه فى كتاب ويلكوكس الانجليزى . فكما يرى فى العلوم الرياضية نسـبا هندسية يرى نظيرها فى تراكيب الأجسام الطبيعيـة ويزيد عليها نظام منافعها وعجائب ابداعها فيدهشه الاتقان المحكم و يعجب من حديد ومغنسيوم وجير قد فرّقت فى الأرض ووضعت ولها نظام خاص تقدم شرحه فى ﴿سورة العنكبوت ﴾ فهنالك جدول عجيب لجميع العناصر . ثم يرى انها لاينتفع بها الانسان ولاالحيوان إلا بعـد أن تمرّ على النبات فيرى أن النباتات التقطت تلك العناصر فأدخلتها فى جسمها وانتقلت منها الى مخ الانسان والى عظمه والى عضلاته ، فهنالك يدخل فى بحر لجىّ لا ساحل له

هذه هى آراء الخواص . أما آراء خواص الخواص وهى أعلى طبقات هذا النوع الانسانى فهؤلاء بعد أن يقاسوا مايقاسـون من المشاق فى الحياة والعمل لها ولرقى النوع الانسانى يرجعون الى أساس تلك القوانين فتلمح نفوسهم أن وراءها حكمة وعلما ورحمة ورأفة وابداعا واتقانا واحسان النقش والتصوير . وأن هـذا الحساب والنقش والتصوير وراءها حاسب مصوّر متقن وليس ذلك مجرّد خواطر كما يخيل لمن يقرأ ماأكتبه الآن . كلا . بل يكون نسبة هذه العلوم الى ماوراءها كنسبة هدية الملك الى مجالسته والأنس به فمن أقبل عليه الملك وجالسه أوفر حظا ممن أهدى اليه الهدايا ولم يره أهلا لمجالسته والأنس به ـ وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ـ . هذا إيضاح هذا المقام والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

(فى قوله تعالى ـ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون ـ)

وانما أخرناها الى هنا وان ذكرت بين الكلام على الأرض والشمس لأنها نتائج السموات والأرض

الله منزه عن المادة بل التحقيق أن لامادة فى هذا الوجود وماهو إلاحركات فى موجود سموه (الأثير) فالله تباعد عن المادة كما يبعد السابح فى البحر . ياعجبا . الله منزه عن المادة ومن شأن الجيل الايصدر منه إلاماهو جيل . لذلك لم تكن هناك مادة غليظة . كلا . بل ذلك الأثير . وماهو الأثير ؟ ياليت شعرى : هو أمر يشبه الامور الروحية فرضه العلماء فى عصرنا أوهو كالذى نحس به فى خيالنا من أمر موجود ألطف من المادة

العلم الآن وفيما مضى عند القدماء قد نفى المادة بتاتا وقال : « ليست هذه الأرض ولا الماء ولا الهواء ولا النجوم ولا المجموعة الشمسية ولا المجرة ولا المجرات الأخرى ولا السدم التى كشفت حديثا فى عصرنا إلا حركات فى ذلك الأثير ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ان هناك نقطاضوئية وتلك النقط الضوئية ناجمة من كهرباء سالبة وأخرى موجبة يدور سالبها حول موجبها فى الثانية الواحدة نحو ستة آلاف مليون مليون مرة فتظهر تلك النقط كأنها شجر وحجر وجبل وجمل وتختلف المظاهر باختلاف عدد الدورات فى الثانية الواحدة . وهذا الموضوع ظاهر ظهورا بينا فى ﴿ سورة النور ﴾ عند آية — الله نور السموات والأرض — إذ ظهر هناك أن نقطة الماء مركبة من جواهر نحو عدد نجوم السماء المعروفة الآن وكلها مركبات من تلك الأضواء الكهربائية الدائرة حول بعضها

فالله لما تنزه عن المادة لم يشأ أن يجعل لها حقيقة ما بل جعل لها ﴿ طرفين * أحدهما ﴾ من جهة الحقيقة الثابتة فلم يكن إلاالنور والحركات ﴿ وثانيهما ﴾ من جهة حواسنا نحن فكانت تلك الأنوار والكهرباء حديدا وأشجارا وجبالا الخ . يقول الله — سبحان الذى خلق الأزواج كلها — وذكر منها نبات الأرض وأنفسنا ومالانعلم . إذن هنا ثلاثة مباحث : النبات ، ونفس الانسان ، ومالانعلم . فالذى خلق هذه الأقسام الثلاثة حقيق بالتنزيه والتقديس ، وانما كان خليقا بذلك لأن من ظهرت براعته من الناس فى صنعة ما سواء أكانت يدوية أوعقلية كان حقيقا بالاعظام والاجلال ، والعظيم الجليل ليس مشرعة لكل وارد ولايرد عليه إلا الواحد بعد الواحد لحكمته وعلمه و براعته فى الصناعة

هذا كله فى المخلوق البارع بديع الصنعة . المخلوق الذى ظهرت براعته فى الصناعة من الناس تشتاق اليه النفوس وتحن له القلوب ولكن لاتهجم عليه الجماهير ولايرونه حتى ولو بالمجاهر والمناظير لأنهم لايصلون اليه ، واليك حادثة قصها المستر (انسل) الذى كان سكرتيرا للمستر (اديسون) الذى بهر العالم الانسانى كله بما اخترعه من الفونوغراف وهو (المصدى) أى الذى يسمعنا الصوت الذى مرت عليه السنون وقد ملا الأصقاع واخترع جهاز الصور المتحركة ، وطريقة لاستخلاص الذهب من الخام بسرعة ، وطريقة لتبديد الثلج المتساقط فى المدن بسرعة ، والمولد الكهربائى الذى يدور باحتراق الفحم والمحرك الكهربائى الذى يدور بالكهرباء الحرارية المتولدة من تعاقب الحرارة والبرودة ، وجهازا لتقدير مراتب الحديد (خواصه من حيث الجودة) ، والدليل الكهربائى (جلعافو متر) بلا ملف أوابرة ، وجهازا لقياس درجات الروائح . وادخال تحسينات كبيرة على مطاحن الأسمنت . وطرقا فنية لمعالجة خامات الذهب والنيكل والنحاس . وثلاث طرق لاحداث موجات فوق موجات الأشعة فوق البنفسجية . وطرقا كثيرة لتغطية سطح خويطات المصابيح الكهربائية بطبقات من السليكوز أوالكروميوم أوغيرهما وآلة موسيقية تحرك الأوتار الصوتية فى حناجرهلمهولتز الصناعية . وثلاث نماذج مختلفة من التماثيل الصناعية . ومسبارا كهربائيا لاثبات أعماق المحيطات باستمرار . وجهازا لقياس مقدار مقاومة الأنابيب للكلام . وطريقة لارسال الصوت فى اتجاه مستقيم من غير أن ينتشر فى الطريق . وطريقة الملتبلكس فى التلغراف أى ارسال جلة اشارات معا فى آن واحد على سلك واحد . والتلغراف الطابع . وجهاز تقوية الصوت فى التليفونات . وتوزيع القوة الكهربائية بطريق الثلاثة الأسلاك الأرضية الخ

وهكذا قد قدم لمكتب التسجيل بأمريكا (١٤٠٠) طلب لاختراع أوتحسين . هذا هو المستر اديسون

الذى ذكرنا صناعاته لنبين مقدار اعظام الناس له فى قصة (المستر انسل) صاحب سره ، وانما نذكر تلك القصة كما ذكرنا بعض صناعاته لتعرف بعض سر التعبير بالتسبيح فى حيز الكلام على النبات وخلق الأنفس الذين سيظهر لك ابداع الله واتقانه فيهما بما يدهش العقل ويحير اللب . ومن ذلك ينشأ التسبيح والاعظام بالقلب لا بمجرد اللسان فالاقتصار عليه تسبيح الجاهلين . المستر اديسن رجل صانع ماهر خدم كل أمة وكل فرد والمسلمون وغير المسلمين مدينون له . فهم يعظمونه ويجلونه ولكنهم لم يروه بل الذين حوله فى أمريكا لايستطيعون رؤيته حتى ان (المستر انسل) الذى سقنا هذا الحديث لأجله وقلنا انه صاحب سره يقول : « إن اديسون يتسارى عنده الليل والنهار فهو دائما يعمل وكنت كثيرا ماأذهب اليه فى المعمل أو المصنع بالليل حيث كنت أقضى النهار بنيويورك للقيام ببعض الأعمال وقد كان يتصادف انى لاأستطيع مقابلته لفرط انهماكه فى العمل إلا عند مايتناول الطعام فى منتصف الليل فأنتهز الفرصة وأعرض عليه بعض المسائل وأسلمه البريد فيطلع عليه فى دقائق معدودة ثم يشير على بما أتبعه ويعود هو للعمل »

هذا هو (اديسن) المخترع الشهير لايقابل الناس لأنه يقوم بشؤنهم ويرفع من قدر الانسانية . تباعد عنهم لاعزازهم واسعادهم والناس أعظموه . هكذا كل صانع وعالم فى الأرض يعظم عند الناس بمقدار عمله وحذكته . عرف الناس مقدار العظمة عند علمائهم وصناعهم وحكمائهم وأنبيائهم فأجلوا قدرهم لأنهم مخلوقون مثلهم وكلما كان عمل الصانع أجدى نفعا وأوسع فضلا كانت النفوس له أشوق وعظمته أبعد مدى والاعظام والحب يتبعان معرفة قدر الصنعة والعلم والابداع والاختراع وهذا فى المخلوق وعلى هذا القياس يكون التعظيم والاجلال لخالق هذا العالم . والحكماء والأنبياء لهم منازل على مقدار معرفة ابداع الله واتقانه . ولاسبيل لمعرفة ذلك إلا بقراءة جميع العلوم سماوية وأرضية . روحية وجسمية . ولم يذكر فى هذه الآية منها إلا خلق النبات وخلق الأنفس ومالانعلم والذى لانعلمه يقاس على مانعلمه . فاذا عرفنا نظام النبات ونظام الأنفس الانسانية و بدائع التركيب وجمال الصنعة كان تقديسنا واجلالنا للمبدع الحكيم لانسبة بينه و بين اجلال الناس لاديسون إلا كنسبة نظام صنعته الى نظام صنعة هذا المخلوق . ولاريب أن العقول الكبيرة فى العالم هى التى تدرك تلك الحقائق العالية فى الابداع ويكون عشقها ومحبتها وسعادتها القلبية بمقدار ما أدركت من تلك الحكم العالية . ومعلوم اننا فى الدنيا لاندرك منها إلا النزر اليسير وبهذا النزر اليسير يكون تسبيحنا الحقيقى وحبنا الإلهى ـ وفوق كل ذى علم عليم ـ

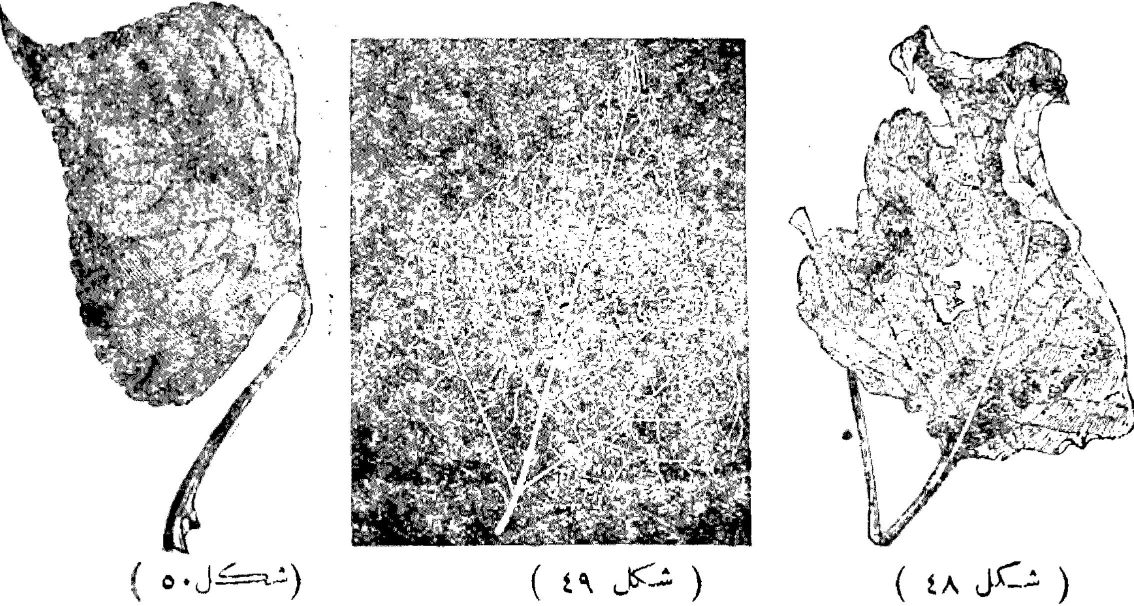
فهل تحب أيها الذكى أن أحدثك فى هذا المقام « حديثين » حديثا عن خلق النبات . وحديثا عن خلق الانسان

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى المسائل الهامة فقرأ هذا وقال هذا حسن وان كان الانسان فى بادئ الأمر قبل الفهم يظن أن بعض القول يشبه الخروج عن الموضوع وفى الحقيقة كله فى الموضوع . اللهم إلا ان أكثر تلك الصناعات المخترعات لايفهمها أكثر القراء لأنها أمور فنية لايدركونها ولكن فى ذكرها تنوير للمسلمين فيفكرون فيما ينفعهم عسى أن يفتح الله لهم باب الاختراع وكفى الفهم الاجمالى لتلك الاختراعات . ولكن ماذا تريد من شرح النبات والأنفس الانسانية فى هذا المقام ؟ هذا الكتاب تقدم فيه مافيه غنى للمستبصر فى علم النفس وفى علم النبات . ففى سورة الحجر قد رسمت الأزهار المختلفة وشرحت كيفية إلقاحها و بينت الحساب الرياضى فى أوراقها بجداول . وفى سورة الشعراء كذلك وفى سورة طه أمور أعجب وفى سورة السجدة وهكذا وفى سورة البقرة والأنعام والرعد وغيرها . فهل هذا كتاب فى علم النبات ؟ فأما علم النفس وتشريح الجسم فهو كثير فى الكتاب ، فماذا تريد أن تكتب الآن ؟ فقلت الذى أكتبه الآن شئ لم يتقدم له نظير وهو السحر الحلال والجمال والبهجة والحكمة ، فسأريك الساعة مالم

تره لتعلم قوله تعالى ــ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرُّون عليها وهم عنها معرضون ــ ثم قلت : أنا لا أريك زهرة ولا شجرة ولا حديقة ولا حقلا ولا ثمرا ، ولكن سأريك أمرا لا يؤبه له ، يحقره الجاهل والعالم ولكن بعد درسه الذى تراه يصبح ذلك الحقير فى عظمة الشموس والأقمار والنجوم الثوابت والمجرّات العظيمة

فقال : لقد شاقنى وصفك ، فما هو هذا ؟ قلت : ورقة سقطت من شجرة والناس يزدرونها . فقال : ما السبب فى اختيارك الورقة ؟ قلت : السبب فيه أنى نظرت رسمها فى كتاب « علوم الجميع » باللغة الانجليزية ومقالا شرحها ، وهاك ترجمة ذلك المقال بقلم المستر (روبرت براون) الاستاذ فى علوم النبات الخ تحت عنوان « الورقة الساقطة » قال :

« إن الصيف هو الزمان الذى يجنى فيه علماء النبات ثمرات علومهم ، وليس الخريف خاليا من مسراتهم واسعادهم بالعلم ، انه هو الفصل الذى فيه تعقد الحبوب وتجنى الثمرات الخ وتنضج الحبوب قبل فصل الشتاء الذى هو فى أقطارنا الشمالية يضعف قوّة الحياة ونشاطها الى نهايتها . وبالجملة ان أشهر الخريف هى التى فيها تسقط الأوراق . إن الغابات ذوات الأشجار العريضة الأوراق المختلفات الأنواع والأجناس فى هذا الفصل تكون أبهج للناظرين وأسحر لعقول المفكرين منها ، فى منتصف فصل الصيف حيث يصنع الناس الدريس اعتاد الناس أن يروا فى شهر يونيو ما لا حصر له من المساحات الواسعة المدمامات وهى غضة بسامة بهجة تسرّ الناظرين ، أما فى شهر سبتمبر واكتوبر فان تلك الغابات تتلوّن بألوان مختلفات الأصفر والأحمر والأسمر وهكذا مما يشعر بدنوّ أجل تلك الأوراق وتوديعها الحياة . إن الأشجار إذ ذاك تخلع حللها السندسية وجلابيبها البهية ، وبعد حين تلبس أخرى مسرّة للناظرين . وههنا رسم الكاتب ثلاث ورقات (انظر الاشكال الآتية)



(شكل ٤٨) (شكل ٤٩) (شكل ٥٠)

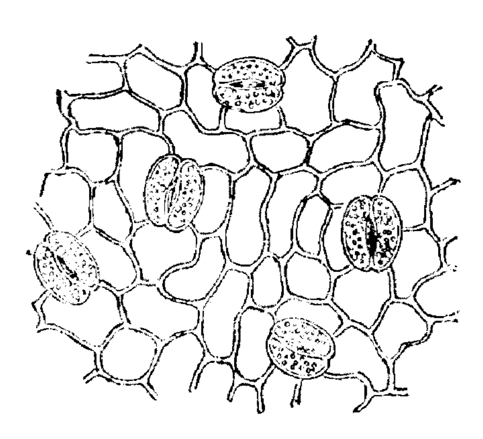
(ب) الورقة الذابلة الندية الجافة (ج) هيكل الورقة (ا) الورقة الخضراء التى لا يزال فيها ماء الحياة

فورقة (ا) خضراء لا تزال تترقرق بماء الحياة ، اقد انتزعناها من شجرة الحور . وورقة (ب) قد أصبحت مصفرّة ذاوية وقد فارقت الحياة . والورقة (ج) لنفس هذا الشجر ولكن المادّة التى تملأ ما بين خلل العروق فى الورقة قد تعرت عنها وزايلتها ولم يبق إلا الهيكل الذى يقول :

ألا ليت الحياة تعود يوما ✲ فأخبرها بما فعل الممات

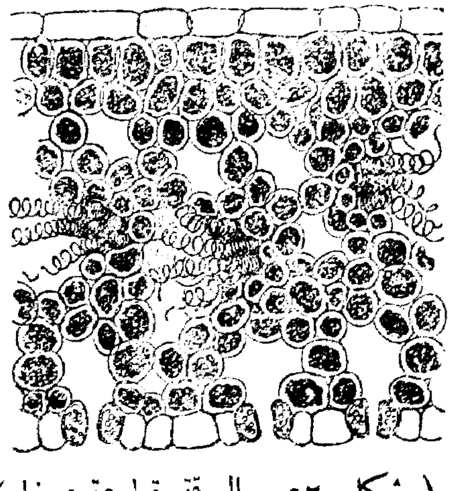
وهنا أخذ يصف الورقة فأبان أن هيكلها حافظ لشكلها الأصلى . ثم قال : « إن هذه الورقة الخضراء مدوّرة قليلا أو كثيرا فى هيئة رسمها شأن جميع الأوراق والطول يزيد كثيرا عن العرض وهى دقيقة الطرف

حادّته وهذه هى هيئة المثلث الذى لااتقان فيه وتأملها تجد فى وسطها مايشبه العمود الفقرى فى الحيوان وقد تشعبت منه فى الجهتين أضـلاع وكل منها ذوفريعات أخرى يتخللها جميعها مادّة ناعمة تقوم مقام اللحم فى هيكل الحيوان بحيث يظهركل ذلك بهيئة شبكة منسوجة جزأت الورقة أدق الأجزاء وأصغرها . ولقد غطى كل ذلك بغطاء دقيق اذا عومل بابرة مع رفق واحتراس اذن يقسم أقساما فى غاية الدقـة . وفوق كل ذلك اننا نرى ظاهرهذه الورقة (وكل ورقة أخرى من أى نبات كانت) أوضح لونا من وجهها الذى يقابل السماء ونرى أيضا أن الأسفل ليس فى النعومة كالأعلى . إن كل ماذكرناه هنا قد عرفناه بمجرّد العين ولولم نستعن فيه بآلة بصرية كما هوظاهر . ولما كانت آلة الابصارالصناعية المسماة بالمكروسكوب ممكنة الشراء لجميع الناس تقريبا لرخص ثمنها أمكننا أن نستعين بها فى تحقيق امتحاننا فى هـذا المقام لنزل بالابرة مع الاحتراس قطعـة صغيرة من غطاء أوجلد الوجه الأسفل للورقة ولنضعها بكل احتراس على قطعة من الزجاج تحت المكروسكوب. أتدرى ماذا يحصل بعد ذلك ؟ يكون هذا الشكل الذى تراه أمامك الآن (انظرشكل ٥١)



(شكل ٥١ ـ قطعة من ظاهرالورقة ترى فتحاتها وهى الأفواه)

وليست الفتحات شيأ سوى أفواه جلد الورقة أومنافذها ، وهذه الفتحات عامّة فى جميع أجزاء النبات الخضراء المكسوّة بهذا الجلد أوبهذا الغطاء وتكون أيضا فى أوراق الأزهارولكنها أكثرجدا (فى الأوراق لاسيما الوجه الأسفل منها) من أى جزء من ظاهرالنبات وتختلف أعدادها قلة وكثرة بحسب اختلاف أنواع النبات ، ثم إن هذه المنافذ أوالأفواه التى رأيتها فى جلد الورقة الآن موصلات الى حجرات صغيرات مكوّنات من مادّة ناعمة خضراء من الورقة وهنّ موصلات الى منافذ الهواء التى تراها الآن فى داخل المادّة المرسومة فى هذا الشكل (انظرشكل ٥٢)



(شكل ٥٢ ـ الورقة مقطوعة عرضا)

أتدرى ماعدد الأفواه التى ذكرناها فى الورقة ؟ انها قد تكون فى البوصة الواحدة المربعة عدد (١٢) وقد تكون (٢٤) وتزيد حتى تصل الى (١٦٠،٠٠٠) وقد يكون ذلك فى ورق الشجيرات الصغيرات اللاتى تشبه النجم أى ماليس بشجر بمقدار (٧٠٨،٧٥٠) فى البوصة المربعة أيضا بينما كان عددها فى ورقة شجر (الكاس) مليونا وثلاثا وخمسين ألفا (١،٠٥٣،٠٠٠)

﴿ وصف المادة التى فى داخل الورقة ﴾

ليس من السهل امتحان المادة التى فى داخل الورقة ولكننا اذا فصلنا قطعة من جرمها اللحمى الذى تخللته تلك الشبكة رأينا تحت المكروسكوب (المنظار المعظم) منظرا كالذى استحضرناه وأريناكه فيما تقدم

اننا هنا نلاحظ أن بين وجهى الورقة من أعلاها ومن أسفلها مادة خضراء قد جعلت بهيئة مثانة مدورة كما ترى وماهى هذه إذن ؟ هى المسماة بالخلايا جمع خلية فى اصطلاح علماء النبات وكل خلية من هذه التى أمامك تحتوى على مادة خضراء عائمة فى مادة سائلة وهذه المادة السائلة تسمى (خضرة الورقة) واذا أردت اسما أطول من هذا قلنا لك (كلوروفيل) كما هو اصطلاح علماء النبات ويحيط بهذه المادة المشرقة حيطان شفافة يعلوها سقف مرفوع ، وما أشبه المادة الخضراء بين السقف والحيطان الأربعة إلا بسراج ذى لون أخضر أضاء على هذا السقف فظهرت الورقة بلون الخضرة البديع إذ الجلد أو الغطاء ليس فيه مادة خضراء وان كان من نفس مادة الخلية وليس يحوى غير الهواء وهو مركب من ذرات صغيرات شبيهات باللبنات التى تبنى بها الحيطان فى منازلنا وقد وضعت وضعا محكما بهيئة منظمة كل واحدة بجانب الأخرى لايتخللها غير الهواء . إن الشبكة المنسوجة من الفروع الدقيقة مما يشبه العمود الفقرى فى الانسان فى وسط الورقة تمتد فى وسط الخلايا فتتخلل كل مسافة فارغة فتحشوها وتكون لها كأنها قوالب أوهيا كل تحفظها

إن هذا الامتحان السريع الذى لم نتعمق فيه فيما يشبه العمود الفقرى وفروعه قد يكون كافيا ولكننا نريد أن نزيد عليه ماهو أجل وأكمل ، ذلك ان هذه الفروع إن هى إلا حزم من الأنابيب مجتمعات أوأوان وضعت بجانب بعضها ورُبطت معا ، وهذه الأنابيب وظيفتها انها تحمل المواد المغذية من الساق الى الأوراق ، أفلايحق لنا الآن أن نسمى تلك الأنابيب بالعروق لأنها أشبهت فى إيصال التغذية عروق الحيوان

هانحن أولاء أتينا على عجالة فى تركيب الورقة من علم النبات ، وماهذه العجالة إلارسالة صغيرة وضعت لايضاح مانحن فيه ، وقد اضطررنا أن نعجل فيها لأن ذلك كاف فى مقصودنا . فنحن فى الأسطر القليلة المقبلة نوضح هذه المسألة بتجربة كيمائية يعرف بها الفرق بين الغازين غاز الاكسوجين وغاز الكربونيك أى حامض الكربون فنقول :

لنضع ورقة (الحور) التى قطعناها حديثا فى إناء من الزجاج واسع الفم ثم لنغمرها بالماء ولنعرّضها لضوء الشمس الوهاج ، فماذا نجد إذن ؟ نجد هناك فقاقيع من الماء أخذت تطفو على وجهه . هذا فى النهار أما فى الليل فانا نجد فقاقيع مثلها كذلك خرجت من ذلك الماء . فههنا ﴿ أمران ﴾ إما أن نكون من علماء الكيمياء فاننا نعلم علم اليقين أن الغاز الذى ظهر بالفقاقيع ليلا غير الغاز الذى خرج بالفقاقيع نهارا . فأما اذا لم نكن كذلك فعلينا أن نسأل أهل الذكر بهذا العلم ومن هؤلاء إلاعلماء الكيمياء ، فهؤلاء يقولون لنا إن الغاز الأوّل هو الاكسوجين والغاز الثانى هو غاز حمض الكربونيك ، فالاكسوجين به حياة الحيوان وغاز الكربونيك هو الذى يخرج منه بالزفير لأنه مميت له ، والاكسوجين اذا سلطت شرارة نار فى قطعة خشب صغيرة أمدّها وقوّاها فأخذت تسرى فى جرم الخشب فتصير لهبا ، فهو إذن حياة الحيوان وموقد النار ، فاذا وضعنا هذه القطعة الخشبية قبل أن يتم اشعالها فى إناء فيه غاز الكربونيك انطفأت النار حالا . إن غاز

الكربونيك يخرج من البراكين بمقادير عظيمة ، ومن أجواف الحيوان بواسطة الزفير ، ومن المصانع المعروفة وهو الذى يتبخر فى الجو من النباتات التى أخذت تنحل أجزاؤها وتفسدهيا كلها إذا لحقها الردى وحل بها الهلاك ، إن مقادير غاز حامض الكربونيك فى الجو قليلة ولا نسبة بينه و بين الهواء الجوى إلا كنسبة واحد الى ألف ألف ، وليس فى الجو من الفحم الصافى إلا (١٣٨,٦١٦,٠٧٥,٨٩٢) طنا والطن حوالى (٢٢) قنطارا والقنطار (٣٦) أقه وهذا المقدار الطائر فى الهواء هوعينه من صنف فحم الكوك المسمى بالافرنجية (تشرلوك) وهوالفحم الرخيص الذى يجعله الناس فى مواقدهم للتدفئة ونحوذلك ، فهذا المقدار المذكور أحد جزئى ذلك الغاز وهوحامض الكربونيك لأن حامض الكربونيك مركب من جزء من الكربون (الفحم) وجزءين من الاكسوجين فالجزء المذكورهوالذى تقدم وزنه ، والاكسوجين يكون فى الهواء مقدار خمسه ، واذا كان الهواء (على فرض انه أصبح سائلا بالتبريد) يصير عشرة أمتار على الأرض وهو الآن فى حالة الغازية نحو (٦٠) كيلومترا يكون حامض الكربونيك المذكور شيأ قليلا جدا لا يؤبه له فى كلتا الحالتين . إن النبات بتعرضه لضوء الشمس يمتص غاز الكربونيك من الجو بمساعدة الأوراق وكل جزء أخضر فى النبات فهنالك يمتصه النبات و يدورفيه دورته ، ولن يكون ذلك إلا بمساعدة ضوء الشمس أولا وتأييد المادة الخضراء فى الورق ثانيا وماالورق إذ ذاك إلا معامل صناعية كيمائية يحلل لنا ذلك الغاز فيها فيأخذ جرم النبات الكربون (الفحم) ليتغذى به و يقيم بنية هيكله ويدع الجزءين الآخرين من الاكسوجين فيخرجان بالزفير كما دخلا بالشهيق . إذن بهذا نفهم أن ما رأيناه خرج بزفير الورق بهيئة فقاقيع فى الماء فى الاختبار المتقدم انما كان أكسوجينا ، ولوانا هنا وضعنا على الزجاجة قدحا من الفاين وغطيناها به لرأينا شرارة تتقد فى ذلك الإناء وقد تصير لهبا ، فأما فى الليل فان التجربة هى بعينها تفعل مثل ماتقدم ولكن النتيجة هنا عكس ماتقدم . فههنا تمتص الورقة الاكسوجين وتدع الغاز يخرج منها بالزفير ولكنه كميته قليلة جدا . وههنا بحث العلماء فى هذا الغاز من أين أتى ؟ أهو من نفس الاكسوجين والكربون اللذين هما فى بنية النبات ؟ أم هو غاز من الذى امتصه النبات بالنهار ولم يتم امتصاصه فى بنيته . هذان رأيان لم يبت فيهما العلماء

وههنا يسأل سائل فيقول : اذا كان النبات هذا شأنه وانه بالليل يخرج لنا غاز الكربونيك فانه لاجرم يفسد الهواء . وأى فرق بينه و بين فحم الكوك (تشرلوك) اذا أوقدناه كلاهما يفسد الهواء . فلو أنا أوجدناه فى غرفة المقابلة أو الجلوس فانه يضر الأحياء أو يقتلهم

وههنا أجاب الكاتب قائلا : « إن هذا القول صحيح نظريا . فأما عند العمل فلا لأن النبات الذى يكون فى النافذة مهما كثر فان زفيره بالحامض المذكور قليل جدا . بل اذا نام قارئ هذا الكتاب فى نفس مازرع فيه النبات وحفظ فيه فلا خوف عليه من الاختناق . وكيف يستضر بهذا الغاز ونحن لا نجد فى ستة آلاف نباتة مزروعة فى أوعية قد أحكم الغطاء عليها (١٢) ساعة ما لا يزيد عن جزء واحد و ٣٩ فى المائة من (١٠,٠٠٠) جزء

قد قلنا فيما مضى أن الشهيق والزفير يكونان بواسطة الأفواه المرسومة فيما تقدم ، ومثل ما قلنا فى النبات المشاهد فى الأرض نقول أيضا فى نبات الماء ، ولكن الامتصاص هنا يكون بجلد الورقة لا بالأفواه المتقدمة ثم ان الاكسوجين الذى يمتصه ذلك النبات يدور فى بنيته و يتمثل فيه فيدخل أولا فى تلك الفتحات و يصل الى تلك الخلايا ومن هناك يدور فى هيكل النبات كله واصلا اليه بطرق هوائية صغيرة أوقنوات تحت تلك الخلايا

﴿ النبات زبال الهواء ﴾

ألست ترى أيها القارئ بعد هذا أن النبات زبال الهواء ، كيف لا وهو الذى يأخذ منه المادة الضارة وهو حامض الكربونيك فيحولها فى داخل معمله الى كربون ضار يبقى فى بنيته لأنه يناسبها والى اكسوجين

يرجعه ثانيا الى الهواء فيصبح صالحا لتنفس الحيوان عوضا عن ذلك الغاز المضر به وعلى ذلك نقول إن الورق فى النبات يقوم بوظيفة الرئة فى الحيوانات العليا ، والخلايا التى فى الورق تقوم بوظيفة الخلايا التى فى الرئة ، وانما ذكرنا الحيوانات العليا هنا فى النظير لأن الحياة فى أدنى درجاتها يكون العضو فيها قائما بأعمال كثيرة أما فى مراتب الحيوانات العليا فالأعمال موزعة توزيعا حسنا ، وذلك له نظير فى المدنية . فالأمم الراقية أعمالها موزعة توزيعا حسنا ، أما المنحطة فإن الفرد الواحد يعمل جملة أعمال فهناك يقل الاختصاص ونبوغ الأفراد

﴿ ندى الأشجار ﴾

وههنا أفرد الكاتب فصلا شرح فيه الندى على الأشجار والنبات فأفاد أن الندى لم يكن من الجو وانما هو عرق من هيكل النبات كعرق الانسان ولذلك نشم من هذا الندى رائحة النبات الذى ظهر هو عليه كما نشم من عرق الانسان رائحته هو سواء بسواء ، ومن الشجر ما يقطر ماء على هذا النمط . وقد مر فى بعض هذا التفسير ما هو أوفى من هذا فى الندى

﴿ الورقة شجرة مصغرة أو هيكل حيوان ﴾

فلنتجاوز ذلك الى ماذكره المؤلف بعده بنحو ورقة من الكلام على هيكل الورقة ببيان أوضح وأجل قال : « فاذا تصورنا عظام الحيوان وأوعية دمه وتمثلت أمامنا هيكلا له فاننا نجد هذه الصورة مطابقة تمام المطابقة لهيئة الورقة . وهنا عجيبة أخرى ألفت اليها نظرك أيها الذكى ، فانظر واعجب : اننا كثيرا ما نرى نفس هيكل الورقة يشبه جد الشبه هيئة شجرته التى تحمله فصورة الورقة لها نظيران : هيكل الحيوان وهيكل شجرتها . حقا إن الشجرة التى جردت من أوراقها أيام الشتاء مثلا تكون صورة مكبرة للورقة التى سقطت منها . فاذا نظرت هيكل الورقة استبانت لك النسبة بين تشعب فروع هيكلها وبين عروق جسم الحيوان . فانظر الى الأوراق المتقدمة وتأمل . ألست تجد أن فيها عمودا وسط الورق وهذا العمود خرجت منه أضلاع من جانبيه . فهذه الأضلاع كونت مع ذلك العمود الذى فى الوسط زاوية . وهذه الزاوية بعينها نرى فيما بين تلك الفروع وبين الأغصان التى تفرعت منها . فهذه الموازنة تراها جلية ظاهرة . ثم ان نفس صورة الورقة مشابهة تمام المشابهة لصورة شجرتها فان الزوايا الحاصلة فيما بين جذع الشجرة وفروعها هى بعينها الزوايا الواقعة بين جذع الورقة الممتد فيها وفروعها سواء بسواء . وبهذا تم الكلام فى شرح هيكل الورقة وتبيان عجائبها . وملخص ما تقدم فى هذا المقام أن للورقة فى كل نبات :

(١) خلايا جمع خلية وهى أشبه بالحجرات

(٢) وهذه الخلايا مركبات من حيطان شفافة

(٣) ولكل منها سقف مرفوع عليها يغطيها

(٤) وهذا السقف مكون من ذرات تشابه اللبنات التى نبنى بها منازلنا

(٥) وفى داخل الحجرات سائل فيه مادة خضراء

(٦) وهذه المادة الخضراء مضيئة تشع ضوأ على السقف وهو خال من اللون وليس يتخلله سوى الهواء

(٧) وبهذا تظهر الأشجار بأنها خضراء والحقيقة أن الخضرة فى تلك الخلايا داخلها ، وما هذه الخضرة إلا انعكاس

(٨) فى كل بوصة مربعة (البوصة تساوى سنتيين اثنين ونصف سنتى والسنتى جزء من مائة من المتر) ما يبلغ (١٢) خلية و (٢٤) وهكذا الى ما يزيد عن ألف ألف حجرة ببضع مئات

(٩) هذه الورقة اذا وضعناها فى إناء زجاجى وعرضناها للشمس نظرنا فى الماء فقاقيع وهكذا يحصل فى الليل ففقاقيع النهار أكسوجين وفقاقيع الليل غاز الكربونيك المستخرج من جسم ذلك النبات

ليلا أو مما بقى مما امتصه بالنهار

(١٠) ولوأننا أقفلنا الزجاجة بالقلين لظهر لنا المحبوس من الاكسوجين بالنهار شررا ، واذا ازداد ذلك صار لهبا

(١١) إن غاز الكربون الذى فى الهواء قليل بالنسبة له بحيث لايزيد على واحد فى ألف ألف جزء منه والكربون الذى فيه تقدم ذكر عدد طولاناته فلا نعيده

(١٢) وما النبات بالنسبة للهواء إلا كمثل مزرعة الجبل الأصفر فى بلادنا المصرية بالنسبة لمستقذرات القاهرة فان مراحيض القاهرة تسير فى أنابيب تحت الأرض وتسير أميالا كثيرة وهناك تمتزج بالماء وتسقى بها تلك المزرعة وهناك يبقى بعض السماد ليخصب الأراضى الأخرى وزرعها عجيب جدا ، فهكذا النبات بالنسبة للهواء فقد أخذ مايفسده فأصلحه فى جسمه ثم ردّه صالحا للتنفس وورق النبات يقوم مقام الرئة فى الحيوانات الكبيرة والخلايا فى هذه كالخلايا فى تلك

(١٣) غاز الكربونيك الذى يخرج من النبات لايضرّ الناس ولا الحيوان لأنه قليل جدا فان ستة آلاف نباتة بعد (١٢) ساعة لم يظهر منها (مع ان النبات مغطى) إلا مقدار يسير من ذلك الغاز الضار

(١٤) للشجر بورقه عرق كعرق الانسان يظهر بهيئة الندى المعلوم ولذلك نراه يحمل رائحة نفس النبات كما ان عرق الانسان يحمل رائحته

(١٥) إن فى هيكل الورقة لشبها لهيكل الحيوان ولهيكل نفس الشجرة ، ألم تر الى الزوايا التى بين جذع الورقة وفروعها الكبرى وللزوايا التى بين الفروع الكبرى وأغصانها فهذه متساوية هكذا ترى نفس الشجرة جذعها مع فروعها الكبرى وفروعها الكبرى مع أغصانها كل هذه متساوية الزوايا . انتهى ملخص الموضوع

﴿ خطاب الورقة للناس عامة وللمسلمين خاصة ﴾

(فى تفسير ـ سبحان الذى خلق الأزواج كلها ـ)

تقول : أيها الناس . هاأناذا ترونني أسقط من شجرتى فى ظلالها تحت أرجلكم وغاية ماتفعلون انكم تزيلونني لتنظيف أمكنتكم ولكنكم لاتعلمون أنى نورالله لتدرسونى كما ان الحشرات نوره أنزلت لكم لتدرسوها ما أكثرنا نحن معاشر الورقات فى الأرض ، وما أكثر أنواع الحشرات الطائفات عليكم صباحا ومساء ، أنا فى حقولكم وفى بساتينكم وتحت أرجلكم والحشرات تطوف عليكم فى الهواء ، أما أنا فنى علم وحكمة مجسمة واضحة أقيم عليكم الحجة لتفهموا قوله تعالى ـ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون ـ فأما أنا فنى مما تنبت الأرض ، قد اخترعنى وابتدعنى منظم هذا العالم وخالقه وقد ملأنى بالحكمة والعلم ، أنتم تعظمون أمثال (اديسون) المخترع الأمريكى وقد ساعدكم فى كشف أسرار الأنوار فى منازلكم ، هو معظم عندكم منزلته سامية ، تحبونه وتهابونه بقلوبكم لأنكم أدركتم آثار صنعته ، وهاهوذا ربى قد جعلنى نموذجا لصنعته ، فماذا صنع ؟ صنع لى سراجا كما صنع (اديسون) لكم سراجا ولكن سراج ربى هو الشمس ، ومن رحمته وحسن ابداعه انه جعلها بعيدة عنى بمقدار (٣٥٠) سنة بسير القطار و بمقدار (١٢) سنة بسير قلة المدفع وجعل لنورها سرعة بحيث يصل الىّ فى (٨) دقائق و (١٨) ثانية

هذا هو سراج ربى ، فهذا النور هو والمادّة الخضراء فى داخل حجراتى أيام حياتى بهما أجذب أنا مادّة حامض الكربونيك المفسد للهواء وأهضم فى جسمى ذلك الفاسد وأخرج مايصلح الهواء ، إن الفحم الذى يفسد الهواء هو الذى يدخل فى تركيب كل فاكهة وزهر وورق وشجر ؟ هذه الحقول وهذه الجنات لاحياة

لها إلا بما تستخرج من زبالة الهواء ، فأضواء الشمس وأكسوجين الهواء والكربون المضر فيه والأشجار وأوراقها وأزهارها وأثمارها والماء والأرض والرياح كلها متعاونات على نتيجة واحدة وهى حياتكم ، فأى نسبة بين سراج اديسن ومعامله وبين سراج الله وهو الشمس وبين معامله فى الأرض ، إن معامل اديسن وأمثاله لن تقدر أن تصنع حجرة واحدة من حجراتى بحيث تكون حيطانها شفافة وسقفها يبنى بناء محكما وفيها سائل وفى السائل مادة خضراء تضىء وفى داخلها فروع كثيرات متداخلات فيها تحفظها حفظا تاما كالاطار الذى يحفظ ماهو داخله ، فالمعامل فى الأرض ليس فى طاقتها أن تصنع خلية واحدة كهذه فضلا عن فضلا عن ألف ألف وبضعة آلاف فى بوصة واحدة (١٢)

إن صناعات (اديسن) وأمثال اديسن أقرب لعقولكم ، وصنع الله لشدة عظمته يعزب تذكره عنكم فعقولكم أقرب الى تعظيم صانع فى أرضكم من تعظيم خالق الكون لعظمة صناعته وانها بعيدة المثال ولولا رحمة ربى بغفلتكم عن فعله لهامت قلوبكم به هياما ينسيكم أنفسكم ولكنه من فضله أدخل الغفلة عليكم حتى ضعفت بصائركم فعكفتم على أعمالكم الجزئية . ولكن فى الأرض أناس قليلون جدا سمت عقولهم وارتقت أفكارهم . فهؤلاء يهيمون بربهم لما بهرهم من عظمة صنعته . وهم الذين يحبونه حبا جما . فهم فى الأرض يعيشون لايبتغون من الحياة إلا أن يكونوا مسعدين لأنهم مقتدين بما يرون من أعمال ربهم لشدة حبهم إياه . وهؤلاء هم عماد أهل الأرض وبقية الناس دونهم . وهؤلاء ليس عندهم لذة غير ذلك الحب وكلما غفلوا عنه حزنوا واعتقدوا انهم قد أذنبوا . فهم إذن يستغفرون . واذا جاء الموت فرحوا به لأنهم به يرون محبوبهم . أولئك هم السعداء المفلحون

فأما قوله تعالى ـ ومن أنفسهم ـ فاقرأه فيما تقدم فى ﴿سورة لقمان﴾ فى تفسير قوله تعالى ـ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ـ الخ وأما قوله ـ ومما لايعلمون ـ فذلك تذكير لنا بأن هناك عوالم نظامها متسق على مقتضى هذا النظام . وهذا ما هو إلا ضرب مثل له . ألا ترى الى قوله تعالى ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ والى قوله ـ وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ـ والى هنا تم الكلام على أزواج النبات . كتب صباح يوم الأحد أول شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩

أما أزواج الحيوان فما أكثرها فى هذا التفسير . ولكن لنذكر هنا ماجل مما عثرنا عليها . فهناك مناظر جميلة لأزواج الحيوان . فنذكر أولا أشكالا غريبة لأربعة منها وذلك من إحدى المجلات العلمية وهى «مجلة الجديد» وثانيا نذكر ذكاء الحيوان وأعماره . وكذلك سمك الفردوس الذى يبنى أعشاشه كالطير ويسبح فوق سطح الماء . وثالثا نذكر رؤسه المختلفة (انظر شكل ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ فى الصفحة التالية) وسترى أيضا باقى الصور فيما يلى من الصفحات

أوّلا — ﴿ الأشكال الغريبة الأربعة ﴾



(شكل ٥٣ — الريهيا)
نوع من أسرة النعام وقد ظهرانها شديدة التقليد للطاوس حين جاورها فى المسكن إذ كثيرا ما تحاول أن تتصنع زهوه معتمدة على ضخامة الجسم بدلا مما ينقصها من ازدهاء الألوان



(شكل ٥٤ — لاحاجة للمرآة)
هذه النعامة تستطيع بما وهبها الله من عنق طويل لين أن ترى أى جزء من جسمها فلا تعوزها المرآة وأكثر من هذا أن لها طرقا متعددة فى النظر الى ما حولها ، وعلى الرغم من كل هذه المميزات فان منظر الحزن والكآبة لايكاد يفارقها



(شكل ٥٥ — رسم غوريلا كبيرة يبلغ وزنها ٤٥٠ رطلا وطولها ١٧٠ سم وقد صادها الكولونيل (غن) من الكونغو البلجيكية)



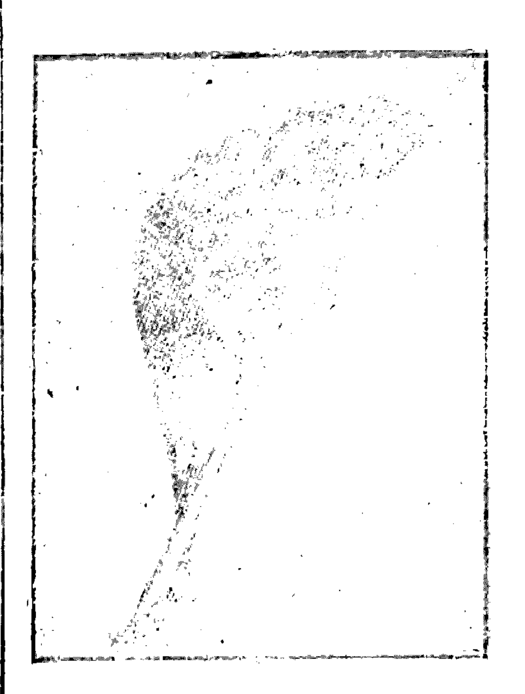
(شكل ٥٦ — رسم عجل الكودو وهو الذى صادته بعثة حديقة حيوانات لندن من أواسط أفريقيا ، وفى الصورة أحد الصبيان من الأهالى وهو يرضعه من زجاجة ليأتلف به قبل ترحيله)

شكل

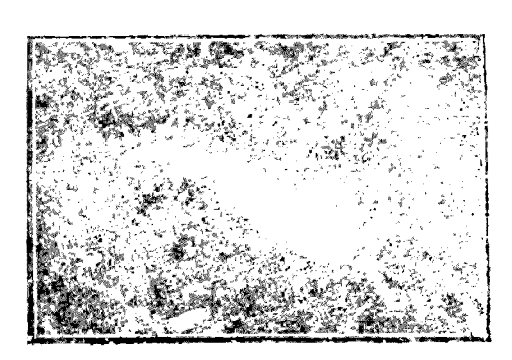


(شكل ٥٧ — أحدث طريقة لتحنيط الحيوانات)

أعلن أستاذ علم الحيوان فى جامعة فينا أن خير طريقة لتحنيط الحيوانات والنباتات هى غمسها فى حمام البرافين إذ شاهد أن البرافين يميتها وهى فى حالاتها الطبيعية كما ترى فى الصور الأربعة ، وفى حالة النبات يحفظان النبات وشكل الزهور الطبيعى وهذا يساعد كثيراً فى دراسة هذه الأحياء

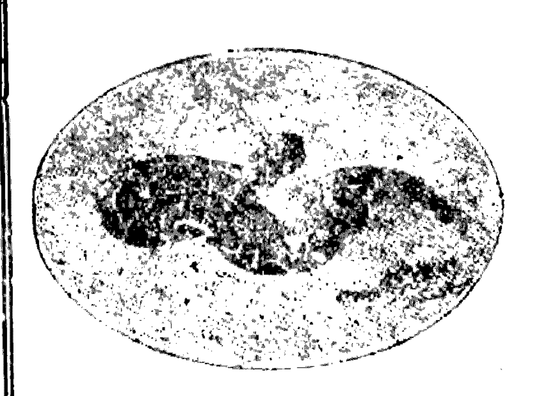


(شكل ٥٨ — رسم شامليون عجيب طوله ١٤ بوصة وهو أطول شامليون عرف فى العالم صادته بعثة حديقة حيوانات لندن فى تجوالها الأخير فى افريقيا)



(شكل ٥٩ — آكل النمل)

حيوان من أعجب الحيوانات التى أرفدت حديقة حيوانات لندن بعثة جمعها ويدعى آكل النمل . غير أن هذا النوع لم يطل أمد تناسله بل حل مكان نوع آخر منه



(شكل ٦٠ — حية يقتلها النمل)

بين أصناف الأفاعى التى صادتها بعثة حديقة حيوانات لندن هذه الحية التى افترسها النمل الأحمر هى وست مثلها فى ليلة واحدة ، وهى من النوع السام والذى تميت لدغته الواحدة

سمك الفردوس يبنى أعشاشه كالطير و يسبح فوق سطح الماء

تعرف البحار الصينية بأنواع غريبة من الأسماك ، ومن أغربها النوع المعروف بسمك الفردوس وهو يتخذ أعشاشا كالطير و يصنعها من مادّة لزجة ينفخها بفمه فتصير كالفقاقيع وتسبح فوق سطح الماء وصناعة هذه الأعشاش خاصة بالذكور دون الاناث ، فاذا باضت الأنثى أخذ الذكر بيضها بفمه واحدة فواحدة ووضعها فى العش اللزج فتلتصق به . ولما كانت الأنثى فى سمك الفردوس ذات طباع وحشية وتحب أن تأكل بيضها ومايخرج منه من الأسماك الصغيرة يرخم الأب أوالذكر على هذا البيض حتى يفقس ويحرسه حراسة تامّة حتى لاتلتهمه الأنثى (انظر الأشكال الأربعة الآتية)



(شكل ٦١ – سمك الفردوس)



(شكل ٦٢ – الذكر من سمك الفردوس يتفقد بيض الأنثى فى العش)

شكل



(شكل ٦٣ ـ الذكر من سمك الفردوس يرخم على بيض الأنثى في العش)



(شكل ٦٤ ـ سمك الفردوس)

ثانياً — ﴿ ذكاء الحيوان وأعماره ﴾

وأما أعمار الحيوان وذكاء بعضه ، فهاك ماجاء في «مجلة الجديد» تحت عنوان أعمار الحيوان وهاهوذا

﴿ أعمار الحيوان ﴾

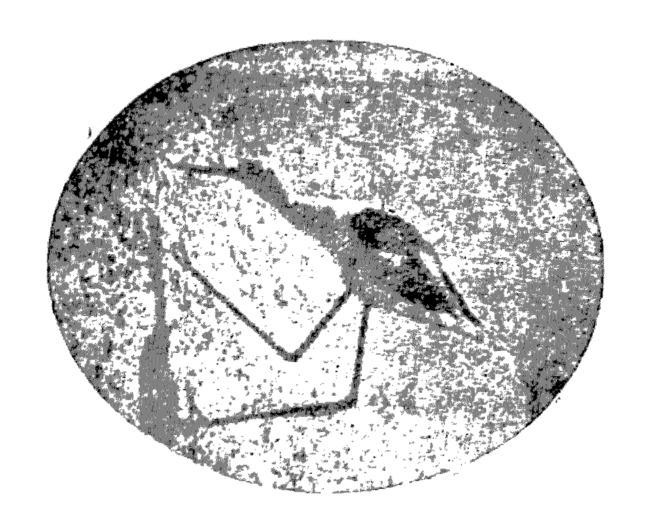
عثر بعض المسافرين الانجليز عند مرورهم بجزر تونجا في الاوقيانوس على سلحفاة كتب على ظهرها عام ١٨٣٧ وقد كتبها القبطان كوك عند مروره بهذه الجزيرة ، وقد اتضح لهم أن عمرها يبلغ ١٥٠ عاما وفيما يلي بيان بمتوسط أعمار الحيوانات المعروفة : (التمساح من ٢٠٠ الى ٢٥٠ عاما ، الفيل من ١٥٠ الى ٢٠٠ عام ، النسر ١٠٠ عام ، البجعة ١٠٠ عام ، الغراب ١٠٠ عام ، الكركدن ٦٠ عاما ، الأسد ٦٠ عاما . الببغاء من ٥٠ الى ٨٠ عاما . الأوز ٥٠ عاما . الجمل ٥٠ عاما . الصقر ٤٠ عاما . الثور ٣٠ عاما . الوعل ٣٠ عاما . الحمار من ٢٥ الى ٣٠ عاما . الحصان ٢٥ عاما . العصفور الحسون ٢٥ عاما . الطاووس ٢٥ عاما . البرقش من ٢٠ الى ٢٥ عاما . الخنزير ٢٠ عاما . الجاموس من ١٨ الى ٢٠ عاما . القط ١٨ عاما . الكلب من ١٠ الى ٢٥ عاما . الدب ٢٠ عاما . البقرة ٢٠ عاما . القاي ٢٠ عاما . السرطان ٢٠ عاما . الذئب ٢٠ عاما . البلبل ١٦ عاما . القنبرة ١٦ عاما . الثعلب ١٥ عاما . ثعبان السمك ١٥ عاما . الشاة ١٢ عاما . الصرصار ١٠ أعوام . عصفور الكناري ١٠ أعوام . الماعز ١٠ أعوام . العصفور الدوري ١٠ أعوام . الدجاجة ١٠ أعوام . الأرنب ٨ أعوام . الأرنب البري ٧ أعوام . السنجاب ٧ أعوام . الفراشة ٧ أعوام . النملة عام واحد وتوجد في عين الفراشة (٥٠٠٠) عدسة مختلفة و (٥٠،٠٠٠) عصب . واذا وضعت قوقعة الى جانب أذنك سمعت صوتا كالموج ينشأ من تكبير الغطاء الخارجي لصوت ضربات الدورة الدموية الصادرة من أوردة الرأس (انظر شكل ٦٥)

خريج جامعة كولومبيا



(شكل ٦٥)

جاز هذا الكلب امتحانا عقد له خاصة في جامعة كولومبيا لاختبار ذكائه وعمره ٥ سنوات

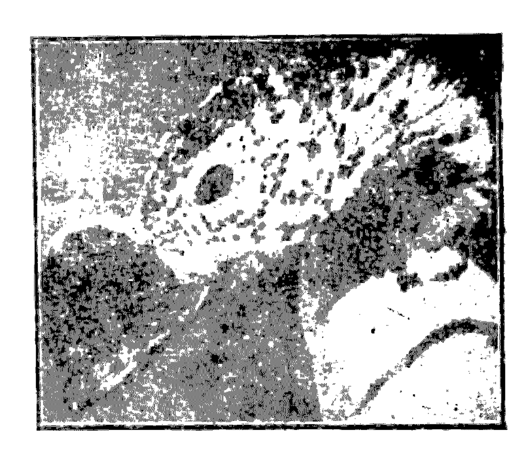


(شكل ٦٦ — رسم طير غريب ، ومن غرابته أن قدميه حمراوتا اللون طول كل قدم (٢٧) سنتيمترا ونصف سنتيمترا ، أما ارتفاعه فهو ٢٥ سنتيمترا فقط)

ثالثا — ﴿ رؤس الحيوان المختلفة ﴾

أما رؤس الحيوان فاسمع ماجاء فى « مجلة الجديد » تحت العنوان التالى وهذا نصه :

أعجب رؤس الطير



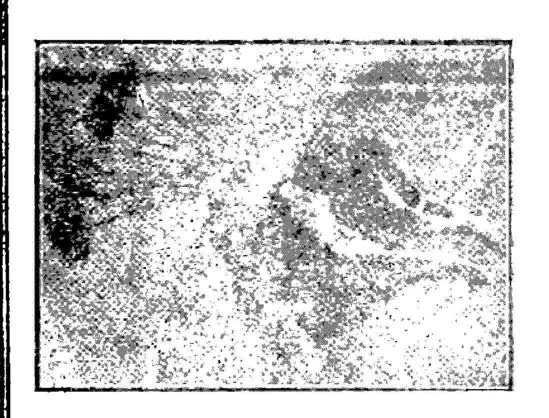
(شكل ٦٧ — رأس البطة المعروفة بذات المشط وهى من أندر أنواع البط ، وذلك أن عرفها الشبيه بالمشط يكون فوق رقبتها لا فوق رأسها ، وليس لذلك أى سبب إلا أن تكون مخالفة لسواها فى الشكل)



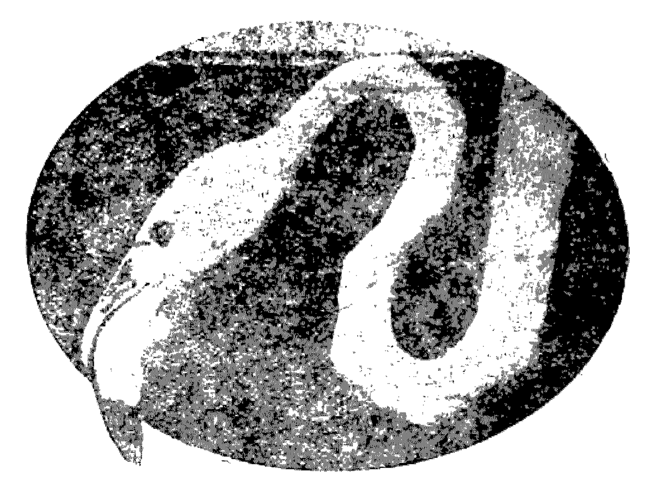
(شكل ٦٨) الصقر المتوج ومنقاره الصغير المعقوف يحدث أشد الرّعب للطير والحيوانات الصغيرة وهو يأ كل القردة والفيران والأرانب والطيور والأوز والحملان



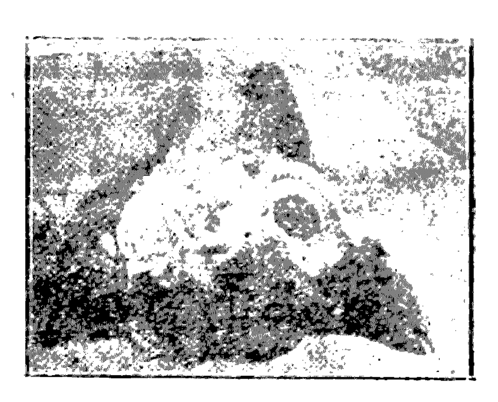
(شكل ٦٩ – رسم التوكان وطول منقاره كطول جسمه ويقرب منه فى الحجم ، ولولا خفة هذا المنقار لما استطاع حمله)



(شكل ٧٠ – رأس الطاووس وهو على الرغم من جماله ومايبدو عليه من الخجل تفزع منه السحالى والضفادع ، وإن كان الطاووس نفسه يفضل أن يأكل الحبوب والكلأ)



(شكل ٧١ – رسم رأس بشروش ويعرف بطول الرقبة وضخامة المنقار الذى يشبه صندوقا ذا غطاء محدب)



(شكل ٧٢ – رسم رأس دجاجة من بلاد غينا بأفريقيا ولها منقار صلب ، وهى عارية من الريش وتتكوّن من عظام تشبه خوذة الفارس)

شكل



(شكل ٧٣ ـ رسم رأس ايبيس أوأبي منجل ومنقاره طويل مستدق يدفعه بسهولة في طبقة من الأرض غير قليلة السمك فيخرج الديدان والحشرات وهو مفيد للزراعة)



(شكل ٧٤ ـ رسم جمل الماء وقد أعده الله بمنقار كالقربة لأنه لايتغذى إلا بالسمك فهو يحمل الأسماك في جعبة هذا المنقار لأفراخه الصغار)

﴿ اللطيفة السادسة ﴾

(في قوله تعالى ـ وتكلمنا أيديهم ـ وكيف تكلمت الايدي في زماننا)

﴿ الاجرام في اليابان والطرق الحديثة لمكافحته ﴾

من هراء القول أو تحصيل الحاصل ذكر ما تمّ لليابان في نصف القرن الأخير من التقدم العظيم في مختلف العلوم والفنون مما أدهش العالم وجعلها محل احترام أرقى الأمم الغربية الحديثة فان ذلك معلوم مشهور لايحتاج الى بيان وتفصيل . وانما الذي حداني اليوم أن أكتب بعض الشيء عن ناحية معينة من نهضة اليابان وهي ناحية الأمن والطرق الحديثة المتبعة في مكافحة الاجرام هو ما تعمل له حكومتنا الآن من تعديل نظم البوليس والامن العام تعديلا يتمشى مع حالة العصر الذي نعيش فيه ويتكافأ مع النظم المتبعة في أوروبا وأمريكا حتى لايكون هناك اعتراض من جهة مّا على ماتطلبه من توحيد القضاء ومساواة الجميع من أجانب ووطنيين أمام قانون البلاد . الذي لفتني الى دقة نظام البوليس في اليابان وارتكازه على الطرق العلمية الحديثة هو حادث قتل

ارتكب فى ضاحية من ضواحى توكيو اطلعت عليه أخيرا فى إحدى المجلات الامريكية . وهو وإن يكن حادثا عاديا فى ذاته يحصل الكثير من أمثاله بل ماهو أشد فظاعة وغموضا منه فى أى بلد من البلاد : وقد يصل رجال الأمن فى تلك الجهات الى معرفة الفاعل بعد تتبع اجراءات كثيرة و بذل مجهود عظيم . انما محل الاعجاب فى موضوعنا هذا هوحسن قيام البوليس اليابانى بواجبه وتوزيع العمل بين رجاله توزيعا روعى فيه التخصص واتكاله على الرجال الفنيين ذوى الخبرة الواسعة فى كشف الجرائم وتبين أسرارها هو الذى كلل مجهوداتهم بالفوز فى القبض على المجرمين والأشرار فى معظم الحوادث الجنائية مما صان هيبة الحكومه فى نظر الجميع . وقد انتج ذلك أثره فى تقليل الجرائم بأنواعها . ولأجل أن يحكم القارئ بنفسه على دقة نظام البوليس فى اليابان وارتكازه على العلم نسرد له باختصار هذا الحادث على سبيل المثال . وقبل ذكر موضوع الجريمة نقول إن بصمات الاصابع كانت العامل الاكبر فى اثبات شخصية المجرم .

﴿ موضوع الجريمة ﴾

تاروكاوايستى شاب يابانى فى العشرين من عمره أحب فتاة من بنات جنسه تدعى تيسوك كوجيكى ، عاملة فى أحد المحال التجارية بتوكيو ولكن هذه لم تبادله حبه لفظاظة أخلاقه وادمانه الخمر وصارت تباعده كلما حام حولها فأدى سلوكها هذا الى تحريك كوامن الحقد والبغض فى نفسه الشريرة وصمم على الاقتصاص منها جزاء معاملتها له . ففى ليلة ظلماء فى احدى حارات ناحية هودوجايا من ضواحى توكيو وجد نفسه وجها لوجه مع كوجيكى معشوقته فبمجرد رؤيتها تغلبت عليه روح الوحشية والشر وطعنها عدة طعنات قاتلة فى رأسها بخنجر كان قد أعده لهذا الغرض ، و بعد انتهائه من فعلته الشنعاء مسح الخنجر من الدم بواسطة حزمة من الكلأ الاخضر الذى ينمو بطبيعته فى الحقول المجاورة لمكان الحادث . ولكن أثناء تنظيفه للخنجر انطبعت بصمة ابهامه الأيسر على السلاح بدون أن يلاحظ ذلك ، و بمجرد فراغه من عملية التنظيف ألقى بالسلاح على الأرض فى جهة مجاورة لمحل الحادث ولاذ بالفرار تحت جنح الظلام . ولوكان يعلم أن فى القائه السلاح منطبعة عليه بصمة ابهامه فيه تسليما لرقبته للجلاد لكان له رأى فى احترام القانون يخالف ماقدمت يداه .

﴿ العثور على الجثة ﴾

لم تمر الا برهة وجيزة حتى عثرت الشرطة المارة بالجثة ، وفى الحال أبلغت الأمر لبوليس توكيو .

كان أول من وصل لمحل الجريمة هم رجال تحقيق الشخصية مع الآلات الفوتغرافية والنظارات الميكرسكوبية والمواد الكيميائية والمساحيق والفرش الخاصة باظهار البصمات الخفية وكذلك الطبيب الشرعى فباشروا عملهم بكل دقة وعناية حتى توصلوا الى اكتشاف السلاح الذى ارتكبت به جريمة القتل و بحثوه بكل دقة فوجدوا بصمة ابهام منطبعة عليه فاسرعوا بنقلها على ورق المشمع (ورق خاص لهذا الغرض) ووضعوا عليها غطاء من السليلويد لحفظها ، وكذلك رسموا الجثة ومحل الحادث والجهات المجاورة له . و بحثوا عن كل الآثار التى قد تفيد فى كشف سر الجناية . ابتدأ رجال تحقيق الشخصية فى بحث البصمة التى عثروا عليها فكبروها وصاروا يدرسون مئات الخطوط والنقط الدقيقة علهم يجدون لصاحبها سجلا خاصا فى محفوظاتهم . وعند فراغهم من تقسيمها التقسيم الفنى حفظوها فى سجل خاص بها لعدم العثور على بصمات لصاحبها محفوظة فى الادارة .

وانتظروا التحريات التى يقوم بها البوليس السرى (البوليس السرى هناك كما هو الحال فى أوروبا مكوّن من رجال فنيين فى علم الاجرام درسوا دراسة علمية خاصة فدربوا على القيام بعملهم أحسن تدريب)

ارتكب تارو جريمته فى مارس و بعد مرور سنة من ارتكابها اعتقد أنه قد عفا النسيان على فعلته الشنعاء فاطمأن باله وذهبت هواجسه واشتغل عاملا فى حانات الخمور والقهاوى متنقلا من احداها الى الأخرى

لم ينم الكشافون عن مواصلة بحثهم لكشف الستار عن سر هذه الجريمة ، ففى أغسطس الماضى سنة ١٩٢٧

قبضوا

قبضوا عليه فى محل للعب الميسر سيء السمعة مشهور بأنه مجمع الاشرار وذوى السير المعوجة . لم يفزع تارو من البوليس وسخر من أخذهم لبصمات أصابعه لاعتقاده أنه ليس لبصماته سجل محفوظ من قبل حتى يمكن معرفته واداته فى جريمة القتل . أرسلت بصماته لادارة تحقيق الشخصية فوجدت ابهامه الأيسر مطابقا تماما للابهام الذى وجد منطبعا على الخنجر الذى استعمل فى ارتكاب الجريمة . عند ذلك تأكد البوليس أن القاتل قد وقع فى قبضته . اودع تارو السجن وسردت له فيه قصة جريمة القتل الذى ارتكبها منذ سبعة عشر شهرا ووضعت أمامه الصورة الفوتغرافية لجثة القتيلة برأسها المهشم والخنجر الذى استعمله فى ارتكاب الجريمة فأخذ الرعب يدب فى قلبه وصار يهذى هذيان المحموم واعترف بما قد أثمت يداه . هذه هى خلاصة الاجراءات التى اتبعت فى هذه الجريمة وهى تدل على إحكام نظام البوليس فى اليابان وعلى أن رجال الحفظ فى تلك البلاد تربوا تربية فنية خاصة ونظموا عملهم على أحدث القواعد العلمية بل كان لهم فضل كبير فى استنباط طرق علمية لاظهار بصمات الاصابع أخذتها عنهم بلاد عريقة فى المدنية والعلم . ادارة تحقيق الشخصية والمباحث الجنائية فى توكيو هى أهم ادارات البوليس من حيث أنها عماد البحوث الجنائية ففيها تتركز جميع المعلومات الخاصة بالجرائم فى امبراطورية اليابان وجزيرة فرموزا وكوريا . وتحفظ السجلات الخاصة بالمباحث الجنائية مع حفظ بصمات المجرمين وصورهم الفوتوغرافية . وكذلك آثار الاقدام والبصمات الفردية التى يتركها الجناة فى محال الجرائم . وتسجل بصمات المجرمين وتحفظ على حسب طريقة الاجرام التى يتبعها المجرمون فى ارتكاب جرائمهم . وهذا النظام يفيد كثيرا فى سهولة العثور على المجرم لأن طريقة ارتكاب الجريمة تحصر البحث فى عدد معين من المجرمين اعتادوا تنفيذ جرائمهم بطريقة خاصة ليس من السهل أن يحيدوا غيرها . ويتبع هذه الادارة رجال البوليس السرى الذين يناط بهم التحرى عن الجرائم وكشف أسرارها . وعلى العموم فجملة النظام المتبع فى هذه الادارة هو مايجرى عليه العمل فى اسكتلنديارد فى لندن وادارة البوليس العامة فى باريس

﴿ متحف الجريمة ﴾

يوجد بالادارة متحف هائل تحفظ به جميع الآثار التى يعثر عليها فى محال الجرائم بعد أن تكون قد بحثت بكتريولوجيا . فيشاهد به مجموعة كبيرة من الاسلحة والملابس اليابانية والاوروبية على اختلاف انواعها والاجهزة والآلات التى تستعمل فى كسر الخزائن الحديدية وأوان زجاجية ومعدنية وغير ذلك من الآثار التى كان أو يكون لها شان فى اثبات الجرائم . ومن ضمن الآثار الهامة المحفوظة فى هذا المتحف هو هذا الخنجر الذى قتل به الرئيس هارا رئيس وزارة اليابان منذ بضع سنوات فى محطة توكيو .

﴿ الاستاذ يوشيكاوا ﴾

يرأس ادارة تحقيق الشخصيه والمباحث الجنائية فى اليابان الاستاذ سومينشى يوشيكاوا أحد خبراء العالم القلائل فى المسائل المتعلقة بالاجرام والمجرمين وخاصة فى كشف الجرائم الغامضة وهو استاذ ضليع فى فن بصمات الاصابع والتصوير الشمسى ، وكشاف ماهر للآثار الدقيقة التى يتركها أمهر المجرمين أثناء ارتكاب جرائمهم يستعين بالبحث الكميائى الكهربائى والميكروسكوبى وجميع الوسائل الأخرى التى تلزم لهذه البحوث . ان الاستاذ يوشيكاوا درس الطرق الفنية لبصمات الاصابع الجارى عليها العمل فى اسكتلنديارد فى لندن وفى ادارات البوليس فى نيويورك وباريس وبرلين وهامبرج وفينا . ولم يكتف بذلك بل واصل البحث والدرس حتى جعل لنفسه مكانة علمية لم ينلها الا القليلون فى العالم . يرجع اليه الفضل فى اكتشاف أنه لو استعملت نترات الفضة فى اظهار بصمات الأصابع ثم عرضت البصمات بعد ذلك للاشعة فوق البنفسجية لوضحت وضوحا تاما . وقبل اكتشافه هذا كان كثير من البصمات يعتبر عديم القيمة لعدم وضوح رموزها وضوحا كافيا . ولهذا كان يفلت كثير من المجرمين من يد العدالة . فتصوركم أدى هذا العالم الى العدالة والانسانية من الخدمات ، اذ أن فى الاقتصاص

من الجرم حياة للمجموع . هـذا هو مجمل نظام القسم الفنى الجنائى للبوليس فى اليابان ذكرناه كمثال للانظمة الحديثة للبوليس التى أفادت كثيرا فى مكافحة الاجرام وحصر دائرته

محمد جمال الدين
مساعد مدير تحقيق الشخصية

﴿ مسامرة ﴾

حدثنى أحد نظار المدارس المصرية . قال : أسلم عالم ألمانى فسئل لماذا أسلمت ؟ قال : لأنى قرأت فى القرآن المترجم بالألمانية آية — بلى قادرين على أن نسوّى بنانه — وعلم تحقيق الشخصية المبنى على البنان لم يعرف إلا فى زماننا هذا فعرفت أن هذا كلام الله فأسلمت اهـ

﴿ النطق بلا لسان ﴾

(حوادث واقعية غريبة)

كان العالم الانجليزى هكسلى فى مقدمة الذين يجزمون بامكان النطق بلا لسان . وقيل إن الذين يصابون بداء السرطان يفقدون لسانهم فى بعض الأحيان ولكن بعضهم ينطقون ويميزون الطعم بعد فقده ، ومما يروى فى هذا الصدد أن هنرى الظالم قطع ألسنة بعض المبشرين بالانجيل سنة ٤٨٤ ميلادية ، فلبث بعضهم زمانا حتى عادوا الى الوعظ والارشاد من غير لسان ، وأن البابا ليون الثالث فقد لسانه أيضا ولكنه لم يمتنع عن الكلام والذوق . وفى سنة ١٧٤٢ م فحصت لجنة من الأطباء فى انجلترا فتاة فقدت لسانها ورأت انها تحسن النطق والكلام مثل غيرها من الناس . وفى بلاد الانجليز الآن رجل بلغ السبعين من العمر قطع لسانه من نحو ١٣ سنة وهو يتكلم ويغنى ويذوق بلا عناء . وأما التعبير عن المراد بالحركات والاشارات فمن الامور السهلة . ولبعض القبائل فى الحديث اشارات وحركات تزيد على الألفاظ عددا . وأكثر الاورو بيين استعمالا للاشارات فى الكلام أهل ايطاليا وأقلهم استعمالا لها الانجليز . انتهى من ﴿ المصور ﴾

﴿ تذكرة ﴾

(فى قوله تعالى — ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون —)

وفيها بيان أقوال علماء العصر فى هذين السؤالين : « الأوّل » متى يعيش الانسان ١٤٠ سنة ؟ « الثانى » كم يجب أن نعيش ؟ ترويحا لعقلاء المسلمين مع فوائد تليق بالمقام . فهاك ما جاء فى مجلة كل شئ وهذا نصه :

﴿ متى يعيش الانسان ١٤٠ سنة ؟ ﴾

(حديث مع الاستاذ فورونوف)

الاستاذ أو الدكتور فورونوف معروف فى القاهرة مذ كان طبيبا فيها فى أوائل هذا القرن وطبيبا خاصا للسراى الخديوية . ثم لما انتقل الى أوروبا واشتغل بتجاربه المشهورة فى اطالة العمر وتجديد قوى الشيوخ بالتلقيح وتجربة ذلك أوّلا فى القرود وغيرها من الحيوانات طار اسمه فى كل ناحية لا كطبيب بل كمبشر بامكان اطالة الأعمار الى مافوق المائة وبامكان عود الشباب الذى تقرّحت عليه أجفان الشاعر الباكى القائل :

ونحت على الشباب بدمع عينى ✫ فلم يفد البكاء ولا النحيب

وقد جرى له حديث مع مندوب مجلة انجليزية فقال : « إن الأم التى تكون أوّل من يدفع اليها ولدها لتجربة عملية تجديد الشباب فيه قد تكون مؤسسة نوع انسانى جديد وقوىّ . اعطنى أولادا تشتعل فيهم شرارة العبقرية وأنا أربى لك نوعا من السوبرمان أى الرجال الكاملين يكون عمر الواحد منهم فوق المائة

ويكون فى الوقت نفسه قويا ونشيطا وعاملا بدنا وعقلا كالشاب منا . ومشروعى هذا الذى بدأ بعمليات تجديد القوى فى الأجسام الضعيفة قد يظهر كالدجل فى عيون غير العارفين ولكنى أبنت بعد امتحانات طويلة ودقيقة صحة الدعاوى التى ادّعيتها من وقت الى آخر حتى امتلأ صدرى أملا من جهة المستقبل واعتقدت امكان اخراج آرائى فى هذا الموضوع من القول الى الفعل . بدأت تجاربى بالكباش فنقلت غدة حيوية من كبش حولى الى كبش مسن فى أواخر عمره فكانت النتيجة على ما يرام حتى أعدت التجارب فى حيوانات أخرى فجاءت أحسن من الأولى ولكن عمل الطبيب يجب أن يكون دقيقا فالواجب لذلك أن تعاد التجارب المرة بعد المرة بلا ملل . و بعد ذلك أخذت الغدد التى لقحت بها حيوانا تجددت قواه فصارت بذلك على برهان مزدوج . ذلك بأن الحيوان الذى استؤصلت منه الغدد عاد فتقهقر الى ما كان عليه إذ جعل يهزل وفقد شهيته الى الطعام وسقط شعره أو صوفه حتى بلغ درجة من الانحطاط أحط مما كان عليه قبل عملية التجديد الأولى . قلت فى نفسى اذا نجحت هذه العمليات فى الحيوانات فلماذا لا تنجح فى الانسان ولكن عرضت لنا هنا صعوبة وهى قلة الرجال الأقوياء الذين يقدمون أنفسهم لمساعدة الضعفاء و يضحون بمثل هذه التضحية الغالية مع ان استئصال هذه الغدد من الأقوياء الأصحاء لا تؤثر كثيرا فى أحوالهم الطبيعية ولكن تلقيح الضعفاء بها ينفعهم أيما نفع ، وهنا بدأت تجاربى فى النسانيس و يقول علماء الطب ان الشمبانزى أقرب هذه الأصناف الى الانسانية ، واذا أخذت قطرة دم من الانسان ووضعت تحت المكرسكوب هى وقطرة من دم نسناس لم تمكن معرفة الواحدة من الأخرى ، وقد جاءت تجاربى فى النسانيس ناجحة جدا ، وفى مدة خمسين سنة أو أقل يمكن عمل عمليات مدهشة فى الناس ، وليس تجديد قوى الشيوخ بالتلقيح هو غرضى الأعظم بل ان غرضى الأعظم هو تلقيح الذكور الذين سنهم بين الثامنة والعاشرة بالغدد فتكون النتيجة إيجاد نسل من الرجال المتفوّقين (سو برمان)

أما معظم الصعوبة الآن فقلة النسانيس ، ولكنى وضعت مشروعا للمحافظة على هذه الحيوانات النافعة ، وأصدرت الحكومة الفرنسية بناء على طلبى أمرا بمنع صيد الشمبانزى فى المستعمرات الفرنسية و بأن لا يصدرمنها إلا لغرض طبى . ثم قصدت الى (مدريد) وقابلت ملك اسبانيا فأصدر أمرا مثل هذا فيما يخص المستعمرات الاسبانية . وهكذا صنع ملك البلجيك عند مقابلتى إياه فى عاصمته بل أضاف الى مثل هذا الأمر اصدار تعليمات بأن يجعل جزء من الكنغو البلجيكية حيث تكثر النسانيس مستودعا لها حتى تتم المعدات التى اتخذها لاصدارها منه . وآمل أن تساعدنى الحكومة الانجليزية بمثل هذه الطريقة . وقضيت أشهرا من السنة الماضية أفتش عن مكان بين جنوا ومرسيليا يصلح ليكون مزرعة لهذه الحيوانات حتى وجدته وفيه الآن نحو مائة منها . فاذا نجحت وكانت المزرعة ملائمة لصحتها فلم تضعف بتغير الاقليم ففى عزمى انشاء سلسلة منها من (نابلى) الى (مرسيليا) بمساعدة الحكومة الفرنسية . ويجب أن يكون عمر الشمبانزى (٦) سنوات الى (٨) قبلما يصلح لأن تستأصل غدتاه و يلقح بها الانسان . ومتى تغلبت على جميع الصعوبات وامتلأت مزارعى حيوانات شديدة شرعت فى تجاربى على قدر كبير . وقد عملت الى الآن (٦٠٠) عملية ناجحة والعملية بسيطة جدا لا يحتاج فيها إلا الى مخدر موضعى ولا يبقى صاحبها راقدا أكثر من اسبوع . وأقول الآن عن اقتناع انه لا ينصرم القرن العشرون حتى يمكن تجديد قوى الشيوخ وازالة غبار السنين عن وجوههم كثيرة الغضون والأسارير وأجسامهم المحدودبة الهزيلة . و يمكن أيضا تأخير الشيخوخة ومضاعفة العمر الذى هو الآن سبعون سنة على الغالب وسيبقى الدماغ والقلب صحيحين الى الآخر . وقد يمكن تغيير الصفات والشخصيات والعادات بهذه الطريقة فتقل الجرائم وتخلق العبقريات وتفرغ الشخصيات فى قوالب على حسب الطلب . ومهما يكن زمان ذلك بعيدا فمما لا ريب فيه أن القرود ستكون أساس أمة قوية عقلا وجسما ودماغا وقلبا ونموّا وذلك كله بواسطة التلقيح بغددها » اه

﴿ كم يجب أن نعيش ؟ وفوائد أخرى ﴾

يقول هوفلند أحد العلماء الذين صرفوا عنايتهم الى درس الحياة فى كتاب وضعه وجعل عنوانه « فن إطالة العمر » ان المرء يولد مستعدا للحياة قرنين من حيث تركيب بنيته ونظام قواه قياسا على ما نراه فى الحيوانات . أليس الانسان حيوانا مثلها ؟ على أن هوفلند لم ينفرد فى هذا الرأى . فكل الذين يدرسون طبائع المخلوقات يرون رأيه ويرون طلائع النور من أبحاثهم بامكان اطالة العمر فيسعون الى التجارب والامتحانات المتعددة . ومن الملاحظات الحرية بالنظر ماذكره بعضهم عن النسبة بين عمر البلوغ والعمر التام فقالوا انها فى الحيوانات على اختلاف أنواعها تكون كنسبة واحد الى ثمانية أى ان الكلب يبلغ أتم نموه فى سنة ونصف فهو يعيش اذا لم يمرض أو يقتل بحادث ما ١٢ سنة والحصان يبلغ أتم نموه فى ثلاث سنوات فهو يعيش ٢٤ سنة وقس عليهما سائر الحيوانات الدنيا . واذا اعتبرنا الانسان من حيث تركيبه البدنى حيوانا وكان نموه لايتم قبل بلوغه الخمسة والعشرين عاما فمن الضرورى أن يعيش مئتى سنة ويدعم هذا الرأى مانراه من حياة بعض الناس الذين عاشوا أعمارا طويلة . إن هنرى جنكنس الانجليزى الذى ولد فى ولاية يورك بانكلترا عاش ١٦٩ سنة ولما بلغ سن ١١٢ كان يحارب فى معركة فلورفيلد . وجون بافن البولندى عاش ١٧٥ سنة ورأى بعينه ثلاثة من أولاده يتجاوزون المئة من أعمارهم . ويوحنا سورتنغتون النروجى الذى توفى سنة ١٧٩٧ عاش ١٦٠ سنة وكان بين أولاده من هو فى المئة والخمس سنوات . وطوزمابارعاش ١٥٢ سنة . وكورتوال ١٤٤ سنة . على أن أكثر من عاش بين البشر حديثا على مايعرف هوزنجى بلغ ٢٠٠ سنة

والاحصاآت تدل على أن أعمار الناس أطول فى اسوج ونروج وانكلترا منها فى فرنسا وايطاليا وكل جنوبى أوروبا كما ان الذين عاشوا هذه الأعمار الطويلة انما عاشوها ببساطة وكانت حياتهم حياة جد وعمل

لامشاحة فى أن العمل والعادات والاعتدال من العوامل الرئيسية لاطالة العمر . فالافراط فى كل أمر مع الانحراف عن النظام الطبيعى انما هو سبب تقصير أعمارنا . ومن رأى البعض أن العبودية هى السبب الأهم فى تقصير العمر . العبودية للشهوة والتقليد والبطالة والزى . فاذا حاولنا التملص من عبودية المدنية الحاضرة والانصراف الى كل ماهو قانونى وبسيط يمكننا مع الاعتدال أن نعيش مئتى عام بشرط آخر هو أن لا يكون علينا استحقاقات شهرية ولامسؤلية عقلية تقضى على سلام حياتنا اهـ

﴿ رأى نابليون فى الطب ﴾

اشتهر نابليون بونابرت بميله الشديد للمطالعة واحراز الكتب النفيسة وبتقديره للطب والصيحين وكان ميله للعلوم الطبية قويا الى حد أنه تعلم علم التشريح وأتقنه اتقانا لكنه لم يستكمل دراسة الطب لاتجاه آخر دفعه اليه القدر . أما ميله للطب والصيحين فكان بمقدار كرهه للدواء والعقاقير معتمدا كل الاعتماد على (الطبيعة الشافية) ومحبذا طريقة البابليين الذين كانوا يلقون المريض على قارعة الطريق حتى اذا مر به عابر أصيب بمثل ذلك المرض وشفى منه أرشده الى العلاج الذى كان سبب شفائه . ومن أقواله ان الأدوية لاتفيد سوى جماعة الطراز القديم وكان دواؤه الوحيد الحمية والاستحمام بالماء الساخن والماء المالح . وقد قال يوما لأحد الأطباء : « إن الجسم آلة تطلب الحياة وهو مركب لهذه الغاية فقط . فلندع فيه الحياة تنمو وتحيا كما تشاء ولندعها تدافع عن نفسها بنفسها فانها تفعل أكثر جدا مما تفعله أدويتكم التى تشل حركتها على الدوام »

ومن أقواله أيضا : « إن الجسم يشبه ساعة تسير سيرا طبيعيا منظما مدة من الزمان وليس لساعاتى ما أن يفتحها أو أن يعالج ما اختل فى نظامها إلا باحتراس كثير وعيناه معصبتان . واذا وفق ساعاتى واحد بعد عناء عظيم وعذاب طويل الى أن يصلح شيأ مما أفسده الزمان فى ساعة جسمنا فكم وكم من الأغبياء يفسدون هذه الآلة العجيبة التى صنعها الخالق سبحانه وتعالى » اهـ

﴿ وصايا طفل يخاطب والديه ﴾

(فى سنته الأولى) : الأقمطة الشديدة تنهك جسمي النحيف الرخص فلا تشداني بها والا فعلى القليل حلا وثاق من تلك الأربطة لأتنفس قليلا ويجرى الدم فى عروقى

(فى الثانية) : النظافة تنفع جسمى الغض وتقويه فاغسلاني مرة أو مرتين فى اليوم كل يوم والا فعلى القليل مرة فى الاسبوع

(فى الثالثة) : القبلة تنقل الىّ جراثيم الأمراض الضارة والأسقام المؤلمة فلا تقبلا ثغرى وخدى وعينى ولا تسمحا لأحد بتقبيلى والافعلى الأقل قبلا يدىّ فانها تكفى

(فى الرابعة) : النزهة خارج المدينة مفيدة لى والهواء النقى ينعشنى ويقوينى فسيرا بى لأتمتع بمناظر الطبيعة الجميلة المقوية والا فعلى القليل اصعدا بى الى السطح

(فى الخامسة) : المعاشرة الرديئة تفسد أخلاقى فلا تتركانى تحت رحمة الخادمة أو بين أولاد الأزقة والا فعلى القليل اجتمعا بى وحدثانى ولاطفانى ولوساعتين فى النهار

(فى السادسة) : المدرسة مصدر سعادتى فى المستقبل فانتخبا لى مدرسة وطنية جامعة لأرضع فيها لبان العلوم العالية والافعلى القليل العلوم البسيطة اه

﴿ عمر المخلوقات ﴾

جاء فى مجلة «كل شئ» مانصه :

يقول الناس ان كثيرا من الحيوانات والطيور تعمر أكثر من الانسان ولكن ظهر بعد فحص عمومى لمعدل أعمار المخلوقات على أنواعها أربعة فقط منها تعيش أكثر من الانسان وذلك مع عدم الانتباه للشواذ وهاك بيانها :

(١) السلحفاة ١٥٠ الى ٢٠٠ عام

(٢) نوع من السمك الألمانى ١٠٠ الى ١٥٠

(٣) العقاب ذو الرأس الأبيض ٥٠ الى ١١٨ عاما

(٤) النسر ٥٠ الى ١٠٤ عاما

واليك معدل أعمار بعض المخلوقات : الكلاب ٣٥ ـ الخيل ٤٠ ـ البقر ٢٥ ـ الهر ٤٠ ـ الدجاج ٣٠ ـ البط ٧٥ ـ الأسد والنمر ٢٥ ـ والسلمون (نوع من الأسماك) يعيش عادة مائة عام . والضفدع الاوروبى ٣٦ ويصل عمر التمساح الى الأربعين ، وأقصر الأعمار توجد بين الحشرات ، فنوع من الخنافس يعيش من ساعة الى ثلاث ساعات ، والذبابة ٣٤ يوما ، ولكن خنافس الأشجار تعيش أكثر من سائر الحشرات إذ انها تعمر ٣٧ عاما . انتهى ما أردته من المجلة المذكورة

٭٭٭

لما كان هذا التفسير يراد به ارتقاء العالم الانسانى لاسيما المسلمين انتهزت كل فرصة لافادة العقلاء بتجارب أمثالهم ليحذوا حذوهم . فهاك ما جاء فى جريدة الاهرام يوم ١٩ مايو سنة ١٩٣٠ م تحت عنوان «كلمة شفيق باشا فى الاحتفال ببلوغه سن السبعين» وهذا نصها :

سيداتى سادتى : قضيت سبعين حجة طويلة مررت فيها بأيام سعيدة وليالى هنيئة ، ولكنى أعد هذا اليوم أسعد أيامى ، فأنا فى جمع من خلاصة أصدقائى واخوانى . ليس فيهم إلا كل برّ وفىّ يشاطرنى ما أحمله فى أعماق نفسى من حب ووفاء

زملائى الأعزاء رجال الرابطة الشرقية : يسرنى أن أتوجه بالشكر اليكم على تذكاركم الذى يزيدنى قوة

ونشاطا وسأحفظه بقية حياتى عنوان الثقة الغالية كما أشكر حضرات الذين تفضلوا فأطرونى اطراء مبالغا فيه وأشكر جميع الذين شرفونى والذين حالت أعذارهم دون اسعادى بوجودهم فأرسلوا تهانيهم بالبرق و بالبريد

سيداتى سادتى : سألنى صديقى اسماعيل بك شيرين أن أبسط لحضراتكم ما أعتقده سرّ النشاط والصحة فى هذه السن المتقدمة . وعندى أن ذلك يرجع الى أسباب اتباعى أوامر الله بابتعادى عن تعاطى المشروبات الروحية . ومما ساعد على ذلك انه كان لنا جار مدمن لايعود الى داره إلا وهو نشوان فتترجح رأسه بين كتفيه وتسلمها حائط الى أخرى ولايكاد يعى مايقوله . وذات ليلة ممطرة رأيته محمولا الى الدار بخفيرين أحدهما من يديه والآخر من رجليه وهو ملطخ بالوحل . انطبعت هذه الصورة البشعة فى ذهنى فزادت نفورى من الخمر وكراهيتى لها . ومنها اننى لم أدخن أبدا ولم أتعاط القهوة عادة إلا قليلا منها ممزوجا باللبن وقد اندهش بعض اخوانى لذلك فهمست فى أذنه عن السبب واسمحوا لى فلاأفصح عنه لأنه لايقال إلا بين الرجال . ومن ذلك أيضا عدم الاسراف فى ملاذ الحياة ، فلا فى الأكل كنت نهما . ولا فى غيره كنت مسرفا . وكانت البساطة وما تزال ملاك حياتى ، فاذا لم أصادف الفراش الناعم والخبز اللين رضيت مغتبطا بالفرش الخشن والكسرة الجافة

ومنها تعوّدى الرياضة ، فأنا مولع بالمسير على الأقدام حيث أمشى الساعة والساعتين والثلاث فى اليوم ، فاذا عدت الى مستقرّى أكلت بشهية ونمت براحة مبكرا كما أستيقظ مبكرا . ومنها اننى لم أتعود التفريط فى وقتى فكنت منتظما فى ساعات عملى وأوقات راحتى ورياضتى ولاأقتل الوقت فى القهاوى والملاهى

تلكم هى الأسباب الأولى عندى التى أشكر الله عليها وأسأله المزيد حتى أتمكن من أداء مايثقل كاهلى من دين علىّ للتاريخ ألا وهو نشر مذكراتى فى نصف قرن و بعد ذلك فعلى الدنيا السلام . انتهى كلامه والى هنا تمّ الكلام على اللطيفة السادسة والحمد لله رب العالمين

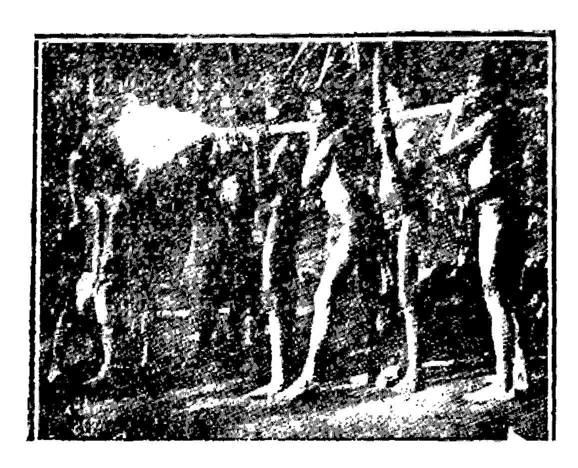
﴿ اللطيفة السابعة ﴾

(فى قوله تعالى ــ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ــ الخ)

جمال الله تجلى فى الأنفس وفى الأشجار وفى كل مخلوق ، المادّة كما تقدّم فى ﴿ سورة النور ﴾ عند قوله تعالى ــ الله نور السموات والأرض ــ عبارة عن نقط كهربائية يدور سالبها حول موجبها (٦) آلاف مليون مليون مرّة فى الثانية فانظره هناك ، فان الشجر والحجر والأرض والسماء كلها نور تنوّعت حركاته فتنوّعت مناظره فقيل هذا حديد وهذا ماء وماهذا وماذاك إلاتلك الأنوار الكهربائية الجارية حول بعضها ترسم دوائر كدوائر الكواكب حول الشمس و بينها فرجات ومسافات وهى المسام تعادل المسافات بين الأرض والسيارات و بين الشمس . إذن المادّة لم تخرج عن كونها مادّة نورية غليظة وغلظها انما جاء فى نظر أعيننا . هذا هو رأى علماء العصر الحاضر وهذه الحقائق اختفت عن عيوننا ، فلما خلقنا الله فى الأرض أحوجنا الى الغذاء والغذاء احتاج الى الحرارة ، وهكذا أجسامنا اعتراها البرد فاحتاجت الى الدفء ، لهذا خلق الله النار ولكنها مخبوءة فى الشجر والحجر فألهم الآباء أن يحكوا عودا بعود فظهرت النار ففرحوا بها . الله لايريد أن يعطينا شيأ إلا اذا اشتقنا اليه ومتى اشتقنا طلبنا ومتى طلبنا نلنا علما منه بأننا لانبالى بما لانطلبه . هذه النار التى أوريناها من الحجر ومن الشجر عالم لطيف يذكرنا بالنور الأصلى وهو النور الذى منه كانت المادّة وهو أقرب الى اللطافة والجمال ومذكر بنور الكواكب والشمس والقمر . والنار رآها موسى فقال ــ إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أوأجد على النار هدى ــ وقد قال بعض المفسرين : هاديا يدلنى على الله . ومتى ثبت أن المادة أضواء نورية لم يبق فى الوجود الحق إلا الله . ومن عجب أن هذه الفكرة هى التى يقولها الصوفية وهى التى يقولها سقراط وأفلاطون من علماء اليونان إذ يقولون : « لامعنى للوجود الذى يتغير » والمادّة

متغيرة

متغيرة فاطلاق اسم الوجود عليها مجاز ولايتعلق العلم بها وانما يتعلق بما هو ثابت . فههنا عجيبتان : العجيبة الأولى إيقاد النار فى العصور الأولى التى منحها الله البشر وهذه صورتها (انظرشكل ٧٥)



(شكل ٧٥ ـ أوّل طريقة لاختراع النار وقد توفق اليها الانسان الفطرى بشدّة احتكاك قطعتين من خشب الأشجار ولاتزال مستعملة بين سكان جزائر المحيط الهادى . فاعجب لاجهاد ستة من الرجال الأشدّاء كلما احتاجوا الى ما نفعله نحن فى لحظة واحدة بعود من الثقاب)

وهذه المنحة قديمة العهد جدا مجهولة الابتداء ولكنها بقيت عند أقوام الى الآن فى بعض جزائر المحيط الهادى كما ان لهم عادات مزعجة إذ تفعل الأرملة بعد موت زوجها فى نفسها مايقبح فعله (انظرشكل ٧٦)

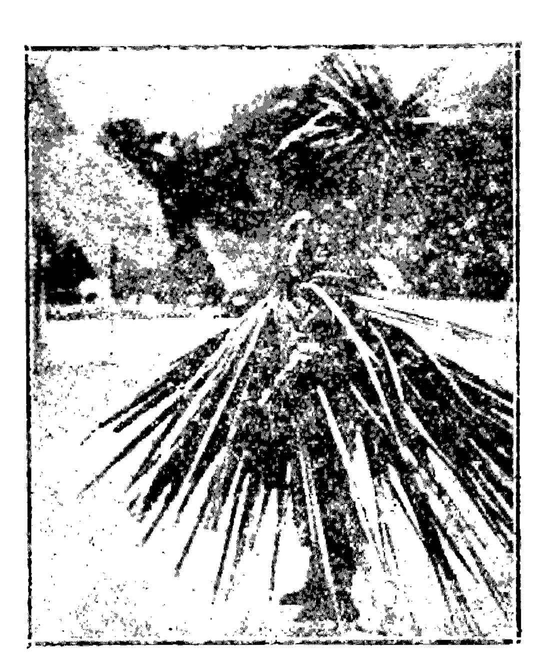


(شكل ٧٦ ـ أرملة فى بونا جبست شعر رأسها ووجهها بالجير والطين لأن ذلك من شعائر الحزن الواجبة على المرأة هنالك عند ماتفقد زوجها)

وأيضا لهم أسلحة حجرية الى الآن يستعملونها (انظر شكل ٧٧) وهكذا يضعون الورق على أجسامهم كما كان يفعل آدم عليه السلام هو وحوّاء (انظر شكل ٧٨)



(شكل ٧٧ ـ أسلحة حجرية من بلاد بابوان وقدأصبحت نادرة فى جزائر المحيط الهادى إلافى هذه الجهة)



(شكل ٧٨ ـ رسم فارس من حاشية أحد الرؤساء فى جزائر المحيط الهادى وهو مكلف بخدمة المآدب وما اليها . ولباسه الرسمى قبعة و بذلة من أوراق شجرة جوز الهند مع دهن وجهه بملاط أسود وأحمر)

واعلم أن الله أبقى هـذه العجائب فى المحيط الهادى الى الآن ليرينا كيف ارتقى الانسان فى إيقاد ناره وفى عاداته وفى أسلحته وفى ملابسه ليعلم المسلمون الآن ومن معهم من الأمم أن فى هذا العالم نعما قد خبئت لهم لاينالونها إلا بالعمل . تمت العجيبة الأولى

﴿العجيبة الثانية﴾ لاتؤخذ من الآية بطريق المفهوم ولكنها بطريق الاستتباع . ذلك ان الشجر والحجر اذا كان فيهما نار أفلا يكون فى هذه النفوس الانسانية سر تكون نسبة النفوس الى ذلك السر كنسبة الشجر والحجر الى النار . نعم ذلك هو السر المكنون وهو الذى استخرجه أفلاطون قبل الميلاد بعدة قرون . قال ما ملخصه :

﴿ مثل أفلاطون ﴾

يقول أفلاطون : « إن مثل الناس فى الأرض كمثـل قوم عاشوا فى مغارة تحت الأرض وقد وضعوا وضعا بحيث لا يلتفتون يمنة ولا يسرة ووجوههم مولية تلقاء آخر المغارة من الجهة المقابلة لبابها وهناك نار أوقدت وراءهم فى الطريق و بينهم أيضا و بين النار سور والناس يغدون و يروحون خلف هذا السور أى فى الجهة التى فيها النار وهؤلاء الذين يمرون يحملون معهـم صور الحيوان والنبات والشجر . فهؤلاء الذين فى المغارة لايرون إلا ضوء النار اللامع فى المغارة أمام أعينهم وهم لايرون النار ولا السور وانما يرون تلك الصور مرسومة على حيطان المغارة أى صور الناس والحيوان والنبات . فهؤلاء لايعلمون من الوجود إلا تلك الظلال فيسمون تلك الظلال بأسماء على حسب مايتفق لهم . قال : فاذا أتيح لواحد منهم أن يخرج من المغارة الى خارجها فانه يرى الحقائق خلاف مايرى اخوانه . يرى أن النبات والحيوان والانسان الحقيقى غـير الخيالات . و يرى تلك

الحقائق مجسمة فعلا ماثلة وراء السور أمام النار . ثم ينظر فيرى أن اخوانه مغرورون إذ يظنون الظلال حقائق ثم ينظر هو فيرى أن الحيوان والنبات والانسان وما أشبهها ماهي إلا صور صوّرت فوق الأرض بأسباب سماوية كضوء الشمس والقمر والكواكب بل نفس النار آتية بحسب أصلها من آثار ضوء الشمس فى الأشجار والنبات وهناك يرى أن السبب الحقيقى لهذه المخلوقات انما هى الشمس فيرى الليل والنهار والفصول الأربعة واذ ذاك يدهش من هذا الجمال والابداع و يعرف أصل الوجود » اهـ

فهناك ﴿ أمران ☆ الأمر الأول ﴾ أهل المغارة يرون خيالات ﴿ الأمر الثانى ﴾ هذه الأجسام الحقيقية والنار المتقدة أصلهما الشمس . فكما أن الخيالات فى المغارة لاحقيقة لها هكذا النبات والحيوان وسائر الدواب والنيران لاحقيقة لها بالنسبة للشمس . فالشمس هى الأصل والمخلوقات على الأرض تبع لها . ثم إن أهل المغارة أشبهوا أهل الأرض والصور الخيالية فى ضوء النار بالمغارة تمثيل لكل جماد ونبات وحيوان ومخلوق على الأرض وضوء النار فى المغارة تمثيل لضوء الشمس . فالشمس وما تفرّع عنها من الفصول والدهور وما خلق بسببها من الحيوانات والنباتات خيالات وصور غيرثابتة والوجود الحقيقى هوالخير المحض وهو الله تعالى

فما أهل الأرض إلا عوالم لم يعرفوا الحقائق المخبوءة وراء هذا العالم وهوالخير المحض الذى يدركونه اذا نظروا الى نفوسهم وهذا الخير المحض هو الله تعالى . فانظر الى أفلاطون القائل : « إن هذا العالم له مثل (جمع مثال) وتلك المثل دائمة وهى عوالم روحانية دائمة وأن هذا العالم فان وانه يجب علينا أن نطلب ذلك العالم الباقى ونذر هذا الفانى ولا يكون ذلك إلا بالجدّ والاجتهاد . فكما أن أصحاب المغارة لا يمكنهم أن ينظروا نور القمر ولا نور الشمس إلا تدريجا بمعنى أن الواحد منهم ينظر بعد خروجه أوّلا الى صور الأشياء فى الماء ثم الى نجوم الليل فى الماء ثم الى نفس ضوء النجوم ثم الى ضوء القمر ثم الى صور الأشياء نهارا فى الماء ثم الى نفس الأشياء وهكذا كل ذلك بالتدريج ، هكذا لايمكن الناس أن يصلوا الى الحقائق إلا تدريجا بطرق منظمة على طريق الاحتيال والحياة كلها يجب أن توجه النفس فيها الى طرق العلم توجها تاما لاهوادة فيه ولاعوج ، و بدون ذلك لايتسنى نيل المرغوب من الوصول لحقائق الأشياء ويقول اذا عرف الناس ذلك حقروا هذا العالم الفانى وأحبوا الوجود الحق

أقول : ولكن ليس هذا بحسب الطريق التى يتبعها جهلة المسلمين النائمين . كلا . بل هى طريق العلم والعمل والجدّ المستمر . كل ذلك تشير له آية ــ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ــ الخ فالله عزّ وجل ألهم الناس فاستخرجوا النار من الشجر ، ثم ازدادوا علما بالمخترعات فى عصرنا الحاضر عصر الراديوم وعصر أعجب الاختراعات وألهم الحكماء من الناس فاستخرجوا من النظر فى نفوسهم معرفة ربهم فعاشوا فى الدنيا مفكرين فى اسعاد أنفسهم وأممهم والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الاثنين ١٨ مارس سنة ١٩٢٩

☆☆☆

﴿ تذكرة فى قوله تعالى ــ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ــ ﴾

(يوم الأحد ٢ فبراير سنة ١٩٣٠ عند صلاة سنة الصبح وأنا أردّد آية ــ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا ــ)

تباركت يا ألله وتعاليت ، وأعجبنا كلامك كما أدهشنا صنعك ، ذكرت لنا أنك جعلت لنا من الشجر الأخضر نارا و بهذا تذكرنا آية ــ الله نور السموات والأرض ــ وانك سميت سورة باسم النور ولم تسم سورة باسم النار ، وأن رحمتك سبقت غضبك ، وأن لك شموسا كشفوها حديثا لاحرارة فيها وليس يخرج منها إلا الضوء وأن الناس اليوم يريدون أن يجرّدوا أضواء المصابيح من الحرارة البالغة ٩٦ فى المائة ويحوّلوها الى ضوء وتصبح الحرارة (٤) فى المائة والباقى يكون ضوأ كشموسك التى جعلتها ضوأ لاحرارة فيه ، وتذكرنا قولك

فى ﴿سورة الواقعة﴾ – نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين – وهم الذين يكونون فى الصحارى المقفرة فيقدحون الزندين و يستخرجون النار . وقولك – وقودها الناس والحجارة – وقولك – وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا –

اللهم إن شأن النار فى قولك وفى صنعك لعظيم ، النار صنعك وأنت جميل فصنوعك جميل يبهج العقول ويحير الأفكار ، جعلت النار تذكرة كما جعلتها متاعا لنا . إذن هى لعقولنا تنوير ولأجسامنا تدفئة ولمائنا مخرجة على هيئة بخار من البحار ولهوائنا محركة وهو يحمل سحبنا وهى لنباتنا منمية ولحيواننا منشطة ولعالمنا الأرضى كله نعمة لاعدد لأفرادها ولاحد لأوصافها

لولا الحرارة ما كان حيوان ولا انسان . لولاها لم يكن سحاب ولا رياح . النار نعمة من أجل النعم فهى والماء بهما الحياة و بهما الموت . بهما الحياة اذا اعتدلت بالميزان و بهما الموت اذا لم يكن اعتدال . الميزان بيدك وزنت عالمنا وجعلت للنار حدا وللماء حدا وقات لهما معا : أدخلا أجسام كل حيوان وكل نبات وكونا نعمة لأهل الأرض اذا كان هناك نظام وكونا نقمة اذا لم يكن نظام . إن جسم الانسان فيه حرارة وفيه رطوبة بقدر معلوم فان زادت الرطوبة المائية حصل الزكام والسل وجميع الأمراض الباردة . واذا غلبت الحرارة كانت أنواع من الحمى وما يماثلها . ومتى اشتد أحدهما هلك الحيوان . إذن لابد من الحرارة مصحوبة بالرطوبة فى جسم الحيوان وهذا يشير له قولك – ومتاعا للمقوين – وقولك لعلى آتيكم منها بقبس – وهذه الحرارة الظاهرة الناجمة من الشمس ومن جميع أنواع النيران المتقدة لها آثار فى النفوس تشاكلها . وفى الحديث « إن كل أم يتبعها ولدها » فاذا رأينا فى الأجسام حرارة هكذا نرى فى العقول والنفوس حرارة معنوية ولكن هذه أشد من تلك وأدوم . اذا اشتدت الحرارة على الأجسام أهلكتها ولكن اذا اشتدت آثارها كالحسد والغضب والحقد والغيرة والتعصب والطمع وأنواع العداوات وأنواع المحبة والعشق . فكل هذه اذا غلبت على الروح كانت لها عذابا واصبا . فاذا أهلكت النار الحسية الحى فى لحظة فان النار المعنوية فى النفوس تلازمها وتكون لها عذابا واصبا كما نرى ذلك فى متعاطى الخمر وأنواع التبغ والحشيش والأفيون فكل هؤلاء أصبحت نفوسهم فيها نيران الشهوات الخاصة قد لازمتها و يشير لذلك – إن عذابها كان غراما –

فهذه اللذات التى لاترحم فى مطالبتها للانسان نيران تطلع على الأفئدة وهى المعبر عنها فى القرآن بقوله تعالى – لهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون – و بقوله تعالى – ولاتخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد – وأوضح هذا كله قوله تعالى – ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته – فادخال النار الجسمية يتبعه الخزى والخزى هو مثل ماتراه فى الدنيا من أن الانسان قد يسلب ماله أوملكه فيخزى لشماتة الأعداء وفرحهم به . وهذا كله عذاب معنوى أشد من الحسى إذ جعله فى الآية أشد من الحسى لأنه سبب الفضيحة والشماتة للمعذب بها . فنحن فى هذه الدنيا بين ﴿نارين﴾ نار ظاهرة وهى إما معتدلة وهى المتقدة فى منازلنا المديرة لآلاتنا الخابزة لخبزنا الطابخة لطعامنا المجرية لسفننا المسيرة لقطرنا ولسياراتنا واطياراتنا ولعرباتنا . فهذه نعمة علينا فى الأرض والبحر والهواء وفى أجسامنا وأجسام حيواننا . واما غير معتدلة وهى التى تشب فى مخازننا وفى مدننا فجأة فتهلك الحرث والنسل . ونار باطنة وهى إما معتدلة فيكون منها الحب المورث انتظام الجماعات واستقامة الأمم . والكراهية المعتدلة التى بها يكون تفرق الجماعات على الأرض ليحصل الانتفاع بقطعها المختلفة . ولو أن الله لم يجعل فى القلوب إلا نار المحبة ولم يلطفها بما ضادها وهو الغيرة والحسد والتنافس لاجتمع الناس فى صعيد واحد فى الأرض وهلكوا . ولكن الغيرة والتنافس يورثان التباعد فيكون هناك ازدياد الخيرات والثمرات . فكما كان فى النار الظاهرة نعمة لنمو النبات والحيوان ودوران الآلات هكذا فى النار الباطنة نعمة . فالحب نار نافعة والبغض نار نافعة اذا كان فيهما اعتدال . فاذا لم

يعتدلا

يعتدلا وازداد الحب حتى أعمى الحب عن المساوى أو ازدادت الغيرة والغبطة والحسد حتى جاوزت المقدار كان هناك الحرب والايذاء وخراب الديار . فالنار سواء أكانت ظاهرة أم باطنة منفعة لنا وقد يكون فيها الهلاك

وهنا سألنى بعض الاخوان قائلا : أريد تلخيص هذا المقام فهو كثير الشعب لاضابط له . فقلت : انظر البيان الآتى :

﴿ القبس فرعان وهما : ﴾

(١) الحرارة

(٢) الضوء

(٣) الضوء معنوى يهدى الى العلوم والمعارف

(٤) حسى بالحواس الخمس المعروفة

(٥) أما الحرارة فهى معنوية وحسية

(٦) فالحرارة الحسية إما أن تعتدل واما أن لا تعتدل

(٧) فان اعتدلت فهى المتاع

(٨) والحرارة التى سميناها متاعا هى إما جامعة واما منمية واما مديرة واما مثيرة

(٩) فهى فى نحو الطين والعجين جامعة وفى النبات والحيوان منمية ولآلات الأرض كسكة الحديد وآلات الماء كالسفن البخارية ولآلات الهواء كالطيارات (مديرة)

(١٠) وللبخار من البحار والهواء (مثيرة مبعثرة) وبهذا تمت أقسام الحرارة المعتدلة التى سميناها متاعا

(١١) أما الحرارة التى لم تعتدل فهى التذكرة وهذه التذكرة تكون طاغية فى الأجسام وفى المدن والحقول

(١٢) فالطاغية فى الأجسام تحدث أنواع الأمراض كأنواع الحيات

(١٣) والطاغية فى المدن والحقول تهلك الحرث والنسل . وبهذا تم الكلام على الحرارة الحسية المعتدلة والتى لم تعتدل

﴿ الحرارة المعنوية تنقسم كأقسام الحرارة الحسية المتقدمة ﴾

(١٤) أما الحرارة المعنوية فهى معتدلة وغير معتدلة

(١٥) فان اعتدلت فهى إما مثيرة للعزائم فى الأعمال العظيمة

(١٦) واما مديرة لنظام الفرد والأسرة والمدينة

(١٧) واما منمية لتلك النظم

(١٨) واما جامعة للناس بأنواع المحبة

(١٩) والحرارة المعنوية إن لم تعتدل فهى إما محدثة لأنواع الأمراض المختلفات

(٢٠) واما موجبة للحرب والقتل بسبب العداوات المفرطة

ثم قلت : فهذا الجدول المفرع (٢٠) فرعا به تعرف أيها الذكى بعض أسرار قوله تعالى فى هذه السورة ــ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ــ فايقاد النار عادة يكون للمتاع وهذا يناسب قوله فى ﴿ سورة الواقعة ﴾ ــ ومتاعا للمقوين ــ وهذه لها تسعة فروع فى هذا الجدول ، وأما التذكرة فى ﴿ سورة الواقعة ﴾ فلها فرعان وهذه هى النار الحسية وتلحق بها المعنوية بقسميها ولها ستة فروع والهدى المذكور فى ﴿ سورة طه ﴾ له فرعان فقط . إذن التذكرة والهدى والمتاع والقبس هذه الكلمات الأربع المذكورة فى سور مختلفة تفرعت عليها جميع أعمال هذه الحياة ونظمها ، ثم إن الهدى والتذكرة والمتاع آثارها فى النفس باقية فان حرارة شوق النفوس الى العلوم وتحصيلها على مقتضى تلك الحرارة ومزاولة أنواع

الآلات الصناعية فى هذه الحياة تحدث فى النفوس ملكات تختلف باختلاف الأشخاص وهذه الملكات عملية فى فروع المتاع علمية فى فروع الهدى ولا آخرة ولا جنة ولا لقاء لله فى الآخرة ولا سعادة إلا على مقتضى هذين الأصلين القوى العلمية بالهداية والقوى العملية بمزاولة أعمال متاع هذه الحياة

اللهم إنى أحمدك على العلم والحكمة وعلى معرفة بعض أسرار التنزيل فى كتابك المقدس . إنك أنت الملهم أنت المنعم وأقول ماقاله بعض الصحابة رضوان الله عليهم :

والله لولا الله ما اهتدينا ✡ ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ✡ وثبت الأقدام إن لاقينا

فأنا يا ألله لولا توفيقك وإلهامك ونصرك لعبد ضعيف مثلى ما كتبت حرفا واحدا وهذا هو قول المسلم فى الرفع والاعتدال فى الصلاة ﴿ اللهم لامانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا رادّ لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، فلك الحول ولك القوة ولك الملك والملكوت ﴾

فقال صاحبى هذا حسن جدا واضح جميل ولكن هذا الموضوع كان أليق بسورة طه أو بسورة الواقعة فقلت : نعم ولكن لم يفتح الله به إلا فى هذه الأيام فى أوائل شهر رمضان فأثبته فى أقرب سورة الى الطبع . فقال : استوف المقام إذن لأنى أرى أن له بقية . فقلت : لا أدرى ماذا تريد . فقال : أريد إتمام الكلام على قوله تعالى ـ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا ـ الخ . لم هذا التشويق بجملة ـ وهل أتاك ـ الخ وعلى الشمس وحرارتها فان لها بقية صالحة . فقلت : نعم هنا ﴿ فصلان ✡ الفصل الأوّل ﴾ فى التشويق بقوله تعالى ـ وهل أتاك حديث موسى ـ الخ ﴿ الفصل الثانى ﴾ فى إتمام الكلام على حرارة الشمس وضوئها

﴿ الفصل الأول ﴾

(فى الكلام على التشويق بقوله تعالى ـ وهل أتاك حديث موسى ـ)

اعلم أن القصص فى القرآن أريد به بعث الهمم وشحذ الأذهان . إن هذه الأمم الاسلامية التى نامت فى القرون المتأخرة ستستيقظ من رقدتها بمزاولة القرآن واستكناه معانيه . وما مثل المسلم حين يقرأ علما أو يستفيد حكمة من أى فرع من فروع العلوم العلوية أوالسفلية الحسية والعقلية إلا كمثل رجل رأى قافلة مقبلة وأهله فى منزله لاقوت عندهم وقد انتظروا الطعام وأنواع الأمتعة من هذه القافلة . أورأى سحائب أقبلت وهو فى أشدّ الجوع والعطش فأقبل اليهم يقول بشرا كم هاهى ذه القافلة أقبلت أرهاهى ذه السحائب ستمطركم وهذه عادة كل امرئ مع من يتصل به فهو اذا رأى مغنما قد اقترب وهم فى انتظاره أسرع اليهم و بشرهم . وهل هذه إلا حال موسى عليه السلام . رأى نارا وهو متعب فى طلب ﴿ أمرين ﴾ الهداية لله والدفء لأهله التى تضع ولا مغيث لها ولا معين فى صحراء طورسيناء . فأراه الله النار فى شجرة العليق فبشر أهله بها . وهل هذه القصة جاءت لمجرّد حفظها أوفهمها أومعرفة بلاغتها أو مجرد الايمان بها . كلا . والله فهذه مرتبة العجائز وصغار المتعلمين

أيها المسلمون : لا يغرنكم البلغاء ولا الشعراء ولا صغار العلماء . أولا يعلم المسلمون فى أقطار الأرض أن كتب الحكماء ككتاب كليلة ودمنة الذى جاء على ألسنة الحيوانات قد قبلته جميع الأمم وهذه الحوادث التى فيه كحادثة ابن الملك والطائر (فنزه) فان هذا الطائر كان له فرخ يلعب به ابن الملك فزرق فى حجره فقتله فأقبل الطائر ففقأ عين ابن الملك اقتصاصا لابنه فأراد الملك أن يخدع الطائر ويقول له أقبل ويكون بيننا الصلح فعلم الطائر انه يريد الغدر به فلم يقبل وكانت نتيجة ذلك هذه الحكمة : « انه لا أمان لعدوّ قوى له علينا ثأر وان أظهر لنا تضرّعا وملقا » وكحادثة الجرذ والسنور إذ ضرب مثلا (لرجل كثر أعداؤه وأحدقوا به من كل جانب فأشرف معهم

على الهلاك فالتمس النجاة والمخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن ثم وفى لمن صالحه منهم)
ذلك أن الجرذ خرج يوما فرأى السنور وقع فى شبكة الصياد ورأى ابن عرس خلفه يريد أخذه وفى الشجرة
بوم يريد اختطافه أيضا فصالح السنور وهو أحد أعدائه لينجو منه ومن الباقى فقطع حباله إلا واحدا حتى لا
يغتاله السنور ، ولما رأى ابن عرس والبوم اقترابه من عدوهما يئسا منه وانصرفا ، فلما أقبل الصياد نحو
السنور أقبل الجرذ فقطع الحبل الباقى فنجا السنور بذلك كما نجا الجرذ وانتهى الأمر

فهاتان الحادثتان يفرح بهما الأطفال والجهال باعتبار ظواهرهما ، أما رجال السياسة ورجال الحكمة وهم سادات الأمم فى الدنيا والدين ، فانهم يقولون : « ان المقصد أن الأفراد والأمم عليهم أنهم اذا وقعوا فى ورطة وتألبت عليهم الأعداء أن يصالحوا بعضهم مع الاحتراس وبهذه المصالحة ينجون من بقية الأعداء ومن نفس ذلك العدو الذى صالحوه ، وهذا هو الذى فعله الانكليز إذ صالحوا أمة شرقية هى اليابان إذ حاربت الروسيا التى كانت تناوئ انكلترا ، وهكذا فليفعل الأفراد مع بعضهم ، وهذه الطائفة اذا قرأت – وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا – تفهم فوق مايفهمه الجهلاء ، فماذا يقولون ؟ يقولون إن كل عاقل فى الأرض لاسيما المسلمين عليه أن يسعى ﴿ لغرضين ﴾ ﴿ الأول ﴾ اصلاح حال الأمة من حيث الامور المادية ﴿ الثانى ﴾ إصلاحها من حيث الهداية العلمية ، وهذان يجمعهما القبس والهداية ، فالأول مادى والثانى عقلى وهذا هو نظام الأمم جميعها ، فلا نظام لأمة يخرج عن هذين الأصلين . واذا كنا نجد مصالحة الجرذ للسنور ونجاته من ابن عرس والبوم جعلت رمزا لمصالحة بعض الدول المعادية أو الجماعات للنجاة من الجميع وهذا من كلام فيلسوف مخلوق أفلا يكون كلام الله أولى باستنتاج الحكمة والعلم

فقال صاحبى : هذا حسن ولكن هذه المعانى مصرح بها فى القرآن إذ يقول الله – وخذوا حذركم – ويقول – وان جنحوا للسلم فاجنح لها – وأمثال ذلك فى القرآن كثير فلا نطيل به . فقلت : نعم ولكن للرموز مزية ليست للتصريح . فالرمز آثاره قيمة نافعة عظيمة الأثر . فللناس حكم مسطورة فى الكتب ككتاب ﴿ الأمثال ﴾ للميدانى ولهم حكايات مختلفة الأساليب وكلها ترجع لأغراض الحياة . هكذا القرآن فهو كما يقول – ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله – هو نفسه يذكر عادا وثمودا وأصحاب الرس ويختم أخبارهم باهلاك الكافرين وهذه طرق مختلفة لابد منها كما اختلف الطعام والشراب والزروع والأدوية . كل ذلك لنظام الحياة على الوجه الأكمل

﴿ آية – لعلى آتيكم منها بقبس – أيضا وآثارها عند فلاسفة اليونان ﴾

كتاب كليله ودمنه كتاب هندى ترجم للفارسية وترجمه ابن المقفع للعربية وهاتان الحادثتان ذكرناهما هنا لمجرد التنظير وان كان بينهما بون بعيد لأن كتاب ﴿ كليله ودمنه ﴾ قصد بظواهره الخرافة وببواطنه الحكمة والعلم . أما قصص موسى فظاهره حقيقى لأنه نسب الى نبى مع أهله وهذا السر وقع بخلاف مسألة السنور والجرذ فهما خرافيان . وهنا أمر جدير بالتعجب وهو أن القرآن ذكر النار وقبسها والهدى فى هذه الآية التى ذكرناها هنا لمناسبة آية – الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا – الخ

ذلك أن أفلاطون فى جمهوريته ذكر النار فى هذه المعانى نفسها قبل نزول القرآن بنحو (٨) قرون وهذا هو معنى قوله تعالى – بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم – فلا زلنا نرى فى القرآن آيات قد تقررت وثبتت فى العلم والحكمة كالذى تقدم فى ﴿ سورة النور ﴾ إذ يقول الله تعالى – وينزل من السماء من جبال فيها من برد – الخ مع انه لاجبال فى السماء ينزل منها برد فظهر بالكشف الحديث أن فى السماء جبالا من ثلج يصنع فيها البرد (انظر صورته المأخوذة ومعها الطيارة التى كان فيها المصور تصويرا شمسيا هناك) فهذه آية استبانت فى العلم الحديث وذكرها القرآن قبل ذلك بنحو (١٣) قرنا وهكذا آية – أولم ير الذين كفروا أن

السموات والأرض كانتا رتقا ـ الخ فهذه لم تظهر إلا حديثا إذ ظهر لأهل العلم أن الأرض والكواكب السيارة مشتقات من الشمس وهكذا سيأتى فى ﴿ سورة الحديد ﴾ أن الأقباط بمصر قد عثروا حديثا على أن الرهبانية ليست من أصل الدين المسيحى ولكنها ابتدعها رجل مصرى فى القرن الثالث المسيحى خاف من الوثنيين الرومانيين الذين يحكمون البلاد ففر الى الجبال وتبتل فنجا فصار ذلك سنة وهذا قوله تعالى ـ ورهبانية ابتدعوها ـ وأثبت بعض الأقباط فى كتاب « الخريدة النفيسة ، فى تاريخ الكنيسة » ذلك وقلوا لم نكن نعرف هذا إلا فى زماننا ، فهكذا هذه الآية فان قبس النار والهدى قد جاء فى كتاب ﴿ جمهورية أفلاطون ﴾ فهى آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من اليونان وجاء بها الوحى ، فإذن طابق الوحى الحكمة والفلسفة وأصبحت أقاويل الفلاسفة شروحا لآيات القرآن سواء أكانت قديمة العهد أم حديثة أم مستقبلة ، وهاك ملخص المقالة السابعة من جمهوريته ، وقد كتبنا لها ملخصا وجيزا فى ﴿ سورة الأنعام ﴾ عند آية ابراهيم وانه رأى كوكبا الخ فلنوسع المقال فيها هنا فنقول :

قال ما ملخصه : « اذا أردنا أن نعرف حال النفس الانسانية علما وجهلا فلنتصور مغارة عميقة خلفها نار فيها أناس قد وضعوا فى الأغلال وظهورهم الى تلك النار ووجوههم موجهة الى الجهة الأخرى فلم يروا من الوجود إلا أشعة تلك النار قد أضاءت ما أمامهم من حائط المغارة وهناك أمام النار خلف ظهورهم حائط مرتفع و بين النار والحائط طريق يمر فيه أناس يحملون تماثيل مختلفة من أمتعة وحيوانات ونبات وجمادات ، ولاريب أن النار المتقدة تحمل تلك الصور فتلقيها مع الحائط بضوئها فيرونها »

فأصحاب المغارة هم ضرب مثل لنا نحن سكان هذه الأرض ، فهم لايرون إلا الضوء والأشباح المصورة فيه فلاريب يسمونها بأسماء مختلفة ، فاذا نبغ أحدهم وخرج من بينهم فرضا وأراد مقابلة الشمس فى مطلعها فلاسبيل له إلا أن يبصر أولا ظلال الأشياء خارج المغارة ثم ظلالها فى الماء ثم نفس الأشياء ثم صور النجوم فى الماء ليلا ثم نفس النجوم فى السماء ثم صورة القمر فى الماء ثم نفس القمر وضوءه ثم يرى صورة الشمس فى الماء ثم نفس الشمس وضوءها ، وهنالك يعلم علما ليس بالظن أن الأشباح التى يراها أصحابه فى المغارة ليست حقائق بل هى خيالات لصور المواليد الثلاثة وغيرها مما على الأرض ، وكل ما على الأرض من حيوان ونبات وجماد هى حقائق تلك التماثيل وهذه نتائج للشمس . فهنا أربع مراتب : الظلال ، التماثيل ، نفس الأشياء من نبات وحيوان الخ ، الشمس . فالأصل الشمس وغيرها عنها وجد وأقلها مرتبة الظلال فى المغارة . إذن فكر فى نفسه وقال إن لى اخوة بالمغارة فلابد من أن أرجع اليهم ، فاذا تصورنا رجوعه اليهم فانه أولا لايقدر أن يعيش فى الظلام كما كان معهم إلا تدريجا ، فاذا استقر قراره وألقى عصاه واستقر به النوى هنالك يخاطبهم بما يقرب الى أفهامهم لا بنفس الحقائق لئلا يكذبوه ولأنه اذا قال هناك شمس وهناك نجوم وهناك حيوان ونبات هى أصل لهذه التماثيل كذبوه فهو يسلك معهم سبيل الحكمة فلايزال يعلمهم حتى يعرفوا منه أن هذه الأشباح أصولا هى التماثيل والتماثيل صور للمواليد الثلاثة ونحوها وكل هذه من الشمس بل نفس النار المتقدة الأصل فيها ضوء الشمس إذ لولاها لم تكن و يفهمهم الفصول الأربعة والسنين وكل شئ وهناك يكون أصل هذه المغارة طوائف ثلاثة : مصدقون ومكذبون وشاكون متحيرون ، وهذا كله مثل لحالنا نحن فان المغارة هى عالمنا المحسوس والنار ضوء الشمس والذى خرج من بين أهل المغارة هى نفس الفيلسوف مثلا اذا عرف الحقائق ورجوعه ثانيا الى أهل المغارة مثل لارشاده لأهل بلاده وتعليمهم شفقة عليهم . فالشمس بدل النار عبر بها عن الله وضوءها بدل ضوء النار عبر به عن إفاضة رحمانه ونفس المخلوقات حية وغير حية بدل التى سميت ﴿ المثل الأفلاطونية ﴾ وهى عوالم روحية وهذه المخلوقات صورها ظاهرة ونحن أهل الأرض مثل لأهل المغارة والأنبياء والحكماء مثل لذلك الذى خرج من بينهم فعرف ورجع ليرشدهم

(٥)	(٤)	(٣)	(٢)	(١)
(١) ارتقاء نفس الفيلسوف وتعليمه لأمته (٢) خروج أحد سكان المغارة ثم تعليمهم ثانيا (٣) اختلاف أهل المغارة فى قول عالمهم واختلاف الناس فى أقوال فيلسوفهم وكل معلم لهم	نحن أهل الأرض سكان المغارة تصورهم لتلك الظلال	المثل الأفلاطونية العالم المحسوس ظلاله فى المغارة	تدبيره الضوء ضوء النار	(١) الله (٢) الشمس (٣) النار

هنالك تدرك النفس حقائق الأشياء وترى أن هذه العوالم آثار العالم المعانى فتتوجه الى مبدع هذا النظام

ثم قال : ولاسبيل لتعليم رؤساء الجهورية الحقائق إلا بالتعوّد على الرياضات البدنية والموسيقى ولابدّ من امتحانهم فى المخاطر والصبر عن الملاذ وهكذا علوم الحساب والهندسة والهيئة ثم الموسيقى لتتعوّد النفس المراقبة الدائمة ثم يتلو ذلك الأعمال الحربية مدة عامين أوثلاثة ثم علوم الرياضيات كرة أخرى فاذا بلغ التلميذ (٣٥) سنة فلينتقل الى تعلم معرفة الخير المحض والجواهر العقلية وهذا العلم هوالأصل و بقية الموجودات كالخيال بالنسبة له بل هو الحقيقة وكل العلوم ظنون ، وهذا يكون فى خمس سنين ثم يدرّبون على الأعمال الحربية وغيرها ثم تسلم لهم المدينة فى سنّ الخمسين اهـ

هذا ملخص الكتاب السابع من جهورية أفلاطون ، وهل هذا الفصل كله إلا صدى لصوت موسى إذ قال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أوأجد على النارهدى ، ولست أقول إن أفلاطون قرأ هذه الآية فهذا مستحيل لأنها نزلت بعده بقرون ، ولكنى أقول هذا كلام الله وكلام الله آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ، ومن الذين أوتوا العلم أفلاطون وأفلاطون ذكر أن أحد أهل المغارة عرف فرجع وعلم اخوانه وهونفسه حكاية موسى إذ رأى نارا فرجا أن تكون له مخرجا فى أمر المعاش بالقبس من حيث حرارتها وأمر المعاد بالهدى من حيث ضوؤها ، وهذا هوملخص الكتاب السابع لأفلاطون فهو استنتج من النار على حائط المغارة نتائج أوصلته الى الشمس ثم الى الله وهذا هو نفس الهدى الذى جاء على لسان موسى إذ قال — أوأجد على النارهدى — فهذا الفيلسوف وجد على النارهدى بالبحث دله على الله والنبى موسى عليه السلام نودى أن بورك من فى النار ومن حولها فجاءه الهدى بطريق الوحى عند النار

اللهم إنى أحمدك على العلم وأحمدك على التوفيق ، اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ، اللهم إنك أنت الملهم والمعلم ولوتركتنى وشأنى فى هذا التفسير لم تكن لى قدرة أن أوازن مابين كلام أفلاطون وهذه الآيات القرآنية ولم يكن لى من العلم مايجمع بين هذه الامور المتباينة ظاهرا المتشاكلة حقيقة

أيها المسلمون : كفى نوما . هاهوذا موسى عليه السلام يقول لأهله — إنى آنست نارا — وهاهى ذه الحكمة فى أقطار الأرض يتعلمها الناس وهذه الجهورية الأفلاطونية تدرس فى سائر أنحاء الغرب والشرق ومقالاتها فى تربية الجند والجيش والتدريب يتردّد صداها بين أهل أوروبا الذين تنظرون لهم نظر الاعظام والاجلال . إذن علوم الحكمة قبس من أنوار القرآن ، إذن لتدرسوا كل حكمة وعلم . ومن قرأ هذا التفسير أوأكثره فانه لامحالة لايستقر له قرار ولا يكون له اصطبار إلا اذا سعى سعيا حثيثا لرقىّ الأمم الاسلامية بل جميع الانسانية فى الأرض . فليقل كل قارىء لهذا التفسير أونحوه لأمّته — إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس

أرأجد على النارهدى ـ

هذا ماخطرلى فى صلاة الصبح فى التاريخ المتقدم اجمالا وكان تفصيله وقت الكتابة . انتهى الكلام على الفصل الأوّل فى التشويق بقوله تعالى ـ وهل أتاك حديث موسى ـ

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى اتمام الكلام على حرارة الشمس)

معلوم أن الشمس تشع منها حرارة وضوء والحرارة تثير البخار وتثير الهواء وتثير السحاب ، وهذه الاثارات الثلاثة يراد بها تنمية أغذية الحيوان والانسان واراحتهما وامدادهما ، فههنا ساقت الشمس بأمر الله ماء وهواء للعالم الحيوانى ، فلم يكن الغذاء ولم يكن الدواء ولا الروائح العطرية ولا لذائذ الذوق واللمس وجمال المبصرات آنيا من الشمس مباشرة بل اتخذ التدبير الالهى واسطة بين الشمس و بين الحيوان والانسان ، ولكن الشمس التى هى مصدر هذا كله لاتقف عند هذا الحدّ ، فهى بحرارتها تحيط بجسم الحيوان كل يوم فتميت الأحياء الذرية وهى (المكروبات) بنفسها لابواسطة وتفعل فى الجوّمع المادة الملونة (كلوروفل) العائمة فى وسط السائل الداخل فى فتحات الأوراق اللائى تعدّ بمئات و بألوف و بملايين فى الورقة الواحدة ، انظره فى قوله تعالى ـ سبحان الذى خلق الأزواج كلها ـ الخ الذى تقدم قريبا و بهذا الاتحاد بين ضوء الشمس و بين تلك المادة تجتذب الورقة المادّة الكربونية من الهواء وهذه المادّة بها حياة الشجرة وقيام هيكلها وصلاح حالها وظهور أزهارها وأثمارها وجمالها وحسنها و بهائها . إذن الشمس نفعت الأحياء بواسطة الهواء والماء تارة و بنفسها تارة أخرى . انتهت اللطيفة السابعة

﴿ اللطيفة الثامنة ﴾

(فى قوله تعالى ـ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ ـ)

وذلك فى بيان شكل الكون وسدمه والكشف الحديث لملايين النجوم . أما شكل الكون اجمالا فهاك ماجاء فى ﴿المقتطف﴾ وهذا نصه :

﴿ شكل الكون وعظمته ﴾

ارتأى الفيلسوف (فيثاغورس) فى القرن الخامس قبل المسيح أن الأرض كرة فوضع أساس علم الكون (كوسمولوجيا) ولكنه وجد من الصعوبة هو وتلاميذه فى اثبات رأيه ما نجده الآن لاثبات ماراه علماء عصرنا فى شكل الكون وعظمته . والرأى المعوّل عليه الآن أن الكون كرة مجوّفة اذا سار النور من الطرف الواحد منها الى الطرف الآخر مارا بمركزها استغرق سيره مائة مليون سنة مع أنه يقطع فى الثانية من الزمان (١٨٦٠٠٠) ميل والعوالم كلها أى نجوم المجرّة التى شمسنا منها والسدام كلها عوالم مثل المجرّة وهى سابحة مثلها فى فراغ هذا الكون . و يظهر فى بادئ الرأى أن تصوّر ذلك ضرب من المحال لكثرة هذه الملايين . ولكن مامن أحد يتعذر عليه أن يقابل بين حبة رمل و بين جبل كبير كجبل المقطم فى مصر أوكجبل صنين فى لبنان . فحبة الرمل اذا كان قطرها ربع ملليمتر تسهل رؤيتها و يسهل لمسها واذا اتصلت بالطعام نشعر بها ونحن نمضغه ونتألم من احتكاكها بأسناننا ومع ذلك فنسبتها الى جبل مثل جبل صنين من قاعه الى قنته كنسبة واحد الى نحو ألف مليون مليون مليون والى الأرض كلها كنسبة واحد الى ستة ملايين مليون مليون مليون مليون مليون . وأما سدمه فهاك ماجاء فى إحدى المجلات وهذا نصه :

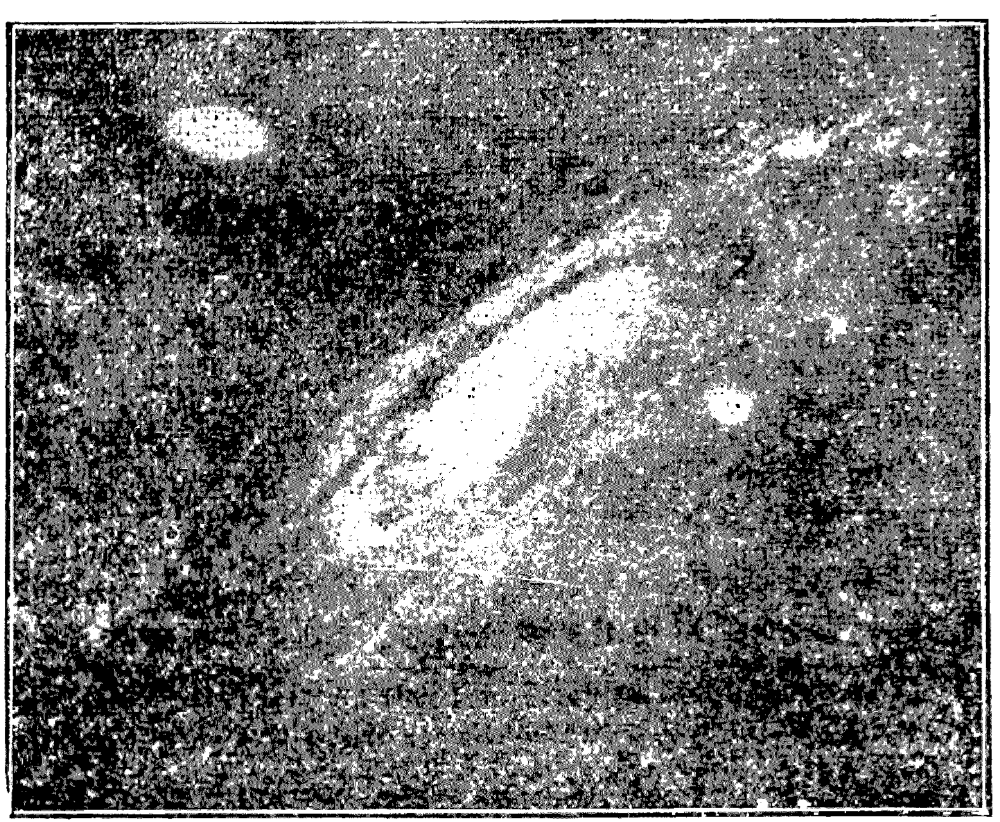
« قد يفوق السدم بعض عالمنا المجرى [1] فى العظمة والزهاء . وتنبأ (هرشل) بأننا اذا بحثنا فى كنه

(١) نسبة الى نهر المجرّة واسمه فى العامية (سكة التبن) وهو مجموعة من النجوم المتكاثفة تظهر لنا فى

هذه السدم فانا سنجد بعضها يختلف اختلافا بينا عن كنه النجوم ، وقد تحققت نبوءة هرشل هذه عام ١٨٦٤ حين حلل وليم هاجنز أطياف السدم فوجدها تختلف اختلافا بينا عن أطياف سائر النجوم وتدل دلالة واضحة على أن ثلث عدد السدم على الأقل من مادة غازية متخلخلة ، وقد تقدم البحث فى طبائع السدم تقدما كبيرا عند مابدئ فى استعمال طريقة التصوير الفوتوغرافى فى الأرصاد الفلكية ، ففى عام ١٨٨٠ نجح هنرى دريبر فى الحصول على أول صورة فوتوغرافية لسديم الأكبر فى برج الجبار ثم إن كمن وروبرتس حصلا فى عام ١٨٨٨ لأول مرة على صورة ظاهر فيها النظام اللولبى للسديم الأكبر فى برج اندروميدا (انظر شكل ٧٩) بأن عرضا لوحا فوتوغرافيا لمدة ثلاث ساعات أمام منظار عاكس قطره عشرون بوصة . ويبلغ عدد السدم التى يمكن تصويرها بواسطة أحدث المظارات اليوم فى أنحاء السماء نحو المليون ، وتنقسم السدم بوجه عام الى قسمين : مجرية ولامجرية وذلك على حسب قربها أو بعدها عن العالم المجرى . والرأى السائد أن السدم اللامجرية تمثل عالمين فى درجات متقاربة من أدوار تطورها . وقد سميت هذه العوالم بالجزر العالمية

وبناء على هذا الرأى يكون هناك مئات الالوف من هذه الجزر العالمية متباعدة الواحدة عن الأخرى بما يقدر بملايين السنين الضوئية [1] وقد قدر شدتلى قطر السديم الأكبر فى برج اندروميدا بمقدار ٤٥٠٠٠ سنة ضوئية وقدر قطر السديم المرموز له بالرمز (م) بحوالى ١٥٠٠٠ سنة ضوئية . وهذه الأبعاد وان كانت تقل عن قطر عالمنا المجرى إلا انها كبيرة كبرا كافيا بحيث تسمح لنا باعتبار هذه السدم عوالم مستقلة (انظر شكل ٨٠)

على مصطفى مشرفه



(شكل ٧٩ ــ السديم الأكبر فى برج اندروميدا)

(صورت يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠١ بمرصد يركس)

عرض السماء كنهر مضىء . والعالم المجرى مؤلف من المجموعة الشمسية وسائر نجوم نهر المجرة

(١) السنة الضوئية هى مايقطعه الضوء من المسافة فى السنة وتساوى نحو ستة ملايين الملايين من الأميال



(شكل ٨٠ ــ السديم الأكبر فى برج الجبار)
(صوّرت يوم ١٩ اكتوبر ١٩٠١ بمرصد يركس)

﴿ نور العلم فى أواخر هذه السورة ﴾

(١) انحصر العلم اليوم فى النور

(٢) ليس فى الدنيا مادّة محققة

(٣) كل مانراه أونسمعه أونشمه أونذوقه أونلمسه إن هو إلا حركات

(٤) اقرأ هـذا المقام فيما تقدّم فى ﴿ سورة النور ﴾ تحت عنوان ﴿ قطرة ماء ﴾ عند آية ــ الله نور السموات والأرض ــ الخ فهنالك تجد الذرّات المائية ترجع الى الكهرباء السالبة والكهرباء الموجبة التى يجرى أولها حول ثانيها ستة آلاف مليون مليون فى الثانية الواحدة

(٥) فن نقص عدد الحركات كانت المظاهر غير ذلك كأن نحس بها نورا وهو ينحصر فى عددين (٤٠٠) و ٧٠٠ مليون مليون مرة فى الثانية فأدناها لون الحمرة وأعلاها البنفسجى

(٦) وان زادت سرعة الحركات عما تقدّم فى الحال الرابعة كان عندنا مانشمه ونذوقه ونلمسه من المواد كالحديد والنحاس وما أشبه ذلك

(٧) إذن العالم الذى نعيش فيه حركات والحركات بتنوّعها صارت كهرباء ونورا وماء وحديدا ورصاصا

(٨) وهذه المظاهر التى أحدثها الحركة يحفظها نظام بديع جميل يختلف باختلافها

(٩) خذ لك مثلا عرف علماء القرن التاسع عشر فى النصف الأوّل منه أن كل عنصر من العناصر الكيميائية لن يدخل فى تركيب مادة إلا بنسبة خاصة لايتعدّاها هى ومضاعفاتها و يسمى ذلك عندهم ﴿ قانون النسب المضاعفة ﴾ وقد تقدّم بعضه فى ﴿ سورة البقرة ﴾ عند آية ـ واذ قال ابراهيم ربّ أرنى كيف تحيي الموتى ـ الخ فالاكسوجين له رقم (١٦) وللكربون رقم (١٢) فلن يدخل الاكسوجين مع الكربون إلا على هذا العدد أومضاعفاته كما أن الجرثومة الأولى التى يتكوّن منها الحيوان والنبات تسير على طريقة المضاعفة أيضا (١ - ٢ - ٤ - ٨ - ١٦ - ٣٢) وهكذا ، اقرأ هذا المقام فى ﴿ سورة مريم ﴾ إذ ترى هناك أن هذه العوالم كلها عند تركيبها تسير على طريقة المضاعفات فى رقعة الشطرنج ، فجسم الانسان والحيوان والنبات لايتعدّى نظرية الفيلسوف (صصه بن داهر) الحكيم الهندى الذى طلب من الملك أن يمنحه حبات برّ تكون بحسب المضاعفات المبدوءة بعدد (١ - ٢ - ٤) المنتهية بعدد (٦٤) وقد ظهر هناك أن القمح المزروع فى الأرض كلها سنين وسنين لايبلغ مبلغه . أقول : نظير هذه المسألة التاريخية جميع مركبات الأجسام الحيوانية والنباتية ، فالمسألة التى ذكرناها هنا وهى تركيب الاكسوجين مع الكربون على هذا النمط تسير هى وغيرها فيكون التركيب فيهما (٣٢) من الاكسوجين مع (١٢) من الكربون أو (١٦) من الأوّل مع (٢٤) من الآخر وهكذا ، والذرات التى حسبها أولئك العلماء فى القرن الماضى و بنوا عليها ماتقدّم وعلى رأسهم (دالتن) وظنوا انها لن تتجزأ بعد ذلك أصبحت فى قرننا هذا مجزأة بحيث ان أخفّ ذرة من تلك الذرات يحال الى (١٨٥٠) جزأ يسمونه (الكترون) وهل هذا الالكترون إلا نقطة كهربائية ، إذن الدنيا كلها نقط كهربائية كالذى تقدّم فى ﴿ قطرة الماء ﴾ فى ﴿ سورة النور ﴾ ومن هذا الباب عرف العلماء اليوم أن العناصر التى كشفوها وهى نحو (٧٠) ليست ثابتة فكل عنصر منها يمكن أن يحوّل الى غيره مثل ماوجدوا أن الراديوم استخرج منه عنصر الهليوم وعنصر الرصاص المعلوم الذى تصنع منه الأنابيب

(١٠) الاستاذ (السير ارنست رذرفرد) الاستاذ بجامعة كامبردج حوّل عنصر الاوزوت وهو (غاز) طبعا يكون ﴾ الهواء الجوّى الى عنصر الايدروجين الذى هو أحد عنصرى الماء وقد حصل على الايدروجين من العناصر الآتية وهى : (البور ، الفلور ، الصوديوم ، الالومنيوم ، الفصفور)

(١١) إذن لاحواجز تحجز المواد أن ينقلب بعضها الى بعض وثبت ثبوتا لاريب فيه لعلماء عصرنا أن العالم كله نقط كهربائية ، إذن نحن اليوم جميعا فى موادّ نارية ولكنها ملطفة بهذه المظاهر ولم يعرف الناس ذلك إلا بالتحليل الذى تشير له حروف أوائل السور ومنها الياء والسين ، ومن نتائجهما أن الشجر الأخضر اتقد نارا ، فاذا كان الكون كله نارا والشجر الأخضر المذكور فى الآية ضرب مثل له كله ، فلنعجب إذن من القرآن وعلومه التى تنطبق كل الانطباق على مباحث علماء العصر الحاضر . فعلماء عصرنا يقولون كما سمعته الآن ان الذرات الكهربائية ركبت منها حواسنا هذه المظاهر كلها والقرآن يحلل الحروف فى أوائل السور ويذكر أن الشجر الكثيف الجسم حوّل الى نار بالاحتكاك . ثم انتقل الى المقصود الى ماهو أدقّ فقال : ـ انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون ـ

إن الانسان اذا نطق فلامعنى لنطقه إلاحركات فى الهواء إن نقصت عن (٣٢) حركة فى الثانية لم نسمعها وان زادت عن (٣٢) ألف حركة فى الثانية لم نسمعها كما ان الحركات فى الأثير إن نقصت عن (٤٠٠) مليون مليون لم نرها وان زادت عن (٧٠٠) مليون مليون لم نرها . إذن لاصوت ولاحرارة إلا بحركات ذات عدد مخصوص فلافرق إذن بين كلامنا و بين ضوء الكواكب وغيرها فى انها كلها حركات . فكما أن نطقنا بالكلام توجد به عوالم الكلام هكذا تحريك الله للأثير يصدر عنه الأنوار وجميع الموادّ . إذن الوجود كله أمر أشبه بالمعنوى تنوّعت مظاهره . لذلك ختم السورة بالحقيقة فقال تعالى : ـ فسبحان الذى بيده

ملكوت كل شيء ـ ذلك لأنها كلها أمور جعلت مظاهر له هو والا فهي لاشيء

ياعجبا : اتفق العلم والقرآن اليوم اتفاقا بديعا ، ومن أعجب العجب أن تكون الآراء العلمية التي تحفظها عقولنا ماهي إلا حركات فكرية . إذن الأجسام كلها حركات نارية والمعاني كلها حركات فكرية قائمات بعقولنا . فكما أن الحركات القائمة بالأثير كوّنت ماسميناه مادة بحسب الظاهر هكذا الحركات القائمة بعقولنا كوّنت ماسميناه علما . ونحن الى الآن لم نعرف ماهو الأثير الذي جرت فيه هذه الحركات الظاهرية ولا ماهي أرواحنا التي جرت فيها الحركات التي سميناها علوما

فياليت شعري هل يعرف الناس بعدنا سرّ هذه الروح وسرّ هذا الأثير ولكننا نكتفي الآن بهذه الكلمة ـ بيده ملكوت كل شيء ـ ولما كانت النتيجة من هذا الوجود انما هي الأرواح التي تربى فيه بالعلم والأخلاق ختم السورة بقوله ـ واليه ترجعون ـ وأرواحكم تحمل علما وأخلاقا وعلى مقتضاهما تكون درجاتكم . إذن الحركات التي بها ظهرت المادة نتيجتها الأخيرة الحركات التي سميناها علما وهي التي بها تعلو العوالم الروحية ـ وان الى ربك المنتهى ـ كتب في صبيحة يوم الأحد ٢٩ يونيو سنة ١٩٣٠ م

﴿ تذكرة ﴾

قد كنت كتبت جملة مختصرة من أقوال أفلاطون قريبا وهي من تلخيص العلامة (سنتلانه) التلياني . ولما اطلعت عليها كاملة في نفس الكتاب المنشور حديثا فرحت بنعمة العلم وكتبتها تامّة مفصلة والتفصيل يحسن بعد الاجمال والحمد لله رب العالمين

(تمّ بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السابع عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم . ويليه الجزء الثامن عشر وأوّله تفسير سورة الصافات)



(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وها هوذا :

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٥	٧	القائم	القائم
٨	٢	النسبة	بالنسبة
٨	٣	جسمى	جسمين
٨	١٠	وهو	هو
٢٣	٢	تقول	تقول
٢٥	١٣	اصوان	اسوان
٢٧	١٠	نارانى	ناران
٢٩	٢١	هنا	
٣٩	٣١	طبقة تسمد	مهلكا لأهل
٤٣	٦	الكورنين	الكوريين
٤٣	٩	السنح	السنخ
٤٣	١٧	البلاغمرا	البلاغرا
٤٥	١٥	قريبا	
٤٦	١٧	برث	بزن
٤٧	٢	لوثبة	الوثبة
٤٨	١٢	إنّ	أنّ
٥٠	٣	احدى عشر	أحدعشر
٥٤	١	أن الفائدة	على أن الفائدة
٥٥	٢	بشيغاكو	شيكاغو
٥٥	٦	من الغابات	من الغايات
٥٦	٣٥	صورتهم	صورتهنّ
٥٩	٢	إذ ان	إذ
٦٠	٣١	الفحم الحجرى	الفحم
٦١	١٢	إلا خمسين	إلا منذ خمسين
٦٤	٢٩	الرؤيا	الرؤية
٦٥	٢	والاسلفت	والأسفلت
٦٥	٢٤	سرّ	سرا
٦٦	٤	هل يحصل	أيحصل
٦٨	٢٥	ر ٣	و ٣
٦٩	٢	١٤	١٢
٧٤	٤	المشادر	النشا
٧٤	٣٠	الاثناشرى	الى الاثناعشرى
٧٩	١٢	نمرة ١ شكل ١	شكل ١٠
٧٩	١٩	نمرة ١ شكل ١	شكل ١٠
٧٩	٢٤	نمرة ١ شكل ١	شكل ١٠
٨٢	٦	ولشعور	والشعور
٨٩	٦	أشرقت	أشرفت
٩٥	٢٣	ولاسلاك	لاسلاك
٩٦	٢٣	عامودا	عمودا
٩٦	٢٨	ابفل	ايفل
٩٧	١١	اتصل	تصل
١٠١	٢	فتكوّن	
١٠١	٢٢	بهجة	بهجة
١٠٦	١٠	وليس يوجد	ولا
١١١	٣	البلون	البالون
١١٥	١٧	عليهم الجراد	عليهم الطوفان والجراد
١٢٨	١٠	إنى قول	انى أقول
١٣٣	١٩	وأكثر الحيوان	والحيوان
١٣٤	٢٨	وفى الذرّية	فى الذرية
١٤٢	٣٣	الثالث	الرابع
١٤٣	١١	نحيى	نحيى الموتى
١٤٥	٣٢	بمشيئه	بمشيئته
١٤٩	٣	ثم ختم السورة	وهذا هنا كما ختم السورة السابقة
١٤٩	٥	الى وكل شئ الخ	
١٤٩	٢٥	المرمهرات	المزمهرات

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٦٥	٨	جعلوا	فنهم جعلوا
١٨٩	١٦	٢٩ ٢٤ ٢٢	٢٩ ٢٣ ٢٢
١٨٩	٢٠	٣ ١ ٣٠	٣٠ ١ ٣
١٩٠	١٧	واحد	واد واحد
١٧٨	٤	ورأينا	وأريانا
١٧٨	٣٠	أسبعيه	سبعيه
١٨٣	٢٤	ومن	من
١٩٣	٢٢	فى السما	فى السماء
١٩٣	٢٣	اليه النزولا	اليك النزولا
١٩٥	٦	النظام الرسمى	النظام الشمسى
١٩٧	١٦	(شكل ٤٦ وشكل ٤٧) مقلوبان ومنقولان عن محلهما وصوابهما كما ترى فى هذا الرسم	(شكل ٤٦) (التربيع الأخير) — (شكل ٤٧) القمر بين التربيع الأخير والهلال
١٩٨	٢٨	السرطان	الشرطان
١٩٨	٣٠	يعرفون	ويعرفون
٢٠٠	٣	جاء فى كتاب العقد الفريد ما نصه	
٢٠٠	٥	أثباته هنا	اثباته هنا وهذا نصه
٢٠٧	١٣	بسقه	
٢٠٧	١٨	الندبه	
٢١٣	١٦	لقمان	السجدة
٢١٩	١	حراوتا	حراوا

فهرست

(الجزء السابع عشر)

من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيفة

صحيفة

(٤) والحلول إما أن يكون لجسم فى مكان كالنسبة بين زيد ومكانه الذى يجلس فيه واما أن يكون لعرض فى جوهر كالبياض بالنسبة للموصوف به ، ومعلوم أن الله لاهوجسم ولاهوعرض حتى يحتاج الى مكان ليحل فيه ، على أن صفات الحال لاتنتقل الى محله و بالعكس . إذن بطل مماثلة صفات العبد لصفات الله وانتقال الصفات والاتحاد والحلول ولم يبق إلا الاشتراك اللفظى لاغير . فأسماء الله الحسنى معانيها بالنسبة لله غير معانيها بالنسبة للناس . واذن زالت هذه الضلالة بهذا البرهان

ثم اعلم أن انتشار هذه العقائد بين الأمم مبنى على مراتب الناس فى الاستعداد فهم فى عقائدهم أشبه بمراتب الأحياء من حيوانات تعيش فى التراب وأخرى فى الهواء النقى و بعضها يأكل الثمار و بعضها لا تعيش إلا على القاذورات . وانى أرى أن هذه الأرض معرض لصور تتجلى لحكمائها فهى كدار الصور المتحركة أوهى وليمة من الله أعدها للأحياء على مقتضى درجاتهم كل بقدره وحكماء الأرض هم المتمتعون بهذه المناظر يلحقون العقول الصغيرة بأدنى الحيوان والعقول الكبيرة بالملائكة و بينهما درجات شتى ولايسعد فى الأرض إلا الحكماء

١٠ ﴿المقام الثانى﴾ سورة فاطر مكتوبة مشكلة جميعها و يلى ذلك التفسير اللفظى

١٢ تفسير الآيات اللفظى من أوّل السورة الى ــ والعمل الصالح يرفعه ــ

١٣ « « « من قوله تعالى ــ والذين يمكرون السيآت ــ الى آخر السورة

١٩ ﴿المقام الثالث﴾ فى تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها الى ﴿سبعة مقاصد ✡ الأوّل﴾ وصف الله بابداع العالم الحسى والعقلى ﴿الثانى﴾ التذكير بالنعم ﴿الثالث﴾ تثبيت فؤاد النبى ﷺ ﴿الرابع﴾ نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل الخ ﴿الخامس﴾ ضرب الأمثال لما سلف من القسمين ﴿السادس﴾ تقسيم المؤمنين الى قسمين من حيث العلم والى ثلاثة أقسام من حيث العمل ﴿السابع﴾ وصف الكأس التى يتجرعها الكافرون والتى يشربها المؤمنون وشرح ذلك كله شرحا كافيا

٢٢ جوهرة فى قوله تعالى ــ مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ــ وتبيان الرحمة التى فتحها الله فى العناصر للناس اليوم . إن الله قد صدق وعده للناس إذ قال ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ فليفرح المسلمون وليدرسوا علوم الأمم وليقولوا عرفنا بالله فزدنا . فهاهوذا الهواء هو مركب من النيتروجين وهوالآزوت ومن الاكسوجين والأوّل أربعة أخماسه وهوالمكوّن لعضلات الحيوان ولأهمّ أجزاء النبات ولذلك وجب تسميد الأرض منه ولم يعرفه الناس قبل اليوم إلا فى فضلات الحيوانات ثم اهتدوا أخيرا اليه فى (جزيرة شيلى) باسم نترات الصوديوم . ولكن ذلك لا يكفى الناس أيضا فقام (فرتزهابر) العالم الألمانى فى زماننا فاخترع الفرن الكهربائى الذى يبرد الى درجة ٤٥٩ تحت الصفر و يسخن الى درجة (١٤٠٠٠) فوق الصفر وبهذا التبريد رجعت الغازات الى أجسام صلبة كما نشاهد أن الماء صار ثلجا بأقل برودة . فالبرودة تقرّب الأجسام كما أن الحرارة تباعدها . فبهذا الفرن حوّل الفحم الى ألماس والى الجرانيت المستعمل فى أقلام الرصاص و به أيضا حوّل النيتروجين الى مادة جامدة كما حول البخار الذى هو أخف من الهواء (الذى منه النيتروجين) الى مادة جامدة استعملت فى السماد بدل زبل نحو البقر و بدل ماجلب من (جزيرة شيلى) واستعملت أيضا فى لآلات المهلكة فى الحرب . ومتى أطلقت الشرارة الكهربائية على الاكسوجين والنيتروجين اتحدا ثم اذا عولجا بالماء صار ذلك (حامض النتريك) . هنالك تستخدم الأفران الكهربائية فيصير جامدا ويباع فى الأسواق باسم ملح

الهواء

الهواء أوملح النروج أونترات الكاسيوم . ومن عجائب العلم أن ألمانيا انعزلت أيام الحرب عن العالم خمس سنين فأغناها ذلك عن سماد العالم وعن مفرقعاته كل تلك المدّة . ههنا تعجب المؤلف وقال : « كيف يكون فى هذا الهواء مادّة نبيعها فى أسواقنا ونسمد بها أرضنا ونقتل بها الأعداء ؟ »
خطاب الهواء للمؤلف يقول له : « أنا أحل العنبر فى الكلمات ، وألقح الأشجار ، وأحمل السحاب ، وأدخل فى تركيب الأجسام ، فأكون عضلات ، فان لم تعقلوا أيها المسلمون فان الله تعالى يحوّلنى الى آلات تقتلكم »

٢٦ ﴿ الملح وفوائده ﴾ وانه من الكلور ذوالرائحة المهلكة والصوديوم الذى يحترق فى الهواء وهو يكون فى البحر وفى طبقات الأرض . ومتى مرّ التيار الكهربائى على محلوله فى الماء حصلت منه ثلاثة أجسام (الكلور . الهيدروجين . الصودا الكاويه) وللكلورسبع فوائد : (يطهرماء الشرب . وينظف الورق وينفع فى عمليات الطب . ويكون غازا ساما فى الحرب . ويكون أبخرة سامّة . ويدخل فى المفرقعات . ويهلك الحشرات) . هذه صفات الكلورالمتقدّم . أما الهيدروجين فاننا اذا أحرقناه فى الهواء اتحد بالاكسوجين فانعزل النيتروجين والنيتروجين يمكن اتحاده بالهيدروجين فيكون منهماالنشادرالذى يكون سمادا وهو يغذى القطن . والكلور يفيد فى منع مرض شجرالقطن وفى تبييضه

٢٨ الالومنيوم معدن متين ينفع لأوانى الطبخ وللسيارات والطيارات وللتفضيض ولمنع الصدأ وهو يكون كمظهرالذهب لايصدأ بالهواء . فهذا مما فتح الله به على الناس من تحليل العناصر

٢٩ بيان أن هذه العلوم كلها واجبة وهى فروض كفاية وضرب مثل لحال المسلمين مع ربهم بحال من قسم أرضه بين أبنائه وقد قصر أحدهم فحرمه . وبيان أن هذا التفسيرمتى انتشرهبّ المسلمون على بكرة أبيهم لحوزالعلوم . وبيان أن بلاد الحجاز ونجد والفرس والأفغان كلها مستقلة . فعلى كل من قرأ هذا الكتاب من أذكيائهم أن يذيع هذه الفكرة فى بلاده وعلى الأغنياء أن يساعدوا بالمال

٣٠ ﴿ زجاج لابلاس ﴾ زجاج لاينكسر وهو يدخل الأشعة البنفسجية فتصح الأجسام بها وبه تطرز الثياب فيكون منظرها جيلا الخ وهذا مما فتح الله للناس من الرحمات

٣١ ﴿ مسامرة ﴾ فى قصة (فون شونبرج) ومحبوبته (ستوستود) الأوّل رأى صورتها فوق الحائط فى نيويورك فذهب فى بلاد الله شرقا وغربا فلم يعلم أين هى حتى وصل الى ألمانيا فرآها على الحائط وأخبره رجل بأنها فى مدينة نيويورك فوصل اليها ولم يرض أبوها بزواجها . ثم انها هى أخذت تجول فى الأرض وهو يتبعها وهى عنه معرضة حتى لان قلبها وهى فى بلادنا المصرية فتزوّجها فى أيامنا وهذا مثل ضربه الله لنا . فجميع العقلاء كهذا العاشق وجميع الموجودات كهذه المعشوقة . ولن ينال عاشق ما أحبّ إلا بعد أن يذوق العذاب ألوانا . فهذه الدنيا دار صور وأعظم الناس طلبا وشرفا هم الذين يطلبون أعلى الموجودات وأشرفها وكل يطلب على مقدارهمته

٣٣ ﴿ الاتحاد المادى والاتحاد المعنوى ﴾ والثانى صناعى وطبيعى . فالاتحاد المادى كاتحاد الهيدروجين مع الاكسوجين فيكون الماء أومع النيتروجين فيكون النشادر وكاتحاد الذرات فيكون كل حيوان وكل نبات . والاتحاد المعنوى اتحاد الصور المسموعة والمنظورة والمشمومة بأرواحنا وعقولنا فتنموالأرواح كما تنمو بيضة الجنين بالأغذية . إذن نموّ الأجسام ونموّ الأرواح لايتم إلابالاتحاد . أماالاتحاد المعنوى الصناعى فهومانراه فى رجال الحكومات إما داخلا كالوزراء ومن تبعهم واماخارجا كرؤساء الممالك المختلفة فلكل من هؤلاء أغراض ولكنهم يسترونها ويشتركون ظاهرا فى المنافع العامّة . ولاجرم أن أهل الأرض

لايزالون أطفالا لأنهم لم يتحدوا اتحادا حقيقيا ويستحيل أن يتم ذلك إلا اذا سعوا اليه بجدهم بدليل أن كل اختراع لم يظهر إلا بجدّهم ، وأعظم مطلب لبنى آدم هو الاتحاد العام ، فالطريق اليه طويل شاق وقد ألفت له كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ وخطاب أمم الأرض بأن العصر الحجرى تبعه البرنزى والحديدى والبخارى والكهربائى . إذن الانسان له عصر سعادة مقبلة . إن خطابى ليس خاصا بالمسلمين لأن كتاب الله عام . فالخطاب العام هنا أولى . واذا كنت منذ (١٨) سنة خاطبت الأمم كلها وأنا عبد فكيف لا أخاطبهم وأنا أفسر كلام الله : « أيتها الأمم . إن الشرق لم يخاطب الغربى ويطلع كل على ماعند صاحبه إلا اليوم والحرب كانت اضطرارا اضطراليه . آن للناس أن يعملوا بما كتبته فى كتابى ﴿أين الانسان﴾ قد كشفتم قليلا . ألستم تجهلون كيف تصنعون أراضى جديدة فى البحر كالمرجان . ألم تعجزوا عن اتحاد حيوان المرجان . أنتم لستم بحاجة الى الآن الى أرض جديدة فدونكم الأرض واسعة . فهذه جزائر الهند الشرقية فهى تعادل مساحة نصف أوروبا ولا سكان فيها أكثر من ٥١ مليونا وأرضها لانظير لها فى الخصوبة . فأين سكانها إذن . إذن النوع الانسانى طفل صغير . إن المسلم يقول فى صلاته ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ والاستقامة ظاهرة فى النظام العام وهو لم يتم إلا بالاتحاد العام وبهذا الصراط يكون السلام العام وقلت فى كتابى ﴿ أين الانسان ﴾ « ان الأمة التى عندها أرض خالية يجب عليها أن تقبل أناسا من أمم غيرها » . إن حياة الخلايا ضربت مثلا لنا فى الحب العام . إن الخلية فى النبات أوفى الحيوان تنقسم على طريقة الشطرنج (٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٦ الخ) ويكون منها الكبد والطحال واليد والرجل وكل خلية فى عضو منها مستقلة وهى مرتبطة بما جاورها من الخلايا وذلك العضو مرتبط بالعضو الآخر . فالفرد مستقل فى حياته مشترك مع غيره فرح بالاستقلال وبالاشتراك معا . وكلما كانت الانسانية أكثر تضامنا كانت أوسع سعادة . واذا وجدنا المخترعين عند من لايقولون ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ نتعونا نحن تبعا أفلاينبغى أن نجدّ ونرتقى لننفعهم وننفع جميع الأمم ؟ أفلسنا نحن خير أمة أخرجت للناس ولقد وجدنا الأمم حولنا ناقصة وأنتم عنوانكم ـ انكم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . فهذه الأمم لما رأت الامتيازات قد اضمحلت من الشرق بحد السيف وبقيت فى مصر وحدها لم تنه أمة عن هذا الظلم الذى لم نقدر أن نزيله بالجيوش إذ هم منعوا أن تكون عندنا جيوش إذن الأمم الآن عبيد العصا لايهابون إلا القوّة كما يشهد لذلك كلام اللورد أفبرى والمستر بلانت الانجليزى أيها الناس : إن الأرضة المذكورة فى سورة سبأ سبقتكم فى المدنية والعمران والانسان له مستقبل باهر زاهر فجدّوا »

٤٠ ﴿ ضوء الجوهرة ﴾ ان كل شهوة لطعام أوشراب الخ انما هى مبدأ من مبادئ العلم . فدراسة طعامنا انتهت الى معرفة الكلور والصوديوم اللذين ركب منهما الملح . فلتعجب النفس الانسانية كيف كان من الملح غاز مهلك يكون أشبه بالسحاب فى الجوّ . أليس هذا موقفا للعقل وهنالك تتأجج نيران المحبة والعلم ويعرف الانسان صفات القادر الحكيم ويفهم أسماء الله الحسنى . وهناك يدرس العناصر الداخلة فى تركيب النبات مثلا ويرى ذلك داخلا فى معانى الأسماء المذكورة وأن لكل عنصر نورا خاصا وذلك النور يظهر من نفس العناصر المذكورة فى الشمس والكواكب . وبهذا يظهر سرّ آية ـ الله نور السموات والأرض ـ فالعوالم كلها ظهر أنها نور والسورة نفسها سميت النور

٤٢ اختلاف نتائج الطعام فى أحوال الناس . جرّب العلماء فى الفيران غذاء الحنطة مع بعض الخضر فزادت أبدانها على التى لم تأكل خضرا . وتلاميذ اليابان الذين تغذوا بغذاء الأمم البيضاء طالت أجسامهم أكثر

صحيفة

من اخوانهم الذين أكلوا كأهل اليابان ، فثبت أن قصر القامات لأجل المأ كل لا غير والفيران التى أكلت طعام الانجليزصارت خشنة الجلد شكسة الطباع بخلاف الفيران التى أكلت طعام اليابانيين فهى هادئات الطباع ، إذن شهوة الطعام أوجبته فدرسه الانسان فارتقى فى لعلم ، إذن الشهوات زرعت فينا للعلم

٤٣ فذا رأينا الغـذاء يترتب عليه الطول والقصر والهدوء والشراسة فليكن هكذا الثواب والعقاب ، فهما تابعان للأعمـال ، إذن همـا نتيجتان كالنتائج المذكورة ، إن الشهوات التى ركبت فينا كلها نتائجها العلم . ألم تر الى الذين توجهوا للقطبين وماتوا فلذتهم روحية علمية وهذا من سر - ما يفتح الله للناس من رحمة - الآية ومن هذا الفتوح كشف تلك الأقطار التى يومها (٦) أشهر ونهارها كذلك وفيها غزال الرنه وفيها المعادن الـكثيرة و بعض النباتات

٤٥ اذا صدقت نتائج الأغذية قوة وضعفا فلم تـكذب نتائج الأمم المستعمرة ظلما وعدلا من خرابها و بقائها فآباؤنا رفعوا المدنية ولما انغمسوا فى اللذات ذهبت دولهم وهو سر حديث البخارى وهذا التفسير فيه زبدة العلوم

﴿ نتائج تعليم الله لنوع الانسان ﴾ الانسان شارك الطير فى الهواء وقد أخرجت الأرض خباياها . إن هنا معجزتين نبويتين : إحداهما حديث الصدقة وأن الانسان لا يجد من يأخذها وحديث «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير الخ» فهذا رمز الى زمانا إذ يطير الناس ولا يحصرون فى بلادهم و يعمل كل امرىء بقدرطاقته للمجموع ولا معطل فى الأمم . فاذن لمن تـكون الصـدقة . إن هذا زمان انتقال . فالطيران زاد الى (٣٠٠) ميل فى الساعة حول القفرجنات

﴿ الـكلام على مصادر القوة ﴾ وعلى الضباب الصناعى وعلى النبات الذى فيه طماطم فوق الأرض و بطاطس تحتها وأن الانسان ربما يتخذ غذاءه من الجوهر الفرد فى المستقبل والشمس أصل كل مافى الأرض فذلك كله تفسير للأحاديث

٤٧ قد أظهر الـكشف أن النبوغ أكثره فى الأغنياء وهذه ضد القاعدة المشهورة . فطبقة الأغنياء والأشراف فى فرنسا هى التى أنجبت العظماء وعالم انـكليزى يقول : « إن فى كل أبناء أربعة آلاف رجل عامى ينبغ فى القضاء واحد و ينبغ من أبناء القضاة واحد من ثمانية » وآخر الأقوال أن الغنى يساعد على النبوغ فلا هو ولا الفقر بوجدانه . وهنا كلام عام فى معنى - اهدنا الصراط المستقيم - وهكذا

٤٩ ﴿ آيتان فى الـكشف الحديث ﴾ وأن رجلا هولنديا هو الذى صنع أول العدسات ورأى منها حيوانات شتى فى الماء الصافى ومن هنا أخذ العلم يرتقى

٥٠ الـكلام على ما فتح الله به على الناس فى زماننا بكشف خيرات كانت خافية عليهم وهى (١١) موضوعا مثل ثروة القطب الشمالى . ودائرة القطب الجنوبى . ومنافع الشمس فى أكلنا . وعجائب البناء والألماس وصنع الورق من حطب الذرة وهكذا . وأن فى القطب الشمالى من النباتات المزهرة (٧٦٢) نوعا وأن هناك أعشابا تـكفى أربعة ملايين (رنه)

٥١ رسم محطة الطيارات والبالونات فى القطب الشمالى كما تخيلها أحد المهندسين (شكل ١) والـكلام على الأرض فى دائرة القطب الجنوبى التى تنفع فى الانتفاع بصيد الحيتان من بحارها واستخراج المعادن

٥٢ كيف نأكل نور الشمس ونتداوى به والـكلام على المنسوجات الـكيمائية . الحبوب قد شبعت بضوء الشمس الصناعى وهذا الغذاء خال مما يمرض الانسان وهذا يعيد الى الذاكرة ما كان يعتقده أهل الديانات القديمة ان الشمس مصدر الحياة . ومن عجب أن تلويح البشرة من تعرضها للشمس انما هو نتائج الأشعة فوق

صحيفة

البنفسجية وهى منعشة جدا للانسان وهى المسماة (فيتامين) فاذا لم تدخل أبداننا من طريق الجلد لم نسعد فى الحياة ، فتغطية الأجسام تماما إذن جناية عظيمة ، وخير مانلبسه هى الثياب البيض لاختراق الأشعة فوق البنفسجية لها والملونة لاتخترقها إلاقليلا ، ثم بيان أن الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم بأكل السكر والنشاء والخبز المصنوع منه والبطاطس البيضاء والأرز المبيض واللحوم الهزيلة والقهوة المشبعة بالسكر والنقل المحلى بالسكر والمشروبات الحلوة والمربات ونحوها . فأفضل الحياة الأكل بعرق الجبين والتعرّض لضياء الشمس ، فليأكل المدنى المواد الدهنية والجوز والأثمار والخضراوات وليلبس أخفّ ماقدرعليه والمشى فى الشمس ، وهناك دواء مشبع بضوء الشمس له فعل عظيم فى صحة الانسان أقوى من زيت كبدالسمك . (شكل ٢) الاستاذ هارى الذى كشف حقيقة كون الغذاء المشمس يساعد على الصحة (شكل ٣) رسم صبىّ كسيح فى حمام الشمس يعالج بالأشعة فوق البنفسجية

٥٥ ﴿ الكلام على المنسوجات الكيمائية ﴾ يوشك العلماء أن يظهروا لنا ملابس كيمائية تغنينا عن القطن وعن الحرير حتى لاتغلوالأثمان اذا حلت بهما آفة ، وهكذا يريدون أن يجعلوا الطعام خاليا من الجراثيم الكثيرة فى طعامنا

٥٦ ﴿أعجوبة البناء﴾ نقل الأمريكان كنيسة من مكانها الى مكان آخر (شكل ٤)

٥٧ استخراج الألماس . منظر عام للآلات التى يجلس عليها العمال القائمون بتنظيف الألماس (شكل ٥)

٥٨ (شكل ٦) عملية قطع الألماس

٥٩ (شكل ٧) منظرالاختصاصى الذى يزن قطع الألماس

٦٠ الجليد السخن وصنع الورق من ورق الذرة بالضغط العظيم المساوى لضغط الماء فى البحرعلى عمق (٢٥٠) ميلا تحوّل الفولاذ الى مادّة لينة وتحوّل الشمع الى مادة أصلب من الفولاذ والصمغ المرن صارت منه مقاطع للفولاذ والزئبق بأقل من هذا الضغط يجمد ، إن ورق الطباعة المصنوع من ورق الذرة أمتن قواما من غيره . إن الفحم الحجرى هوالمخزون فى باطن الأرض قديما ومنه يكون الغاز الذى به تضاء المنازل بالأنابيب ومن شوائبه تكون أصباغ كثيرة حمراء وزرقاء وصفراء وسمراء وسوداء وبرتقالية وبنفسجية وهكذا ولكن هناك فى باطن الأرض غازطبيعىّ عرف منذ مائة عام فى أمريكا كالذى يستخرج فى مدينة (فندلى) من بئر عمقها (١٠٩٣) قدما وامتدّ لهبها فى الهواء (٣٠) قدما . ورؤى على ثلاثين ميلا من كل ناحية، وهنا ذكر الأقوال التى قيلت عند ماظهرت هذه الغازات من خراب الأرض ونحو ذلك فلم يعبأ بها العلماء

٦٢ ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر وساعة تشتغل من نفسها ليلا ونهارا (شكل ٨) رسم ساعة تشتغل من نفسها (١٠٫٠٠٠) سنة

٦٣ اكتشاف الطيارات فى الجوّ ، اختراع المستر بيرد ، اختراع فونوغراف لتعليم اللغات

عجائب العلم الحديث وهى البكتريا ومعرفة التشعع وتقدّم الكهرباء واحتراق الآلات فى داخلها والبناء الحديث والمعادن وطرق حفظ المواد الغذائية بدون تعفن . والطيارات والرحلات الجوّية . كل هذه العجائب من رحمة الله التى لاممسك لها . فأما البكتريا فاكتشافها قد قلل الطاعون بما اخترعه باستور وأما تقدّم العلوم فى معرفة تركيب المادة وفى التشعع فذلك ظاهر فى ارتقاء الصناعات وفى الراديوم والكهرباء اليوم قد ملأت العالم منافع لاحصر لها . وأما البناء بالأسمنت المسلح فقد ظهر فى ناطحات السحاب وغيرها وقد يتمّ بها فى أشهرمايستغرقه بناء الاهرام فى سنوات وللمعادن آثار لم تكن سابقا فى

صحيفة

العمران ، ولحفظ الأغذية من التعفن فضائل مثل إغاثة البلاد الجائعة بفضل ذلك الحفظ ومثل كثرة الحركة التجارية الخ وفضل الطيارات ظاهر ، وأما تقدم الآلات وهي الأعجوبة التاسعة فذلك أمر لا حصر لمنفعته في فروع الحياة . كل ذلك من أسرار الفتح الرباني الذي فتحه الله على الناس . فليغترف المسلمون من رحمة ربهم ومن أسرار آية ـ سيريكم آياته فتعرفونها ـ

٦٦ وههنا فوائد مثل معرفة أن البرق الصاعق يتم في (٧) من ألف من الثانية وانه يكون من الأرض والسماء معا ، وأن القوى كلها من الشمس إلا قليلا ومنها قوة الانسان المستمدة من النشا المستمد من الشمس . المستر وليمسون الأمريكي وزوجته يعيشان في غواصة في الماء و يصوران عجائب الأعشاب والغابات وأصناف السمك البديع الجميل

٦٧ ﴿ المسألة الحادية عشرة ﴾ مما فتح الله به على الناس تلك العقول الكبيرة للأطفال ، فهناك طفل في (سلوفاكيا) يحسب عمر كل انسان ساعات ودقائق في بضع ثوان وعمره هو خمس سنين ، وفي الولايات المتحدة من عمره (٨) سنوات وهو يعرف ثمان لغات وله مؤلفات ، وطفل اسمه (هنري) في الشهر العاشر من عمره كان ينطق كل كلمة في اللغة الألمانية

٦٨ وهكذا طفل بلجيكي في الثانية من عمره يضرب عددين مكون كل منهما من خمسة أرقام بسرعة ولا يخطئ بدون كتابة ، وصبي في الثانية عشرة من عمره في (بيرو) يصارع الثيران . وفتى يسمى ترك مصري ضرب أعدادا كثيرة في زمان قليل واستخرج الجذر التكعيبي وهكذا

٦٩ ﴿ المقام الثاني ﴾ ما يمسك الله من الرحمات مثل ما حصل من البرد في أوروبا سنة ١٩٢٩ في بريطانيا إذ عطلت المواصلات به وفي جميع أنحاء أوروبا وعطلت المناجم وتلغرافات برلين و بعض السفن حصرت بالجمد في بحر البلطيك ولا طعام فيها والموانئ البلغارية على البحر الاسود محصورة بالجمد والعاصفة اكتسحت اقليم أثينا و يعوق البرد سكك حديد ايطاليا الخ

٧٠ وهكذا في لبنان عطلت حركة التجارة وقطعت الطرق . وخسائر الجليد في العالم في كل شتاء (٢٠٠) ألف ألف دولار

٧١ صورة إحدى كنائس مدينة البندقية في ايطاليا تحت الجليد

﴿ لطيفة ﴾ في قوله تعالى ـ والله خلقكم من تراب ـ الخ ان الآلام موقظات لمعرفة الجمال

٧٢ (شكل ١٠) الجهاز الهضمي فيه الفم والمريء والغدة اللعابية والغدة الدرقية والقصبة الهوائية والغدة التيموسية وهكذا الى الشرح

٧٣ (شكل ١١) شرح الجهاز الهضمي من الأنهر الستة في الفم والبلعوم والمريء والمعدة والامعاء الدقاق والغلاظ والمستقيم والزائدة الدودية وهكذا شرح أوسع لذلك في تقسيم الطعام على تلك الآلات

٧٤ مثل ان المواد العضوية التي ليست آزوتية كالنشا والسكر والمواد الدهنية كالزيت والسمن والشحم وأن المواد العضوية الآزوتية التي تستهلك في الجسم مثل زلال البيض وجلاتين العظام المغلية والجبن واللحم والحبوب والبقول والمواد غير العضوية هي الماء والمواد المعدنية مثل كربونات الجير في العظام والأسنان ومثل فوسفات الجير في العظام أيضا وهذان في النبات وفي الحيوان . وهنا شرح (شكل ١٢) في المعدة وما حولها وهو (١٣) جهاز كالقناة الصفراوية والقناة البنكرياسية وهكذا . وهنا اسهاب في نظرة الحكماء لهذه الأجهزة العجيبة فان الطعام الذي كان نباتا وحيوانا ومعادن أصبح في الفم وفي المعدة وفي الامعاء بفضل تلك الآلات متنقلا من حال الى حال فهو كيموس أولا فكيلوس ثانيا فدم ثالثا وهو يرتقي

صحيفة

من حال الى حال كما يرتقى التلاميذ فى مدارسهم ومابقى من الفضلات يخرج من مخرجه وما اصطفى من الطعام يغذى الأعضاء وينتهى الى المخ و يصير عقلا وفكرا . ومن عجب أن تكون الغدد والآلات موزّعات فى الهضم على أنواع الطعام المختلفة ــ ذلك تقدير العزيز العليم ــ

٧٦ (شكل ١٤) القصبة الهوائية (شكل ١٥) الحويصلات الهوائية

٧٧ (شكل ١٦) النسيج الهدبى للقصبة الهوائية وانه أشبه بالمكنسة من حيث وصفه وانه دائما يتحرّك ليخرج الغبار الداخل مع التنفس (شكل ١٧) رسم الرئتين وتفرّع القصبة الهوائية فيهما وهذا عجب . فههنا مايشبه الشجر والأغصان والفروع

٧٨ (شكل ١٨) رسم بيانى للغدد البسيطة والأنبوبية والعنقودية . و بيان أن هذا الدم أيضا يحتاج الى آلات ومصانع ليبنى بها هذا الجسم كالغدة الصنوبرية لتحفظ التوازن فى نظام الجسم ونموّ الشعر وعدم طول العظام بغير نظام . ومثلها الغدة النخامية وتزيد على ذلك انها لها صلة بأعضاء التناسل وحفظ الدم ودقات القلب ومثل غدة تفرز الماء الملحى فى العين وهكذا من الغدة الدرقية وجارتها وهذه الأخيرة اذا أزيلت حصل التشنج الخ والبنكرياس تساعد الكبد فى تلطيف بعض المواد والكبد يفرز الصفراء

٨٠ الغدتان فوق الكليتين (شكل١٩) فهاتان اذا لم تعتدلا تلوّن الجلد بلون برنزى و ينتهى ذلك بالموت والغدد التناسلية للذكر والأنثى لحفظ النسل ولاحداث مميزات الرجال كالذقن ومميزات النساء كاستطالة الشعر فى الرأس وازدياد الموادّ الدهنية تحت العظام لتخفى الزوايا البارزة وهكذا من غدد عرقية وأخرى لبنية

٨١ أعصاب الحس وأعصاب الحركة ، إن ماحولنا أسهل فهما لنا من أجسامنا (شكل ٢٠) الهيكل العصبى للانسان وهذا عالم جديد خرج عن كونه نباتا أوطعاما أودما فهو يقرب من العالم الروحى وهو المخ والنخاع الشوكى والمخ نصفان أكبرهما تسعة أعشاره وهما أيمن وأيسر وهما مركز الحس والشعور والذاكرة والذكاء والارادة ، والمخيخ صغير الحجم وهو ينظم الحركات العضلية فهو منظم والنصفان قبله مصدران للحركة ، و بيان النخاع المستطيل المنظم للحركات غير الارادية كالتنفس والقلب وفيه تمرّ التيارات العصبية ومتى أصيب بضرر حصلت أمراض خطرة وقنطرة فارول موصلة لبعض التيارات العصبية

٨٢ (شكل ٢١) رسم المخ ، والحبل الشوكى ينقل الاشارات بين المخ وأطراف الجسم ، وهناك ١٢ زوجا عصبيا فى مناطق الرأس للحواس موصلات منها الى القوّة العاقلة ، وفى الحبل الشوكى ثقوب بين الفقرات تمرّ بها أعصاب تبلغ ٣١ زوجا موزعات على جانبى الجسم من الجانبين ، كل هذه للحركات الارادية

٨٣ وهناك الجهاز العصبى الاشتراكى ففيه العقد الشوكية (شكل ٢٢) ففيه عقد عصبية على جانبى العمود الفقرى توزع فى الغدد اللعابية والرئتين وفى كل مالا سلطان لنا عليه

٨٤ وللملك الجالس فى عرشه بالرأس ﴿ ثلاثة أعوان ﴾ الحس المشترك والقوّة المفكرة والذاكرة ، فالمخيلة المتصلة بالأوّل لها صور جميع العلوم فهى كالخزانة المصوّرة والمفكرة لها نظام الطبيعة والانسان ومعرفة الله والذاكرة بها تعرف المواليد الثلاثة والفلك والرياضيات والتاريخ العام ويد تبرز ماتطلبه النفس ولسان يبرز ذلك بالكلام

٨٥ ﴿ تذييل لهذا المقام ﴾ قراء هذا التفسير يشهدون بالحق لأنهم شاهدوا نفس الأعضاء وقد يقرأ عالم التشريح هذا وهو غافل عن حكمه كما يغفل الفلاح الذى يحافظ على الزرع عن حقائقه فهؤلاء غافلون لم يشهدوا بالحق وهذا قوله تعالى ــ واذ أخذ ربك من بنى آدم ــ الخ وقوله ــ شهد الله أنه لا إله إلا هو ــ الخ ، فقرّاء هذا التفسير شهداء بالحق وهم موقنون وهذه الطائفة مرشحون للدخول فى عوالم

صحيفة

أعلى لأنهم فيهم قوتا العلم والعمل كما ان الأعصاب للحس وللحركة

٨٦ النحو والصرف والبلاغة شبكات نصطاد بها العلوم وهي فى نفسها غير مقصودة لذاتها . فهى كالدائرة الغذائية التنفسية والدموية فكلاهما طلب به غيره وهى المعانى العقلية ، ثم إن الحكيم ينظر فيرى أن المادة أصلها حركات وأنوار معقولات ثم رجعت فينا الى أصلها ، إن ابداع الجسم كابداع طباق السموات كل فى موضعه ، هكذا فلتكن أعمالنا كلها وأحوالنا فلا نضع منها شيأ فى غير موضعه

٨٧ مسامرة فى نظام الانسان وجماله . ايضاح نظرية المحبة . يحب الزوجان الذكر والأنثى أحدهما الآخر يساعد هذا الحب جمالهما وقوتهما ، يلدان الذرية ثم هما يحبان من ولدا ولا يزال جمالهما فى اضمحلال وحبهما للولد فى اقبال حتى يكونا شيخين والذرية تحبهما على مقدار عطفهما . وهنا وصلنا الى عالم أرقى . زوجان يتحابان للمشاركة فى الذرية والأعمال المنزلية وذرية تحب على مقتضى الاحسان الجسمى وهذه الذرية التى أحبت الوالدين شكرا لهما على التربية الجسمية تأخذ فى حب المعلمين لها شكرا روحيا سببه فضيلة العلم ، إذن سعادة هذا العالم فى الحب الروحى لأنا وجدنا أعلاه ما كان للعلم ولا يزال الانسان يترقى فى الحب حتى يحب المعلم الأول وهو صانع العالم ، وأضرب لذلك مثلا : رجلا ألقى سؤالا فقال عددان مجموعهما (٥٥) والفرق بينهما (٣) أو عددان مجموعهما (١١٠) والفرق بينهما (٦) ثم أجاب واحد من الجالسين بحساب الجبر قائلا فى الأول (١٤) و (٤١) وفى الثانى (٢٨) و (٨٢) وسأل سؤالا آخر من علم وراء علم الجبر يسمى علم الدرهم والدينار فقال : رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص فأخبرهم بثمنها . فقال أكبرهم لأوسطهم : إن أعطيتنى مامعك من الدنانير مضافا الى مامعى صار معى ثمن الفرس . وقال الأوسط للأصغر : إن أعطيتنى $\frac{1}{7}$ مامعك مضافا الى مامعى صار معى ثمن الفرس وقال الأصغر للأكبر : إن أعطيتنى $\frac{1}{8}$ مامعك مضافا الى ما معى يكون معى ثمن الفرس . والمطلوب معرفة الثمن كله ومعرفة مالكل واحد منهم . فاذا أجاب واحد من الجالسين بأن الثمن هو ٣٤٠ وهو حاصل ضرب البسوط جمع بسط وأن مامع الأكبر (٢٠٨) ومامع الأوسط (٢٢٠) ومامع الأصغر (٢١٠) فمن أجاب على هذه الأسئلة تحبه القلوب وتغرم به ويكون هو فى نفسه فرحا فما بالك اذا أحل لغز الكون كله وعرف صانعه الحكيم . ومما هو من هذا القبيل أبعاد الهرم المذكورة فى ﴿ سورة يونس ﴾ ومناسبتها للمقاييس والمكاييل ، ومنها أيضا مناسبات الأغذية لأعضاء الأجسام مثل قول أطباء العصر مثل ان البصل ينفع الكبد أكلا والفجل ينفع الكلا وللجلد الجزر وللشجاعة البرتقال والليمون وأن المواد الزلالية كالبيض والمواد الدهنية والمعدنية كلها لازمة للجسم

٩٠ وهكذا قد وزعت أنواع الطعام على (٣٢) مصنع من مصانع الجسم ، واذا تركنا بعض الأطعمة اعترانا مرض لمجرد هذا الترك كما اتفق لى إذ تركت بعضها فمرضت فلما علمت وعملت زال المرض . إن قراء هذا التفسير يعشقون صانع العالم عشقا عظيما ، فالويل لمن مات وهو جاهل بهذه العوالم

٩١ ﴿ لطيفة فى بلدة المرج ﴾ جندى راكب يقبض على الفلاحين لأجل قتل الجراد الآكل للزرع فالجراد وباء يهلك البلاد ، إذن الاتحاد لابد منه لاتقاء الأخطار . مبدأ الامور كلها الجوع وهو يستلزم الطعام والأمم كلها يجب أن تتعاون لجلب المنفعة ودفع المضرة . إذن جسم الانسان أشبه بعلم الفلسفة يجمع العلوم كلها أو كالقرآن

٩٢ تعجب المؤلف من خلق الجراد وخلق آفته وهو مكروب يعطى لواحد منها فيسرى الطاعون فيها كلها وقد حصل هذا فعلا بطور سينا . إذن الدنيا أشبه بصور متحركة (السينما) فههنا عجب فى نفس الطبيعة

صحيفة

والجهال لما لم يفهموها جعلت لهم دور لابراز الصور . أيها المسلمون : عار عليكم أن تذروا أرض الله وأن تتركوا قوا كم بلامنفعة فلتدرسوا كل شئ أوفلترحلوا من الأرض ، إن هناك قوما يحبون النظر لوجه الله أكثر من كل مايشتهون ، وهذا النظر لذته لاتكون إلا بعد لذة العلم وحوزه فى الدنيا . كل هذا مناسب لآية ــ والله خلقكم من تراب ــ الخ

٩٣ ﴿ لطيفة ﴾ فى قوله تعالى ــ ومايستوى البحران ــ الخ عجائب البحر مثل الكاشالوت ذوالأنياب المحددة والروكال الذى يبلغ طوله (١٢٠) قدما ومثل عمق البحر (٢٧٥٠) قمة مع ان النور لايبعدأ كثر من (٢٠٠) قامة . فهناك فى الظلام حيوانات تعيش بلانور خارجى بل إن النور يخرج منها نفسها فهوتحت أمر السمكة . إذن هناك فى (٢٥٥٠) قامة فى الظلام أحياء ، ومنها ماله نور فسفورى وفى البحر المرجان يبنى جزائر كثيرة كما بنت الأرضة فى اليابسة مبانى عالية

٩٤ إذن الأرضة برا والمرجان بحرا فعلا ماعجزعنه الناس فان المرجان أحدث فى البحر آلافا من الجزائر عاش فيها الحيوان والنبات ، ومن العجائب أن قوّة الحصان تجر (٣٠٠٠) رطل فى البر بسرعة ثلاثة أقدام فى الثانية وعلى السكة الحديدية (٣٠،٠٠٠) رطل للمسافة نفسها والوقت نفسه وفى البحر ٢٠٠،٠٠٠ رطل . إذن الماء أكسبنا تسهيلا فوق السير المعتاد (٧٠) مرة . هذه سرّ آية ــ وترى الفلك مواخر فيه ــ إذن المسلمون عليهم أن تكون لهم يد فى البحار عظيمة

٩٥ البرق السلكى والبرق غير السلكى . البرق السلكى معروف . المصطلح عليه فى البرق غير السلكى كالذى فى الاسكندرية وفى أبى زعبل وغيرهما من لأعمدة ذات الأثمان الغالية لما فيها من دقة الصنع وأحسن الأعمال ان الألف تساوى نقطة وشرطة والباء شرطة وثلاث نقط وهكذا والشرطة ضعف النقطة ومتى أرسلت فى الجوّ سرت فوق البرّ والبحر فى المرتفعات الشاهقة ويتلقى المبرقون بآلة خاصة ويدوّنون تلك الاشارات وكل من يأخذ الاشارات قادر أن يطلع على أسرار جميع الأمم ، واذن لابد أن يكون هناك أرقام سرّية والرياح والزوابع لاتعيق هذه الاشارات ، أفليست هذه نعمة يجب شكرها على المسلمين وكيف يشكرون مايجهلون . ومن عجائب العلم أن العلماء فى أوّل القرن التاسع عشر كانوا يجزمون بأن لاحياة تحت عمق (٤٠٠) متر إذ لاضوء هناك وهناك أيضا ضغط شديد على الحيوان فكيف يعيش فى ظلام وضغط فكذب الوجود هذين البرهانين ، إن ضغط الجوّ على حيوان الأرض يبلغ ارتفاع عشرة أمتار من الماء والسمك فى الأعماق القاصية يحمل فوقه سبعمائة ضعف مايحمله حيوان الأرض وقد جعلت لها دروع صلبة تجعل أعضاءها الداخلية فى أمان والعلماء فى حيرة من أمر هذه الحيوانات . ومن عجائب الماء نفسه أن السنتيمتر المكعب فيه (٣٠) ألف مليون مليون مليون جزىء وأن سرعة الجزىء (٣٠) كيلومترا فى الدقيقة الواحدة أونصف كيلومتر فى الثانية ووزن هذا الجزىء (٣) أجزاء من مائة ألف مليون مليون مليون جزء من الجرام وهذا الجزىء مركب من ذرّتين من الاودروجين وذرّة من الاكسوجين والحركات المذكورة هى التى تحدث درجة الحرارة والضغط على الأوانى والأمكنة والبحار ، وهذه الجزئيات المائية المركبة المذكورة أكبر (١٨٥٠) مرّة من الالكترونات التى هى ذرات كهربائية وشعاعات ضوئية

٩٩ ﴿ لطيفة ﴾ فى قوله تعالى ــ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ــ الخ وههنا يشير المؤلف الى ما كتبه فى ﴿ سورة الكهف ﴾ مما نقله هناك أن علم الألوان اليوم لايزال فى المهد ولكن الذى علمناه منه يورث اليقين بالعناية الخاصة كما يشاهد فى حمار الحبشة المرسوم هناك وفى أبى دقيق الطاووسى

صحيفة

١٠٠ وههنا يسبح المؤلف ربه متعجبا من نقشه ورقشه وأصباغه وإلهامه أمما كقدماء المصريين الذين أبدعوا منذ ستة آلاف سنة فى الألوان الخضر والزرق من الأحجار المتكية ، وهكذا صنعوا الزجاج ملونا بالزرقة والبنفسجية وغيرهما ولا يكون ذلك إلا بأوزان المقادير وذلك من الميزان الذى قامت به السموات والأرضون

١٠٢ هنا دهش المؤلف من أن هذه الأرض أخذت تنطق للناس بواسطة أحجارها . الأصباغ والزينة والجمال فى المصنوعات

١٠٣ رسم شجرة ذات جدائل (شكل ٢٣)

١٠٤ صورة شجرة عجيبة فى شمال (كاليفورنيا) يقصدها السائحون من كل فج عميق (شكل ٢٤)

١٠٥ شجرة يسمونها ناطحة السحاب (شكل ٢٥) فى برين فى ألمانيا عمرها ٩٠ سنة ارتفاعها ٢٥ مترا

١٠٦ شجرة بالولايات المتحدة تسمى شجرة الفيل كأنها رأس فيل رفع خرطومه (شكل ٢٦)

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ فيما جاء فى علم الحيوان حديثا وأن الحيوانات المعلومة نحو نصف مليون نوع ومن هذه الأنواع ماتطير وطيرانها على قسمين : قسم يطير بخفقان الأجنحة أعلى وأسفل كما هو مشاهد ، وقسم يطير بالقفزات مثل بعض أنواع السمك الطيار والسحالى الطائرة والسنجاب الطائر ، وعند علماء الحيوان أن الجناحين إن هما إلا الرجلان الأماميان من ذوات الأربع وأن الحيتان انقرضت أعضاؤها الأماميــة وأعطيت بدلها زعانف تعوم بها ، وقد تحققوا المشابهة بين جناح الطائر والوطواط وزعنفة الحوت وذراع الانسان ، وماهذا التنوع إلا لتأدية الوظيفة ، والسحالى فى المنطقة الحارة بآسيا لها غشاء تصنع فيه ما يصنعه الانسان بالشمسية قبضا وبسطا ، وسنجاب الهند يمرق فى الهواء نحو (٨٠) يارده

١٠٨ (شكل ٢٧) و (شكل ٢٨) الوطاويط أثناء نومها وهى تحمل صغارها

١٠٩ (شكل ٢٩) وطواط طول جناحيه خمسة أقدام . الكلام على ريش الطيور . و بيان أن ذكور الطيور هى التى تتزين بالريش الباهر الزاهى والاناث لايهتممن بالزينة خيفة أن تظهر للحيوانات المفترسة لها وهى تحضن بيضها فتأكلها ، وجوارح الطير لازينة لها لئلا تعرفها فريستها فتفر منها

١١٠ (شكل ٣٠) ههنا (٢٤) نوعا من الريش المختلف الأشكال كالعقاب وعصفور الجنة والعصفور الطنان وهكذا . الكلام على حيوانات قاع البحار التى عليها ضغط عظيم كما تقدم فلذلك كان لها قاسيا لايؤكل ولها ضوء يقوم مقام ضوء الشمس الذى حرمته

١١١ (شكل ٣١) وفيه (١٨) شكلا من أشكال الحيوانات المائية المذكورة مثل ماهو كالقناديل الذى يشبه المظلة ، وماهو كالبالون وماهو نتاك وماله أعضاء منيرة وماهو كالحروف وهكذا الطائر المسمى النساف علاقته مع أنثاه فى غاية العجب إذ تستقرهى فى جوف الشجرة و يساعدها هو بالغذاء الى أن تربى أفراخها و يطرن

١١٢ (شكل ٣٢) صورة ذكر النساف خارج باب العش ومنقار أنثاه ممتد من الداخل جمال العلم والبهجة واستطراد بذكر أمر نباتى وهو صنع الورق من الذرة وأمر حيوانى وهو الجراد الذى هجم على مصر وماحولها من البلاد فى هذه الأيام ، وههنا أفاض المؤلف فى موضوع الورق ناقلا عن سديو الفرنسى أن المسلمين فى القرن الأول صنعوا الورق من الحرير كما تعلموا من أهل الصين وذلك فى سمرقند وبخارى وفى نفس القرن أى سنة ٧٠٦ ميلادية جعلوه من القطن بدل الحرير

صحيفة

وهذا اختراع عجيب وسموه الورق الدمشقى وانتشر ذلك فى اسبانيا واستعمله أهل قسطيله فى القرن الثالث عشر ومنهم أخـذه أهل فرنسا وايطاليا وانكلترا وألمانيا ، وورق العرب أقوى وأمتن وأجمل وهكذا استعملوا بيت الابرة من ابتداء القرن الحادى عشر وهكذا بارود المدافع المستعمل فى حصار مكة فى القرن الأوّل الهجرى وفى مصر فى القرن الثالث عشر رموا بالبارود فلا لها دوى كالرعد ، ثم قال إن العرب هـم أساتذة أهل أوروبا فى جميع فروع الحياة وهؤلاء الاوروبيون عالة على الأمم الاسلامية العربية فى صنع البارود و بيت الابرة والورق و بهذه الصناعات قلبت سياسة الأمم وآدابها وعسكريتها وهنا أظهر المؤلف دهشته من أن هـذه الآراء فى الأمم الاسلامية عند الفرنجة ينكرها جهلا بها كثير من المتعلمين ببلاد الاسلام تعلما دينيا أودنيويا لجهلهم الفاضح بعلم التاريخ وقال : إن هـذا التفسير ستعقبه نهضة عظيمة لأن عقلاء المسلمين يدهشون حين يعلمون أن آباءهـم الأوّلين فى القرون الثلاثة الأولى كانوا هداة الأمم فى الصناعات فضلا عن الدين و بهذا تمّ الكلام على الأمر النباتى وهو الأوّل

﴿ الأمر الثانى ﴾ هو الجراد الذى ظهر أيام طبع هذه السورة وعمّ الأفغان و بلوخستان والعراق وسورية والحجاز واليمن والسودان وانهـم فى مصر أخذوا يحرقونه ، و بيان أن له آجالا محدّدة وأوقاتا يظهر فيها إما كل (١٥) سنة مرة ، وإما كل (١٠) سنين والأنثى تضع بيضها بهيئة خاصة

١١٥ (شكل ٣٤) والبيض خمس عناقيد كل عنقود نحو (١٠٠) بيضة تضعها فى حفرة وتسدّ عليها ، ثم ينهش الذكر أنثاه بعكس ذكر العقرب وأنثاه ، و بعـد (٣) أو (٦) أسابيع يفقس وهومائل للخضرة ثم يسود بعد ساعات ثم يغير جلده خمس مرات كالأفاعى وتظهر الأجنحة بعد مدة مابين ٤٠ و ١٠٠ يوم وهناك يكون أحمر وهوشديد الخطر إذ ذاك ، و بعد ذلك يهتم بالتناسل فيقل خطره ، و بيان أن الجراد من الآيات المفصلات لقوله تعالى ــ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد ــ الخ ومن التفصيل ماسيكون بالعلم الذى سيدرسه فضلاء المسلمين بعدنا إذ يرون أن الجراد آيات للاقتصاد وللسياسة ولاصلاح الديانات فأما الجراد فى الاقتصاد فانه يخرج من جبل فى السودان ومن غيره و يطوف بلاد مصر والعرب وغيرها و يفعل مايفعله النيل فان النيل طوفان اذا لم نجعل له جسورا والجراد مهلك ان لم نتخذه لنا طعاما أو نعصره فيكون منه زيت الطيارات الذى لانظيرله فى طيرانها فى الجوّ ، وقد كتبت للحكومة المصرية انه يمكن أن يعصرمنه زيت ، وهكذا جاء لها خطاب من أوروبا بهذا الصدد ولكن القوم عندنا فى شغل شاغل . هذا اجمال الكلام على الاقتصاد فى آيات الجراد

١١٧ أما السياسة المستنتجة منه فان الأمم العربية المصابة به التى تفرّقت شذر مذر بالاتكال على مجد الآباء كما تقدّم فى أوّل ﴿ سورة آل عمران ﴾ . لوقرأت آية الجراد المفصلة لهم بارساله عليهم كل (١٠) سنين أو (١٥) سنة لأدركت سر رقيها إذ الجراد يخاطبها بلسان الحال قائلا : « أيتها الأمم الاسلامية العربية فى السودان ومصر وسورية والعراق والحجاز ، أنتم فى بلاد متصـلة ، متحدو اللغة والدين ولكنكم متفرّقون فداستكم الأمم وأذلتكم بعد أن علمهـم آباؤكم ، أجهلتم أيها الناس انى قـد اتحدت وقت وأكلت زرعكم ولم أبال باحراقكم جثث اخوانى ولاإبادتكم لى لأنى تعلمت علم الوحدة من صانع العالم فهو واحد وأنا واخوانى كلنا كجرادة واحدة ، أما أنتم فكيف تجهلون هذه النعمة . فتعلموا ولتعملوا لتكونوا متحدين . واذا بعث الله غرابا ليرى ابن آدم كيف يوارى سوأة أخيـه . فأنا بعثنى لأعلمكم الاتحاد فانا متحدون والموت عندنا خير من الحياة مع الذل »

١١٩ ﴿ الأمر الثالث ﴾ الاصلاح الدينى بسبب الجراد . إن البراهمة يحرمون أكل الحيوان رأفة به وهـذا

صحيفة

الجراد طعام للناس ومثله الأرضة ذات الأجنحة التي تطير في وقت معلوم وقد انتظرت جوعها (التي تطير كأنها سحاب) جيوش من أنواع الحيوانات الجياع فتأكلها فكيف يحرم الحيوان ونفس العالم ونظامه مبني على هذا وأمثاله كما هو معلوم ، وهناك حال رابعة وهي التذكير بعروج النفس الانسانية الى عالم الجمال إذ يرى الحكماء من نوع الانسان أن الحيوان آكل ومأكول ، وأرباب الديانات في العالم الانساني متعادون يتقاتلون والعامة اكتفوا بظاهر الديانات فلهم درجة خاصة ، أما الحكماء فانهم يفكرون في الكليات لا الجزئيات إذ يرون الأرض كشجرة لها أوراق تذبل وأخرى تحل محلها والأصل باق وهكذا

١٢٠ (بهجة هذه الآيات) من قوله تعالى ـ أم تر أن الله ـ الى قوله ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ يخاطب المؤلف ربه قائلا : « نحن لم ندر من أين أقبلنا ولا متى نموت ؟ واذا متنا لاندري الى أين نذهب والعوالم حولنا جوامد وسوائل وغازات ، واذا أقفلنا أعيننا تخيلنا العالم نوراً وراءه قوة تحمله أرزاقنا فتصل الينا وعواطفنا كذلك ، وما الأرزاق إلا نتائج العناصر التي ترجع الى أنوار متراكمة ، ثم إن هذه الأنوار التي تحمل أرزاقنا هي أنفسها تحمل عواطفنا كعواطف رحمة الأم وعشق الفتى والفتاة ، إن العشق بين الصنفين الذكر والأنثى والرحمة التي أودعت الامهات إن هما إلا أشبه بالبترول والشمع المتقدين نارا ، فهما من الأرض والأرض من الشمس ، الرحمة القدسية الإلهية كالشمس ورحمة الأم وعشق العشاق متنزلان من تلك الرحمة العامة كما تنزل البترول والشمع من عالم الشمس فاتقدا نارا ، حبنا ورحمتنا ليسا كحب الله ورحمته . فهما عندنا منفعلان وهما عنده قدسيان عرفناهما بآثارهما ونتائج العشق والرحمة وجود الولد بالأول وبقاء حياته بالثاني . إذن الغرام والرحمة منصبان على الوجود والبقاء للأشخاص . فوصال المتعاشقين موجه لوجود الولد وان لم يقصدا وسهر الأم على الولد لبقاء حياته . والحب الشريف الطاهر يرقى الى معارج الفلاح في الحياة وعكسه الحب الشهواني الموقع في الحضيض

١٢٢ الحب أعلى وأدنى وأوسط : وللأدنى إما الولد واما ارتفاع النفس الى العلا ونتيجة الأوسط حب العلوم ومن هذا الحب الأوسط حب رجال العلم له مثل الذين يتسلقون الجبال كالاستاذ دير نفورث الذي تسلق (جبال همالايا) وعلماء آخرون مثل (دوجلاس) وأكثرهم مات بالعواصف والثلوج . واذا رأينا مجنون ليلى من الطبقة الدنيا في العشق يهيم بها ويقول : ☆ واني اذا ماجئت ليلى الخ ☆ ورأينا غيره يقول : ☆ قضيت سنون بالوصال وبالهنا الخ ☆ فهؤلاء قليل من الشبان بالنسبة لعشاق الدرجة الوسطى التي تحوي الشبان والشيوخ . وهذه الدرجة الوسطى مقدمة للدرجة العليا التي لا يكون فيها إلا الحكماء الذين ينظرون الى العشاق من الدرجة الصغرى والدرجة الوسطى نظرهم الى الأطفال ويقولون : « نحن لانحصر عشقنا في فتيات كمجنون ليلى ولا في حجر وجبل وشجر كعشاق العلوم الذين يكبون على تحصيلها بل نحن نجعل العلوم كلها سلما الى محبوبنا الذي نسعد بمعرفته »

١٢٥ بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لايتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم تلك اللذة (من كتاب الاحياء للغزالي) مبينا أن الانسان له لذات كثيرة في قواه المختلفات كغريزة الغضب للتشفي وغريزة الشهوة للطعام وهكذا السمع والبصر الخ ولكن للقلب غريزة أخرى تسمى النور الإلهي وهو العقل الذي لم ينحصر في المجادلة بل هو الذي أدرك الحقائق . فكما أن للعين لذة النظر وللشم لذة الروائح ولشهوة البطن الطعام الخ هكذا للعقل لذة

صحيفة

الحقائق ولذة العلم بقدر شرف المعلوم والعالم بحال ملك أو أمير لذته أعلى من العالم بحال عامى و العالم بموجد هذا العالم نفسه يستحقر فى جنبها لذة الغلبة والسلطان والملك . واذا فرح الصبى باللعب واللهو والشاب بالنساء والبنين والتفاخر والتكاثر ففرح الحكيم بمعرفة الله تعالى فوق ذلك كله وليس يمنع ذلك إلا عدم الاستعداد كما أن العنين يمنعه عن فهم لذة النساء فقده تلك الشهوة وفى هذا النوع الانسانى قوم لا لذة لهم إلا فرحهم بالمعرفة

١٢٨ ومتى انتهى صفاء قلبه أحس بلذة لقاء الله فى هـذه الحياة . وههنا ذكر لذة الصبيان والشبان ثم الحكماء وشرحها شرحا كافيا

١٢٩ بيان أن قراء هذا التفسير سيتفننون فى ضروب الحكمة ولا يكونون كالبراهمة يبعدون عن الناس فتكون العلوم موجهة لغرضين : حب الله ومنفعة الناس . بيان إنى أتذكر دائما أن المحسن محب لمن أحسن اليه أكثر من الثانى للأول ﴿ مثال ذلك ﴾ الأم فهى تحب ولدها أكثر من حبه لها وهذه قاعدة عامة حتى ان الحكماء يحبون الناس أكثر من حب الناس لهم وهكذا الأنبياء مغرمون بهداية الناس أكثر من غرام الناس بهم ، وأى محسن أكثر احسانا من الله ؟ إذن حبه (وان كان قدسيا) أكثر من حب الناس له وهذا المعنى الذى خطر لى وجدته فى الاحياء قد جرى على ألسنة بعض الناس مثل المروى عن داود وعن بعض الأنبياء

١٣٠ بهجة الجمال ليلة ١٤ من شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هـ إذ كنت بالحقل مع المزارعين وضاع وقتى معهم بالنهار وكررت راجعا وقد أظلم الليل وأرخى سدوله وظهر لى البدر شرقا والنجوم غربا تلمع خلال النخيل . وهناك تجلى لى القمر كأنه يخاطبنى يقول : « إننى شاهدت الأمم من أيام الفراعنـة والذين قبلهم والذين بعدهم وقد مروا فى هـذا المكان وأكثر الناس يمرون غافلين . وأنت أيها الجوهرى كنت اليوم فى الحقل فى أعمـال جزئية والجاهل لا يعقل سواها أما الحكيم فانه اذا مر فى تلك الأعمال ورآنى فانه يأنس بى وتفتح له أبواب الحكمة إذ يرى اننا فى السماء دلائل على بقائكم لأنه اذا طال أمد المواد العلوية مثلنا فبالأولى يطول أمد الأرواح بل هى خالدة » ثم قال : « قل للمسلمين إن ذوى العقول الكبيرة يجب عليهم العلم وان اقتصروا على العبادة كانوا صغارا كما صغر النجم فى أعين الرائين

١٣١ جوهرة فى قوله تعالى ـ أولم نعمركم ـ الخ و بيان أن الأطباء يقولون : « إن الانسان يعيش مائتى سنة بالقياس الى الحيوان إذ يعيش ثمانية أمثال مدة نموه ومدة نمو الانسان (٢٥) سنة وأن الأطباء أجمعوا على أن ترك الشهوات والتنعم وتقليل الغذاء واطالة المضغ تطيل الحياة . وهذا تقرؤه فى سورة طه فى آخرها وفى أوائل الحجر وفى سورة الأعراف عند ذكر الأسراف وفى البقرة عند آية ـ واذ استسقى موسى ـ الخ وفى سورة الشعراء عند ذكر قصة ابراهيم

١٣٢ تذكر المؤلف فى مدة حياته امتثالا لهـذه الآية . الحياة ألم وأمل وعمل وحب وغرام . فالألم كالجوع والأمل كطلبنا الطعام والعمل اعداده وتعاطيه وذلك كله مصحوب بحب الطعام والغرام به ومثل ذلك حب الذكور للاناث

(١) الرجل والمرأة يتعاطيان الطعام والشراب ثم يكون عندهما ألم يسوقهما الى الاجتماع ثم يعقبه

(٢) أمل بالذرية والأول سائق والثانى شائق

(٣) ثم يكون العمل وهو أنهما يجدان فى ارتقاء و بقاء الولد

(٤) و يدوم بعد ذلك الحب والغرام لهـذا المخلوق الجـديد وهما يتمنيان له العمر المديد إذن النهاية

ان

صحيفة

أن سعادة هذا الانسان ترجع الى مساعدة الآخرين

هذه طبيعة الانسان وهذه سعادته الحقيقية ، وهذه حجنى لأهل الشرق والغرب قاطبة ، ثم إن السوائق والقوائد لم نرها إلا فى الحيوانات العليا فن من الحيوانات الدنيا ما تلد ولا ذكر لها بل هى خنثى . وقد تقدّم فى هذا التفسير ، إذن وجود الذكورة والانوثة فى الحيوانات العليا دروس وتمرين على الحب أوّلا وعلى مساعدة الآخرين ثانيا ثم المعرفة العامّة ، فليجاوز الانسان هذه المرتبة وليكن عاشقا لصانع الوجود ليمتاز عن هذه الدرجات الثلاث . وأعظم سعادة لنوع الانسان أن يكون كله كأعضاء جسم واحد وهناك تكون السعادة مضاعفة وهذا زمانها فان اتصال الأمم بالسكك الحديدية والقطرات والتلغرافات (البرق) والطيارات لم يتم إلا فى زماننا والانسان لا يمتاز عن الحيوان إلا بهذه الخلة وهى أن يكون كله كشجرة واحدة أو كجسم واحد والأمّة التى لا تقدر على الاتحاد تلفظ من بين الأمم كلها

١٣٧ ﴿ سورة يس ﴾ وذكر انها أربعة فصول : البسملة . تفسير الألفاظ . وتلخيصها . والعجائب العلمية ﴿ الفصل الأوّل ﴾ فى تفسير البسملة . وذكر أن اليوم شروق وضحى وزوال وعصر . والسنة ربيع وصيف وخريف وشتاء . والانسان صبىّ وشاب وكهل وشيخ . هكذا الأمم لها ولادة فتكون طفلا ينسج على منوال ماحوله ومايشاهده ولها أيام فتوة وقوّة ولها أيام انحطاط ولها أيام موت . ولاجرم أن أمم الأرض كانت أيام النبوّة قد اعتراها الضعف وقد هرمت الفرس والروم فجاء الاسلام فأحيا هذه الأمم فكانت العربية تدرس تواريخ الأمم وعظم شأنهم فى القرنين الأوّلين ثم وقفت الفتوحات ليستثمروا مازرعوا ثم صاروا أمة شيخة ثم صاروا أشبه بفصل الشتاء وهاهى ذه الأمم الاسلامية اليوم تريد أن تكون خلقا جديدا كصبىّ أو كفصل الربيع فهى إذن تقرأ تاريخ الأمم وهذا التفسير ظهر اليوم فى إبان الصبا لأمم الاسلام الحديثة . إذن يقرؤن (يس) فيسمعون الله يقسم بالقرآن أن النبىّ ﷺ من المرسلين الخ كما أقسم بالنجم اذا هوى . ولاجرم أن النجم يهدى فى هذه الحال وكما أن للنجم علوما هكذا للقرآن علوم وهداية كل منهما تتوقف على العلوم اللازمة له وطرق الهداية الى الصراط المستقيم لا تعدو سنة مسير الشمس فى اليوم وفى السنة . ألا ترى أن فى أوّل السورة ضرب المثل بأصحاب القرية . ولاجرم أن هذا هو الذى ينشده الصبىّ فى أوّل حياته فهو ينشد أن يقلد من حوله بالمعرفة واذا ضرب الله مثلا بأصحاب القرية فما أحوجنا نحن أن نضرب أمثالا اقتداء به بما حلّ بالمسلمين فى الأندلس من تفرّقهم عشرين دولة فهلكوا وذلوا . فهذه هى الدرجة الأولى وهى كالتخلية لأنها تتخلى عن الجهل والكسل ويليها الدرجة الثانية فهى المشار اليها بقوله تعالى ــ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ــ وهى المرتبة التى فيها تتقدّم الأمّة الاسلامية باصلاح الأرض وأممها ونحن اليوم مقبلون على هذه قريبا فى مصر والشام والحجاز واليمن ونجد والعراق . فنحن الآن أشبه بالصحابة فى أوّل أمرهم وقد أخذنا نجدّ لنصل الدرجة الثانية . وأما الدرجة الثالثة والرابعة فهما يرجعان الى الضعف والفناء وهو المذكور فى آية النفخ فى الصور ثم انقسام الناس فريقين الخ

﴿ الفصل الثانى ﴾ سورة يس مكتوبة مشكلة الى آخرها

١٤٢ تفسيرها تفسيرا لفظيا من صفحة ١٤٣ الى صفحة ١٤٨

﴿ الفصل الثالث ﴾ فى ذكر ما كنت فسرتها به منذ سنين وانها ثمان مقاصد : أن النبىّ حق وأن المنذرين صنفان الخ وآخر المقاصد ثلاثة فصول : قدرته على مسخهم . والانتفاع بالانعام . واثبات البعث بامور يعانونها كما ختم السورة السابقة بجوهرتين وياقوتتين

صحيفة

١٥٩ البارود مركب من الفحم والكبريت وملح البارود ويختلف تركيبه باختلاف الدول . وخطاب المؤلف للمسلمين يقول لهم : « الشجر اتقد نارا ولكن الصوديوم والبوتاسيوم اتقدا نارا فى الماء ، فهما أعجب من اتقاد النار من المرخ والعفار ، فهذا اتقاد فى ماء وذاك فى شجر » ثم تلخيص المقام فى خمسة أمور

١٦٠ ﴿ فائدة ﴾ فى ذكر المركبات التى تتكون منها النيران الخضراء والحمراء والبنفسجية . والكلام على ملح الطعام وانه مركب من الكلور الذى يحدث السعال ويهيج الأغشية ويميت ومن الصوديوم الذى يتقد نارا فى الماء وبضع فوائده ، ويدخل فى الكلور المركب المسمى بالماء الملكى الذى يذيب البلاتين والذهب

الكلام على بعض العلوم المرموز لها بالياء والسين ، اننا لم نسمع العربى يقول : « يس قفا نبك الخ » وهذه الحروف أتيح لنا تفسيرها ، وقد فكر قبلنا قوم فيها بحسب زمانهم فلنا فكر بحسب زماننا ، ولاجرم أن التحليل يتخلل سائر العلوم ، وذكر أن علم الكيمياء فرض كفاية

١٦٣ بيان أن المؤلف خطر له منذ ليلتين خاطر قوى أن الدورة الغذائية فى الأجسام الانسانية من سر (يس) فهذه الدورة تبتدئ بالقواطع والأسنان وأنواع الريق والبنكرياس والمعدة وعصيرها والامعاء وعصيرها وهكذا . كل هذا تحليل ويس فيها سر التحليل . وهكذا الدورة التنفسية

١٦٤ لطائف هذه السورة

اللطيفة الأولى : فى هذه اللطيفة « فصلان ✲ الفصل الأول » فى قوله تعالى - ياليت قومى يعلمون - وذكر حكاية من كتاب « اخوان الصفاء » إذ ذكروا أن جماعة نزلوا سفينة فكسرت المركب فوصلوا الى جزيرة فيها قرود فأنسوا بها وتزوج الشبان منهم وولدوا ثم تذكروا بلادهم فصنعوا سفينة وبينما هم كذلك إذ انقض طائر على أحدهم فاختطفه ورده الى منزله فهم يبكون عليه وهو يقول ياليت قومى الخ

١٦٥ ﴿ الفصل الثانى ﴾ فى معنى - ياحسرة على العباد - واحالة الأذكياء على المذكور فى معنى الاستهزاء فى ﴿ سورة التوبة ﴾

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى عمر الأرض ونقصها المستمر والكلام على الراديوم وعلى مدة عمر الأرض

١٦٦ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ - والشمس تجرى لمستقر لها - والموازنة بين سرعة النور والقنبلة وسرعة الأرض وسرعة الطيارة الفرنسية والأمريكية والمانية والاتومو بيل والرجل فى مشيه والحلزون ونمو الشجرة . فبينا نرى الضوء يجرى حول الأرض أكثر من سبع مرات فى الثانية نرى الشجر ينمو (٢٧) من عشرة آلاف مليون جزء من الياردة فى الثانية الواحدة

١٦٧ ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال فى الدقيقة . إن الطيارين يؤملون أن يطيروا (٦٠٠) ميل فى الساعة الخ (شكل ٣٥) فيه صور الزورق والقطار الكهربائى وهكذا

١٦٩ (شكل ٣٦) بيان لأسرع الأشياء . هل بلغ الانسان أقصى سرعته فى البر والبحر ؟ أسرع قطار يجرى (٦٨) ميلا فى الساعة . وأسرع قارب (٩٣) ميلا . وأسرع سيارة (٢٣٢) ميلا فى الساعة . وأسرع طيارة ٦٩٣ ميلا فى الساعة . ويظن أن السرعة ستبلغ (٥٠٠) ميلا فى الساعة الى ألف وهو مبالغة . وقد كشفوا ذبابة سرعتها (٨١٥) ميلا فى الساعة أو (٣٦٠) مترا فى الثانية . والعلم يحكم أن الانسان لايستطيع أن يقود سيارة تجرى (٣٠٠) ميلا فى الساعة لأن سرعة أعصابه فى توصيل الاحساس أقل من ذلك

صحيفة

١٧١ علم الفلك ودراسة الفلك فيما وراء البحار . إن أرضنا وشمسنا وكواكبنا كائن متجانسات من حيث تركيبهن من الأنوار الكهربائية (الكترونات) وهذه دارت عناصر والعناصر عرفت بأضوائها ، أدر نظرك فى الوجود فلا تجد إلا اتشابها ، ألم تر الى تشابه الثارات القديمة فى علوم الفلك وكيف ظهر أن أهل أمريكا الأصليين قد عثر الباحثون اليوم فى أطلالهم على حساب الزهرة والشمس والقمر والكواكب وكيف عرفوا تقويم الشمس وذلك فى بلاد المكسيك وكيف ظهرت لهم كتابات هيروغليفية وحساب منظم ، وكيف عرفوا الصفر قبل معرفة أهل الهند له وذلك كله لأمة اسمها (المايا) وقد أحرق الأسبان كتبهم أيام دخول بلادهم ولم يبق منها إلا ثلاث كتب لا غير

١٧٣ (شكل ٣٧) خريطة البلاد التى نشأت فيها حضارة المايا وازدهرت وقد عرفوا السنة الشمسية والقمرية والشهر القمرى بالدقة والتقويم اليوليانى ليس أفضل من تقويم المايا كثيرا فتقويمهم منذ ألفى سنة لا يبلغ الخطأ فيه أكثر من يوم فى ٣٣٢٣ سنة والتقويم القمرى لا يزيد الخطأ فيه عن يوم واحد فى ٣٠٠ سنة وعرفوا دوران الزهرة والمريخ والمشترى وزحل وعطارد ، وتقويم الزهرة جعلوه ضابطا لتقويم الشمس والقمر وقد استنبطوا الصفر فى الحساب قبل أهل الهند بألف سنة وأهل الهند لم يستنبطوه إلا فى القرن السادس أو السابع بعد الميلاد ، إذن الأمم تتشابه فى الحساب وان لم تجتمع

١٧٥ ﴿ تذكرة لأمم الاسلام ﴾ وههنا تذكير بما مر فى سورة يونس فى أولها من صور مرسومة فلكية وبروج وعجائب الاهرام ونسبة ارتفاعه ومحيطه الى محيط مدار الأرض حول الشمس ، وكيف كان أس القنطار والأردب والمساحة الخ وكيف رسم ذلك على صناديق الموتى . وكيف حظى أموات المصريين بهذا العلم وجهله أحياؤهم وأحياء أمة الاسلام ، وكيف جهل المسلمون أن محمود الغزنوى قد أحضر البيرونى فى ديوانه وأظهر علم الفلك فى دولته ، وأن هولاكو المغولى أحضر نصير الدين الطوسى الفلكى فى ديوانه ، وأن الخان كوبلاى أحضر فى ديوانه جمال الدين الفلكى ونقل علوم العرب وأن الطوسى المذكور أصلح خطأ الفلك فى حساب الروم والسند وماوراء النهر وصار إماما عظيما فيه ، وكتاب ﴿السندهند﴾ ليس فيه إلا مسائل ابتدائية فى الفلك ، ولقد منى المسلمون بأمم أزالت علومهم ومنها الترك إذ دخلوا مصر وأعدموا منها العلوم والصناعات وبقيت كذلك الى أيام محمد على باشا . ولقد تعاهد على جهل المسلمين الملوك الفاتحون ورؤساء الدين الجاهلون ، وتجد بعض ذلك فى آخر سورة ابراهيم وفى سورة الكهف ، ولقد أنشأ آباؤنا أربع طرق موصلات مابين الشرق والغرب بواسطة علم الفلك والجغرافيا

١٧٧ عجائب الحرارة والضوء فى قوله تعالى ـ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ـ الخ وفيه بيان أن أمواج النور من (٤٠٠) الى (٧٠٠) مليون مليون فى الثانية . فهذه الموجات تسلخ من الليل هكذا الاكسوجين يسلخ من الاودروجين وهذا يتحد بالاوزوت فيكون النوشادر . فالاودروجين بطريق الكيمياء انسلخ من الاكسوجين واتحد بالاوزوت فكان له فى كل موطن حكم . إن الناس اليوم يريدون أن يسلخوا الحرارة من الضوء فترجع كلها ضوأ وهناك شمس لا حرارة لها مثل مايتخيله الناس الآن هنا فى الأرض

١٧٩ ﴿ الكشف الحديث فى الحرارة والضوء ﴾ فى كاليفورنيا تيليسكوب قطر عدسته (١٠٠) انش فأبرز نجوما عددها (١٥٠٠) مليون نجم فكيف يعرف الناس من النجوم بتليسكوب قطر عدسته (٢٠٠) انش وهو الذى يصنعونه الآن . إن بعض النجوم يصل ضوءها الينا فى (١٤٠) مليون سنة ويتكهن بعضهم أن أضواء غادرت كواكبها منذ (١٠٠,٠٠٠) مليون سنة سوف يراها الناس وكما أن هناك

صحيفة

شموسا باردة فهنالك شموس حرارة مقدار الحصة منها تسوّى الانسان على بعد ألف ميل . و ياليت شعرى هل هذه قطعة من جهنم ، أم ماهى تلك الشموس ؟

١٨٠ بهجة العلم فى المبصرات والمسموعات من حيث الفلك والموسيقى والشعر وغناء الأطيار وعملى فى الحقل وعواطفى فيه ، فالعمل فى الحقل له سبع فوائد لأهل العلم مثل استنشاق الهواء وتقوية العضلات وهكذا . وكيف كانت القصة التى قصها لى والدى بشأن أسرتنا وسعادتها قديما قد ذكرنى بأن السعادة فى السموات أبدع وهكذا غناء المغنيات المحاذيات لى فى الطريق حوّلته نفسى الى سعادتى لأنهن يلعبن وأنا مسافر الى الأزهر وهذا مجد خالد وذلك فى شبابى . أما بعد ذلك فانى سمعت الموسيقى فى عرس فانتقلت نفسى من حالها الى حال أخرى كأنها تصدح لى أنا وأن مقصدى فى نشر العلم أمر لاشك فيه

١٨٢ وهكذا بكاء النائحات على عظيم قريتنا حوّلتـه نفسى بسرعة ليالى ذوات عدد الى البكاء علىّ لجهلى بهذه النجوم

١٨٣ ﴿ بهجة البـدر ﴾ اتماما لما تقدّم فى سورة فاطر إذ خيل لى انه يخاطبنى قائلا : « إن أناسا سيقفون موقفك هذا و يمتحنون نفوسهم هل أحسوا فى أنفسهم ما أحسسته أنت ؟ و يرون أن الجوزاء مقدار الشمس (٢٥) مليون مرة والكواكب كثيرة العدد فكيف اختصت أرضنا بأن الله له فيها ولد وحدها

١٨٤ وهكذا منظر النخلات اللاتى كالقباب الخضر وهى أشبه بالراقصات والنجوم تلمع من خلالها ومنظر النجوم الباسمات للحكماء مرسلات من الحضرة القدسية لرفعن نفوس أقوام فى الأرض ليصيروا فى الملأ الأعلى والموازنة بينهن فى تبسمهن للحكماء و بين تبسم المعشوق للعاشق فيتيه هذا بذلك . فليكن سرور الحكيم بمالايتناهى من البسمات النجمية ولتكن سعادته لانهاية لها فوق سعادة العاشق المذكور وهكذا لما سمعت صوت (الفونوغراف) وفيه خطاب الفتاة لأبيها تطلب منه أن يكرم خطيبها وذلك فى حال مشيى حوّلت هذا الخطاب نفسى الى انى أنا الخطيب والحكمة مخطوبتى وهى تخاطب الله لأجلى

١٨٥ علاقة النظام السياسى بالنجوم والحساب والهندسة والتمرين العضلى والموسيقى . فى جمهورية أفلاطون ان اليقين لا يكون إلا بالعقل ولابد من معرفة صورة الخير الجوهرية (الله) وفى طريق الفيلسوف عقبتان : عقبة فى أيام التعلم . وعقبة أيام تعليمه الناس . ففى الأوّل يجاهد حتى يعرف وفى الثانى يكون أشبه بمن كان فى نور فأراد دخول الظلام . والرياضة البدنية متعلقة بالجسد الفانى والموسيقى تهذّب الأخلاق ان اعتدلت والا كان الفسق وعلم الحساب لابد منه لأنه يدخل فى كل علم ثم الهندسة السطحية ثم الهندسة الجسمة كالمكعب والكرة ثم علم الفلك . وهنالك نسبة بين علم الفلك وعلم الغناء باعتبار حسابهما . فالمدار على نظام الحساب لاعلى ظواهر الأغانى ولاعلى أشكال النجوم أومعرفة الشهور والأيام . واذا كانت مباحث الفلك فى السنين الكبيسة والبسيطة وحساب الخسوف والكسوف وفى الفصول الأربعة وفى سير القمر . كل ذلك بحساب منظم وهى دوائر منتظمة مشروحة

١٨٩ فهكذا نجد علم الشعر أرجعه الخليل بن أحمد الى خمس دوائر اشتملت على (١٥) بحرا من الشعروهى كدوائر الفلك التى شرحت هنا شرحا كافيا وهذه الدوائر فى صفحة (١٩٠) ومابعدها ولايخرج فن الغناء عن الشعر لأن الاصول واحدة إذ ترجع الى وتد وسبب وفاصلة و بين النغمات نسب . ولقد نجد ما يسمى بالماخورى فى علم الموسيقى هو هو نفسه المسمى فى علم الشعر ببحر الطويل المذكور فى الدائرة الأولى من دوائر الخليل وهو هو نفسه صياح الفاختة . إذن الشعر وغناء الطير وعلم الموسيقى كلهن ترجع الى الحساب . وليس المدار فى الموسيقى على النغمات الظاهرة ولا فى علم الفلك على جمال النجوم ونتائج

صحيفة

العناصر الداخلة فى المواليد وتزيد تلك المواليد بعجائب أبدع من هذه مثل ان المغنيسيوم والحديد والجير والكبريت . أوّلها يقوّى العضل ويمنع الفتق . وثانيها يجعل الدم أحمر ويمنع فقر الدم . وثالثها يغذى العظم ويشفى الجروح . ورابعها ينظف الدم ويمنع الروماتزم . ولقد فرّقت على العناصر فكانت هذه الأربع مجموعة فى الطماطم والسبانخ ومفرّقة فى غيرهما ، وتزيد السبانخ منافع أخرى

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ فى آية ــ سبحان الذى خلق الأزواج كلها ــ الخ و بيان أن المادّة ليست شيأ سوى حركات أحدثت أضواء فتراكمت بحسب ماتحس به فسميناها أرضين وسموات وغيرها فلها طرفان طرف منه ينتهى الى الحركات والنور وآخر ينتهى الى حواسنا فيظهرها بهذه الهيئات . إذن هذه صنعة محكمة لاغير والصناع الماهرون من بنى آدم يجلّ قدرهم الناس ويرون منزلتهم عالية مثل (اديسون) مخترع الآلة الحاكية الفونوغراف الذى له (١٤٠٠) اكتشاف نفع العالم بها ، فهو لايجد وقتا يقابل فيه الناس . فاذا كان هذا العالم المخترع للمصباح الكهربائى وغيره أعظمه الناس فما بالنا بمن اخترع أجهزة ضوئية فى نفس أوراق الشجر فالورقة الواحدة من الشجر قد تحوى البوصة المربعة فيها (١٢) حجرة أو (٢٤) أوأكثر الى ألف الى مليون ونصف مليون كلها حجرات حيطانها شفافة مسقفة بذرات شفافة أيضا لالون لها وليس يتخلل تلك السقوف إلا الهواء وتلك الذرات التى صنعت منها هذه السقوف أشبه باللبنات التى نبنى بها بيوتنا فى النظام والترتيب وفى كل حجرة سائل يحمل مادّة ملونة تحدث أشعتها خضرة تظهر على وجوه الأشجار والزروع فيظن الناس الأشجار والزروع خضرات وماهى بخضرات إن هو إلا انعكاس عن تلك القناديل الخضر العائمات فى سوائل تلك الحجرات ومثل هذا يقال فى الألوان الأخرى . وتلك القناديل الخضر فى تلك الحجرات تعاون ضوء الشمس فى اجتلاب الكربون من الهواء ليدخل فى فتحات الورقات فيدورفيها ويخلص من الاكسوجين فيرجع الاكسوجين ثانيا الى الجوّ ويبقى الفحم فى جسم النبات فيغذيه ويصير نافعا لنا غذاء ودواء وفاكهة والاكسوجين الراجع الى الهواء يدخل فى رئاتنا مع أنفاسنا فيصلح الدم ونعيش نحن بهذه الأعمال العجيبة فكأن النبات زبال الهواء . فانظر إذن الى ورقة فيها الحياة (شكل ٥٠)

٢٠٧ وورقة جافة وورقة تظهر الهيكل الأصلى . ثم انظر قطعة من ظاهر الورقة تظهر فتحاتها وأخرى مقطوعة عرضا (شكل ٥١) و (شكل ٥٢)

٢٠٨ ثم تأمّل فى شرحها مثل ان فيها مايشبه العمود الفقرى وحوله فروع كالأضلاع وهذه الفروع تدق شيأ فشيأ حتى تكون فى تلك الحجرات أشبه بقوالب لما هو داخل تلك الحجرات فتحفظها من التفرّق وهى تتلقى الغذاء من الفرع والفرع من الغصن والغصن من الشجرة والشجرة مما حولها . فهذا الهيكل كهيكل الحيوان سواء بسواء وكهيكل نفس الشجرة فى كثير من الأشجار . ألاترى أن الورقة الساقطة من الشجرة كثيرا ماترى شجرتها صورة مكبرة لها كما أن الدنيا كلها صورة مكبرة للانسان فهو كورقة والعالم كشجرة ولن يعرف هذا إلا من قرأ هذا المقام موضحا فى ﴿ سورة السجدة ﴾ إذ جاء هناك أن الانسان كهيئة العالم . ثم إن زوايا الورقة مع فرعها هى بعينها زوايا الفروع مع الأغصان وزوايا الأغصان مع نفس الشجرة . فهذا معناه أن الورقة شجرة مصغرة كما ان الانسان عالم صغير

٢١٢ خطاب الورقة للمسلمين تقول لهم : « إن الناس لما فهموا مصابيح اديسون عظموه أما الناس فانهم جهلوا مصابيح الله لأنها تعجز جميع الناس أن يصنعوا مثلها سواء أكانت كبيرة كالشمس أو صغيرة كالقناديل المعلقات فى تلك الحجرات فى الورقات اللاتى تعدّ بآلاف الآلاف . لذلك لايعرف جمال الله

صحيفة

ويسبح بحمده تسبيحا عقليا إلا نبي أو حكيم وسواهم مقلدون

٢١٤ ومن عجائب خلق الأزواج كانها النعامة والغورلا وعجل الكودو والريميا وآكل النمل والنمل الضعيف قاتل الحية وشامايون عجيب وسمك الفردوس، وكيف يتفقد هو بيض الأنثى، وكيف يرخم هو على ذلك البيض بدل الأنثى التي تريد أكله لانتزاع الرحمة من قلبها، وكيف امتحن العلماء كابا فى جامعة كاومبيا . ومن أعجب مانراه اختلاف رؤس الحيوان كالبطة والصقر المتوّج والتوكان والطاووس وبشروش ودجاجة غينا وايبس وجمل الماء، فكل هذه مختلفات عجيبات مرسومات فى الأشكال من (شكل ٥٣) الى (شكل ٧٤)

٢٢١ الكلام على آية ــ وتكلمنا أيديهم ــ الخ وأن الفتى (ناروكاوايستى) اليابانى أحبّ فتاة يابانية وهى تبغضه لشربه الخمر فقابلها فى مدينة (توكيو) فانقضّ عليها فقتلها وألقى الخنجر فى ناحية وفرّ تحت جنح الظلام، فلما رأت الشرطة ذلك الخنجر بحثوه بالآلات المعظمات فألفوه قد ترك بصمة إبهامه عليه فكبروها وحفظوها وأخذوا صورة الفتاة وحفظوا كل شئ، وهذا الابهام أخذوا يوازنونها بما لديهم من الأصابع المبصومة فى دفاترهم فلم يجدوها وأخذوا يبحثون عن الأشرار فوجدوه بعد (١٧) شهرا يشرب الخمر وأخذوا بصمة ابهامه وهو غير مكترث لأنه ليس له بصمة عند الشرطة فوجدوه مطابقا للبصمة التى كانت على الخنجر، هنالك أيقنوا أنه هو القاتل، فاذا كانت هذه حال الأيدى فى الدنيا فما بالك بالآخرة فهاهى ذه تكلمت فى الدنيا بأفصح من الألسنة، بل ان عالما ألمانيا أسلم لما قرأ فى القرآن ــ بلى قادرين على أن نسوّى بنانه ــ إذ قال هذا العلم المقصود به خطوط الأيدى والبنان ولم يظهر إلا فى هذا الزمان فهذا دليل على أن هذا كلام الله حقا

٢٢٤ حوادث النطق بلا لسان رواها قوم، فهنالك فتاة فى انكلترا قطع لسانها فصارت تنطق بغيره و بعض المبشرين قطع لسانه فصار يعظ الناس بلا لسان

٢٢٥ آية ــ ومن نعمره ننكسه فى الخلق ــ وبيان أن تنكيس الخلق الذى يكون فى هذه الأيام سببه جهل الناس بالصحة والا فالانسان اذا قسناه بالحيوان كانت حياته (٢٠٠) سنة لا (٧٠) سنة لأنه يتم خلقه فى (٢٥) و بضربها فى (٨) يصير مائتين وهو فى ذلك كالكلب الذى يتم خلقه فى سنة ونصف فيعيش (١٢) سنة والحصان الذى يبلغ أشده فى (٣) سنين فيعيش (٢٤) سنة من ضرب (٨) فى (٣) فلماذا لا يعيش الانسان مائتى سنة ؟ ولما انحطت قوى الانسان من جهله بالغذاء والصحة أخذ الأطباء يحتالون له مثل الاستاذ فورونوف الذى يقول : « إن الانسان يمكنه أن يعيش ١٤٠ سنة وذلك انه أخذ عددا من حيوانات فلقح بها حيوانات أخرى فرجع الهرم منها شابا صحيح البدن نشيطا قويا ولم يقتصر على عمليات قليلة بل أوصلها الى (٦٠٠) عملية كلها نجحت، ولما نزع الغدة من الحيوان الذى نشط بسببها رجع ضعيفا فأيقن بذلك ولم يجد بدا من المحافظة على (النسانيس والغورلا) وهذان النوعان أقرب الى الانسان، فالتطعيم بغدد هذين النوعين يجعل من الناس من يعيشون أكثر من مائة سنة . ويقول : ليس القصد أن يعيش كبار السن بل القصد أن يعيش طويلا أولئك الشبان الأذكياء ليبنوا للانسانية المسكينة مستقبلا باهرا ويكون الفضل فى ذلك لأنواع النسناس ونحوه وقد أجابه لحفظ النسناس والغورلا ملك اسبانيا ورئيس جمهورية فرنسا »

٢٢٦ كيف كان من الناس من عاش مائتى سنة فى زماننا وهوزنجى، وجون بافر البولندى عاش ١٧٥ سنة وهنرى جنكسن الانجليزى عاش ١٦٩ سنة وهكذا فهذا شبه دليل لقابلية الناس لطول الحياة التى يريدها

(فورونوف)

صحيفة

(فورونوف) ويقول نابليون : « إن الأدوية لا تفيد شيأ فالحمية والاستحمام بالماء الساخن نافعة ولنترك البقية لصانعها الحكيم . فأما فتحها والبحث فى داخلها فكم أهلك أناسا » وكان له إلمام بعلم الطب

٢٢٧ وصايا طفل يخاطب والديه أن لا يشدّوا عليه القماط فى السنة الأولى وأن ينظفوه ويغسلوه كثيرا فى السنة الثانية ، وأن يمنعوا تقبيل فمه فى الثالثة ، وأن يخرجوه فى الهواء الطلق فى الرابعة ، وأن يبعدوه عن قرناء السوء فى الخامسة ، وأن يكون فى مدرسة نافعة فى السادسة ، ويتبع هذا الكلام على أطول الحيوانات عمرا من الانسان كالسلحفاة والنسر ونوع من السمك وهكذا ، وهنا كلمة شفيق باشا المعاصر لنا بمصر وانه عاش الى الآن سبعين سنة نشطا وأن سبب ذلك انه لا يشرب الخمر ولا يدخن ويأكل ماهو بسيط وينام على الخشن ولا يفرط فى شئ من اللذات مطلقا ولا يشرب القهوة إلا نادرا جدا مع اللبن وانه رأى رجلا من جيرانه يحمله الخفراء على أيديهم بالليل وهو سكران فاشمأزّ من الخمر واجتنبها احتقارا لها

٢٢٨ ﴿ اللطيفة السابعة ﴾ فى قوله ــ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ــ وههنا رجعنا الى أصل المادة وانها نقط ضوئية صارت فى أعيننا شجرا وحجرا الخ ولكن فى كل شئ نراه نارا مخبوءة ولم يعطها الله لنا لنستخرجها إلا بالبحث فبحثنا عنها فى الشجر والحجر ، وكلما ازددنا بحثا زادنا منها حتى أصبحت الآن فى الكبريت فوق أعواد تظهر لنا النور حالا بأقل حكّ فى لمح البصر ، والنار رآها موسى فطلب القبس وطلب هاديا يدله على الله كما جاء فى بعض التفاسير

٢٢٩ (شكل ٧٥) لبيان أوّل طريقة لاختراع النار ظهرت بين سكان جزائر المحيط الهادى إذ يقف ستة رجال أشدّاء بخشبة عظيمة فيزاولونها زمانا طويلا بالضرب بها فى غيرها فتحصل النار من شدّة العرك وهذه عادات أبقاها الله لنا لنعرف تطوّر العلوم والمعارف كما أبقى بعض عاداتهم مثل ما فى (شكل ٧٦) إذ تضع الأرمل على جسمها وشعرها طينا وجبسا حزنا على زوجها وهكذا أسلحتهم الحجرية (شكل ٧٧) لنعرف الآن كيف تطوّرت الأحوال الاجتماعية ، وهكذا الفارس الذى هو فى حاشية أحد الرؤساء هناك وملابسه كلها من ورق شجر الموز وذلك أشبه شئ بلباس آدم وزوجه . إن هذه النار فى الآية تذكرنا بطريق الاستبداع بالنار التى تخيلها أفلاطون فى جمهوريته إذ تصوّر أن الناس جميعهم أشبه بمن عاشوا فى ظلام فى كهف ووراءهم سور وأمام السور نار وهناك أناس يحملون صور النبات والحيوان الخ وهم يمشون بين السور وبين النار فارتسمت الصور على حائط الكهف أمام أعين أولئك الجالسين فيه وهم جميعا لم يروا ماخلفهم من الحائط والسائرين والنار فسموا تلك الأشياء بأسماء ولكن قام من بينهم رجل ففكر وترك المغارة وأخذ يمرن نفسه على رؤية النور شيأ فشيأ بحيث يرى صور الأشياء فى الماء ثم يرى النجوم ليلا ثم القمر ثم الشمس ، هنالك يعلم أن الصور التى على حائط الكهف ليست حقائق وأن النار ليست شيأ فالحقائق انما هى الشمس والفصول الأربعة وجميع الحيوان والنبات ، ومن هناك قال إن النار ضرب مثل للشمس والشمس ضرب مثل لصانع العالم وأهل المغارة هم جميع الناس والفلاسفة والحكماء أشبه بالرجل الذى خرج من المغارة فاذا رجع الى أصحابه وعلمهم فانه ينصب ويتعب فى تعليمهم كما تعب ونصب فى أيام تمرّنه على مشاهدته الأنوار ، فهناك مجاهدة فى مقابلة النور بعد الظلام وهنا مجاهدة فى الدخول فى الظلام بعد النور ولكنه يكون أرقى من سكان المغارة فيعلمهم هذا شأن كل حكيم فى هذه الأرض

٢٣١ تذكرة فى قوله تعالى ــ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ــ الخ عند صلاة الصبح . خطاب لله تعالى وأن نار المصابيح تشتمل على (٩٦) فى المائة حرارة وعلى أربعة فى المائة ضوأ وأن من الناس

﴿ تمت الفهرست ﴾